٢١٢،٠٨
م

حاشية شيخ زاده على جزء عم "ولعلها" مأخوذه من
حاشيته على أنوار التنزيل للبيضاوي، تأليف شيخ
زادة، محمد (محيي الدين) بن مصطفى – ٩٥١هـ. كتبت سنة
١١١٥هـ.

١٥١ق ٢٧ س ٢٠،٥×١٤،٥ سم

٦٩٤٠
م ٣

نسخة جيدة، ضمن مجموع (ق ١–١٥١)، خطها نسخ معتاد،
طبع مرات آخرها سنة ١٣٠٦هـ.

الاعلام (ط٤) ٧: ٩٩ الازهرية ١: ٢٥٦

١٤٠٧
١

١– التفسير، القرآن الكريم وعلومه
أ– المؤلف ب– تاريخ النسخ ج– حاشية
على جزء عم.

٢١٢،٠٨
م

حاشية سعدي جلبي على جزء عم "ولعلها" مأخوذة من
حاشيته على أنوار التنزيل للبيضاوي تأليف سعدي
جلبي، سعد الله بن عيسى ٩٤٥هـ. كتبت سنة ١١١٥هـ.

٤١ ق ٢٧، ٢٨س ٢٠،٥×١٤،٥ سم

٦٩٤٠
م ٣

نسخة جيدة، ضمن مجموع (ق ١٥٢–١٩٢)، خطها نسخ
معتاد.

معجم المؤلفين ٤: ٢١٦، ٨: ٢١ الأزهرية ١: ٢٥٤

١٤٠٧
١

١– التفسير، القرآن الكريم وعلومه أ– المؤلف
ب– تاريخ النسخ ج– حاشية على جزء عم.

شيخ زاده وسعدي چلبي على النبأ

استصحبه الفقير المحتاج الى ربه القدير
السيد مصطفى الجركسي

20.000 TL

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

قوله أصله عن ما على أن عن الجارة دخلت على ما الاستفهامية قلبت
النون ميما وأدغمت الميم في الميم بناء على أن التقاء الحرفين المتجانسين
أو المتقاربين في الكلام يوجب ضربا من الثقل فحاولوا دفعه بطريق
من الطرق والادغام أحد طرقه لأنه يورث ضربا من الخفة وأحد
المتقاربين لا يدغم في الآخر إلا بعد قلبه بالآخر لتحصل المماثلة الموجبة للادغام
قوله لما تقرر أن حرف الجر إذا دخلت على ما الاستفهامية يحذف ألفه
تخفيفا للفظ لكثرة الدور وفرقا بين ما الاستفهامية والاسمية وتنبيها
على شدة اتصالها بحرف الجر حتى أنها كجزء منه نحو لم وبم وفيم والى م و
علام وعلى م فان قلت الميم حرف شفوي مخرجه ما بين الشفتين و
النون مخرجه ما بين طرف اللسان وفوق الثنايا العليا والثنايا جمع ثنية
وهي مقدم الأسنان وهي أربعة أسنان اثنان منها في أعلى الفم وأخراه
منها في أسفله يطلق على كل واحد منها لفظ الثنية ومجموع الأربعة ثنايا
فاذا تقرر هذا ظهر أنه لا تقارب بين الميم والنون في المخرج فما سبب الادغام
قلت نعم الا أن فيهما غنة وهي الغنة فجعلهما كالمتقاربين في المخرج قال
ابن الحاجب وادغمت النون في الميم وان لم يتقاربا لغنتهما والغنة مدة
تخرج من الخيشوم كما أن حروف العلة مدة تخرج من الفم وقيل الغنة صوت
في الخيشوم والأغن الذي يتكلم من قبل خيشومه قوله فانه لفخامته خفي جنسه
ثبت عنه يريد أن كلمة ما سواء كانت لشرح الاسم أو لطلب الحقيقة
العينية أداة الطلب والسؤال فيطلب بها شرح مفهوم الاسم أو كشف
حقيقة الشيء المعلوم الموجود والمطلوب لا بد أن يكون مجهولا عند الطالب
لئلا يلزم تحصيل الحاصل قوله هذا أصل الكلمة ثم انها قد تطلق على الشيء
العظيم الشأن المفخم القدر وان لم يكن مجهولا لهذا المتكلم على طريق
الاستعارة تشبيها له بالمجهول المسؤول عنه من حيث انه لفخامته وعظم
شأنه صار كأنه عجز العقل عن أن يحيط بكنهه فيسأل عنه كالأشياء التي
جهلت مفهوماتها وحقائقها فتطلب بما فلا جرم من هذه الحيثية استعملت
فيه كلمة ما أيضا مجازا حيث جردت عن معنى الاستفهام ولم يعتبر فيه ومنه

قوله

بالنسبة الى الآخر فان الفعل الصادر من أحد المشتركين فيه يكون صدوره
منه على حدة وقوة لصدوره منه على قصد الغلبة على المشارك الآخر فان
استعمل فيما لا مشاركة لم يقصد به الا المبالغة غالبا قوله كذابا المخفف مصدر
كذب الثلاثي في لغة أهل اليمن فانهم يقولون كذب كذابا مثل كتب كتابا فان
قرئ كذابا في الآية بالتخفيف يكون انتصابه بكذبوا المشدد على أنه مفعول
مطلق من غير لفظ الفعل لكون الفعل بمعناه لأن كذبوا المشدد يتضمن كذبوا
المخفف لأن كل مكذب للحق كاذب ويحتمل أن يكون انتصابه بفعل مقدر من
لفظه أي فكذبوا بآياتنا فكذبوا كذابا قوله أي المكاذبة عطف على الكذب
في قوله بمعنى الكذب أي يجوز أن يكون كذابا المخفف مصدر كاذب الذي هو
للمشاركة أو للمبالغة من غير النظر الى المشاركة قوله ويؤيده أي يؤيد كون انتصاب
كذابا المخفف على الحالية على المعنيين أي سواء كان بمعنى الكذب أو المكاذبة
قراءة من قرأ كذابا بضم الكاف وتشديد الذال فانه جمع كاذب كنصار جمع ناصر
في انتصابه على الحال وجوز أن يكون كذابا في هذه القراءة صيغة مبالغة للفاعل
الواحد لا جمع مثل حسن حسان وشاب حسان فيكون كذابا صفة واحد بالغ
في الكذب وذلك الواحد هو صفة مصدر كذبوا والمعنى وكذبوا بآياتنا تكذيبا
كذابا أي تكذيبا مفرطا كذبه ويجوز أن يكون انتصاب كذابا المخفف على تقدير
كونه بمعنى المكاذبة على المصدرية لفعله المحذوف المقدر والمعنى وكذبوا بآياتنا
فكاذبوا مكاذبة أو لكذبوا المذكور لاستلزام معنى كاذبوا فيه فجعله مصدر
المفاعلة بناء على أن كلا من المسلمين والكافرين كاذبوا عند الآخرين
نظرا الى أن كل واحد من المشتركين في باب المفاعلة من شأنه أن يغلب على
الآخر في ذلك الفعل وهذا انما يكون اذا اتصف كل منهما بذلك الفعل نحو
خاصم وحال المسلمين مع الكافرين ليس كذلك لأن كلا منهما ينزه نفسه
عن الكذب ويسنده الى الآخر فيحكم كل منهم فأمر في جوابه قوله وقرئ بالرفع
والجمهور على نصب كل شيء بالاضمار على شريطة التفسير وهو الراجح لتقدم
جملة فعلية والمعنى أحصيناه كل شيء لما يعلمه الله تعالى فان أحوالهم بحسب
قوتهم العملية والنظرية بلغت الى أقصى الغايات بحيث ان تفاصيل تلك الأحوال في
كميتها وكيفيتها معلومة له وكذا أن قدر ما يستحقونه بسببها من العقاب معلوم له

فتكون المؤمن تقرير ما ادعاه من قوله جزاء وفاقا قوله مصدر احصيناه اما
بتأويل احصينا بمعنى كتبنا واما بتأويل كتابا بمعنى احصاء بناء على ان الاحصاء
والكتابة يتشاركان في معنى الضبط عبر عن الاحصاء بالكتابة للدلالة على قوة علمه
وتقريره وتمكنه بحيث لا يتطرق اليه الزوال فان الكتابة هي النهاية في قوة العلم وتقريره
ولهذا قال عليه السلام قيدوا العلم بالكتابة فكانه تعالى قال وكل شيء احصيناه احصاء مساويا
في القوة والثبات بالعلم المقيد بالكتابة فقوله كتابا يفيد تأكيد ذلك الاحصاء
بحسب افهام الخلق والا فالعلم المكتوب يقبل الزوال وعلم الله تعالى بالاشياء
لا يقبله اصلا لانه واجب لذات الواجب قوله او لفعله عطف على احصيناه
قوله او حال عطف على قوله مصدر لاحصيناه فان قيل لا شك ان احصاء الله كل شيء
ازلي والكتابة في اللوح والصحف حادثة فكيف يجعل حالا من مفعول احصيناه مع
ان المقارنة بين الحال وصاحبها شرط في تلبس العامل بها قلت الازلية لا تنافي
مقارنة الحادث في بعض الازمان اي في زمان وجوده او نقول معناه مقدرين
الكتابة في اللوح او الصحف وتقدير الكتابة ازلي كالاحصاء قوله مسبب عن كفرهم
بالحساب يعني ان هذه الفاء جزائية دالة على ان الامر بالذوق مسبب ومعلل بما
تقدم من كفرهم وتكذيبهم فيكون قوله وكل شيء احصيناه جملة معترضة بين
السبب ومسببه يؤكد كل واحد من الطرفين لانه كما يدل على كون معاصيهم مضبوطة
مكتوبة يدل على ان ما يقع عليهم من العذاب في تلك الحالة مقدر على حسب
استحقاقهم به فان قيل هذه الزيادة ان كانت غير مستحقة كانت ظلما وان
كانت مستحقة كان تركها في اول الامر احسانا والكريم لا يليق به الرجوع في احسانه
فالجواب انها مستحقة وترك المستحق في بعض الاوقات لا يوجب الابراء والاسقاط
حتى يكون ايقاعه بعده رجوعا في الاحسان قوله ومجيئه على طريق الالتفات
حيث ذكرهم اولا بطريق الغيبة في قوله انهم كانوا لا يرجون حسابا وفي قوله
فذوقوا ذكرهم على سبيل الخطاب والمشافهة وهذا يدل على كمال الغضب فان قيل
قوله تعالى فذوقوا الخ تكرير لانه ذكر سابقا انهم لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الاية
قلنا انه تكرير لزيادة المبالغة في تقرير الدعوى فانه تعالى لما شرح اولا احوال العقاب
ثم ادعى كونه جزاء وفاقا ثم بين تفاصيل افعالهم القبيحة ظهر بذلك صحة ما
ادعاه اولا من ان ذلك العقاب كان جزاء وفاقا جرم اعاد ذكر العقاب فقال

فذوقوا

قوله الحاقة ما الحاقة وما ادريك ما الحاقة وما القارعة وما سجين و
ما العقبة ونحوها فان كلمة ما فيها لمجرد التعظيم قوله او يتسائلون اي يجوز
ان يكون صيغة التفاعل على اصلها من كون اصل الفعل بين كثيرين بان
يكون كل بعض منهم فاعلا له بالبعض الاخر وان يكون بمعنى الفعل الثلاثي مثل
يتداعونهم بمعنى يدعونهم قال الامام الثاني هو ان يسأل بعضهم بعضا
كالتقاتل وقريب منه التشاور يحضر ان يتحدثوا به وان لم يكن من بعض لبعض
سؤال كقوله تعالى واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم اني كان لي
قرين يقول ائنك لمن المصدقين فهذا بمعنى التحدث فيكون معنى الكلام عم
يتحدثون وهذا قول الفراء انتهى كلامه ولم يتعرض لكونه بمعنى يسألون قوله
او للناس عطف على قوله لاهل مكة والظاهر ان المراد بالناس ما يعم اهل ذلك
العصر من الكفار والمؤمنين فيتسائلون او يسألون عنه ليزدادوا يقينا في
دينهم واما الكفار ففي سبيل السخرية والاستهزاء او على سبيل ايراد
الشكوك والشبهات الا ان قول المص فيما بعد كلا سيعلمون ردع للتسائل و
وعيد عليه يقتضي ان يكون المراد من الناس ما يعم اهل مكة وغيرهم من الكفرة
فقط قوله بيان لشان المفخم يعني ان قوله عم يتساءلون كلام تام ورد
على طريق السؤال وقوله عن النبأ العظيم جواب له اي ان شان المفخم
بالسؤال انه في نبأ عظيم وتقرير الكلام يتساءلون عن النبأ العظيم
الا انه حذف يتساءلون في الاية الثانية لدلالة الاولى عليه فيكون عن في عم
متعلقا بيتساءلون المذكور وقوله عن النبأ متعلقا بالمحذوف فقوله عم
يتساءلون سؤال تفخيم وتعظيم للمسؤول عنه وقوله عن النبأ العظيم جواب
وبيان له والسائل والمجيب هو تعالى والفائدة في ان يذكر السؤال ثم ان يذكر
الجواب معه ان هذا الاسلوب اقرب الى التفهيم والايضاح ونظيره قوله تعالى
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار قوله او صلة يتساءلون يريد ان قوله
عن النبأ يجوز ان يتعلق بيتساءلون المذكور فحينئذ يكون عم متعلقا بيتساءلون
المضمر والمذكور يفسر ذلك المضمر فيتم الكلام بقوله عم ويكون قوله يتساءلون
عن النبأ بيانا لشان المفخم ويدل عليه قراءة من قرأ عمه بهاء السكت
والظاهر انه وقف على عم وابتدأ بيتساءلون عن النبأ فيكون متعلقا بعم

مضمراً مفسراً بما بعده لانه لما وقف عليه صار منقطعاً عما بعده فيكون
ما بعده كلاماً مبتدأ وانما وقف بهاء السكت لان الف ما الاستفهامية
لما حذفت جعلت فتحة الميم دليلاً على الالف المحذوفة فوقف عليها
بالهاء الساكنة حفظاً لتلك الفتحة عن السقوط حالة الوقف و هي
الف لدة في الوقف بالهاء في جميع المواد التي وقف بها والحاصل انه الحق بها هاء
السكت حال الوقف لئلا تخلو الكلمة عن حروفها الاصلية وعن بدل عليه
ووقف عليه اكثر القراء بالاسكان امنا من الالتباس وقيل يجوز ان يكون
قوله عن النبأ استفهاماً آخر متصلاً بما قبله بتقدير الف الاستفهام فيه
والتقدير عم يتساءلون اعن النبأ العظيم الا انه حذف حرف الاستفهام
لدلالة الاستفهام المذكور عليه ونظيره قوله تعالى افان مت فهم الخالدون
اي افهم الخالدون وقيل يجوز ان يكون عم بمعنى لاي شيء وقوله يتساءلون عن
النبأ العظيم متصل بما تقديره لاي شيء يتساءلون عن النبأ العظيم ونسب
هذا القول الى القراء والذي في الاية يحتمل ان يكون مجروراً على انه نعت للنبأ
وان يكون منصوباً على الذم او مرفوعاً بتقدير هو او منصوباً بتقدير اعني قوله بجزم
النفي والشك فيه على ان يكون ضمير يتساءلون لاهل مكة فانهم ليسوا
متفقين في انكار الحشر الجسماني لان منهم من ينكره ويجزم بانتفائه ويقول
ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ومنهم من كان شاكاً فيه قائلاً
وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى قوله
او بالاقرار والانكار هذا على تقدير ان يكون ضمير يتساءلون لمطلق الناس من
المؤمنين والكفار فانهم مختلفون فيه يقر به المؤمنون وينكره الكفار قوله
ردع ووعيد الردع مستفاد من كلا اي ليس امر البعث مما يشك فيه او
ينكر بحيث يتساءل عنه والوعيد مستفاد من سيعلمون اي انهم سيعلمون ان
ما يتساءلون عنه حق لا دافع له واقع لا ريب فيه مقطوع لا شك فيه قوله
اي تكرير الردع بتكرير كلمة كلا وللوعيد بتكرير سيعلمون للمبالغة فيهما و
التشديد قوله وثم للاشعار بان الوعيد الثاني اشد يريد ان لفظ ثم موضوع
للتراخي الزماني وقد يستعمل مجازاً في التراخي الرتبي تشبيهاً بالتراخي الزماني
في الاشتمال على مطلق التباعد بين الامرين والمعنى المجازي هو المراد ههنا

لان المقام مقام التهديد والتشديد وذلك انما يكون اكمل بالجزم عليه والاظهر في
العبارة ان يقال وثم للاشعار بان الردع الثاني والوعيد الثاني اشد قوله وقيل
الاول عند النزع والثاني في القيامة او الاول للبعث والثاني للجزاء فيكون ثم محمولاً
على معناه الحقيقي وهو التراخي الزماني اذ المعنى سيعلمون حقيقته عند النزع ثم
في القيامة ولا شك ان القيامة متراخية بحسب الزمان عن وقت النزع او المعنى
سيعلمون حقيقة البعث حين ان يبعثوا من قبورهم ثم حقيقة ان يجازى
كل واحد على حسب طاعته وعصيانه حين ان يجازوا على كفرهم وانكارهم ولا
شك ان وقت الجزاء متراخ عن وقت البعث وعلى تقدير ان يكون ضمير يتساءلون
لمطلق الناس من الكفار والمؤمنين يحتمل ان يكون ضمير احد لفظي سيعلمون للمؤمنين
وضمير سيعلمون الآخر للكفار والمعنى سيعلم المؤمنون عاقبة تصديقهم وسيعلم
الكفار عاقبة تكذيبهم فيكون احدهما وعداً للمؤمنين والآخر وعيداً وثم لتفاوت للكفار
ما بين الوعد والوعيد في الرتبة ويحتمل ان يكون كلاهما وعيداً للكفار بان يكون
المعنى سيعلم الكفار احوالهم ثم يعلم احوال المؤمنين وكلاهما وعيد للكفار اما
الاول فظاهر واما الثاني فلان المؤمنين اعداؤهم وعلمهم بكون اعدائهم في النعيم
المقيم واللذة الصافية عذاب روحاني اشد من الجسماني قوله ليستدل بذلك
يعني ان الله تعالى لما حكى عنهم انكار البعث والحشر واراد اقامة الحجة او رد ما
يدل على كونه قادراً على جميع الممكنات عالماً بجميع المعلومات لانه اذا ثبت هذان
الاصلان ثبت القول بصحة البعث فاثبت هذين الاصلين بان عدد
انواعاً من مخلوقاته المحكمة المتقنة فان هذه الاشياء من جهة حدوثها
تدل على القدرة ومن جهة اتقانها واحكامها تدل على العلم ومن ثبت له العلم
والقدرة بهذه المثابة صح منه ان يكون قادراً على تخريب الدنيا بسماواتها
وارضها وايجاد عالم الآخرة بخواصها واحكامها لانه قد تقرر ان الاجسام
متساوية الاقدام في قبول الصفات والاعراض ولما فسر النبأ العظيم بالبعث
ظهر اتصال الاية بما قبلها ولما بعدها ايضاً وهو قوله ان يوم الفصل كان ميقاتاً
ولذلك اختار المصنف تفسيره به ولو فسر بالقرآن او بالنبوة كما فسره البعض
لفات النظام هذه الاية بما قبلها وان انتظمت بما بعدها كما لا يخفى ومن
فسر النبأ العظيم بالقرآن قال انه نبأ عظيم في فصاحته وبلاغته واحتوائه

على العلوم الكثيرة وانهم اختلفوا فيه وتساءلوا عنه فجعله بعضهم سحرا وبعضهم
شعرا وبعضهم قال انه اساطير الاولين وقد فسر النبأ بالقرآن اولى
من تفسيره بالبعث او النبوة لان النبأ اسم للخبر لا للمخبر عنه والبعث و
النبوة ليسا خبرين بل هما مخبر عنهما فكان اسم النبأ اليق بالقرآن منه
بالبعث والنبوة والجواب اسم النبأ وان كان اليق بالقرآن الا ان اسم العظيم
اليق بالبعث والقيمة لانه متعلق فزع الخلق وهو فهم منه وهو اعظم الاشياء
في قلوبهم ولان ما بعده من الاية لما كانت مسوقة لاثبات صحة البعث واقامة
القيمة بالحجج دل ذلك ان المراد بالنبأ العظيم هو نبأ العظيم قوله مصدر سمي به قال
الجوهري المهد مهد الصبي والمهاد الفراش وقد مهدت الفراش مهدا
بسطته ووطأته وتمهيد الامور تسويتها واصلاحها انتهى فالمهد في الاصل
مصدر بمعنى البسط سمي به مهد الصبي تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير و
كذا المهاد مصدر ماهدت بمعنى مهدت كسافرت بمعنى سرت اطلق على الارض
الممهودة اي الم نجعل الارض بساطا ممهودا تتقلبون عليها كما يتقلب
الرجل على بساطه ويجوز ان يراد به المعنى المصدري اما على تقدير المضاف
اي ذات مهد واما على انه وصفت الارض بالمصدر للمبالغة كما تقول رجل
عدل من حيث انه لكماله في تلك الصفة صار كانه عين تلك الصفة ووجه المبالغة
لانه اذا اتصف بها استغنى عما عداها في صيرورته موصوفا بها واما اذا كانت
موصوفا بها فلا اقل من ان يحتاج فيه الى تلك الصفة ومهادا مفعول ثان لجعل
ان كان الجعل بمعنى التصيير وحال مقدرة ان كان بمعنى الخلق واوتادا ايضا يحتملهما
ومعنى جعل الجبال اوتادا للارض ارساؤها بالجبال لتسكن ولا تميد باهلها
كما يرسى البيت بالاوتاد فهو من باب التشبيه البليغ قوله ذكرا وانثى كما قال الله تعالى
وانه خلق الزوجين الذكر والانثى وفيه قول آخر وهو ان يحمل الازواج على معنى
آخر اعم من الاول على ان معنى قوله انا خلقناكم حال كونكم معروضين للاوصاف
متقابلة كل واحد منها مزدوج بما يقابله كالفقر والغنى والصحة والمرض
العلم والجهل والقوة والضعف والذكورة والانوثة والطول والقصر الى غير ذلك
فيكون كل واحد منكم بحسب ما فيه من الاوصاف زوجا على ما هو موصوف بما
يقابل وصفه كالحسن بالقبح والطويل بالقصير الى غير ذلك من كل زوجين

متقابلين

متقابلين كما قال ومن كل شيء خلقنا زوجين وهذا دليل ظاهر على كمال القدرة و
نهاية الحكمة حتى يصح الابتلاء والامتحان بتعبد المنزول بالشكر والمفضول بالصبر
ويعرف حقيقة كل شيء بضده فان الانسان انما يعرف قدر الشباب عند
المشيب وانما يعرف قدر الامن عند الخوف فيكون ذلك ابلغ في تعريف النعم
قوله قطع عن الاحساس والحركة لما طعن الملاحدة في هذه الاية بان قالوا
السبات هو النوم فالمعنى وجعلنا نومكم نوما فلا فائدة في هذا الكلام
اجاب عنه بوجهين الاول ان السبت في اللغة القطع يقال سبت شعره سبتا
اي قطعه وحلقه وسمي النوم قطعا من حيث ان النائم مقطوع عن الاحساس
والحركة فان النوم يقطع التعب والكلال فكان نعمة عظيمة فحسن ذكره في اثناء
تعداد النعم الجليلة والثاني لا نم ان السبات هو النوم بل هو موت والمستدل المثبت
يستدل على صحة اطلاق الموت على النوم بقوله لانه احد التوفيين المشار
اليهما بقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها اي و
يتوفى التي لم تمت في منامها ويرد عليه ايضا انه تعالى لما جعل النوم موتا جعل
اليقظة التي يكنى عنها بانها معاشا اي حيوة حيث قال وجعلنا النهار
معاشا قال الامام هذا القول عندي ضعيف لان الاشياء المذكورة في هذه
الاية من جلايل النعم فلا يليق ذكر الموت بهذا المقام وايضا ليس المراد بكونه
موتا انه موت حقيقة اذ لا ينقطع به الروح عن البدن بل المراد به انقطاع اثر
الحواس الظاهرة عن البدن وهذا هو النوم فكان المعنى انا جعلنا نومكم نوما
فعاد الاشكال انتهى كلامه ويمكن ان يجاب عنه بان التنوين في سباتا للنوعية كما
في قوله وجعلنا على بصرهم غشاوة فالمعنى وجعلنا نومكم نوعا من الموت وهو
الموت الذي ينقطع ولا يدوم فان النوم بمقدار الحاجة نعمة جليلة من انفع
الاشياء واما دوامه فمن اضر الاشياء للانسان ولما كان انقطاعه نعمة عظيمة
لاجرم ذكره الله في معرض ذكر الانعام او يكون المعنى وجعلنا نومكم موتا
خفيفا يمكنكم دفعه وقطعه وما جعلناه غشيا مستوليا عليكم فان ذلك
مرض وذكره لا يناسب المقام قوله غطاء يستر بظلمته من اراد الاختفاء اي
اختفاء نفسه او غيره من الانفس والاموال عمن لا يحب اطلاعه عليها فوجه
الشبه بين الليل واللباس كونهما سببا للاستتار عما لا يريد المرء ظهوره ووجه

النجم في ذلك ان الانسان قد يريد الاستتار عن العيون اذا اراد هربا من عدو
او اراد ان يفعل فعلا لا يرضى ان يطلع عليه غيره مع بظلمة الليل في العرف
ايضا قوله وقت معاش يحتمل ان يكون مراده ان لفظ معاشا في نظم القرآن
مصدر يقال عاش يعيش عيشا ومعيشا ومعيشة ففي هذا لابد من
تقدير المضاف وهو لفظ الوقت ليكون الثاني عين الاول وهو النهار وان المعنى
وجعلنا النهار وقت معاش ويحتمل ان يكون مراده الاشارة الى ان لفظ المعاش
اسم زمان على صيغة مفعل فلا حاجة الى تقدير المضاف وقوله وقت معاش
ابتداء بمعنى اسم صيغة الزمان وتفسير لمفهومه به قوله تتقلبون فيه لتحصيل
ما تعيشون به في مقابلة تفسير السبات بالقطع عن الاحساس والحركة لان
التقلب فيه لا يكون الا بالاحساس والحركة واشارة الى ان المعاش في قوله وقت
معاش بمعنى التعيش وهو التقلب والتصرف في تحصيل اسباب المعيشة في الدنيا
معاشا لانه مكان التعيش والنهار معاش لانه زمانه قوله او حيوة تبعثون
فيها عن نومكم في مقابلة تفسير السبات بالموت رعاية للمطابقة بينهما وقضية
المطابقة انما تتم ان لو فسر وجعلنا النوم حيوة الا انه جعلها بالنهار لكونه
مستلزما لها غالبا قال الجوهري العيش الحيوة وقد عاش فلان مدة كذا
قوله سبعا سموات قويا اشارة الى ان شدادا صفة لمحذوف وهو مميز سبع
وشدتها احكامها خلقها بحيث لا يؤثر فيها مرور الزمان لا فطور فيها ولا
فروج ونظيره قوله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا فان قيل لفظ البناء
يستعمل في اسافل البيت والسقف في اعاليه فكيف قال وبنينا فوقكم قلنا لان
البناء يكون ابعد عن الافة والانحلال من السقف فذكر قوله وبنينا اشارة
الى انه وان كان سقفا لكنه في البعد عن الانحلال كالبناء قوله والمراد بجعل
السراج خلقه فلذلك تعدى الى مفعول واحد والجعل فيما سبق بمعنى التصيير
فتعدى الى مفعولين قوله او بالغا في الحرارة لعل كلمة او لمنع الخلو لان منهم من قال
الوهج يجمع النور والحرارة ومنهم من قال الوهج النور ومنهم من قال الوهج حر
النار واشتعالها فيكون الوهاج للمبالغة لاحد هذه المعاني على سبيل منع الخلو
قوله السحائب ان فسرت المعصرات بالسحائب يكون اسم فاعل من اعصرت
السحائب اذا حان لها ان تعصرها الرياح فتمطر فلم يعصرها بعد وهمزة

اعصر للحينونة كما في احصد الزرع اي حان ان يحصد واعصرت الجارية اي حانت ان
تعصر الطبيعة رحمها فتحيض والاولى ان ينبغي ان يقرأ المعصرات بفتح الصاد على انه
اسم مفعول لان الرياح تعصرها وكون السحائب مبدأ للانزال ظاهر وان
فسرت المعصرات بالرياح يكون ايضا اسم فاعل من اعصرت الرياح اذا حان لها
ان تعصر السحاب فتمطر وهمزة اعصر للحينونة ايضا واما اذا اريد بها الرياح ذوات
الاعاصير فهمزة افعل للصيرورة فهو اسم فاعل من اعصرت الريح
اي صارت ذات اعصار كما يقال ابقلت الارض اي صارت ذات بقل والاعاصير
جمع اعصار وهي الريح التي تثير الغبار في الارض ثم ترتفع الى السماء كالعمود وقيل
هي ريح تثير سحابا فيه رعد وبرق والسحاب اذا اعصرت ريح ذات اعصار
لا بد ان ينزل منه المطر فانما جعلت مبدأ للانزال هذا جواب ما يقال وجه
من فسر المعصرات بالرياح مع ان المطر لا ينزل من الرياح بل ينزل من السحاب وتقرير
الجواب ان ما هو مبدأ بالذات لنزول المطر هو السحاب لا الرياح لكن السحاب انما
تنشأ وتتكون وتمتلئ اخلافه بالمطر بهبوب الرياح فصح ان تجعل الرياح
مبدأ للانزال باعتبار كونها آلة وسببا لتكون مبدئه الذي هو السحاب وقيل
في جوابه كلمة من في قوله من المعصرات بمعنى الباء اي انزلنا بالرياح المثيرة للسحاب
قوله ويؤيده اي يؤيد كون المعصرات بمعنى الرياح قراءة من قرأ بالمعصرات بدل من
المعصرات وذلك لان الباء للسببية والسببية في المبدأ الآخر الذي هو الريح اظهر
منها في المبدأ المادي وهو السحاب قوله يقال ثجه وثج بنفسه يريد ان ثج قد
يكون لازما بمعنى انصب بنفسه وقد يكون متعديا بمعنى صبه غيره كما في الحديث
فان معناه افضل اعمال الحج رفع الصوت بالتلبية وصب دم الهدي واختار
المصنف كون ثجاجا في الآية مبالغة اسم الفاعل من ثج اللازم ولهذا قال في
تفسيره منصبا بكثرة واختار الزجاج كونه من المتعدي حيث قال معناه
الصباب كانه يثج نفسه اي يصب وبالجملة فالمراد تتابع القطر حتى يكثر الماء
فيعظم النفع به قوله وقرئ ثجاحا بالحاء المهملة بعد الجيم ولم اجده في الصحاح
ولا في حواشي الكشاف ويفهم من قوله ومثاجح الماء مصابه ان ثجح بمعنى انصب فهو
مرادف لثجاج الماخوذ من المتعدي كما اختاره الزجاج قوله وما يقتات به
القوت بالضم ما يقوم به بدن الانسان كالحنطة والشعير ونحوهما اي لنخرج

ليكون قوتا للانسان كالحنطة ونحوها ونباتا ليكون علفا للحيوان كالتبن و
الحشيش وجنات الفافا ليتفكه بها الانسان واعلم ان كل شيء نبت من الارض
فاما ان يكون له ساق اولا يكون وان لم يكن له ساق فاما ان يكون له كمام
فهو الحب واما ان لا يكون له كمام وهو الحشيش وهو المراد بقوله تع كلوا وارعوا
انعامكم واما الذي له ساق فهو الشجر فاذا اجتمع من الاشجار شيء كثير
سميت جنة وظهر بما ذكرنا انحصار ما نبت من الارض في هذه الاقسام الثلثة
وقدم ذات الحب لانه هو الاصل في الغذا وثني بالنبات لاحتياج سائر الحيوانات
اليه واخر الجنات في الذكر لانعدام الحاجة الضرورية الى الفواكه قوله جمع لف
اختلفوا في الالفاف وذهب صاحب الكشاف الى انه لا واحد له كالاوزاع والاخياف
والاوزاع الجماعات المتفرقة كالاخياف فانه ايضا يجيء للجماعات المتفرقة المختلطة
ومنه الاخياف للاخوة من اباء شتى وامهم واحد وكثير من اهل اللغة
اثبتوا له واحدا ثم اختلفوا في واحده قال الاخفش والكسائي واحدها
لف كجذع واجذاع وقيل لف بالضم وانكر المبرد الضم وقال بل واحدها
لفاء وجمعها لف وجمع لف الفاف فيكون الفاف جمع الجمع وذلك ان الاصل
لف في المذكر ولفاء في المؤنث كاحمر وحمراء ثم جمعا على لف كحمر ثم جمع لف
على الفاف لانه لما صار على زنة نعل المفرد جمع جمعه كما تقول قفل و
اقفال نقل الزمخشري هذا القول عن ابن قتيبة ثم قال وما اظنه واجدا
له نظيرا من نحو خضر واخضار وحمر واحمار لانه استبعد هذا القول من حيث
ان نظيره لا يجمع على افعال فانه لا يجمع خضر على اخضار ولا حمر على احمار مع
انهما جمعان لاحمر وحمراء واخضر وخضراء ووجه الاستبعاد ان الجمع لا يجمع
بالقياس لا نظير له من الجموع بل ينبغي ان يكون له نظير في المفردات فلفظ لف لما هذا
كان نظير القفل وشفر من حيث الوزن صح ان يجمع على الفاف ولا يلزم عدم
استعمال احمار واخضار ولهذا امتنعوا من تكسير مفاعل ومفاعيل لعدم
نظيرهما في المفردات حتى يجمع عليه ثم قال الزمخشري ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير
حذف الزوائد لكان قولا وجيها وليس هذا باوجه مما نقل عن ابن قتيبة لان
بناء الجمع بتقدير حذف الزوائد لا نظير له ايضا وان قاس الجمع على تصغير الترخيم
وهذا ان يحذف الزوائد كلها من الاسم ثم يصغر على ما بقي نحو ان يقال حميد

في لحد

في احمد ومحمد ومحمود ولا يبالي بالالتباس ثقة بالقرائن ويقال سويد في اسود وخريج
في مخرج ومثل هذا التصغير يسمى تصغير الترخيم لما فيه من حذف للتخفيف تشبيها له
بالترخيم المصطلح ولم يسمع من النحاة ان يحذف زوائد الاسم ثم ان يجمع ما بقي منه
وهذا الذي ذكرنا توضيح لما اورده صاحب الكشاف فجعل الفاف جمع ملتفة
بتقدير حذف الزوائد بقوله وفيه نظر لانه لا نظير له ايضا لان تصغير الترخيم ثابت
واما جمعه فلا انتهى ايراده وقيل يحتمل ان يكون جمع لفيف كشريف واشراف
قوله جنة لف وعيش مغدق وندامى كلهم بيض زهر يقال عيش مغدق
اي ناعم والغدق الماء الكثير وبابه اغدق للصيرورة والندامى جمع ندمان
يقال نادمني فلان على الشرب فهو نديمي وندماني اي جليسي في مجلس الشراب
وبيض اي حسان وزهر جمع ازهر اي ابيض مشرق اللون والاصل زهر
بسكون الهاء نقلت حركة الراء الى الهاء قبلها في الوقف بصفات عن طيب
الزمان والمكان والاخوان قوله في علم الله او في حكمه لان الاصل في كان
ان قصة الدالة على ثبوت خبرها لفاعلها في الزمان الذي يدل عليه الفعل
بصيغة ماضيا كان او حالا او استقبالا لانه للماضي ويكون للحال والاستقبال
وكونه للاستقبال ومعلوم ان ثبوت الميقات ليوم الفصل غير مقيد بالزمان
الماضي لانه امر مقدر قبل حدوث الزمان ايضا فلذلك قيده بعلم الله تع او
حكمه ولعل المراد بالحكم القضاء والقدر الازلي هو عند العلم الثابت عنده
لانه عبارة عن الارادة الازلية المتعلقة بالاشياء على ما هي عليه فيما لا يزال
قوله حدا توقت به الدنيا اي يقدر به بقاء عالم الدنيا بان ينتهي بقاؤه
عند الانتهاء اليه وتوصيف الحد بما ذكر اشارة الى ان الميقات اخص من الوقت
حيث قيد بكونه حدا ينتهي عنده بقاء الدنيا او يكون حدا ينتهي اليه الخلايق
من الانس والجن كالميعاد والمشار فان كل واحد منها اخص من مطلق
الوقت بكونه لتقييد الاول بكونه زمان الوعد والثاني بكونه زمان الولادة
وقيل الميقات زمان مقيد بكونه وقت وعد الله تع من الثواب والعقاب
او بكونه وقت لاجتماع الخلايق في موقف الحساب قوله او بيانا ليوم الفصل
يحتمل ان يكون هذا عطف بيان له وانه منصوب باضمار اعني وانه حال
من فاعل تاتون وهذا النفخ هي النفخة الاخيرة التي عندها يكون الحشر

النفخ

والنفخ في الصور اما بمعنى نفخ الارواح في اجساد الاموات فيكون الصور جمع صورة
نحو بسرة وبسر واما بمعنى نفخ اسرافيل في القرن فالصور حينئذ مفرد و
معناه القرن الذي ينفخ فيه للبعث قوله تحشر عشرة اصناف من امتي ان
قيل لم يذكر هيئة حشر المتقين من امته حتى يكون الاوصاف المحشورين
احد عشر صنفا قلت لعل الوجه فيه انه لا يخفى على احد ان الذين رضي الله
عنهم من المتقين يحشرون على الصور الحسنة غير انهم وان كانوا اصنافا
كثيرة على حسب اختلاف الاعمال الحسنة والاخلاق المرضية الا ان اهتمام
امته لا يتعلق ببيان تفصيلهم بحسب صورهم الحسنة وتفصيلها اذ هي التي
ان يحشروا عليها من الاعمال والاخلاق الصالحة هي مطمح نظره ونهاية
قصده واهتمامه معرفة هيئاتهم القبيحة في الحشر ومعرفة ما كان
سببا لان يحشروا عليها فلذلك فصل هيئات اهل المعاصي مع الاسباب
المؤدية اليها ولم يتعرض لهيئات الصالحين تفصيلا بل اكتفى بالاشارة
الاجمالية اليها بقوله من بعض التبعيض والتنكيس بنكس هيئة
الفرد على الرجل بان يجعل الرجل اعلى والراس اسفل قوله ثم فسرهم
بالقتات جمع قتات وهو النمام وهو تفسير للذين يحشرون على صورة
القردة والثاني للثاني والثالث للثالث وهذا على ترتيب اللف والنشر
وبيان المناسبة بين معاصيهم وبين الصورة التي يحشرون عليها يفضي الى
التطويل فليطلب من علم التفسير قوله وشققت اي تصدعت بعد ان
كانت شدادا لا فطور فيها فيكون قوله تعالى وفتحت السماء يعني اذا السماء
انشقت واذا السماء انفطرت بناء على ان الفتح والتشقيق والتفطير
متقاربة المعنى قال الامام هذا ليس بقوي لان المفهوم من فتح الباب
غير المفهوم من التشقق والتفطر وربما كانت للسماء ابواب تفتح تلك الابواب
مع انه لا يحصل في جرم السماء تشقق ولا تفطر بل الدلائل السمعية دلت
على انه عند حصول فتح هذه الابواب يحصل التشقق والتفطر والفناء بالكلية
انتهى ويمكن ترجيح ما ذهب اليه المص بان الفاء في قوله فكانت ابوابا يدل
على ان الفتح سبب لصيرورة الكل ابوابا او ذوات ابواب فلو كان
الفتح بمعنى التشقق لا يصح هذه السببية واما لو كان مستعملا في معناه

الحقيقي



الحقيقي لكان الابواب حاصلة قبل الفتح الا انها كانت مغلقة فلا يصح ان يقال
فكانت ابوابا الا بتاويل بعيد وهو ان الابواب قبل الفتح كانها معدومة ثم وجدت
بالفتح قوله وقرأ الكوفيون وهم ثلثة شيوخ من القراء السبعة عاصم و
حمزة والكسائي فانهم قرؤا لفظ فتحت بتخفيف التاء والباقون بتثقيلها
للتكثير والمعنى كثرت ابوابها المفتحة لنزول الملائكة ولما ورد ان يقال ان قوله
وفتحت السماء فكانت ابوابا يفيد ان نفس السماء بكليتها تصير ابوابا فكيف
يكون ذلك وان تلك الابواب في اي حائط هي اشار الى توجيه المعنى بوجهين
الاول ان قوله فكانت ابوابا محمول على المبالغة من حيث ان تلك الابواب لما كثرت
جدا صارت السماء كانها ليست الا ابوابا مفتحة كقوله تعالى وفجرنا الارض
عيونا اي كان الارض صارت عيونا تتفجر والثاني انه مبني على حذف المضاف
اي فكانت ذات ابواب وقيل ضمير كانت ليس للسماء بل هو راجع الى المضمر والتقدير
فكانت تلك المواضع المفتوحة ابوابا لنزول الملائكة الى المحشر كما قال وجاء
ربك والملك صفا صفا فقوله تعالى وفتحت السماء معطوف على قوله قوله فان قلت
لم لم يقل ينفخ وتفتح السماء ليوافق المعطوف والمعطوف عليه فما فائدة
العدول الى الماضي في المعطوف مع ان المعطوف عليه مضارع قلت فائدته
اكتساب كل واحد من المعطوف والمعطوف عليه من معنى اللفظ الاخر فانه في كون
المعطوف ماضيا دلالة على انها واقعة البتة وفي كون المعطوف عليه مضارعا
اشعار بانها حكاية حال آتية تصويرا لتلك الحال بتنزيلها حضرة السامع
ولو جعل حالا على معنى فتكون ابوابا وقد فتحت السماء لكان وجها قوله مثل
سراب حمله على التشبيه البليغ ووجه التشبيه ما اشار اليه من ان من يرى
السراب من بعيد يحسبه ماء فاذا جاء الموضع الذي يراه فيه لم يجده
شيئا فكذلك الجبال اذا سيرت اي تشققت وقلعت من اصولها وقيل اذا
سيرت اي ازيلت عن وجه الارض بحيث ترى الارض تحتها بارزة وذلك
بان ترسل الرياح فتطيرها في الهواء كانها عهن فمن نظر اليها يحسبها لتكا ثفها
اجسادا جامدة وهي في الحقيقة مارة بسبب مرور الرياح بها فان الجبال
في هذه الحالة وان كانت موجودة الا انها لما لم تبق على حقيقتها صارت
مثل السراب الذي هو ليس بشيء والهباء المنبث الذي تراه في البيت من ضوء

النفش والهباء ايضا دقاق التراب كذا في الصحاح وتسيير الجبال من جملة
احوالها عند قيام الساعة ولها احوال اخرى ما ذكرها الله تعالى في ايات
متفرقة فاولا احوالها الاندكاك والانكسار كما في قوله تعالى وحملت الارض
والجبال فدكتا دكة واحدة وحالتها الثانية ان تصير كالعهن المنفوش
وحالتها الثالثة ان تصير كالهباء وذلك ان تنقطع وتتبدد بعد ان كانت
كالعهن كما قال فكانت هباء منبثا وحالتها الرابعة
ان تنسف وتقلع من اصولها لانها مع الاحوال المتقدمة قارة في مواضعها
من الارض تحتها غير بارزة فتنسف عنها بارسال الرياح عليها وهو المراد
من قوله فقل ينسفها ربي نسفا وحالتها الخامسة ان الرياح ترفعها
عن وجه الارض فتطيرها في الهواء كانها غبار وهو المراد بقوله وهي تمر
مر السحاب وبين ان ثبات الحكم والمرور حصر تفسيره وتسييرها اياها
نفاد يوم تسير الجبال وترى الارض بارزة والحالة السادسة ان تصير
سرابا بمعنى لا شيء مثله واعلم ان الاحوال المذكورة الى ههنا في احوال
عامة القيمة ومن ههنا شرع في وصف احوال جهنم واهوالها فقال
ان جهنم كانت مرصادا وفي لفظ كانت اشارة الى ان اهل النار منتظر
ومطلوب لجهنم من قديم الزمان على تقدير ان يفسر المرصاد بالمحدة
في ترصد الكفرة لئلا يشذ منها واحد واما على تقدير تفسيره بموضع
رصد ففيه اشارة الى ان اهل النار منتظر ومطلوب من قديم الزمان من
خزنة جهنم يرصدون الكفار والى اهل الجنة منتظر ومطلوب من قديم
الزمان من خزنة الجنة يستقبلونهم عند جهنم ويرصدونهم عندها
ليحرسوهم من فيحها لان ممر المؤمنين كان على جهنم لقوله تعالى وان منكم
الا واردها وقيل معناه كانت مرصادا في علم الله وقيل مبالغة لا يخفى
قوله كالمضمار يشهد لكون المرصاد اسما للمكان الذي يرصد فيه و
التضمير الضمر الهزال وخفة اللحم وتضمير الفرس ان تعلفه حتى تسمن
ثم ترده الى القوت وذلك في اربعين يوما وهذه المدة تسمى المضمار و
الموضع الذي يضمر فيه الخيل ايضا مضمار وذكر المصنف للمرصاد وجهين
الاول ان يكون اسما للمكان الترقب فان الرصد هو الترقب والثاني

انه

انه من ابنية المبالغة كالمعطار والمطعان والمعنى يعني ان جهنم تكن تبالغ و
تجد في ترصد اعداء الله وتشهق عليهم كما قال تكاد تميز من الغيظ فقوله او محدة
يحتمل ان يكون بالحاء المهملة من احدت النظر اذا توجهت بالشدة والاهتمام
فيكون المرصاد مبالغة في النظر الى الكفار لئلا يشذ واحد منهم قوله على التعليل
لقيام الساعة المدلول عليه بقوله يوم ينفخ في الصور فتأتون افواجا والمعنى
قامت القيمة لان جهنم كانت مرصادا لاقامة الجزاء لاهل النار بالتعذيب و
لاهل الجنة بتنعيمها بعد خلاصهم من فيح جهنم فترصد جهنم بالحد والمبالغة
وترصد الخزنة فيها علة لقيام الساعة لان الترقب لا يكون الا لقيامها فان ان
في ان المرصاد بناء المبالغة على معنى ان جهنم كانت تبالغ في ترصد الكفرة يكون
للطاغين متعلق بالمرصاد وهو صفة لمرصاد متعلق بمحذوف ويكون
قوله مآبا بدلا من قوله مرصادا وكذا ان كان المرصاد اسما لترصد خزنة النار
النار لاهل النار يكون للطاغين متعلقا لما قبله ايضا ويكون مآبا بدلا وان كان
اسما لمكان ترصد خزنة الجنة او كان اسما لمكان الترصد مطلقا سواء كان
الراصد خزنة الجنة او خزنة النار يكون للطاغين متعلقا بقوله مآبا كأنه قيل
ان جهنم كانت مرصادا للمؤمنين او مرصادا للكل ومآبا للطاغين خاصة
فيكون قوله ان جهنم كانت مرصادا كلاما تاما يصح الوقف عليه ويكون
قوله للطاغين مآبا كلاما مبتدأ ثم انه تعالى لما بين ان جهنم كانت مآبا للطاغين
بين كيفية استقرارهم هنالك فقال لابثين فيها احقابا ولابثين حال
مقدرة من المستكن في قوله للطاغين اي مقدرين اللبث فيها احقابا ظرف
زمان لقوله لابثين ومعمول له والحقب الدهر وجمعه احقاب واصل
الحقب الترادف والتتابع يقال احقب اذا اردف ومنه الحقيبة واحقبه
واستحقبه اي احتمله ومنه قيل احتقب فلان الاثم كأنه جمعه واحتقبه
من خلفه والمحقب المردف فلذلك فسر المصنف احقابا بقوله دهورا
مترادفة يتبع بعضها بعضا قوله وهو ابلغ لان الصفة المشبهة تدل على الثبوت
واسم الفاعل يدل على الحدوث فاللابث من وجد فيه اللبث ولا يقال اللبث الا
لمن شأنه اللبث وهو ان يستقر في المكان ولا يكاد ينفك منه قوله وليس فيه
ما يدل على خروجهم منها اجاب عما يقال ان الاحقاب وان طالت الا انها

هذا

متناهية وعذاب اهل النار غير متناهية بالنص نعم لو قيل الاحقاب لم يرد
السؤال الثاني الامر على ان سقنا في جميع الاحقاب لخلاص عنه بوجوه تقرير هذا
الاول ان احقابا المنكر لا يدل على تناهي وانقطاع العذاب اذ لو صح ان
الحقب الواحد بضع وثمانون سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما واليوم
الف سنة من ايام الدنيا كما روي كذلك عن ابن عباس وابن عمر رض وكذا لو
صح ان الحقب الواحد سبعون الف سنة اليوم منها الف سنة مما تعدون
كما روي عن الحسن انه قال الاحقاب لا يدري احد ما هي ولكن الحقب الواحد
سبعون الف سنة اليوم منها كالف سنة مما تعدون فليس فيها ما يدل على
تناهي تلك الاحقاب لجواز ان يكون المراد لابثين فيها احقابا مترادفة كلما
مضى حقب تبعه حقب آخر هكذا الى الابد وتقرير الثاني انه لو سلم انه فهم ما يدل
على خروجهم منها فلا انه من قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على
خلود الكفار كقوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها
ولهم عذاب مقيم لان المنطوق راجح على المفهوم فلا يعارضه وتقرير الثالث
سلمنا ان احقابا المنكر يدل على التناهي وعدم التتابع لا الى نهاية لكن تناهي
الاحقاب انما يستلزم تناهي اللبث المقيد وذلك لا يستلزم الخروج لان تناهي
اللبث المقيد لا يستلزم تناهي مطلق اللبث وذلك اي كون تناهي الاحقاب
مستلزما لتناهي اللبث المقيد مبني على ان لا يكون لا يذوقون كلاما مستأنفا
اخبر به الله عنهم بل يكون حالا من المستكن في لابثين اي لابثين احقابا غير
ذائقين فيها شيئا سوى ما ذكر فيكون حالا متداخلة ويكون قوله احقابا
ظرفا للابثين المقيد بمضمون لا يذوقون وانتهاء هذا المقيد لا يستلزم انتهاء
مطلق اللبث وتقرير الرابع ان ما ذكرتم ان تناهي الاحقاب يدل على تناهي
اللبث فيها المستلزم لخروجهم عنها موقوف على ان يكون احقابا ظرفا
لقوله لابثين وهو غير مسلم لجواز ان يكون ظرفا منصوبا بقوله لا يذوقون
على قول من يجوز تقديم معمول ما بعد لا عليها فلا يكون فيه دلالة على تناهي
اللبث والخروج حيث لم يكن احقابا ظرف اللبث وتقرير الخامس ان ما
ذكرتم مبني على كون احقابا ظرفا للابثين وهو غير مسلم فانه ليس بظرف
اصلا بل هو حال من الضمير المستكن في لابثين بمعنى حقبين اي نكدين وقوله

لا يذوقون

لا يذوقون فيها بردا بيان لنكدهم ولا يدل على تناهي مدة لبثهم فيها على هذا
التوجيه قوله والمراد بالبرد ما يروحهم وينفس عنهم حر النار لانه اشارة الى جواب
ما يقال انهم يذوقون فيها برد الزمهرير فكيف قيل انهم لا يذوقون فيها بردا
وتقرير الجواب ان تنكير بردا للنوعية اي بردا ينتفعون به ويميلون اليه قال
الزجاج لا يذوقون فيها برد ريح ولا برد ظل ولا برد نوم فجعل البرد بردا ينتفعون به
له راحة فيكون قوله ولا شرابا بمعنى ولا ماء باردا تخصيصا بعد التعميم لكمال له
في الترويح ويكون قوله الا حميما وغساقا مستثنى منقطعا من البرد
والشراب بمعنى المروح ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا والحميم الماء
الذي انتهى حره والغساق صديد اهل النار وان فسر بالزمهرير
فاستثناؤه من البرد فقط دون الشراب لان الزمهرير ليس مما يشرب
قوله او النوم انما سمي النوم بردا لانه يبرد صاحبه الا يرى ان العطشان اذا نام
سكن عطشه ومن امثال العرب منع البرد البرد والمراد بالبرد الثاني النوم
وبالبرد الاول معناه الاصلي اي اصابني من البرد ما منعني عن النوم قال الامام
ان فسر البرد بالبارد وكان التقدير لا يذوقون فيها بردا الا غساقا ولا
شرابا الا حميما الا انه جمعهما لانتظام الآي ومثله في الشعر قول امرء
القيس كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف
البالي والمعنى كأن قلوب الطير رطبا العناب ويابسا الحشف البالي وجعل المص
قوله جزاء مصدرا مؤكدا لفعله المحذوف ووفاقا صفة الجزاء بتقدير
المضاف اي جزاء ذا وفاق او بان يوصف الجزاء بالمصدر مبالغة في موافقته
لاعمالهم اي جزاء موافقا او بان يكون وفاقا مصدرا مؤكدا لفعله المحذوف
كجزاء فيكون الجملة صفة جزاء والتقدير جوزوا جزاء وافق اعمالهم وفاقا
ووجه الموافقة بينهما انهم اتوا بمعصية عظيمة وهي الكفر فعوقبوا عقابا
عظيما وهو التعذيب بالنار فكما انه لا ذنب اعظم من الشرك فكذا لا جزاء
اقوى من التعذيب بالنار فتوافقا وقيل انه وافق حيث لم يزد على قدر الا ستحقاق
ولم ينقص عنه واعلم انه تعالى لما بين اجمالا انهم جوزوا على حسب اعمالهم
وجزائهم شرع انواع جرائمهم فبين اولا فساد قوتهم العلمية بقوله
انهم كانوا لا يرجون حسابا اي ينكرون القيمة ولا يخافون محاسبة يوم

الحساب وهو عبارة عن اقدامهم على جميع القبائح والمنكرات وعدم رغبتهم
في شيء من الطاعات فان رغبة الانسان في فعل الخيرات وفي ترك المنكرات انما يكون
بسبب ان ينتفع به في الآخرة فمن انكر الآخرة ويوم العرض والجزاء لا يأتي بالخيرات
ولا ينتهي عن المنكرات قوله لان انكارهم منع الخوف والنفي بذكره عن تفصيل
ما يتعلق بالعرو لما ان الحساب من اشق الامور واصعبها على الانسان النفي
بذكره والنفي الصعب فلا يقال فيه انه لا يرجو بل انه يخشى ويخاف قال
مقاتل وكثير من المفسرين ان قوله تعالى لا يرجون معناه لا يخافون ونظيره قولهم
في تفسير قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا ... فتوهم النظرية بقوله
وكذبوا بآياتنا اي ... منكرين بقلوبهم الحق مصرين على الباطل فظهر من ذلك
انهم قد بلغوا في الرداءة والفساد الى حيث يستحيل عقلا وجود ما هو ازيد
منه فلذلك عوقبوا باهوال العقاب جزاء وفاقا قوله تعالى وكذبوا بآياتنا يدل
على انهم كذبوا بجميع دلائل الله تعالى في التوحيد والنبوة والمعاد وحقية القرآن
و... الاحكام الشرعية وهذا غاية الرداءة ونهاية الفساد بحسب القوة
النظرية قوله مطروحات ... منهم ... بلا ما وحرف حراف ... الكشاف
وكنت اقرأته فقال بعضهم لقد فسرتها فسرا ما يسمع بمثله قوله
كقوله فصدقته وكذبته والمرء ينفعه كذابه استدل به على ان الكذاب مصدر
كذب الثلاثي بمعنى الكذب ووجه الاستدلال ان كذابا فيه مذكور بعد ذكر الفعل
الثلاثي فدل ذلك على انه مصدر لذلك الفعل الثلاثي ويحتمل ان يكون الكذاب
فيه مصدرا من باب المفاعلة لما ... من غير النظر الى المشاركة فيكون مصدر
كاذب بمعنى كذب كذبا عظيما بالغا فانه قد يخرج الفعل الواقع من واحد في صيغة
المفاعلة تنبيها على قوة الفعل وكماله ووجه التنبيه ان المفاعلة للمغالبة
والفعل في المغالبة يكون اقوى وابلغ من الفعل من غير غالب منه فاعل ...
ابلغ واحكم منه اذا ... وحده ... يغالبه فيه لزيادة ما يكون
سبب الاهتمام به فانه يقال ... الله بمعنى خشاه خشية عظيمة ولفظ
المفاعلة في مثله مجاز ... عن ... مشاركة له في الفعل ... له
مشارك فيه ... مبالغ في مباشرة الفعل بالجد والاهتمام فاسند
اليه الفعل بصيغة المفاعلة الموضوعة لان يسند الى احد الشريكين

بالنسبة

فذوقوا هذه الحكاية في اثبات حدوث العالم مثلا العالم حادث لانه متغير
وكل متغير حادث فالعالم حادث وكذا هنا افتى اولا واقام الدليل ثم اعاد تلك
الفتوى بعينها مبالغة في التقرير قوله وفي الحديث هذه الآية اشد ما في القرآن
على اهل النار كلما استغاثوا من نوع من العذاب اغيثوا باشد منه فيكون
كل مرتبة منه متناهية في الشدة وان كانت مراتبه غير متناهية بحسب العدد
والمدة كما اشار اليه سابقا قوله على ان يكون المفاز مصدرا ميميا من الفوز فقد
يطلق على الظفر بالمطلوب وقد يطلق على الظفر بالنجاة عن المكروه ولذلك يقال
للفلاة اذا قل ماؤها مفازة تفاؤلا بالخلاص منها وقد يطلق على الظفر بمجموع
الامرين والظاهر ان المراد بالفوز في الآية الظفر بالمطلوب لانه تعالى فسره بما بعده
وهو قوله حدائق واعنابا فوجب ان يكون المراد من المفاز هذا القدر فان
قيل الخلاص من الهلاك اهم من الظفر باللذات فلم اهمل الاهم وذكر غير الاهم قلنا
ان الخلاص من الهلاك لا يستلزم الفوز بالنعيم لكونه حاصلا لاهل الاعراف مع انهم غير
فائزين بالنعيم بخلاف الفوز بالنعيم فانه يستلزم الخلاص من الهلاك فكان ذكره
اولى قوله بدل الاشتمال او البعض اما بدل الاشتمال فظاهر على تقدير المفاز مصدرا ميميا
لان الفوز يدل على الحدائق والاعناب والكواعب دلالة التزامية ولا معنى للاشتمال
الا دلالة المبدل منه على البدل بتلك الدلالة لانه يكون المبدل منه كالمشتمل على
البدل وقد بين في موضعه وكذا على تقدير كون مفاز اسم موضع يصح كون اعنابا
وكواعب بدل اشتمال منه ولا يصح ذلك في حدائق لانها بعض المفاز فلا يكون بدل
اشتمال منه واما بدل البعض فلا يصح على تقدير كون مفاز مصدرا وهو ظاهر
على تقدير كونه اسم موضع يصح في الحدائق لانها بعضه ولا يصح في الاعناب والكواعب
لانهما ليسا بعضا منه والحق انه يجوز ان يكون شيء بدل بعض والمعطوف على ذلك
الشيء بدل اشتمال وغيره وبالعكس فكان قوله بدل الاشتمال او البعض مانعة خلو
اي لا يخرج عنهما سواء كان المفاز مصدرا ميميا او اسم موضع قوله فلكت ثديهن
اي استدارت وصارت كالكعب في النتوء يقال فلك ثدي الجارية تفليكا اي استدار
كفلكة المغزل قوله لدات جمع لدة ولدة الرجل تربه وقرينه في السن والميلاد والهاء
في لدة عوض عن الواو الذاهبة من اوله لانه من الولادة قوله ملأى فدهاق في
مصدر دهق وزنه فعال بمعنى مدهقة اي مملوءة وصف به الكأس للمبالغة في

امتلاؤه اللغو في الكلام ما يلغى ويطرح لعدم الفائدة قوله لا يسمعون فيها اي في
الجنة وقيل في الكأس وهو الحمل على الغالب الاستعمال والمراد به ههنا القبيح الذي
يلغى لخبث معنيه ووصفه بالدهاق واهل الشرب تتغير عقولهم فيجري بينهم
لغو في الكأس التي يشربونها بخلاف اهل الجنة فانهم اذا شربوا لا تتغير
عقولهم فلا يتكلمون بلغو من الهذيان والصياح والعربدات ولا تكذيب بعضهم
بعضا حتى يسمعوا شيئا من ذلك قوله بمقتضى وعده اي جواب ما قيل انه تعالى جعل الشيء
الواحد جزاء وعطاء وهو غير ظاهر لان كونه جزاء يستدعي ثبوت الاستحقاق وكونه
عطاء يستدعي عدم الاستحقاق والجمع بينهما جمع بين المتنافيين وتقرير
الجواب ان ذلك الاستحقاق انما يثبت بحكم الوعد لا من حيث ان الطاعة توجب
الثواب على الله تعالى فذلك الثواب بالنظر الى وعده تعالى اياه بمقابلة الطاعة
يكون جزاء وبالنظر الى انه لا يجب على الله لاحد شيء يكون تفضلا وعطاء و
انتصاب جزاء على انه مصدر مؤكد لفعله المدلول عليه بقوله ان للمتقين مفازا فانه
في قوة جزى الله المتقين بمفاز جزاء قوله وهو بدل من جزاء اي قوله عطاء بدل
من قوله جزاء بدل الكل من الكل لان العطاء والجزاء متحدان ذاتا وان تغايرا في
المفهوم وفي جعله بدلا من جزاء نكتة لطيفة وهي ان بيان كونه عطاء وتفضلا
منه تعالى هو المقصود وبيان كونه جزاء وسيلة اليه فان حق البدل ان يكون مقصودا
بالنسبة وذكر المبدل منه وسيلة اليه قوله وقيل منتصب به نصب المفعول به
يعني انه قيل ان عطاء منصوب على انه مفعول به لجزاء بمعنى جزاهم عطاء على ان
العطاء بمعنى المعطى من الاعيان قيل عليه انتصاب جزاء على انه مصدر مؤكد لمضمون
الجملة التي هي قوله ان للمتقين مفازا والمصدر انما يعمل اذا كان بمعنى ان مع الفعل
والمفعول المطلق لا يكون كذلك اذ لا يقال ضربت ان ضربت اذ لا يؤكد بان مع
الفعل بل بالمصدر الصريح قال سيبويه في كتابه ويعمل عمل فعله ماضيا كان او غيره
اذا لم يكن مفعولا مطلقا واجيب عنه بانه لا يلزم من عدم جواز تاكيد الفعل
بان مع الفعل لفظا عدم كون المفعول المطلق بمعنى ان مع الفعل بمعنى انه لا يجب ان
يكون صريح ان مع الفعل متحدا معه حكما هو بمعنى صريح ان مع الفعل فجاز ان
يؤكد الفعل بالمصدر الذي هو بمعنى صريح ان مع الفعل مع انه لا يجوز ان يؤكد بصريح
ان مع الفعل فاذا جاز ان يكون المفعول المطلق بمعنى ان مع الفعل جاز ان يكون

عاملا

عاملا قوله كافيا اشارة الى ان حسابا صفة لعطاء فهو مصدر اقيم مقام
محسب اي كافيا من قولهم اعطاني ما احسبني اي ما كفاني ومنه قول ابراهيم
حسبي من سؤالي علمه بحالي اي كفاني من سؤالي تقول احسبت فلانا اذا اعطيته
ما يكفيه حتى قال حسبي قوله او على حسب اعمالهم والتقدير على هذا عطاء
بحسب فحذف الجار ونصب الاسم وفي الصحاح حسبته احسبه بالضم
حسبا وحسابا اذا عددته وقدرته وتفسير حسابا بقوله على حسب اعمالهم
اي عطاء مبنيا على قدرها وعددها مبني على هذه اللغة والتفسير الاول
مبني على قول الجوهري احسبني الشيء اي كفاني واحسبته وحسبته بالتشديد
بمعنى اعطيته ما يرضيه ويحسبه اي يعطيه حتى يقول حسبي وحسبك درهم
اي كفاك وهو اسم [illegible] الاظهر ان يقال على حسب ما وعد له من الاضعاف
في مقابلة اعماله فانه تعالى قدر الجزاء على ثلثة اوجه وجه منها على عشرة اضعاف
كما قال من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ووجه على سبعمائة ضعف كما في
اية السنبلة ووجه على ما لا نهاية له كما قال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير
حساب فان قول المص على حسب اعمالهم يفهم منه كون الجزاء مثل العمل وذلك
انما يكون في السيئة لا في الحسنة والكلام في جزاء المتقين وجزاؤهم لا يكون
مماثلا لاعمالهم البتة فلا بد ان يكون مراد المص كون الاضعاف الموعودة
من الجزاء في حسب اعمالهم بان يجازي كل عمل وعدله من الاضعاف قوله
وقرئ حسابا بفتح الحاء وتشديد السين بمعنى اعطاء محسبا اي كافيا على
انه صيغة المبالغة من اعطاه واحسبه اي كفاه نزل منزلة المبالغة في الكفاية
[illegible] نقل ان [illegible] يكون مبالغة فاعل وحساب هنا فعال
بمعنى مفعل مبالغة مفعل كقال اجبره فهو جبار اي مجبر وادرك فهو دراك
بمعنى مدرك واقصر عن الشيء فهو قصار اي مقصر قوله رفعهما الحجازيان وهما
نافع المدني وعبد الله بن كثير المكي اتفاقا على الابتداء مع احتمال كونه خبر مبتدأ
محذوف اي هو رب السموات لان الابتداء راجح لعدم احتياجه الى الحذف قوله
تعالى الرحمن بالجر صفة له وللاسمين الرب والرحمن ثلث قراءات رفع الاسمين لابن
كثير ونافع وابي عمرو [illegible] وخفضهما لابن عامر وعاصم وخفض الاول ورفع
الثاني لحمزة والكسائي اما رفعهما فبان يكون كل واحد منهما خبر مبتدأ محذوف

والتقدير هو رب السموات هو الرحمن او بان يكون الاول مبتدأ والثاني خبره
ويكون قوله لا يملكون استئنافا او بان يكون الاول مبتدأ والثاني صفته ولا يملكون
خبرا واما جرهما فلما ذكره المص من كون رب السموات بدلا من ربك والرحمن صفته
واما جر الاول فلكونه بدلا من ربك ورفع الثاني فلكونه مبتدأ ولا يملكون خبره
او لكونه خبر مبتدأ محذوف ولا يملكون استئنافا او خبرا بعد خبر قوله اي لا
يملكون خطابه يدل على ان من في منه زائدة والخطاب متعلق بيملكون والمعنى لا
يملكون من جهته تعالى خطابا واحدا اي لا يملكهم الله تعالى ان يخاطبوه كما تقول ملكت
منه درهما فيكون لابتداء الغاية الا ان هذا الوجه وان كان ظاهرا بحسب العبارة
الا انه بعيد بحسب المعنى اذ المعنى انهم لا يستحقون من عند انفسهم مخاطبة
الله تعالى ومكالمته من حيث انهم في انفسهم مملوكون والمملوك لا يستحق على مالكه
شيئا لانه تعالى لا يملكهم من ان يخاطبوه وكيف وانه ينبغي ان يشفعوا عنده قوله باذنه
بخلاف ما لو جعل من زائدة فان الكلام ح يدل على انهم لا يملكوا خطابه وذلك
لا ينافي الشفاعة باذنه لانها من حيث تحصل بفضله واحسانه لا بمملوكية لهم
بحسب انفسهم والاعتراض على احد عبارة عن ان يتكلم في اثناء كلامه وحكمه
لا تعلق له عما هو فيه من المصلحة والمؤمن اراد بلفظ الاعتراض ههنا
الاحتراز عنه وعن الشفاعة باذنه في الخلق واي قيد بقوله في ثواب او عقاب
للاشارة الى وجه ارتباط هذه الاية بما قبله من وعيد الكفار ووعد المؤمنين
فالمعنى لا يملكون ان يخاطبوه فيما سبق من الثواب والعقاب قوله فان هؤلاء
الذين هم افضل الخلائق اشارة الى ان هذه الاية دالة على ان الملائكة افضل
من البشر وذلك لان المقصود من الاية ان الملائكة والروح مع كونهم افضل المخلوقات
واشرافهم لما لم يقدروا ان يتكلموا في موقف القيمة اجلالا لربهم وخوفا منهم
وخضوعا له فكيف يكون حال غيرهم اي عدم قدرتهم غيرهم عليه اولى ومعلوم
ان هذا الاستدلال لا يتم الا اذا كانوا افضل الخلائق وتقريره محل بحث لان المستفاد
من نظم الاية انحصار قدرة التكلم المطلق فيمن اذن له الرحمن وقال صوابا
من الروح والملك والمستفاد من تقرير المص انحصار قدرة التكلم بالصواب
في الاذن به فلا مطابقة بين الاية وتقرير المص بوجهين احدهما ان المفهوم
من الاية انحصار قدرة التكلم المطلق ومن تقرير المص انحصار قدرة التكلم

المقيد

وقال صوابا ج

المقيد وثانيهما ان المفهوم من الاية انحصار القدرة فيمن اذن له ومن تقرير المص
انحصارها فيمن اذن له فقط وجوابه انما استفيد من الاية انه لا يقدر على القدرة
على التكلم المطلق عنده من اجتماع ان يكون المتكلم ماذونا منه تعالى وان
يكون ذلك الكلام الذي تكلم به صوابا فقد استفيد منه انه لا بد في القدرة
على التكلم بالصواب من كون المتكلم به ماذونا منه تعالى فتقرير المص بيان لحصول
معنى الاية مطابق لها قوله يوم ظرف لا يملكون قبله ولا يتكلمون اما حال من
فاعل يقوم اي ساكتين او غير ناطقين واما مستأنف لبيان حال الروح
والملائكة على تقدير كونه مستأنفا يكون قول المص تقرير وتأكيد خبر القوله
لا يتكلمون وعلى تقدير كونه حالا قوله لا يملكون الا قوله صوابا كلام واحد والتقدير (يتكلمون ح)
يستدعي ان يتحقق كلاما ان يقرر احدهما مضمون الاخر وذلك انما يظهر اذا
كان يوم ظرفا ليتكلمون وكانت الجملة مستأنفة لبيان حال الروح والملائكة
فهذا مما يخرج عن اضطراب واختلفوا في الروح في هذه الاية فعن ابن مسعود
انه ملك اعظم من السموات والجبال وعن ابن عباس انه ملك من اعظم
الملائكة وعن مجاهد انهم خلق على صورة بني ادم يأكلون ويشربون (خلقا ح)
وليسوا بناس وعن الحسن وقتادة هم بنو ادم وعلى هذا معناه ذو
الروح وعن الضحاك والشعبي هو جبرئيل فهذا القول هو المختار لان القرآن
يدل على ان هذا الاسم اسم جبرئيل وثبت ان القيام صحيح من جبرئيل و
يصح ان يتكلم ويؤذن له فيه فكيف يصرف هذا عنه الاسم الى خلق لا نعرفه
قوله تعالى صفا حال يحتمل ان الروح على الاختلاف المذكور وجميع الملائكة
يقومون صفا واحدا ويجوز ان يكون المعنى يقومون صفين على ما روي
ان الروح ملك ما خلق الله تعالى بعد العرش اعظم منه فاذا كان يوم القيمة
قام وحده صف وقام الملائكة كلهم صفا واحدا ويجوز ان يكون المعنى
يقومون صفوفا اي مصفين والصف في الاصل يطلق على الواحد والجمع
فان قوله تعالى وجاء ربك والملك صفا صفا يدل على انهم يقومون صفوفا
قوله تعالى الا من اذن له يجوز ان يكون في موضع الرفع على البدلية من واو
لا يتكلمون وهو الارجح لكونه غير موجب والمستثنى منه مذكور وفي مثله
يختار البدل وان يكون منصوبا على اصل الاستثناء والمعنى لا يشفعون

صفين

مصدر ج

الا من اذن له الرحمن في الشفاعة وقال ذلك الشفيع المأذون له بالشفاعة صوابا
بان يشفع لمن ارتضى بان كان من اهل الايمان فان المؤمنين
لهم الشفاعة كالانبياء وقيل المعنى لا يتكلمون بالشفاعة الا لمن اذن له في
حق شخص اذن الرحمن لهم في شفاعته وكان ذلك الشخص ممن قال
صوابا يعني حقا بان يقر بالتوحيد والرسالة وبحقية جميع ما جاء به الرسول
قال ابن عباس يشفعون لمن قال لا اله الا الله فعلى هذا يكون من اذن له
الرحمن في موضع الجر على تقدير جار محذوف اي لمن اذن له وضمير قال راجع الى
من الذي يريد به المشفوع له والخطاب في قوله انا انذرناكم لمشركي العرب و
كفار قريش لانهم كانوا ينكرون البعث ويوم ظرف لمحذوف اي انذرناكم
عذابا كائنا يوم ينظر المرء عمله الذي قدمه والمرء عام للمؤمن والكافر لان كل
احد يرى عمله في ذلك اليوم مثبتا في صحيفته خيرا كان او شرا فيرجو
المؤمن ثواب الله على صالح عمله ويخاف العقاب على سيئه واما
الكافر فيقول يا ليتني كنت ترابا قال ابو الزناد لما اقتص بين الخلائق حتى
للجماء من القرناء يقال لمن لم يكن من البهائم والطيور ولمؤمني الجن
عودوا ترابا فيعودون ترابا فعند ذلك يقول الكافر حين يراهم يا ليتني
كنت ترابا حيث لا يتوقعون العفو ويبقى بالخلود في العذاب الاليم وقال
ليث بن ابي سليم مؤمنو الجن يعودون ترابا وقال عمر بن عبد العزيز
والزهري والكلبي ومجاهد مؤمنو الجن حول الجنة في ربض ورحاب و
ليسوا فيها وهذا اصح فانهم مكلفون مثابون ومعاقبون كبني ادم كذا
في اللباب وليتني قوله يا ليتني محذوف اي يا قوم وكنت ترابا في محل الرفع
على انه خبر ليت قوله تعالى والنازعات وهي جمع نازعة الواقعة صفة
لطائفة من الملائكة انث صفة الملائكة باعتبار كونهم طائفة ثم
جمع تلك الصفة فقيل نازعات وناشطات كما في سورة والمرسلات والنزع
جذب الشيء بشدة والنشط جذبه برفق ولين والاغراق في النزع التوغل
فيه والبلوغ الى اقصى درجاته يقال اغرق النازع في القوس اذا بلغ غاية
المد حتى انتهى الى النصل ذكر المص اولا احتمال ان يكون هذه الصفات
لموصوف واحد هو طوائف ملائكة الموت والعطف لتغاير الصفات

مطلب سورة والنازعات

وفسر قوله

وفسر قوله غرقا بتفسيرين الاول مصدر بمعنى الاغراق قال الامام الفرق
والاغراق في اللغة بمعنى واحد فيكون انتصابه على انه مفعول مطلق للنازعات
لان الشرط اتفاق المصدر مع عامله في المعنى وهو حاصل هنا لان الغرق
نوع من النزع قال ابو البقاء غرقا مصدر محذوف الزوائد اي اغراقا والنزع
والثاني انه مصدر بمعنى الصفة المشبهة او هو مخفف غرقا بكسر الراء حذف
موصوفها وهو النفوس وتذكير صفتها باعتبار الجنس فيكون انتصابه
على انه صفة لمفعول به محذوف تقول المص او نفوسا غرقة عطف على قوله
اغراقا فان قيل على تقدير ان يكون غرقا صفة للنفوس هل يكون المراد
بالنفوس ما يعم نفس المؤمن والكافر او خاصا بالكافر قلنا خاص بالكافر
بقرينة النزع والنشط لان قوله والنازعات غرقا والناشطات نشطا قسم
بملك الموت واعوانه لان الاول اشارة الى كيفية قبض ارواح الكفار
والثاني الى كيفية قبض ارواح المؤمنين ووجه التخصيص ما مر من الفرق
بين النزع والنشط وان نزع الشيء جذبه من مقره بشدة والنشط جذبه
منه برفق فالملائكة ينشطون ارواح المؤمنين كما ينشط الدلو من البئر وتنزع
ارواح الكفار كما تنزع الاشجار المتفرقة العروق في اطراف الارض وكما
يسلخ جلد الحيوان وهو حي ولان نفوس المؤمنين ليست تغرق في
اجسادهم من حيث انها تطير الى عالم القدس فوق توجههم وحضو
رهم قوله ويسبحون في اخراجها سبح الغواص اشارة الى ان قوله و
السابحات سبحا استعارة تبعية شبه ملابسة ملائكة الموت ابدانهم في
نزع الارواح ونشطها بسبح الغواص لاخراج الشيء من اعماق البحر
فانه يتحرك برفق ولطافة لئلا يغرق فكذا الملائكة يرفقون في ذلك الاخراج
لئلا يحصل الالم وشدة ثم استعير لفظ السبح في تلك الملابسة ثم اشتق
منه السابحات قال قطرب السابحات الملائكة تقبض ارواح المؤمنين يسلونها
سلا رويدا ثم يدعونها حتى تستريح ثم يستلونها سلا رفيقا ثم يدعونها
حتى تستريح كذا قاله الكلبي والسبح في الماء كذلك كذا في التيسير قوله
فيسبقون ارواح الكفار الى النار فان قيل السبق لا بد له من المسبوق فاين
المسبوق ههنا قلنا لعل السبق هنا كناية عن الاسراع في ايصال كل واحد

من الارواح الى منازلها لان السبق من لوازم الاسراع وايضا ارواح الكفار
سبقا ارواح عصاة المؤمنين في دخول النار وايضا ان ارواح المؤمنين
سبقا ارواح الكفار بمعنى انهم يدخلون الجنة قبل دخول اهل النار النار
مقتضى قوله سبقت رحمتي على غضبي والله اعلم فالفاء في قوله فالسابقات
وقوله فالمدبرات للدلالة على ان السبق يعقب الصفات السابقة وكذا تدبير
الثواب والعقاب يعقب الادخال في الجنة والنار وعلى ان تكون هذه
الصفات الخمس لموصوف واحد يقتضي ان يكون ملائكة الموت عين ملائكة
الرحمة والعذاب حيث ذكر ان ملائكة الموت بعد قبض الارواح يدخلونهم
الجنة او النار وبعد الادخال يدبرون امر عقابها وثوابها ولعل قول المص
بان يحيوها اشارة الى دفع هذا فتامل قوله او الاولى ان لهم عطف على
قوله هذه صفات ملائكة يعني ان الاوليان من الصفات الخمس وهي قوله تعالى
والنازعات غرقا والناشطات نشطا صفات ملائكة الموت والثلث الباقية
لطوائف اخرى فيكون قوله تعالى والسابحات قسما ثانيا والواو فيها للقسم و
الصفتان اللتان بعدها عطف عليها على طريق عطف الصفة على الصفة
كما ان قوله والنازعات قسم ابتدائي والناشطات عطف عليه ففي الكلام
قسمان قسم اولا بطوائف ملائكة الموت وثانيا بطوائف اخرى
ينزلون من السماء مسرعين مشبهين في سرعة نزولهم بمن
يسبح في الماء واستعارة السبح للاسراع شائع كما يقال للفرس الجواد
انه السابح قوله او صفات النجوم عطف على قوله صفات ملائكة الموت
فالنازعات على هذا بمعنى الذاهبات وفي ديوان الادب نزع اليه اي ذهب
فانها تطلع وتغرب بالنزوع والشوق وغرقا حال من المنوي في النازعات
اي طوائف النجوم الذاهبات من المشرق مغرقات اي موغلات في
الذهاب بالغات الى اقصى درجاتها او غرقات اي غائبات في افق المغرب فعلى
هذا يكون النازعات اشارة الى طلوعها وغرقا اشارة الى غروبها قوله
تقطع الفلك يشعر بان النجوم تتحرك بنفسها في الفلك بحيث يكون الفلك
ساكنا في حركتها متحركا بالعرض في الحركة الاينية الواقعة عليها
والظاهر انه ليس كذلك بل ان النجوم مركوزة في الافلاك تتحرك بحركتها

وان

٢٥

وانما قال تقطع الفلك نظرا الى انا نراها تتحرك بنفسها حركة اينية وكذا الكلام
في السابحات قوله وتنشط من برج الى برج نقل الامام هذا المعنى من صاحب
الكشاف ثم قال وانا اقول رجع حاصل الكلام الى ان قوله تعالى والنازعات غرقا
اشارة الى حركتها اليومية والناشطات اشارة الى انتقالها من برج
الى برج وهو حركتها المخصوصة في افلاكها الخاصة والعجب ان حركتها
اليومية قسرية وحركتها من برج الى برج ليست قسرية بل ملائمة
لذواتها فلا جرم عبر عن الاولى بالنزع وعن الثاني بالنشط فتامل بهذا
المكنون لاهل الاسرار قوله فتدبر امرا نيط بها فان قيل
ان الامر كله لله فكيف اثبت التدبير في الامور هنا لغيره والجواب انه تعالى
لما خلق الاشياء بحيث يترتب عليها المصالح المتعلقة بها كان الامر كله
لله وصح اسناد التدبير اليها من حيث كونها مخلوقة على الوجه المذكور
فان قيل لم قال والمدبرات امرا ولم يقل امورا مع ان المصالح المترتبة عليها
عليها امور كثيرة والجواب ان المراد به الجنس فقام مقام الجمع لذلك قوله او
صفات النفوس الفاضلة فانها تنزع على صيغة المجهول لان تلك النفوس
منزوعة عن الابدان فاطلق النازعات عليها كاطلاق نحو تامر ولابن
بمعنى ذات تمر ولبن او ذي تمر فان تلك النفوس اذا كانت منزوعة كانت
ذات نزع فيصح ان يقال انها نازعة على قياس لابن وتامر انما فسر النفوس
بالفاضلة لان النشاط الى عالم الملكوت والسباحة فيه والسبق الى حظائر
القدس وتدبير النفوس القاصرة انما يتصور من النفوس الفاضلة فان
النفوس البشرية الخالية عن العلائق الجسمانية المشوقة الى الاتصال
بالعالم العلوي بعد خروجها من ظلمة الاجساد تذهب اليه على اسرع
الوجوه في روح وريحان فعبر عن ذهابها على هذه الحالة بالسباحة
ثم لا شك ان مراتب النفوس الفاضلة في النفرة عن الدنيا ومحبة الاتصال
بعالم القدس مختلف فكلما كانت اتم في هذه الاحوال كان سيرها الى ذلك
العالم اسبق فكلما كانت اضعف كان سيرها انقص ولا شك ان الارواح
السابقة اليه اشرف فلا جرم وقع القسم حيث قال والسابقات سبقا ثم
ان هذه النفوس الشريفة لا يبعد ان يظهر منها لشرفها وقوتها اثار

السابقة

في هذا العالم فيكون من بيان الايركان الانشاقية يرى في المنام ان بعض
الاموات يرشده الى المطلوب **قوله** اقسم الله بها على قيام الساعة يريد
ان جواب القسم محذوف تقديره ان القيمة واقعة يدل عليه قوله تعالى والذاريات
ذروا الى قوله انما توعدون لصادق وقوله تعالى والمرسلات عرفا الى انما
توعدون لواقع وكذا ههنا فان القرآن كالسورة الواحدة **قوله** يوم ترجف
منصوب بالجواب المحذوف فان قيل كيف يصح هذا مع ان القيمة لا تقع يوم
الراجفة وهي النفخة الاولى التي يموت فيها الاحياء بل انما تقع عند النفخة
الثانية وبينهما اربعون سنة قلنا المراد بيوم ترجف الراجفة الوقت
الواسع الذي يحصل فيه النفختان ولا شك انها تقع في بعض ذلك الوقت
الواسع وهو وقت النفخة الثانية ويدل على ما قلنا ان قوله تتبعها الرادفة
جعلها حالا من الراجفة فانه يستلزم كون رجفان الراجفة واقعا في حال
كون الرادفة تابعة لها وان يكون في زمانه واحوال الحال يجب ان يكون
حصولها مقارنا لحصول الفعل المقيد بها وذلك لا يكون الا بان يكون المراد
باليوم الوقت الواسع والرجفة والرجف الحركة والاضطراب لقوله تعالى يوم ترجف
الارض وترجف لكونه فعلا مضارعا يقتضي كونه قائما بمدلوله فاعله على
وجه الحدوث والحركة انما تحدث في الاجرام الساكنة فلذلك فسر الراجفة
بالاجرام الساكنة التي تعرض لها الحركة **قوله** او الواقعة التي ترجف عند
الاجرام وهي النفخة الاولى اسند اليها الرجف مجازا على طريق اسناد الفعل
الى سببه فان حدوث تلك النفخة سبب لاضطراب الاجرام الساكنة و
ان فسرت الراجفة بنحو الارض والجبال من الاجرام الساكنة يكون اسناد
الرجف اليها حقيقة ويكون المراد بالرادفة الاجرام المتحركة كالسماء والكواكب
لانه انشقاقها وانتثار كواكبها يحصل اثر حركة الراجفة **قوله** او النفخة الثانية
هذا على تقدير ان يفسر الراجفة بالنفخة الاولى فان الرادفة كل شيء جاء بعد
شيء آخر يقال ردفه اي جاء بعده كالنفخة الثانية تجيء بعد الاولى وكتغير
احوال الاجرام المتحركة كانفطار السماء وانتثار الكواكب فانه يردف
ويجيء اثر تحرك السواكن وتزلزلها **قوله** وهي صفة لقلوب اشارة الى توجيه
صحة الابتداء بقلوب وهو نكرة يعني انه وان كان نكرة لكنه موصوفة بقوله

واجفة

واجفة والنكرة الموصوفة يجوز ان يكون مبتدأ فقلوب مبتدأ ويومئذ
متعلق بواجفة وابصارها مبتدأ ثان وخاشعة خبره وهو مع خبره خبر الاول
واضيف الابصار الى ضمير القلوب مع ان القلوب لا ابصار لها بتقدير المضاف
واثبات الملابسة بقوله اي ابصار اصحابها ويدل على تقدير المضاف ايضا قوله
يقولون وفي الامام خصص القلوب بالواجفة ولم يعرفها بلام الاستغراق
بان يقول القلوب يومئذ واجفة لانه ثبت بالدليل ان اهل الايمان لا يخافون
بل المراد به قلوب الكفرة ومما يؤكد ذلك انه تعالى حكى عنهم انهم يقولون ائنا
لمردودون في الحافرة وهذا كلام الكفار لا كلام المؤمنين **قوله** ولهذا اي
لاجل ان ذلة ابصارهم من الخوف بحيث يترقبون اي شيء ينزل عليهم
من الامور العظام اضاف الابصار الى القلوب لانها محل الخوف وهو من
صفاتها واضافة الابصار لا تنافي عن توصيفها بتلك الاضافة اشعرت
بكونها علة للحكم بالذلة وبان سبب ذلتها ما في القلوب من الخوف ثم انه تعالى
حكى عن منكري القيمة والبعث اقوالا ثلثة اولها قولهم ائنا لمردودون
في الحافرة وثانيها قولهم ائذا كنا عظاما نخرة وثالثها قولهم تلك اذا كرة
خاسرة وهذه الاقوال صدرت عنهم في الدنيا استبعادا للبعث وتعجبا
منه **قوله** يحفرها اي اثرها بمشيه فالحافر في الحقيقة هو الماشي في تلك
الطريقة وان الطريقة محفورة الا انها سميت حافرة كما قيل عيشة راضية
وماء دافق فان حق هذه الالفاظ ان تسند الى الفاعل لكنها اسندت
الى المفعول على النسبة اي منسوبة الى الحفر والرضى والدفق **قوله** او شبه القابل
بالفاعل فان وجود الفعل متوقف على وجود كل واحد من الفاعل والقابل
كما يقال صام نهاره تشبيها لزمان الفعل بفاعله والحاصل ان الرجوع
في الحافرة في الاصل عبارة عن الرجوع الى الطريق التي سلكها ولا اثر فيها
بمشيه عليها ثم اطلق على الرجوع في الاحوال من اخر الحال الى اولها كما
الواحد عهد الحافرة عند العرب اسم لاول الشيء وابتداء الامر فالعائد
الى الحافرة على الخلق وشيب معاذ الله من سفه وعار يقول ارجع الى
ما كنت عليه في شبابي من العزل والتصابي بعد ان شبت وصلعت ثم قال
معاذ الله هذا سفه وعار يريد فظهر ان معنى الاية ان نرد الى اول

أحوالنا وابتداء أمرنا فتصير أجوبته كما في قوله يقال حفرت أسنانه أي تر
الأكالة في أصولها فحفرت حفرا لي فصارت ذوات حفر بأن ركبها الوسخ من
ظاهرها وباطنها والحفر سلاق في أصول الأسنان والمراد بالحفرة في هذه
القراءة الأرض التي تغيرت وأنتنت بأجسادنا وبأجسام الموتى والمعنى
أئنا لمردودون ونحن في الأرض المتغيرة بموتانا وأجسادهم فقوله في
الحفرة على هذا في موضع الحال من فاعل لمردودون وقيل الحفرة بمعنى الحافرة
ومقصورة منها وقال بعضهم الحافرة وجه الأرض التي تحفر فيها قبورهم
سميت حافرة بمعنى المحفورة نحو عيشة راضية بمعنى مرضية فيكون في
الحافرة أيضا حالا قوله وقرأ نافع وابن عامر إذا معمول لقوله لمردودون
على قراءة من قرأ إذا على الخبر وأما من قرأ أئذا على الاستفهام فعامله
محذوف يدل عليه لمردودون والتقدير أنرد إذا كنا عظاما نخرة وفيه زيادة
استبعاد للبعث وإنما قلنا إن العامل محذوف لأن حرف الاستفهام يمنع
أن يكون ما بعده معمولا لما قبلها قوله وهي أبلغ لأن فعلا من صيغ المبالغة
أو لأنه صفة مشبهة دالة على الثبوت فإن لفظ فاعل يطلق على من صدر عنه
الفعل ولفظ فعل يطلق على من كان الفعل فيه غريزة أو كالغريزة والنخرة
والناخرة لغتان بمعنى واحدة كالطمع والطامع واللبث واللابث وفعل النخر
والنخر البلى يقال نخر العظم أو الخشب بكسر العين إذا بلي واسترخى و
صار بحيث لو مس لتفتت وقيل النخرة غير الناخرة إذ النخرة بمعنى البالية
وأما الناخرة فهي العظام الفارغة المجوفة التي يحصل فيها صوت من
هبوب الريح كنخير النائم والمخنوق لا من النخر الذي هو البلى واعلم أن حاصل
شبهة من احتج على إنكار البعث بقوله أئذا كنا عظاما نخرة أن الذي
يشير إليه كل أحد بقوله أنا هو هذا الجسم والهيكل المخصوص فإذا مات
فسد تركيبه فيمتنع إعادته لاختلاط كل جسم عنصري منه بأصله فتميز
تلك الأجزاء عن أصل ذلك العنصر وكذا بعضها عن بعض محال ولأن الأجزاء
الترابية باردة يابسة فيمتنع تولد الإنسان منها لأنه حار رطب
في مزاجه ولأن إعادة عين ما عدم أولا محال لأن الذي عدم لم يبق له
عين ولا ذات ولا خصوصية فإذا دخل ثانيا في الوجود استحال أن يقال

مطلب حاصل شبهة

بأن العائد هو عين ما فني أولا وأجيب أن الأمر أن ما أشار إليه كل أحد بقوله
أنا هو هذا الجسم والهيكل المخصوص فالدليل عليه بل يجوز أن يكون أمرا
مجردا لا جسما ولا جسمانيا كما ذهب إليه طائفة عظيمة من المليين
والفلاسفة أو يكون جسما مخالفا بالماهية للأجسام القابلة للكون
والفساد ساريا فيها كالماء في الورد والنار في الفحم والدهن في
السمسم فإذا فسد هذا الهيكل بقي ذلك الجسم حيا مدركا عاقلا
إما في السعادة والشقاوة أو يكون جسما مساويا لهذه الأجسام
في الماهية إلا أن الله تعالى خصها بالبقاء والاستمرار من أول العمر إلى الأبد
وعند هذه الاحتمالات لا يلزم من فساد البدن وتفرق أجزائه فساد
ما هو الإنسان حقيقة ولئن سلمنا أن الإنسان هو هذا الهيكل فلم لا يمتنع
إعادة المعدوم قوله اختلط أجزاؤه العنصرية بالعناصر فلا تتميز قلنا علم الله
محيط بجميع المعلومات من الكليات والجزئيات وإنه تعالى قادر على كل الممكنات فيقدر
على جمعها بأعيانها وإعادة الحياة إليها لأنها ممكنة في نفسها قوله
الأجزاء الترابية باردة يابسة قلنا السمندر يعيش في النار والنعام
تبتلع الحديدة المحماة فبطل الاعتماد على الاستقراء قوله المعدوم لم يبق له
عين فلا يصح الحكم بأن العائد عين الفاني قلنا بقاء الأعيان المتقررة في
علم المحيط كاف في صحة الحكم بأن الداخل في الوجود هو عين ما فني أولا قوله
ذات خسران أو خاسر أصحابها يعني أنه أسند الخسران إلى الكرة والحال
أنهم هم الخاسرون والكرة مخسور فيها إما على إرادة النسبة أي اسم
الفاعل على لابن وتامر بمعنى ذات لبن وتمر منسوب إليها وإما على الإسناد
المجازي على طريقة إسناد الفعل إلى ما يقارنه في الوجود كقولك تجارة رابحة
والربح فعل صاحب التجارة والربح والتجارة متقاربان في الوجود قوله تلك
مبتدأ أشير بها إلى الردة والرجعة في الحافرة وكرة خبرها والمعنى أن كان
بعثنا بعد الموت حقا فتلك الرجعة رجعة خاسرة وهذا المعنى أفاده
كلمة إذن فإنها حرف جواب وجزاء عند الجمهور والكر الرجوع يقال كره وكر
بنفسه يتعدى ولا يتعدى كما يقال رجع بنفسه ورجعه غيره والكرة المرة من
الرجوع والجمع كرات وقولهم هذا استهزاء منهم بالحشر حيث أبرزوا ما

قطعوا بانتفائه واستحالته في صورة المشكوك المحتمل الوقوع قوله متعلق بمحذوف
يرتبط به التعلق بحسب المعنى وهو العطف والتقدير اما تخبر انك الكرة
صعبة على الله تعالى فانها سهلة هينة في قدرته فما هي الا صيحة واحدة
يقال زجر البعير اذا صاح عليه والمراد بهذه الصيحة النفخة الثانية وهي
صيحة اسرافيل قال المفسرون يحييهم الله في بطون الارض فيسمعون فيقومون
قوله فاذا هم احياء على وجه الارض فالساهرة بوجه الارض موافق
الصحاح وذلك يدل على ان المراد بها ارض الدنيا قال الامام اختلفوا فيها
فقال بعضهم هي ارض الدنيا وقال اخرون هي ارض الاخرة لانهم عند الزجرة
والصيحة ينقلون امواجا الى ارض الاخرة ولعل هذا الوجه اقرب انتهى و
في التيسير قال الخليل بالساهرة اي بوجه الارض بعدما كانوا في بطنها وهو
قول الاخفش وابي عبيدة وقطرب وجميع اهل اللغة وقال الفراء سميت
بها لان فيها نوم الحيوان وسهرهم فيها وصفت الارض بصفة اهلها من
النوم والسهر غايته انه اكتفى بذكر احد الوصفين عن الاخر وذلك على
نوع ونظيره قوله تعالى سرابيل تقيكم الحر اي الحر والبرد هذا توضيح ما في التيسير
والظاهر ان بياض الارض عبارة عن خلوها عن الماء والكلاء والاشجار
شبهت بان السراب فيها يجري به الماء عليها نقل الساهرة بمعنى جارية
الماء ان كانت عند على السراب محلة لاقطارها قد حبتها متلثما
محلة اي مغطا ومنه جل الدابة لاقطارها اي جوانبها يقول رب
ساهرة قد غطى السراب جوانبها وقت الضحى قد قطعتها متلثما
اي وانا اشد اللثام على انفي من خوف هبوب السموم والحاصل انه
يقال اضحى فلان يفعل كذا اذا كان يفعله بالضحى كما يقال ظل يفعل كذا اذا كان
يفعله بالنهار دون الليل قوله او لان سالكها يسهر خوفا فوصفت الارض
بصفة من يسلك فيها وهو السهر لاجل الخوف قال الامام قيل الارض
التي يجمع الكفار فيها في موقف القيمة يكونون فيها في اشد الخوف فسميت
تلك الارض ساهرة لهذا السبب وقال قتادة هي جهنم والمعنى فاذا هم في
الكفر في جهنم وانما قيل لها ساهرة لان اهلها لا ينامون فيها قوله
اليس قد اتاك حديثه اشارة الى ان هل بمعنى قد وان همزة الاستفهام

فهل

١٨

قبلها محذوفة لكثرة وقوعها في الاستفهام بحيث صارت كانها علم الاستفهام
بنفسها فاستغني بها عن الهمزة واقيمت مقامها فكانت هل متضمنة معنى
الاستفهام التقريري ومعنى تقريب الحكم المقرب من الحال فلذلك الف في تفسير
هل اتيك بهمزة الاستفهام وقد اتى وقد جاءك وبلغك حديثه عن قريب
على ان يكون الاستفهام لحمل المخاطب على ان يقر بامر يعرفه قبل ذلك كما في الم
نشرح لك صدرك والم يجدك واليس الله بكاف عبده وهذا المعنى مبني
على ان يكون قد اتاه ذلك الحديث قبل هذا الكلام واما ان لم يكن قد اتاه
فيجوز ان يقال هل اتيك حديث موسى ام انا اخبرك به فان فيه عبرة
لمن يخشى فلا يكون الاستفهام حينئذ لحمل المخاطب على الاقرار بل لحمله على طلب
الاخبار والمص حمله على الاحتمال الاول وتقدير كلامه ليس يدل عليه اذ لا
وجه لتقريرها سوق تبيين ان الاستفهام استفهام تقرير وذلك ان
الكفار لما اصروا على انكار البعث حتى انتهوا في ذلك الى ان استهزؤوا بقولهم
تلك اذا كرة خاسرة وشق ذلك على رسول الله عم وحزن بسبب جحودهم
كانهم لم يعلم بحديث موسى عم وانه لم يأته بعد والاعلام به بتحته بربه تسلي
بقوله هل اتيك المنبئ عن تحمل موسى عم مشقة عظيمة في دعوة فرعون فان
ان يدعوا دل الاستفهام على كلمة النفي ولهذا فسر قوله تعالى هل اتيك بقوله
اليس قد اتاك والا فلا يطابق التفسير المفسر بحسب اللفظ وظهر بما ذكرنا
وجه تفريع قوله فيسليك على تكذيب قومك على التفسير المذكور وظهر ايضا
ان عطف قوله ويهددهم على قوله فيسليك المستلزم لكون التهديد المذكور
ايضا متفرعا على التفسير المذكور محل بحث لان التهديد المذكور لا يظهر تفرعه
على التفسير المذكور بل الظاهر انه متفرع على ان يكون الاستفهام في هل اتيك
لحمل المخاطب على طلب الاخبار بان يكون المعنى هل اتيك حديث موسى ام اخبرك
به فتهدد به المشركين ووجه التهديد بان فرعون كان اقوى من كفار قريش
واكثر جمعا واشد شوكة فلما تمرد على موسى اخذه الله نكال الاخرة والاولى
فكذلك هؤلاء المشركون في تمردهم عليك ان اصروا اخذهم الله وجعلهم
نكالا وعبرة للعالمين قوله قد مر بيانه اي بيان قوله طوى وهو بالضم اسم
للوادي فيكون عطف بيان للوادي المقدس وقيل ان طوى بالضم مثل طوى

بالكسر فانه جمع ثنية بكسر الثاء وهو الثني المثني وفي الصحاح الثني مقصور الامر
يعاد مرتين يقال ثناه ... طوى وثنى اي مرتين وعلى هذا يحتمل ان يتعلق اي
نودي نداءين وان يتعلق بالمقدس اي قدس مرتين وثنيت فيه البركة و
التقديس وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو طوى بضم الطاء غير منون وقرأ
ابن عامر والكوفيون وضم الطاء وروى عن ابي عمرو طوى بكسر الطاء قال
وطوى منونة في انها اسماء للشيء المثني والطي بمعنى الثني اي ثنيت فيه البركة ∴ بالتنوين ص
والتقديس وقال الفراء طوى واد بين المدينة ومصر فمن صرفه قال
ليس فيه الا العلمية لانه اسم للمكان وهو مذكر ومن لم يصرفه جعله معدولا
عن جهته كعمر وزفر ... والصرف احب الي اذ لم اجد له في المعدول نظيرا
او لانه اجرا سما من الوادي كانه ... عدل عن فاعل عمر طوى وقيل طوى
معنى يا رجل بالعبرانية فكانه قيل يا رجل اذهب الى فرعون وهو قول ابن
عباس رضه واذ في قوله اذ ناداه ظرف منصوب بحديث اي هل اتاك حديثه
الواقع حين ناداه ولا باتيك لاختلاف وقت الاتيان والنداء لان الاتيان
لم يقع في وقت النداء وقوله اذهب مقول قول مضمر اي فناداه ربه فقال
اذهب والطغيان مجاوزة الحد ثم انه تعالى لم يبين انه تعدى في اي شيء و
لهذا قال بعض المفسرين معناه انه تكبر على الله تعالى وكفر به وقال اخرون
انه طغى على بني اسرائيل بانه استعبدهم بكل التعذيب والتحقيق ان الاولى ان
يحمل على الاطلاق ويكون المعنى انه طغى على الخالق بان كفر به وطغى على الخلق
بان تكبر عليهم واستعبدهم فكما ان كمال العبودية لا يكون الا بالصدق
بالصدق مع الحق وحسن الخلق مع الخلق فكذلك كمال الطغيان يكون بسوء
المعاملة معهما وهذا اوجه من الحمل على احدهما فقط **قوله** هل لك
ميل الى ان تزكى اي لك خبر مبتدأ محذوف والى ان لك متعلق بذلك المبتدأ
المضمر وقراءة تزكى بتشديد الزاي مبني على ادغام تاء التفعل في الزاي
لتقاربهما والتخفيف من حيث ان اجتماع المتقاربين كاجتماع المثلين
ومن قرأه بالتخفيف حذف احدى التائين وهو من طرق تخفيف الثقل
الحاصل من اجتماع المثلين والمتزكي المتطهر من العيوب بالسعي والاجتهاد
وهذه الكلمة جامعة لكل ما يدعوه اليه لان المراد هل لك ميل الى ان

تفعل

تفعل ما تصير به زاكيا عن كل ما لا ينبغي وذلك يجمع كل ما يتعلق بالاعتقاد والعمل
ثم نص الفعل الذي يصير به زاكيا بان ذكر اول ما يجب على المكلف في باب
الاعتقاد وهو معرفة الله تعالى فرع عليه ما هو ملاك الخيرات ومبنى السـ دات
كلها وهو خشيته فان من خشي الله عز وجل اتى منه كل خير ومن امن
اجترأ على كل شر كما قال من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل يقال ادلج القوم اذا
ساروا من اول الليل وان ساروا من اخر الليل فقد ادلجوا بتشديد الدال
قوله اذ الخشية لا تكون الا بعد المعرفة تعليل لكون المضاف المقدر في قوله واهديك
الى ربك هو المعرفة فلذلك قال وارشدك الى معرفته وذلك انه تعالى فرع الخشية
على ما قبله وهي لا تكون الا بعد المعرفة كما قال انما يخشى الله من عباده
العلماء اي العلماء بالله فلذلك قدر المعرفة **قوله** وهذا كالتفصيل اه يعني انه
بين في موضع من كتابه الحكيم انه حين ارسل موسى وهرون عم الى دعوة
فرعون امرهما بان يقولا له قولا لينا وبين ههنا انه امر موسى عم ان
يقول له هل لك الى ان تزكى الاية فظهر ان المذكور في كل موضع بعض ما
اوصى به لا كله فكانه لما قال لهما فقولا له قولا لينا رتب لهما هذا الكلام اللين
الرفيق تفصيلا وبيانا لصورة القول اللين المامور به فانه قول لين مشتمل
على بعض التفصيل اما كونه لينا فلانه ابتدأ في مخاطبته بالاستفهام الذي
معناه العرض على اسلوب الترغيب في كونه زكيا عما لا يليق به ومتطهرا
بطهارة الايمان ومن غير ان يامره به صريحا ومن غير ان يذكر ما يتعلق بالتزكي
حيث لم يقل الى ان تزكى الشرك والجهل وكفران نعمة خالقك ورازقك وانعم
فيها او عدولك اليه حتى تخرج من الضلالة والطغيان ونحو ذلك مما فيه عنف
وغلظة واما اشتماله على بعض التفصيل فظاهر وفيه ان الابد في الدعوة
الى الله من اللين والرفق وترك الغلظة والعنف ولهذا قال تعالى لخاتم النبيين
محمد عم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وكل من سلك في دعوة
الخلق اليه تعالى سبيل الخشونة والعنف فهو على ضد ما امر الله به رسله في
ابث ثم **قوله** اي فذهب وبلغ وفاراه اشارة الى ان الفاء في قوله فاراه
للعطف على محذوف يدل عليه قوله اذهب اليه وقل كذا وكذا وهذا كقوله
فاضرب بعصاك الحجر فانفجرت اي فضرب فانفجرت وامثال هذا الايجاز

كثيرة في القرآن قوله فانه اي المقدم والاصرار عليه انهم اختلفوا في الآية الكبرى
على ثلثة اقوال الاول انها هي يد البيضاء لقوله في سورة طه وادخل يدك
في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء آية اخرى لنريك من آياتنا الكبرى قاله
مقاتل والكلبي وقال عطاء قلب العصا حية وقال مجاهد هي مجموع اليد
والعصا وذلك لان سائر الآيات دلت على ان اول ما اظهر موسى عم لفرعون
هو العصا ثم اتبعه باليد فوجب ان يكون المراد مجموعهما واختار المص
القول الثاني ثم ذكر القول الثالث واستدل على ما اختاره وهو ان يكون
المراد بها قلب العصا حية بانها كانت متقدمة في الاراءة حيث ابتدأ
موسى عم بها وهذه دعت الى الاخرى فان العصا لما انقلبت حية
اضمر موسى عم في نفسه خيفة منها وقصد ان ينحي الحية بيده فقيل له
حين ارفع يده واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء بحيث تبرق كالشمس
من غير سوء آية اخرى لنريك ذلك الصنيع (جيبك) من حيث انه تعالى لم يرض ان يخفى
ما اظهره الله تعالى على يده معجزة له فلما كانت الاية الاولى هي الداعية الى الاخرى
كانت الاولى اصلا والثانية تابعة لها فسميت الاولى لذلك كبرى ولانه
ليس في اليد الا انقلاب لونها الى لون آخر وهذا المعنى كان حاصلا في العصا
ثم حصل في العصا امور اخر زائدة على ذلك منها حصول الحيوة في الجرم الجمادي
ومنها تزايد اجزائه وكبر جرمه ومنها حصول القدرة الكبيرة والقوة
الشديدة ومنها ابتلاعها الاشياء الكبيرة بحيث فنيت فيها ولم يزدد
به عظم بطنها ومنها زوال ذلك اللون والشكل اللذين صارت العصا
بهما حية وزوال الحيوة والقدرة عنها وعودها عصى كما كانت فكل
واحدة من هذه الوجوه كانت معجزا مستقلا في نفسه فعلمنا ان
الاية الكبرى هي العصا قوله او مجموع معجزة وجعلها آية واحدة اخرى
لاشتراك المجموع في كونها معجزة دالة على صدق من ظهرت هي على يده
فصارت المجموع باعتبار هذا القدر المشترك بينهما كالآية الواحدة وجعلها
كبرى بالاضافة الى سائر الآيات التي اعطيها النبوة قبل موسى عم قوله
وعصى الله بعد ظهور الآية وتحقق امر نبوة موسى عم ووجوب طاعته
عليه وهو اشارة الى انه انما عطف قوله عصى على كذب للدلالة على ان المراد

بالتكذيب

بالتكذيب احد محتمليه وهو التكذيب باللسان مع حصول الجزم بان من كذبه ممن
يجب تصديقه والايمان بجميع ما جاء به من حيث انه اعتقد بقلبه ان ما
اظهره من المعجزة يمتنع ان يعارضه البشر فعلم به انه فعل الله تعالى خلقه في يد
موسى عم ليكون معجزة له دالة على صدقه في دعوى الرسالة من الله تعالى فان
التكذيب انما يكون معصية لله تعالى اذا كان بهذا المعنى والتكذيب قسم آخر
غير هذا وهو تكذيب من لا يجب تصديقه والتكذيب بهذا المعنى لا يكون
عصيانا لله تعالى فافاد العطف ان الذي ترتب على اراءة الاية الكبرى هو
التكذيب الذي يكون عصيانا لله تعالى فان قيل قوله تعالى بعده فحشر فنادى
يدل على ان فرعون ما اعتقد بان ما اظهره موسى عم عليه من المعجزة
فعل الله تعالى خلقه في يده عم ليستدل به على صدقه في دعواه وذلك لانه
اعتقد بامكان المعارضة حيث جمع السحرة واستعان بهم في معارضته فكيف
يكون تكذيبه من القسم الذي يكون عصيانا لله تعالى قلنا يجوز ان يكون
حشره اي جمعه ونداؤه في الجمع تمردا وعنادا لا لاعتقاده بانه يمكن معارضته
بل هو تعلل باطل ودفع للمجلس قوله مدعيا مسرعا … لان مرادا عن
ادبر ان … الى ان يسعى في النظم حال منه يعني ساعيا في مشيه قال الحسن كان
فرعون رجلا طياشا خفيفا قوله اعلى من كل من يلي امركم يريد انه لم يرد
بقوله انا ربكم انه خالق السموات والارض والجبال والنبات والحيوان فان العلم
بفساد ذلك ضروري ومن شك فيه كان مجنونا ولو كان مجنونا لما جاز من
الله تعالى بعث الرسول اليه بل الرجل كان دهريا منكرا للصانع والحشر والنشر
وكان يقول ليس للعالم اله حتى يكون له عليكم امر ونهي او يبعث اليكم
رسولا بل المربي لكم والمحسن اليكم انا لا غير لا بمعنى انه خالق العالم وقال القاضي
بل قلت كان اللائق به عند ظهور خزيه عند انقلاب العصا حية وظهور
ذله وعجزه ان لا يقول ذلك القول الدال على تربية الخلق وعلو شأنه مع
ظهور كونه من جملة اهل الارض في الذل والهوان وان مالك الملك والرب
الاعلى هو الذي ايد رسوله بالمعجزة والبرهان فكان صار الرجل في ذلك الوقت
كالمعتوه الذي لا يدري ما يقول قوله اخذا منكلا اشارة الى ان نكالا
مصدر بمعنى منكلا لان النكال بمعنى التنكيل كالكلام بمعنى التكليم والسلام

بمعنى التسليم والتنكيل بمعنى النكال على طريق رجل عدل وانه منصوب على انه صفة
لمصدر محذوف منصوب باخذه الله وان اضافته الى الاخرة والاولى بمعنى
في كقوله ضرب اليوم فان قيل معنى الاخذ المنكل هو ان يعاقب المسيء على ذنبه
بان يفعل به فعل يمنع غيره عن الاتيان بمثل ذنبه ويمنعه ايضا عن المعاودة
الى ذلك الذنب وهذا المعنى انما يتصور بالتنكيل في الدنيا بالاغراق واما
التنكيل في الاخرة فلا قلت بل يتصور فان من سمع في الدنيا ما عوقب به
المذنب في الاخرة وصدق بذلك يمتنع بسبب سماعه عن ارتكاب
الذنب الذي ادى اليه فيكون العقاب في الاخرة منعا وتنكيلا لمن سمعه
وصدقه في الدنيا وان لم يكن تنكيلا لمن رءاه في الاخرة ولهذا قال لمن راه
او سمعه فان قوله لمن رآه مخصوص بالتنكيل في الدنيا وقوله او سمعه متناول
للتنكيل في الدنيا والاخرة والكلمة بحسب اصل اللغة تنبئ عن الامتناع
عن الشيء وعدم الاقدام عليه ومنه نكل عن اليمين اي امتنع عن ان
يحلف ونكل عن العدو امتنع عن معارضته ومحاربته جبنا ويقال
نكل به على ذنبه تنكيلا اي عاقبه على ذنبه عقابا يحمل المعاقب على
الامتناع عن المعاودة الى ذلك الذنب ويحمل غيره ايضا على الامتناع عن
اتيان مثل ذنبه لان المعاقب لما عوقب على ذلك الذنب كان ذلك عبرة
لغيره بغير حاله فيمتنع عن اتيان مثله او قوله وقيل نكال الاخرة مصدر
مؤكد للفعل المذكور وهو اخذه الله حملا على المعنى لان الاخذ هنا عقوبة
فكانه قيل نكل به نكال الاخرة اي نكلهما فان قيل ما وجه قوله نكال الاخرة
والاولى بالعطف بالواو الجامعة فان الاخذ بصيغة الماضي ان كان حقيقة
مستعملة في الاخذ في الماضي لا يثبت ولا الاخذ في الاخرة وان كان مجازا له
مستعملة في الاخذ في الاخرة لتحققه وقوعه لا يثبت ولا الاخذ في الاولى لا
التفويت لا مجال للجمع بينهما قلنا يجوز ان يستعمل في معنى مجازي يصلح
الماضي يعم كلا الاخذين ويجوز ان يقدر واخذه الاخرة في المعطوف فيكون
تقدير الكلام فاخذه الله نكال الاخرة واخذه الله نكال الاولى فيكون
اخذه الاول المذكور مجازا واخذه الثاني المقدر حقيقة قوله او على
كلمة الاخرة عطف على قوله في الاخرة بالاخرة فان اضافة النكال على

ذلك

ذلك التفسير بمعنى في الاخرة والاولى صفتان للدار المحذوفة اي اخذه في الدار
الاخرة وهي النار وفي الدار الاولى وهي الدنيا والاضافة على التفسير من
اضافة المسبب الى السبب والاخرة والاولى صفتان لكلمتي فرعون اولاهما
قوله ما علمت لكم من اله غيري والاخرة قوله انا ربكم الاعلى قالوا وكان بينهما
اربعون سنة وقيل عشرون سنة والمقصود التنبيه على انه ما اخذه بكلمته
الاولى في الحال بل امهله اربعين سنة فلما ذكر الثانية اخذه بهما وهذا
تنبيه على انه تعالى يمهل ولا يهمل كذا قال الامام بعبارته يعني ان كلمة الفاء
في قوله فاخذه الله انما يدل على ترتب الاخذ وتفرعه على التكذيب و
العصيان المؤديان الى تلك الكلمة الحمقاء واما دلالتها على تفرعه على
كلمته الاولى فلا اذ لم تذكر الكلمة الاولى في هذه السورة ولولا ان الحق
بكلمة الفاء الدالة على تفرع الاخذ على ما ذكر في هذه السورة وتذكر ان
الاخذ المذكور بسبب مجموع الكلمتين التنبيه على انه ما اخذه بكلمته الاولى
في الحال الى الاخرة ولم يذكر كلمة الاخرة وهي قوله انا ربكم الاعلى وكلمة الاولى هي
تكذيبه موسى عليه السلام حين اراه الاية الكبرى الذي عجز عن معارضتها قال
القفال وهذا كان هو الاظهر لانه تعالى قال فاراه الاية الكبرى فكذب وعصى
ثم ادبر يسعى فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى فذكر المعصيتين ثم قال
فاخذه الله نكال الاخرة والاولى فظهر ان المراد انه عاقبه على هذين الامرين
فان قيل قول المصنف او على كلمته الاخرة يشعر بان اضافة النكال الى الاخرة بمعنى
على وكونها بمعنى على غير مذكور في النحو المذكور فيه ان الاضافة منحصرة
في ثلاثة اقسام الاضافة بمعنى اللام فيما عدا جنس المضاف وظرفه ومن
علة فيه وبمعنى من في جنسه كخاتم فضة وبمعنى في في ظرفه كضرب اليوم قلت
الاضافة ههنا ايضا بمعنى اللام لان كلمتي الاولى والاخرة ليستا من جنس
النكال وظرفه وانما عبر بعلى للاشعار بالمقابلة والسببية ويدل عليه قوله
لهما في قوله والتنكيل فيهما او لهما فافهم وهو اشارة الى ان النكال بمعنى التنكيل
ايضا كالسلام بمعنى التسليم والوجه الثاني ان يكون انتصابه على انه مفعول له
لاخذه الله اي فاخذه الله للتنكيل في الدارين او لاجل الكلمتين والخطيئتين
قوله ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا مقدرا بفعله كوعد الله وصبغة الله

فكان قبوله نكال الله نكال الآخرة والاولى ثم ختم هذه القصة بقوله ان في
ذلك لعبرة اي فيما قصصنا عليك من نصرة موسى عم وخزي فرعون
لعبرة لمن شانه الخشية فانه يدع التمرد على الله والتكذيب لانبيائه
خوفا من ان ينزل عليه مثل ما نزل لمكذبي بعثة موسى عم وعلى بانه تع
ينصر رسله وانبيائه كما نصر موسى عم فاعتبروا معاشر المكذبين لمحمد عم
بما ذكرناه لكم واعلموا انكم ان شاركتموهم في المعنى الموجب للعقاب شاركتموهم في
حصول العقاب بكم ثم انه تع لما ختم هذه القصة رجع الى مخاطبة
منكري البعث فقال أأنتم أشد خلقا خاطبهم اولا بالقسم بان اقسم
بالملائكة الموكلين بقبض الارواح على قيام الساعة وهو مقدماته
الهائلة وذلة الكفرة فيها ثم التفت عن خطابهم الى ان حكى عنهم بطريق
الغيبة مقالاتهم المتعلقة بانكار البعث ثم اجابهم بقوله فانما هي زجرة
واحدة اي لا تستصعبوها فانها سهلة هينة في قدرته خالان شرع
في بيان سهولته فقال أأنتم أشد خلقا وفسر المص اشد بالصعوبة
لا بالصلابة لانه الملايم للمقام اي اخلقكم بعد الموت اصعب ام خلق
السماء بلا مادة مع عظم جثتها وقوة تأليفها وهو استفهام تقرير
ليقروا بان خلق السماء اصعب فيلزمهم بان يقول لهم ايها السفهاء
من قدر على الاصعب الاعسر كيف لا يقدر على اعادتكم وحشركم
التي هي ايسر واسهل فخلقكم على وجه الاعادة اولى ان يكون مقدورا لله تع
فكيف تنكرون ذلك والتفاوت بين الامرين بان يكون احدهما اصعب
من الاخر انما هو عند المخاطبين وفي زعمهم وتقديرهم فان كلا الامرين بالنسبة
الى قدرة الله تع واحد ولما كان الجواب بطرفيه متضمنا تسلية الرسول عم من
استهزائهم وتهديد الكافرين لانكارهم اوقع قصة موسى عم معترضة في
البين لتأكيد التسلية والتهديد بقوله تع أأنتم مبتدأ واشد خبره وخلقا
تمييز والسماء عطف على أأنتم وحذف خبره لدلالة خبر أأنتم عليه اي ام
السماء اشد خلقا وبناها مستأنف لبيان كيفية خلقها فتم الكلام
عند قوله ام السماء ويبتدئ من قوله بناها استعمل لفظ البناء في موضع
السقف فان السماء سقف مرفوع والبناء انما يستعمل في اسافل البيت

لا في

لا في الاعالي فلذلك اشارة الى انه وان كان سقفا لكنه في البعد عن الاختلال والانحلال
كالبناء فان البناء ابعد عن تطرق الاختلال اليه بالنسبة الى السقف
فلهذه الدقيقة اختير لفظ البناء في هذا الموضع قوله ثم بين البناء اي لما
بين كيفية خلق السماء بقوله بناها بين كيفية البناء بوجوه اربعة الاول
ما يتعلق بالارتفاع فقال رفع سمكها اعلم ان امتداد الشيء اذا اخذ من
اسفله الى علوه سمي سمكا واذا اخذ من علوه الى اسفله سمي عمقا فالمراد
برفع سمكها هو جعل مقدار ارتفاعها من الارض وذهابها الذاهب
في العلو رفيعا حتى ذكروا ان ما بين الارض وبينها مسيرة خمسمائة
عام وثخن كل واحد منها كذلك والثاني من تلك الوجوه ما اشار اليه
بقوله فسويها وفسر المص بوجوه ثلثة ولا خفاء في الفرق بين الوجه
الثالث والاولين لكن بين الوجه الاول والثاني خفاء فلعله اراد بتعديلها
خلقها متسعا وقوله الاجزاء اي متشابهة الاجزاء من جميع الجهات والاوصاف
وخلوا منها من العيوب ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت وهل من فطور
واراد بجعلها مستوية عدم الاختلال والتفاوت بين اجزائها بان يكون
بعضها اقرب الى المركز بالنسبة الى البعض الاخر بل يكون جميعها متساوية البعد
بالنسبة الى المركز فيكون ذلك اشارة الى كونها كرة قال والمباحث انها محدبة
مقعرة الى ما عرفناه فاختار في الوجه الثالث من كونها كرة ويحتمل ان يريد
باستوائها كونها مسطحة ملساء بان لا تتفاوت اجزاؤها بالارتفاع
والانخفاض والثالث من تلك الوجوه ما اشار اليه بقوله واغطش ليلها
وغطش فعل لازم يقال غطش الليل اذا صار مظلما وجاء متعديا
يقال اغطشه الله اذا جعله مظلما والغطش الظلمة والمراد هنا هو
المتعدي كما اشار اليه المص بقوله اغطش منقول من غطش الليل ومنه
ضحي واظلم الظلم بكسر اللام وقد يقال الليل اسم لزمان الظلمة الحاصلة
بسبب غروب الشمس فقوله واغطش ليلها يرجع معناه الى انه جعل
المظلم مظلما وهو بعيد والجواب معناه ان الظلمة الحاصلة في ذلك الزمان انما
حصلت بتدبير الله تع وتقديره فلا اشكال قوله وانما اضافهما اليها اي اضاف
الليل والضحى الى السماء للملابسة بينهما من حيث ان الليل يحدث بسبب غروب

الشمس وغروبها انما يحصل بسبب حركة الفلك والاضافة يكفيها ادنى ملابسة
المضاف بالمضاف اليه والوجه الرابع من تلك الوجوه ما اشار اليه بقوله
واخرج ضحيها فسر المصنف الاخراج بالابراز وهو ظاهر والضحى بالضوء و
حمل الكلام على تقدير المضاف في قوله واخرج ضحى شمسها لان الضحى هو
ضوء الشمس لقوله تعالى والشمس وضحيها وحذف لدلالة الضحى عليه
قوله يريد النهار اي يريد بضحى الشمس وضوءها النهار وانما عبر عن النهار
بضوء الشمس تسمية للمحل باسم اشرف ما حصل فيه لان النهار اسم للزمان
حصل فيه ضوء الشمس على وجه الارض وان فضل النهار على الليل انما
هو لاشتماله على نور الشمس وضوئها فهو اشرف ما فيه فسمى النهار به لذلك
ولما بين الله تعالى كيفية خلق السماء بعمم بكيفية خلق الارض فقال والارض
بعد ذلك دحيها والقول في نصب الارض والجبال على اضمار فعل مفسر
بعده اي ودحى الارض اي بسطها بعد خلق السماء وبنائها ليسكن اهلها
ويستقر عليها والنصب هو المختار ههنا لان الجملة المتقدمة المعطوفة
هي عليها فعلية وكلمة بعد على اصل معناها وهو التاخر ولا معارضة
بينها وبين آية فصلت وهي قوله ثم استوى الى السماء بعد قوله خلق الارض
في يومين وجعل رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في
اربعة ايام لانه تعالى خلق الارض ولا غير مدحوة بل قدر بيتها كالكرة المجتمعة
ثم خلق السماء ثانيا ثم دحى الارض اي بسطها ثالثا وفيه ان الدلائل
دلت على ان الارض الان كرة ايضا وايضا ان الجسم العظيم يكون
ظاهره كالسطح المستوي فيستحيل ان يكون هذا الجسم العظيم مخلوقا
ولا يكون ظاهره مدحوا مبسوطا وقيل ان بعد ههنا في موضع مع اي قال
والارض مع ذلك دحيها كقوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم وكما يقال انت
احمق وانت بعد هذا سيء الخلق وقيل بعد ههنا بمعنى قبل كقوله تعالى ولقد
كتبنا في الزبور من بعد الذكر اي من قبل الفرقان قوله ورعيها اي كلاءها
فان الرعي بكسر الراء الكلاء وبفتح المصدر والمرعى في اصل اللغة يطلق
على موضع الرعي بفتح الراء وعلى زمانه وعلى نفس المعنى المصدري وليس
هو في بعض هذه المعاني اصلا بالنسبة الى البواقي حتى يكون استعماله

في

في الباقي على طريق النقل منه بل هو بحسب الوضع اللغوي مشترك بينها ولغة
اصلية في جميعها ويطلق ايضا على الرعي بكسر الراء وهو الكلاء ولكنه ليس لغة
اصلية في هذا المعنى بل هو مجاز فيه على طريق تسمية الكلاء بموضع الرعي في تعلق
الرعي بفتح الراء بكل واحد منهما ويجوز ان يكون المرعى مصدرا بمعنى المفعول اذا
اطلق على الكلاء قوله بإضمار قد لان الماضي المثبت اذا وقع حالا لا بد له من قد
ظاهرة او مقدرة لتناسب بحسب الظاهر بين لفظ الماضي والحالية واذا ضم قد
جعل الماضي قريبا الى الحال فيرتفع التنافي والقباحة وفي مثله يجوز ترك الواو
فلذلك جرد قوله اخرج منها ماءها عن العاطف او لان الجملة استئناف
لبيان دحو الارض وتمهيدها للسكنى فان دحوها لسكنى الحيوان لا
يكون الا باشتمالها على ما لا بد منه في تاتي السكنى عليها من تهيئة امر المآكل
والمشرب باخراج الماء والمرعى ومن ارساء الجبال عليها اوتادا لها
لتستقر فيتأتى السكون والقرار عليها والكلام المستأنف لا يعطف على
ما قبلها فلذلك جرد عن العاطف ويظهر بكون هذه الجملة حالا او استئنافا
جواب عما يتوهم من التعارض بين هذه الاية وآية فصلت من حيث ان هذه
الاية تقتضي كون خلق الارض بعد خلق السماء وما في حم السجدة يقتضي
كون خلق السماء بعد خلق الارض وتقرير الجواب ان قوله اخرج منها ماءها
ومرعاها اذا لم يجعل حالا لم يكن المراد بقوله دحاها بسطها مطلق
البسط بل البسط المقيد باخراج مائها ومرعاها وارساء الجبال عليها فكانه قيل
دحى الارض بعد خلق السماء دحوا يترتب عليه انتظام احوال من
يسكن عليها بان جعلها مستقرة بارساء الجبال عليها ومشتملة على ما
لا بد منه لمعاش اهلها فيها ومستعدة لنبات اقواتهم وحصول
ارزاقهم فيها والدحو على الوجه المذكور متاخر عن وجود السماء لان
الارض كالام والسماء كالاب وما لم يحصل الاب لم يكن الام مشتملة
على الاولاد ومستعدة لحصولها وكذا اذا كانت جملة اخرج منها ماءها
استئنافا لبيان كيفية دحوها وتمهيدها للسكنى تكون البعدية وصفا
للدحو على الوجه المبين وتاخره لا ينافي كون خلق نفس الارض متقدما
على خلق السماء كما يدل عليه قوله في سورة فصلت ثم استوى الى السماء

وقد ذكرنا في تلك السورة ما في هذا الجواب وعدم التفات المصنف اليه لان المختار
عنده ان خلق الارض قبل خلق السماء كما يدل عليه قوله تعالى والارض بعد
ذلك دحيها ودفع التناقض بين الآيتين بيان ثم في حم السجدة على
تفاوت ما بين الخلقين لا للتراخي في الزمان فلا حاجة بدفع التناقض الى تقييد
ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض وفصلكم وكذا اعظم من ذلك ان استوى
اى قصد الى خلق السماء وهو شئ حقيق ظاهر كالرفات قوله متاعا لكم — اشارة
اى ان المتاع بمعنى التمتيع كالسلام بمعنى التسليم انتصابه اما على انه مصدر
مؤكد لفعله المحذوف المدلول عليه سياق الكلام اى متعكم به تمتيعا
واما على انه مفعول له اى ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم اى منفعة لها ولكم
فظهر ان المراد بالمرعى ما ياكله الناس والانعام واستعير المرعى لما ياكل
الانسان كما استعير الرتع للاكل والتنعم وهو في الاصل كالرعي شبه ما ياكل
الجوهري رتعت الماشية ترتع رتوعا اى اكلت ما شاءت قال اخرجنا
ترتع ونلعب اى نلهو ونتنعم كما استعير المرسن للانف والمشفر للشفة
ونكتة الاستعارة توبيخ المخاطبين والحاقهم بالبهائم من حيث ان الكلام
مع منكري الحشر اذ تبرؤها المعنى انتم ايها الداخلون في زمرة البهائم في
تمتعكم بالدنيا وذهولكم عن الاخرة كيف تستصعبون بالبعث مع قدرته
على هذه الامور العظام ولما بين ادلة البعث والحشر بيان كيفية
خلق السماء والارض بعد ذلك دحيها وتنويعهم وفصل احوال كل واحد
من اهل الطغيان والطاعة وبين ما هي حيث فاذا جاءت الطامة — فائدة
والطامة اسم لكل داهية عظيمة تنسى ما قبلها في جنبها وقد اصل الطم
الدفن والعلو فكل ما غلب شيئا وقهره واخفاه فقد طمه ويقال له
جاء السيل فيطم الركية اى دفنها وسواها وسميت القيامة والنفخة
الثانية طامة لانها تغلب على كل شئ فتقهره فانها هي يوم القيمة
من الدواهي الهائلة الخارجة من العادات ما ينسى معه كل هائل وعند النفخة
الثانية يحشر الخلق الى موقف القيمة قوله لكل راء هذا العموم مستفاد
من لفظة من لفظ لانها من الفاظ العموم ولا دخل لحذف مفعول
يرى في افادة العموم لان المستفاد من حذف المفعول عموم المفعول لا

عموم الفاعل والمقصود هنا عموم الفاعل واما عدم خفائها على المؤمنين فلانهم
يمرون عليها حين مجاوزة الصراط لقوله تعالى وان منكم الا واردها الى قوله ثم
ننجي الذين اتقوا فان قيل انه تعالى قال في سورة الشعراء وازلفت الجنة للمتقين
وبرزت الجحيم للغاوين فخص الغاوين ببروزها لهم قلنا انها برزت
للغاوين والمؤمنون يرونها ايضا في الممر ولا منافاة بين الامرين قوله وجواب
فاذا جاءت محذوف اذا جعل جواب الشرط ما يدل عليه قوله تعالى يوم يتذكر
كان تقدير الكلام فاذا جاءت الطامة يرى الانسان ما سعى او يرى كل احد
ما قدمت يداه ويرى كل فريق ما يستحقه ونحو ذلك قوله او ما بعده من
التفصيل يجوز ان يكون معطوفا على قوله يوم يتذكر اى او دل على الجواب المحذوف
ما بعد قوله يوم يتذكر من التفصيل وتقدير الكلام فاذا جاءت دخل اهل الخوف
الجنة والطاغون النار فان قيل اى ضرورة دعت الى ارتكاب الحذف وهلا
قلت ان الجواب هو الجملة الشرطية المصدرة باما التفصيلية الواقعة تفصيل
ما اجمله سابقا قلنا على تقدير كون الجواب تلك الجملة الشرطية يلزم ان يكون كلمة
اما التفصيلية خالية عن الفاء بدءة اذ لا يتصور تفصيل المجمل ويجوز ان يكون معطوفا
على قوله محذوف اى او ليس بمحذوف بل هو التفصيل المذكور بعده كما ذهب اليه
صاحب الكشاف حيث قال فاما جواب فاذا اى فاذا جاءت الطامة فان الامر كذلك
فان قوله فاما مبتدأ وقوله جواب فاذا خبره وقد ذكر صاحب الكشف وحواشي
ذكر تعليقه في الدرس وجها آخر وهو ان يكون جواب اذا المحذوف فاذا قدر فاذا
جاءت وقع ما لا يدخل تحت الوصف وقوله فاما تفصيل لذلك المحذوف والذي
ذكره في المتن من انه هو الجواب فيه غموض ثم قال ولا غموض بعد تحقيق
مستفسه ان يقال فاذا جاءت فان الطاغي الجحيم مأواه وان الخائف الجنة
مأواه وزيادة اما لم تفد الا زيادة المبالغة وتحقيق الترتيب والثبوت على
كل تقدير انتهى الكلام ولعل وجه تحقيق الترتيب ان عطف تفسير على ان زيادة
المبالغة والمعنى لا غموض فيه بناء على ان ما ليست للتفصيل بل هو حرف
جيء بها لتاكيد ترتب الجواب على الشرط وبيان ان الحكم ثابت على كل تقدير من
حيث ان معنى قولنا زيد منطلق مهما يكن من شئ فزيد منطلق يعني اى
شئ وقع في الدنيا يقع انطلاق زيد فالمقصود القطع بوقوع الانطلاق وحيث جعل

وقوعه لوقوع شيء مما في الدنيا وما دامت الدنيا باقية فلا بد من حصول شيء
فيهما وفي شرح الرضي جواز السكوت على مثل فلان اما زيد فقائم بدفع دعوى
لزوم التفصيل فيها قوله واللام فيه سدت مسد الاضافة يعني انه لا بد في الخبر
من رابطة يربط بالمبتداء اذا كان جملة ومن في قوله من طغى موصولة في محل
الرفع بالابتداء وقوله طغى صلتها وقوله فان الجحيم هي المأوى خبره ولا ضمير فيه
يعود الى المبتداء فقدره البصريون وقالوا تقدير الكلام فان الجحيم هي المأوى
له وانما حذف لطول الكلام وذهب الكوفيون الى ان تقديره فان الجحيم هي
مأواه فسد الالف واللام مسد العائد لعدم الالتباس اي ترك التعريف
بالاضافة لعدم الاحتياج اليه لانه لا احد يعلم بان صاحب المأوى ههنا هو
الطاغي وعرف اسم الجنس بلام الحقيقة لكون الجنس معروفا عند كل احد
وليس اللام فيه لام العهد الخارجي لما مر من انه لا حاجة الى تعريف الحقيقة
المعنوية فيكون حرف التعريف سادا مسد الاضافة ومعناه ترك العائد
باضافة الاسم اليه بان جعل موضع الاضافة ما ينافيها والجمع بينهما وهو
حرف التعريف لانه ترك الاضافة واقيم حرف التعريف مقامها من حيث ان
تعريف العهد يغني غناء الاضافة الى الضمير في افادة الربط وذلك انه لما ان
ترك العائد بناء على عدم الاحتياج الى الرابط لعدم الالتباس لم يحتج
الى جنس ما يدل على الربط فلا يكون لاقامة اللام مقام العائد معنى وهذا
المعنى هو الذي اراده صاحب الكشاف بقوله وليس الالف واللام بدلا من الاضافة
ولا ينافيه قول المصنف انه سادة مسد الاضافة وليس مراده انه اقيم
مقام العائد في افادة الربط بل ارادة ترك طريق الاضافة بالسلوك الى
طريق ينافيه لعدم الاحتياج الى ما يدل على الربط قوله لعلمه بالمبتداء في
المعاد اشارة الى ان الخوف من القيام بين يديه بالحساب لا بد وان يكون
مسبوقا بالعلم به كما قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء قوله ليس
لها سواها مأوى اشارة الى انه نهي النفس عن الهوى نهيها عن جميع
الهوى اي ان اللام للاستغراق والا فمعنى العصاة المؤمنين الا سوف قد
يدخلون النار ولا لم يخرجوا منها ويدخلون الجنة فلا يصح حصر قوله فان الجنة
هي المأوى بالحصر لهم الا ان يقال معنى الحصر ان الجنة هي المقام الذي لا خروج

عنه من دخل فيه قوله متى ارساها اشارة الى ان ايان ظرف بمعنى متى وهو مبني
لتضمنه معنى حرف الاستفهام وان المرسى مصدر بمعنى الارساء وهو الاثبات
وهو مبتداء وايان خبره ويحتاج الى تقدير المضاف اذ لا يخبر بالزمان عن
الحدث والتقدير متى وقت ارسائها اي متى يقيمها الله تعالى ويوجدها
ويجوز ان يكون المرسى اسم الزمان الارساء فلا حذف على هذا قوله او
منتهاها اي مستقرها اشارة الى انه اسم المكان ينتهي اليه المتحرك ويستقر
فيه كمرسى السفينة فان الساعة شيء يتحرك ويجري الى جانب الوقوع وانتهى
مثل جريان السفينة الى مستقرها فلهذا سميت الساعة ساعة لسعيها
الى جانب الوقوع ومسافته الى انقضاء وكان المشركون يسمعون اخبار
القيامة واوصافها الهائلة مثل انها طامة الكبرى وصاخة وقارعة فيقولون
على سبيل الاستهزاء ايان مرسيها قوله من ان تذكر وقتها لهم اشارة
الى ان قوله من ذكراها فيه مضاف محذوف وهو الوقت وصلة محذوفة وهي
لهم والقرينة الدالة عليها ذكره في مقابلة جواب سؤال الكفار عن وقت
اتيانها فان ايان مرسيها سؤال عن وقت اتيانها فحكاية سؤالهم
هذا دلت على ذلك المحذوف وان المعنى ما انت في شيء من تبيين وقتها
وقتها لهم على ان يكون الاستفهام في قوله فيم انت للانكار فعلى هذا انت
مبتداء وفيم خبره قدم عليه من ذكراها متعلق بما تعلق به الخبر قوله وقيل
فيم انكار لسؤالهم على انه خبر مبتداء محذوف اي فيم هذا السؤال الوارد
من الكفرة وقوله انت من ذكراها كلام تام مستأنف من مبتداء و
خبر وجواب انها قريبة لا بعيدة لانك علامة من علاماتها فكفاهم بذلك
دليلا على دنوها الاهتمام على تحصيل الاستعداد لها فلا معنى لسؤالهم
عنها واجرا على الوجه الاول هو نحو قوله فيم انت من ذكراها وان العلم
بوقت اتيانها مما تفرد به الله تعالى طوى علمه عنك وعن سائر البشر وعلى
الوجه الثالث وهو قوله الى ربك منتهاها قوله واما قوله فيم انت من ذكراها
فتم سؤالهم والمعنى يسألونك عنها قائلين متى وقت ارسائها ولم
لا تسألوها ولم لا يذكرها وتبين وقتها لك وقال الله تعالى مجيبا لهم
الى ربك منتهاها علمها قوله وهو لا يناسب تعيين الوقت اي البعث لا نزال

خاصة اى انما تبيين ما يكون حاملا للمبعوث اليه على الخشية وتحصيل الاستعداد
للنجاة عن شدايدها واهوالها ولا دخل لتبيين وقت قيامها فى ذلك فان
حصول الانذار لا يتوقف على علم المنذر بوقت قيامها فلم يكن تعيين وقت
فلذا لم يعين الله وقت قيامها للمبعوث بل قال له فيم انت من ذكراها
قوله وتخصيص من يخشى مع انه مبعوث الى من يخشى ومن لا يخشى و
الجمهور على ان قوله منذر من يخشاها من اضافة الصفة الى معمولها للتخفيف
على الاصل لان الاصل فى الاسماء الاضافة والعرفها اى هو الشبيه ومن
قرا بالتنوين اعتبر ان الاصل فيها الاعمال والاضافة انما هى للتخفيف قوله
كانهم يوم يرونها كناية عن شدة ما انكروه وبحيث انهم اذا راوه
يحبون انهم بدا لى نوافيهم ويستقلون مدة لبثهم فى الدنيا لو اتهم وقت
تبعاتهم ويزعمون انهم لم يلبثوا الا بعض يوم او اوله ويوم ظرف لما فى كانهم
من معنى التشبيه وله وروده بقال ما وجه اضافة الضحى الى ضمير العشية
والعشية لا ضحى لها اجاب عنه بان تنوين عشية عوض عن المضاف
اليه وهو يوم منكر ومعنى قوله او ضحيها او ضحى ذلك اليوم الذى اضيف
اليه العشية الا ان الضحى والعشية لما كانت من يوم واحد تحققت
بينهما ملابسة مصححة للاضافة احديهما الى الاخرى فلذلك اضيف الضحى
الى العشية والمراد اضافة اليوم تلك العشية ومثله كثير فى كلام العرب
يضيفون الغداة الى العشى وبالعكس ويقولون اتيتك الغداة او عشيه
واتيتك العشية او غداتها يريدون اتيتك غداة النهار او عشية النهار
الذى تلك الغداة اوله حذف فيما حذف للاختصار فان قيل لم لم يقل
الا عشية او ضحى وما فائدة الاضافة قلت لو قيل لم يلبثوا الا عشية
او ضحى احتمل ان يكون العشية من يوم والضحى من يوم اخر فيتوهم استمرار
اللبث من ذلك الزمان من اليوم الاول الى الزمان الاخر من اليوم الاخر و
اما اذا قيل الا عشية او ضحيها لم يحتمل ذلك اللبث قوله من جهة الله
عبارة عن استقصار صفة اللبث بما يلي من الشرح والكلام فى البرزخ
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عبس وتولى قوله عبس اى كلح
بوجهه وتولى اى اعرض بوجهه والصاد يدغم ضربه وهو الشديد

سورة عبس مكية

الشجاع

الشجاع وقد كان النبي يدعوهم الى الاسلام تبليغا ورجاء ان يسلم لاسلامهم
غيرهم بناء على عادة الناس اذا مال اكابرهم الى احد مال اليه غيرهم كى قيل
الناس على دين ملوكهم قوله على اختلاف المذهبين اى فى تنازع الفعلين
ان الفعلين المذكورين تنازعا فى الاعمى كل واحد منهما يريد ان ينصب
قوله ان جاء على انه مفعول له واعمل البصريون الثانى لقربه منه اى تولى لان
جاءه الاعمى والكوفيون اعملوا الاول قوله وقرئ ا ان بهمزتين وبالف بينهما
للقصر على الاستفهام الذى معناه الانكار فيوقف على عبس وتولى
على هذه القراءة لا على قراءة الجمهور لم يترك لقوله ان جاءه على معنى
الاجل الاعمى فعل ذلك فقوله ا ان على هذه القراءة متعلق بمحذوف يدل
عليه عبس وتولى لا بالمذكور لان ما بعد حرف الاستفهام لا يتعلق بما قبله
قوله وذكر الاعمى للاشعار بعذره لما ورد ان يقال انه تعالى جل جلاله لما عاتبه
على مجرد انه عبس فى وجه ابن ام مكتوم فان ذلك تعظيما من الله تعالى وجل جلاله
لابن ام مكتوم واذا كان كذلك فكيف ينبغى على هذا التعظيم بان يذكره
باسم الاعمى مع ان ذكر الانسان بهذا الوصف تحقير شانه اجاب المصنف
جوابه بانه يقول اى ذكره بلفظ الاعمى ليس لتحقير شانه بل للاشعار بعذره
فى الاقدام على ما فعله او لزيادة الانكار على عبوسه وتوليه كانه يقول
بسبب عماه استحق مزيد الرفق والرأفة فكيف يليق بك بالهجران تخصصه
بل بالغلظة كما ان وجه الالتفات من الغيبة الى الخطاب يفيد ذلك
اى زيادة الانكار فان قيل ان ابن ام مكتوم كان يستحق التاديب والزجر
فكيف عاتب الله تعالى جل جلاله رسوله على ان ادبه والحال انه انما ادبه
ليؤدب المؤمنين ويعلمهم محاسن الآداب وانما قلنا انه كان يستحق
التأديب لانه وان كان لا يرى القوم لعماه لكنه لصحة سمعه كان يسمع
مخاطبة الرسول مع اولئك الكفار ويعرف بذلك شدة اهتمامه بشانهم
فيكون اقدامه على كلامه ايذاء له وايذاء النبي معصية عظيمة و
ايضا الاهم مقدم على المهم وابن ام مكتوم كان سبب الاسلام
جمع عظيم فكلامه فى البين سبب لقطع ذلك الخير العظيم لغرض قليل و
ذلك محرم فثبت بهذا ان فعل ابن ام مكتوم كان ذنبا ومعصية

وان الذي فعله النبي عم كان واجبا فكيف عاتبه الله تعالى على ذلك اجيب عنه بوجهين احدهما ان الاهم كان كما ذكرتم الا ان ما فعله الرسول عم يوهم تقديم الاغنياء على الفقراء وقلة المبالاة بانكسار قلوب الفقراء وهو لا يليق بمنصب النبوة لانه ترك الافضل ولذلك عاتبه الله تعالى وثانيهما ان يقال لعل هذا العتاب لم يكن على صدور منه من فعل الظاهر بل على ما كان منه في قلبه من الميل اليهم بسبب قرابتهم وعلو منصبهم وشرفهم ومن تنفر طبعه عن الاعمى بسبب عماه وعدم قرابته وقلة شرفه فلما وقع التعبيس والتولي لهذه الداعية لا لاجل تاديبه على ما ارتكبه من الذنب ودلت على ذلك التعبيس والتولي لذلك قوله اوزيادة الانكار منصف د من عبس وتولى باسناد الفعلين الى الرسول عم بصيغة الغيبة فانه يدل على ان وقوعهما منه عم منكر لا يليق بمنصبه وخلقه العظيم لا سيما انه رحمة للعالمين فكيف يليق ان يعرض عمن جاء مستهديا طالبا للتذكي والاتعاظ ووجه دلالته على ذلك ان خطاب المعاتبة تقتضي ان يقال عبست فتوليت عمن جاءك للتذكي والسلوك الى طريق القيم مشعرا بان العابس والمتولي غير المخاطب وانه يشكو الى المخاطب من فعله وذلك يدل على ذلك الفعل منك لا يتصور وتوهم من المخاطب في المتصور انه يقع من غيره ثم يشكي الى المخاطب المخاطب منه وهو انكار عظيم لو وقع عنه ثم التفت بقوله وما يدريك فان فيه مزيد انكار لذلك كمن يشكو الى الشخص جانيا جنى عليه ثم يقبل على الجاني اذا حمي في الشكاية موجها اياه بالتوبيخ والزام الحجة وكذا ذكره ذلك المستهدي بوصف الاعمى زيادة الانكار على ذلك فانه يقول قد استحق ذلك المسكين عند العبوس والاعراض عنه وكان يجب ان تزيد لعماه التوطئة والاهتمام بامره قوله واي شيء يجعلك داريا بحاله اي بحال هذا الاعمى فجعل لفعل الدراية مفعولا تنبيها على ان قوله لعله يزكى ليس مفعولا بل تم الكلام عند قوله وما يدريك فيوقف عليه ويبتدأ بما بعده معنى وما تطلعك على امره وعاقبة حاله على ان الاستفهام بمعنى النفي الذي لا يدريك شيء ثم ابتداء فقال لعله الضمير للاعمى فان لعل من الله تعالى مجاز بان يستعمل كلمة

الترجي

٧

الترجي للقطع والتحقيق فان لعل في كلام العظماء يراد به ذلك وان كان ظاهر النظم يدل على ان المراد تسليط فعل الدراية على الترجي وان المعنى انك لا تدري انه يترجى منه التزكي والتذكرة والاتعاظ والترجي راجع الى الاعمى او غيره فالمعنى اي رجاء تزكيه او كونه ممن يترجى منه ذلك كان في الامتناع من العبوس والاعراض بما يتلقف منك يتلقف الشيء يتناوله بسرعة والمراد به ههنا التعلم والتزكي بالنسبة الى الجهل والاحتشام والتذكر بالنسبة الى فعل الخيرات والطاعات وبالجملة فلعل ذلك العلم الذي يتلقفه عنك ليطهره عن بعض ما لا ينبغي وهو الجهل والمعصية او يشغله ببعض ما ينبغي وهو الطاعة قوله وفيه ايماء لان اعراضه كان لتزكية غيره عما لا ينبغي من الجهل والمعصية واتيان ظنه بفعل ما ينبغي من الطاعة ولم يتعرض بجانب الاتعاظ اكتفاء بذكر التزكية عنه فاد قوله لعله يزكى اذا كان مؤميا بذلك يكون قوله او يذكى مؤميا بالاعراض المذكور كان لاحد الامرين قوله وقيل الضمير في لعله للكافر فيعني هذا القول راجع الى النبي عم فلذلك قال انك طمعت في اسلامهم قوله وقرأ عاصم فتنفعه بالنصب والباقون بالرفع فمن رفع جعله معطوفا على يذكر ومن نصب على انه جواب لعل بالفاء فان الفعل المضارع ينتصب بان مقدرة بعد الفاء بشرطين احدهما السببية والثاني ان يكون قبلها احد الاشياء الستة الامر والنهي او الاستفهام او النفي او التمني او العرض او الشرط والاول هنا متحقق بلا شبهة واما الثاني فغير متحقق بحسب الظاهر الا انه حمل الترجي على التمني والاستفهام من حيث انها غير موجب بل مطموع الحصول بعد فقدر ان بعد الفاء بعد الاشياء الستة ليكون الفعل معها في تأويل المصدر فيعطف المصدر على المصدر الاول تقديره لعله يكون منه تذكرة فانتفاع قال الله تعالى لعلي ابلغ الاسباب فاطلع بالنصب على قراءة حفص والمعنى لعله يكون منه بلوغ الاسباب والطلوع الى اله موسى و يحتمل ان يكون لعل ههنا للتمني على ما يدل عبارة الكواشي حيث قال ونصب على جواب التمني وقال صاحب المفتاح وسبب توليد لعل معنى التمني في قولهم لعلي احج فازورك بالنصب بعد المرجو عن الحصول

قوله اما من استغنى اي عن طلب الخير مطلقا او عن الايمان والتزكي وقوله المصدق تفسير لقوله يسعى بسرعة للخير بيان الاول قوله تصدى تعرض بالاقبال عليه التصدي التعرض له والتقيد به والاهتمام بشانه الصدد والتاعز عنه وقرئ تصدى بتخفيف الصاد وتشديدها والتخفيف مبني على حذف تاء تفعل والتشديد مبني على ادغامها في الصاد وبعد قلبها صادا وقرئ تصدى بضم التاء وتخفيف الصاد اي يحثك وتدعى الى التعرض والتصدي اليه اي يدعوك داع الى التصدي له من الحرص والتهالك على اسلامه قوله وليس عليك بأس اشارة الى ان ما في وما عليك نافية وان قوله ان لا يتزكى في موضع الجر بفي مقدرة متعلقة باسم لا وهو محذوف ويحتمل ان يكون ان لا يتزكى في موضع الرفع على انه مبتدأ وما عليك خبره والجملة في موضع النصب على انها حال من فاعل تصدى مفردة بجهة الانكار ويجوز ان يكون ما استفهامية على معنى عليك في ان لا يتزكى بالاسلام من تدعوه الى الاسلام اي اي شيء عليك فيه فالاولى الى كونها نافية قوله يسعى حال من فاعل جاءك وقوله وهو يخشى جملة حالية من فاعل يسعى فهو حال بعد حال واصل تلهى تتلهى حذف احدى التاءين تخفيفا من لها عن الشيء بكسر الهاء يلهى لهيا اي اعرض عنه لا من لهوت بالشيء بالفتح الهو لهوا اذا لعبت به لان الفعل مسند الى ضمير النبي عم لا يليق بشانه الرفيع ان ينسب اليه الفعل من اللهو بخلاف الاشتغال عن الشيء لمصلحة قوله ولعل ذكر التصدي والتلهي للاشعار بان العتاب على اهتمام قلبه بالغني وتلهيه عن الفقير لا على مجرد تعبيس الوجه والتولي ووجه الاشعار ان التصدي هو التعرض للشيء بالقلب والقالب والتلهي التشاغل عنه بان يميل القلب الى غيره الخبر ان ابن ذبير اذا سمع صوت الرعد لهي عن حديثه اي تركه واعرض عنه ومال الى التفكر في عظمة الله تعالى وجلاله وقدرته وذلك يكون بالقلب والظاهر ان المراد بالغني المستغني عما دعي اليه من التزكي بالايمان بالطاعة وبالفقير الطالب المحتاج الى ذلك لانه هو المناسب للمقام قوله ردع عن المعاتب عليه وهو اعراضه عم لانه لا يرتدع ولا يتصور المنع من الكاتب ان يتصور عن معاودة مثله كالصواب الاقتصار على ان يقال ردع عن

فان قيل

معاودة

معاودة مثله قلت معنى الردع من ردع عليه منعه عن استحسان ذلك بقلبه واعتقاده انه لا يليق بمنصبه وخلقه فلا اشكال وقال الحسن لما تلا جبريل عم هذه الآية على النبي عم عاد وجهه كانما اسف في الرماد ينتظر ما الذي يحكم الله تعالى قال لها سبحانه هنا عنه اي تفعل مثل ذلك فانه لا ينبغي لا يليق بك قوله والضميران للقرآن او العتاب المذكور كضميرانها وضمير ذكره فان كان للقرآن يكون وجه ارتباط هذه الآية فيما قبلها انه تعالى لما ذكر استغناء هؤلاء الكفرة عن قبول ما دعاهم اليه وصف شان القرآن بعظمته وكونه موعظة وهدى للناس وقال كيف تظهر شدة الحرص والرغبة في قبول فهؤلاء الكفار سواء قبلوه او لم يقبلوه لا يتفاوت شان القرآن في علو قدره فمن شاء اتعظ فلا يلتفت اليهم ولا تشغل قلبك بهم واياك ان تفرط بهم عمن امن يجتلب القلوب المستفيدين عنه وان كان الضميران للعتاب يكون وجه الارتباط انه تعالى لما عاتب نبيه عم على ما وقع منه من الاهتمام بالاعلام المعاندين تضمنه قلة المبالاة بشان ضعفاء المسلمين مع دلالة قدرة الشريف عنده عقبه بقوله ان هذه المعاتبة تذكرة اي موعظة للمعتبين فاتعظوا بها معاشر من يطلب تحلية النفس بالاخلاق الحميدة والآداب المرضية فلا ترموا باجلال الفقراء الطالبين تزكية نفوسهم عن المعاصي وتحليتها بالطاعة ولا تعرضوا عنهم بسبب الاشتغال باصلاح احوال من يظهر الاستغناء عن الخير ولا يسعى في تحصيله واعلموا ان هذا التاديب والعتاب مثبت في اللوح المحفوظ الذي قد وكل بحفظه اكابر الملائكة قوله صفة لتذكرة فيكون قوله فمن شاء ذكره جملة معترضة بين الصفة وموصوفها وان كان في صحف خبرا ثانيا القوله فمن شاء ذكره جملة معترضة بين الخبرين نقل عن الزمخشري انه ذكر كونه اعتراضا وقد شرط الاعتراض ان يكون بالواو او مجردا عنها واما بالفاء فلا واجيب بان هذا بناء على ما ذهب الزمخشري في قوله تعالى فاسئلوا اهل الذكر في سورة النحل من انه من الاعتراض على نفس الوجوه وقيل انه استطراد للحث على التذكر والاتعاظ فانه تعالى لما قال ان هذه المعاتبة تذكرة للسامعين من حيث انهم اذا عوتب بها مع جلالة قدره عنده تعالى بالغيرة في بعده فمن شاء ذكره حاث

في اللوح

على التذكرة فانه قال فمن شاء ذكره بها ايتها الت معوهة ان الظاهر ان يؤخر قوله فمن
شاء ذكره عن وصف التذكرة الا انه قدمه لشدة العناية به قوله مكرمة
نعت لصحف اى صحف مكرمة عند الله تعالى وكذا مرفوعة مطهرة نعت
بعد نعت للصحف وكذا بايدى سفرة فى موضع الصفة لصحف و هى
جمع صحيفة وهى ما يكتب فيه الشئ قوله مرفوعة القدر و مرفوعة
بحسب المكان لكونها فى السماء السابعة قوله منزهة عن ايدى الشياطين
او المراد انها مطهرة بسبب انه لا يمسها الا المطهرون وهم الملائكة
والسفرة كالكتبة لفظا ومعنى جمع سافر وهو الكاتب من سفر اذا كتب
والسفر بكسر السين الكتاب وجمعه اسفار والمراد بالكتبة هم
الملائكة لانهم ينسخون الكتب من اللوح او المراد بهم الانبياء
ينسخونها من الوحى ويجوز ان يكون السفرة جمع سافر بمعنى سفير
والسفير هو الرسول المتوسط بين المرسل والمصلح بين القوم من السفارة
وهى الاصلاح ثم اشار المص الى المعنيين بقوله جمع سافر من السفر او
السفارة وهى الرسالة من الله تعالى الى الرسل فيكون السفراء الملائكة او من
الله تعالى الى الامة فالسفراء بهذا هم الرسل من البشر فقوله او سفراء
عطف على قوله كتبة بناء على ان السفرة بمعنى الكتبة او بمعنى السفراء الذين
شانهم السفارة فالسفرة ان كان بمعنى السفراء بين الله تعالى ورسله يكون
المراد بالصحف الكائنة بايديهم الصحف التى تنزل بها الملائكة الى الرسل
وان كان بمعنى السفراء بين الله تعالى والامة فالصحف الكائنة بايديهم هى
التى نزل بها الملائكة اليهم والتى ينسخونها من الوحى قال الامام
واختار المص هنا الملائكة الذين يسفرون بالوحى بين الله ورسله
واحدها سافر والعرب تقول سفرت بين القوم اذا سعيت صلحا
بينهم فجعلت الملائكة اذا نزلت بوحى الله تعالى وتاديبه كالسفير الذى
يصلح به بين القوم قال شاعر وما ادع السفارة بين قومى ولا امشى
بغش ان مشيت قوله والتركيب للكشف اى تركيب حروف س ف ر سواء
كان من السفر بمعنى الكتابة او من السفارة بمعنى الاصلاح ينبئ عن معنى
الكشف والتبيين اما اذا كان من السفر بمعنى الكتابة فلان معنى الكتابة

معنى

معنى الكشف والتوضيح ويقال للكتابة سفر وللكاتب سافر لان كل واحد منهما
يبين الشئ ويوضحه واما اذا كان بمعنى السفارة بمعنى الاصلاح فلان الاصلاح
بين القوم يكون للبيان والتوضيح ويقال للرسول سافر وسفير لانه يعبر عن
رسالة ويكشف عنه حكمه واما ذكر السفرة اثنى عليهم بوصفين الاول
انهم كرام اى مكرمون عند الله تعالى وقال عطاء يريد انهم يكرمون ان يكونوا
مع ابن ادم اذا خلا مع زوجته للجماع وعند قضاء الحاجة والوصف
الثانى انهم بررة فى مقاماتهم مطيعين والبررة جمع بار نحو فجرة وفاجر فانهما
جمعا الكفرة والفجرة قال الامام قوله مطهرة بايدى سفرة يقتضى ان يكون
طهارة تلك الصحف انما حصلت بايدى هؤلاء السفرة فقال القفال وجهه
انه لما كانت لا يمسها الا الملائكة المطهرون اضيف التطهير اليها
لطهارة من يمسها انتهى كلامه والقصر فى قوله لا يمسها الا بايدى ملائكة
مطهرين قصر غير حقيقى بل هو اضافى والمراد تنزيهها عن ايدى الشياطين
ومبنى قول الامام ان يكون الباء فى قوله بايدى سفرة متعلقة بمطهرة وليس
بلازم لجواز تعلقها بمحذوف كما اشار اليه بقوله و انها فى محل الجر
انها صفة لصحف اى فى صحف كائنة بايدى سفرة ويجوز تعلقها ايضا بما
تعلق به كلمة فى فى قوله صحف اى انها مثبتة فى صحف كائنة بايدى سفرة كذا
قوله دعاء عليه باشنع الدعوات فان القتل غاية شدائد الدنيا واشنعها
فان قيل الدعاء على الانسان انما يليق بالعاجز وهو الله تعالى كيف يليق به
ذلك واجيب بان ذلك ورد على اسلوب كلام العرب يقولون اذا انكروا
من احد قاتله الله والمقصود بيان انهم استحقوا اعظم انواع العقاب
حيث اتوا باشنع القبائح بان قوله ما اكفره تعجب من افراطه فى كفران
نعم الله تعالى على صورته فان حقيقة التعجب انما يتصور من الجاهل بسبب
ما خفى سببه والذى احاط علمه بجميع المعلومات لا يتصور منه ذلك فهو فى
الحقيقة تعجيب الله لخلقه اى اعجبوا من كفره بالله ونعمه استفهام بمعنى
التقريع والتوبيخ اى ما حمله على الكفر قيل المراد بالانسان هم الذين اقبل الرسول نسخه
عليهم وترك ابن ام مكتوم بسببهم وقيل المراد ذم كل كافر وقع بسبب
عناده على الفقراء لغناهم لانه تعالى انما ذمهم لترفعهم فوجب ان يعم الحكم

بسبب عموم العلة ولانه تعالى زيف طريقتهم بسبب حقارة حال الانسان في الابتداء
والانتهاء على ما قال من نطفة خلقه ثم اماته فاقبره وعموم هذا الزاجر
يقتضي عموم الحكم وارتباط هذه الاية بما قبلها من وجه الاول فانه تعالى لما ذكر
القصة المشتملة على استغناء صناديد قريش عن طلب الخير دعا
عليهم بقوله قتل الانسان وتعجب عباده المؤمنين من ذلك بقوله ما
اكفره فانه قيل اي سبب حمله على الترفع والاستغناء مع ان اوله ابتداء مرتبته
نطفة مذرة واخره جيفة قذرة وفيما بين المرتبتين حامل عذرة قوله
وهو مع قصوره دال على سخط عظيم وذم بليغ يعني ان هذا الدعاء ليس من
قبيل دعاء من يعجز عن انتقام من يسوءه وكذا هذا التعجب ليس على
حقيقته لانه منزه عن العجز والجهل بل المراد ما هو في صورة الدال على
سخط عظيم والتنبيه على انه استحق اهوال العقوبات واشد ما يراد
صيغة التعجب بذم بليغ قوله له من حيث ارتكابه اقبح القبائح والاشكر(?)
ان السخط والذم يجوز من الله تعالى قوله بيان لما انعم عليه جعل نفس
الاستفهام مع ان [illegible] انما يحصل بجواب الاستفهام من حيث ان
الاستفهام غير موقوف نفسه لان حقيقة الاستفهام لا يتصور منه تعالى
المؤمن تقريره صورة اصله ليتضح ان ما انعم عليه في مبدأ حدوثه
نعمة جليلة فان كون ذلك الاصل المهين صورة الانسان المكرم من
جلائل النعم ولما كان ذلك الاستفهام طريقا للتقرير فاتى بالمتفرع عليه
جوابا وقوله خصوص [illegible] لما انعم عليه من النعم بيانا للنعم المخصوصة
التي انعم بها عليه من مبدأ حدوثه الى وقت نشوره لا لجميع النعم قوله و
الاستفهام للتحقير اي لتحقير اصله لاشعاره بان اصله مثل هذا
الشيء الحقير كيف يليق به التكبر والتجبر والكفران بحق المنعم الذي كسى ذلك
الاصل الحقير بهذه الصورة البهية [illegible] في
سبيل الولادة ثم قوله فقدره لما يصلح له من الاعضاء والاشكال
او خلق الشيء بتقدير واحد بمقدار معلوم من الكمية والكيفية وكان
عطف قوله فقدره على خلقه يستلزم التكرار وعطف الشيء على نفسه
فسر التقدير المعطوف بالتهيئة فانه تعالى قدره فقدر بمعنى هياه

فتهيه

تهياء والمعنى احدثه بمقدار معلوم من الاعضاء والاشكال والكمية والكيفية
فجعله مستعدا لان ينتهي فيه الى القدر اللائق بمصلحته الله اعلم قوله
او فقدره اطوارا يعني ان التقدير المتفرع على الخلق ماخوذ من القدر بمعنى
الطور والمعنى انه اوجده على وفق التقدير الازلي ثم جعله ذا اطوار من
علقة ومضغة الى اخره بمعنى خلقه ذكرا او انثى شقيا او سعيدا وفي الكبير
قال الفراء قدره اطوارا نطفة ثم علقة الى اخر خلقه وذكرا او انثى شقيا
او سعيدا وقال الزجاج والزمخشري المعنى قدره نطفة على الاستواء كما قال
اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا قوله والهمه
ان ينتكس اي ان ينقلب عن الهيئة التي كان المولود عليها في بطن امه
فان فوهة الرحم كانت غير مفتوحة قبل وقت الولادة وان راس المولود
وهو في بطن امه كان من فوق ورجله من تحت فاذا جاء وقت الخروج
انفتح فوهة الرحم وانتكس المولود بان ينقلب ويصير رجله من فوق
وراسه من تحت فيخرج راسه اولا ولا شك ان الذي فتح الفوهة والهمه
الانتكاس انما هو الله تعالى وفعله تسهيلا لخروج المولود من بطن امه
قوله او ذلل له سبيل الخير والشر والتدبير اي التبيين بذكر فيه الاعراف(?)
التعريف والتفهيم وبعثة الانبياء وانزال الكتب قال ابو مسلم المراد من هذه
الاية ما هو المراد من قوله وهديناه النجدين وهو بيت(?) ولا تتبين بين كل خير
وشر يتعلق بالدنيا وبين كل خير وشر يتعلق بالدين اي جعلناه متمكنا
من سلوك سبيل الخير والشر قوله وتعريفه باللام دون الاضافة ولو قال
ثم سبيله يسره بالاضافة الى الانسان لفهم اختصاص السبيل به مع
ان السبيل عام للانسان والجن على المعنى الثاني والحيوانات ايضا على الاول
قوله وفيه على المعنى الاخير ايماء بان الدنيا طريق والمقصد غيرها وهو
الاخرة ووجه الايماء انه لما فسرت الاية بانه تعالى يسر سبيل المكلفين
في دار التكليف اشعر ذلك بان هذه الدار معبر يتوصل بها الى الخير او
الشر والي اهلها اهل السرور اهل الفلاح(?) والكفرة ولا يخفى ان هذا الايماء
مبني على ان يكون المراد من الخير والشر ما يتعلق منهما فان ما يتعلق بالدنيا
منهما هو الذي حسنه الشرع وقبحه بان وعد عليه ثواب الاخرة او عقابها

فالمصنف بقوله هذا على ان النظم الذي ذهب اليه ابو مسلم خال عن
هذه النكتة وايد ما ذهب من تخصيص السبيل بما تؤدي الى نعمه و
نقمه بانه يحسن انتظام ما بعد هذه الاية بها بخلاف ما اذا بقي
بها عام مؤمن كما ذهب اليه ابو مسلم قوله وعد الاماتة والاقبار في النعم
لما جعل قوله تعالى من اي شيء خلقه الى قوله كلا لما بيانا لما انعم الله به عليه
وكفرانه بذلك وخفي وجه كون الاماتة والاقبار نعمة بين ذلك الوجه و
افاد انه وصلة في الجملة لا لكونها وصلة الى سعادة الابد ولذة خالصة
انما هو بالنسبة الى المؤمن لا الى الكافر لا يقال المراد الكافر بقرينة قوله
قتل الانسان ما اكفره فكيف تعد الاماتة نعمة في حقه مع ان الموت في حقه
مع ان الموت في حقه مفتاح كل بلاء ونحن لا نقول الاماتة في نفسها
ثانيها ان يكون تحفة للميت يتخلص بها مما سجن الدنيا الى سعة
عالم الاخرة وكونها نقمة في حق الكفار انما هو بسوء اعتقاده و
سيئات اعماله قوله والامر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع فانه لو لم
يقبر لبقي على وجه الارض كسائر الحيوانات لاكله الطير والسبع وغيرهما
فان قيل من اي شيء استفيد الامر بالقبر والحال انه ليس هاهنا صيغة
الامر قلنا هو مستفاد من قوله فاقبره فانه يقال قبر الحي يقبره من باب
نصر اذا دفنه بيده وانه بمعنى هو الدافن بيده ولا يقال اقبر الميت الا اذا
امر غيره بان يجعله في القبر فالمقبر هو الله تعالى لانه هو الآمر بان يدفن
امة بني آدم في القبور اكراما لهم عن ان يلقون للطير والسباع والمراد
بالانشار الاحياء والبعث قوله وقت النشور غير متعين في نفسه
لعل وجهه ان تعين الوقت في نفسه متفرع على بقاء الافلاك وحركاتها
ويكون السنين والشهور راجعا اليها والنشور انما يتحقق بعد خراب العالم
فلا سبيل لانسان ان يحكم ويقول بان وقت النشور معين في نفسه
انه لم اعلم خصوصه بانه يكون في رأس الف سنة او اقل او اكثر من خراب
ما به تقدير الاوقات حين تحققه بخلاف الاحوال المذكورة قبل الانشار
فان الانسان يعلم اوقاتها من بعض الوجوه كالموت فان موت الانسان
وان لم يعلم وقته ونوعه بخصوصه الا انه متعين في نفسه يعلم الانسان

ان الموت

ان الموت له حد معين في نفسه بان يكون مثلا في رأس ستين سنة او اربعين
وليس بحيث يكون موكولا الى مجرد مشيئة الله تعالى قوله لم يقض بعد اشارة
الى ما في لفظة لما من معنى التوقع وهذا التفسير مبني على ان يراد بضمير لما
يقض الانسان المحمول على الاستغراق كما روي عن مجاهد ورواه من ان
معنى الاية لا يقضي احد جميع ما كان مفروضا عليه ابدا وان فيها اشارة الى ان
الانسان لا يخلو عن تقصير البتة وقال الامام هذا التفسير عندي فيه نظر
لان قوله لما يقض الضمير فيه راجع الى المذكور السابق وهو الانسان في قوله قتل
الانسان ما اكفره وليس المراد من الانسان فيه جميع الناس ذكر وجها آخر وهو ان
يكون المعنى ان ذلك الانسان المترفع المتكبر لم يقض ما امر به من ترك التكبر او
المعنى ان ذلك الانسان الكافر لم يقض ما امر به من التأمل في دلائل الله تعالى و
التعجب في عجائب خلقته وآثار قدرته انتهى كلامه ويمكن ان يقال ارجاع
ضمير لما يقض الى جميع الناس لا يستلزم حمل الانسان المذكور سابقا على الاستغراق
فان المراد به الانسان المعهود الا انه اريد بضمير لما يقض جميع الناس على
طريق الاستخدام لقصد المبالغة فانه اذا لم يخرج حق الواجب عنه
تقصير ما فعدم خلو الكافر بالطريق الاولى قوله وما امره موصولة و
عائده يجوز ان يكون محذوفا والتقدير ما امره به فحذف الجار والباقي ما امره
هو ثم حذف الهاء العائد بعد ثانيا ويجوز ان يكون باقيا على ان المحذوف من
الهاءين هو العائد الى الانسان والباقي هو العائد الى الموصول فاعرفه وقس عليه
امثاله قوله اتباع النعم الذاتية فان عادة الله تعالى جارية في القرآن العظيم بانه
كلما ذكر الدلائل الموجودة في الانفس يذكر عقيبها الدلائل الموجودة في الآفاق
فلما ذكر من النعم الموجبة للشكر ما هو امر موجود في نفس الانسان من
خلقه بانزال النطفة من صلب الآباء الى ارحام الامهات وما يتعاقب عليه
منه الاطوار والاحوال الى ان ينتهي الى دار الابد عقبه ببيان ما انعم عليه
من النعم الخارجة عنه وبلاده بما يحتاج اليه الانسان في معاشه وبين انه كيف
دبره في خلق طعامه الذي هو قوام حياته وانه كما سبب معاشه الذي يستعد
بها لمعاده وذكر انه كما يكون بنزول ماء الرجل الى رحم المرأة كذلك
طعامه انما يحصل بنزول الماء من السماء الى الارض وما يتبعه من التدبيرات

المتعلقة بقوله من الارض الى اقصى كماله قوله على البدل منه اي من الطعام
والتقدير فلينظر الانسان الى كيف صببنا الماء صبا لا موضع النظر والاعتبار
هو كيفيته فانه معلقا في جو السماء مع غاية ثقله وغير ذلك مما يعجز الفكر
عن ادراكه وجعله من بدل الاشتمال لان انصباب الماء وانشقاق الارض
سبب لحصول الطعام فيكون الثاني مشتملا على الاول فان الواجب في بدل
الاشتمال ان يكون بينه وبين المبدل منه علاقة بغير الكلية والبعضية وقد
حصل ولا يلزم فيه ان يكون المبدل منه مشتملا على البدل قوله واسند
الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب جعل اسناده الى نفسه من قبيل
الاسناد المجازي لانه اسناد الى غير ما هو له لان المراد بما هو له ما يكون معنى الفعل
قائما به وصفا له وحقه ان يسند اليه سواء كان مخلوقا له او لغيره سواء
كان صادرا عنه باختياره كضرب او لا كمرض ومات فاسناد نحو الضرب الى من
قام به حقيقة والى موجده الذي هو الله تعالى مجاز ولهذا اشتق اسم الفاعل
لمن قام به وان لم يكن موجدا للفعل نحو الآكل والشارب والفاجر والقاعد
ولا شك ان شق الارض قائم بمن كربها اي قلبها للحرث وحقه ان يسند اليه
واسناده الى الله تعالى مجاز وهذا الخصوص بالشق بالكراب واما الشق بالنبات
فاسناده الى الله تعالى حقيقة لا مجاز واسناده الى النبات مجاز لان النبات بمنزلة
الآلة مثل اسناد الفتح الى المفتاح والقطع الى السكين في قولك فتح المفتاح
الباب وقطع السكين اللحم قوله لانها تقضب مرة بعد اخرى فصار لكثرة قطعها
كانها عين القطع فسميت قطعا للمبالغة فيه قوله عظام الغلب جمع
اغلب وغلباء نحو جمع احمر وحمراء واصله وصف الرقاب يقال رجل
اغلب واسد اغلب اي غليظ العنق وامرأة غلباء اي غليظة العنق وهذا
جماعة غلب اي غلاظ الاعناق وذكر المصنف في توصيف الحدائق بالغلب
قولين الاول ان يقال لكل حديقة انها غلباء اي عظيمة غليظة توصيف
بوصف مجموع اشجارها المتكثرة الملتفة المتقاربة بحيث صارت كانها
شيء واحد ضخم عظيم فلفظ الغلب سواء اطلق على نفس الحدائق او
على مجموع اشجارها المتداخلة الاغصان مستعار من الحيوان الغليظة
الرقبة تشبيها لها به في مطلق الغلظ ولكل حديقة منها وصفت بالغلباء

تقضب

بهذا

بهذا الوجه وصفت الحدائق بالغلب والقول الثاني ان يوصف كل حديقة بالغلباء
توصف كل واحدة منها بوصف كل واحدة من اشجارها من الغلظة والعظم
فيقال لكل حديقة غلباء باعتبار ان كل شجرة من اشجارها غلباء اي
عظيمة غليظة فتوصيف الحدائق بالغلب بمعنى غلب بعض الاشجار بالغلب
في وصف الحدائق والاشجار في هذا القول ايضا مستعار مما هو وصف الاعناق
قال الامام قوله تعالى وحدائق غلبا فيه قولان الاول ان يكون المراد وصف كل
حديقة بان اشجارها متكاثفة متقاربة فهذا قول مجاهد ومقاتل قال
الغلب الملتفة الشجر بعضه ببعض يقال اغلولب العشب واغلولبت الارض
اذا التف عشبها والثاني ان يكون المراد وصف كل واحدة من الاشجار و
الغلظة والعظم قال عطاء عن ابن عباس يريد الشجر العظام وقال الفراء
الغلب ما غلظ من النخل انتهى قوله وفاكهة قال الامام استدل بان الله تعالى لما
ذكر الفاكهة معطوفة على القضب والزيتون والنخل وجب ان لا يدخل هذه
الاشياء في الفاكهة لان المعطوف مغاير للمعطوف عليه انتهى العنب والرطب
والرمان من الفواكه عند ابي يوسف ومحمد لان الفاكهة اسم لما يؤكل على سبيل
التفكه اي التنعم بعد الطعام وقبله وهذا المعنى ثابت فيها وهي اعز الفواكه وكملها
وليست عند ابي حنيفة كقوله تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان وقوله تعالى وعنبا وزيتونا
ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة فعطفت الفاكهة عليها مرة وعطفها على الفاكهة
اخرى والشيء لا يعطف على نفسه هكذا في كتب الفقه والظاهر من دليله ان نحو
العنب والرطب لكونه مما يؤكل غذاء يتحقق القصور في معنى التفكه به فلا يتناوله
اسم الفاكهة عند الاطلاق حتى لو حلف ان لا يأكل فاكهة لا يحنث باكله لكونه غذاء
من وجه وان كان فاكهة من وجه آخر وعطف الفاكهة عليه لا ينافي كونه فاكهة
من وجه لان المراد بالفاكهة المعطوفة ما هو فاكهة من كل وجه ولا يخفى ان الفاكهة
من كل وجه مغاير لما هو فاكهة من وجه دون وجه فيصح عطفها عليه قوله
لانه يؤب وينتجع اي يقصد جزه لاجل الدواب والنجعة بالضم طلب الكلأ في موضعه
للشاة بانها تؤب اي تقصد قوله متاعا لكم يجوز ان يكون مصدرا مؤكدا لفعله المقدر
اي متعناكم بها متاعا اي تمتعا لان المتاع بمعنى التمتيع كالسلام بمعنى التسليم
وان يكون في موضع الحال من فاعل انبتنا اي ممتعا لكم وان يكون مفعولا له اي فعلنا

ذلك متاعا لكم ولانعامكم قوله وصفت مجازا مبني على ان يكون الصاخة بمعنى
المستمع فهو مستمع والنفخة ليست بمستمعة بل الناس يستمعون لها فاسند
الاستماع الى المسموع مجازا كعيشة راضية وحكى الامام عن الزجاج ان
اصل الصخ في اللغة الطعن والصك يقال صخ راسه بحجر اي شدخه
والشدخ كسر الشيء الاجوف ويقال صخ الغراب بمنقاره في دبر البعير اي
يطعن فمعنى الصاخة الصاكة بشدة صوتها الاذن الحوم الصاخة
الصيحة تصم شدتها سميت القيمة صاخة لان فيها الصيحة التي تصخ
الاسماع بشدة صوتها اي تضرها يقال صخ الصوت الاذن يصخها صخا
فهو صاخ وما صاخها يصخها صاخة فهو يصخ بمعنى فعلى هذا يكون الصاخة
حقيقة في النفخة ووجه ارتباط هذه الاية بما قبلها انه تعالى لما ذكر انعامه
على الانسان من النعم الكائنة في الانفس والافاق وان المقصود بذكرها التوبيخ
والتقريع على من كفر بها وتمرد عن طاعة من انعم بها واستغنى عن طلب
الخير قوله وان يستدل بها على وحدانيته وقدرته على البعث والحساب
عقبه بما يكون مؤكدا لهذه الاغراض وهو شرح احوال القيمة فان الانسان
اذا سمعها خاف فيدعوه ذلك الخوف الى التامل في الدلائل والايمان
بوحدة من انعم بها وقدرته على ما يشاء والاعراض عن الكفران والميل
الى الطاعة والتواضع والانقياد للحق فلاجرم ذكر القيمة فقال فاذا جاءت
الصاخة وجواب اذا محذوف يدل عليه قوله يوم يفر المرء الى قوله لكل امرء
يومئذ شان يغنيه والتقدير فاذا جاءت الصاخة اشتغل كل احد
بنفسه وقوله يوم يفر بدل من اذا ولا يجوز ان يكون يغنيه عاملا في اذا ولا
فيه لانه صفة شان ومعمول الصفة لا يتقدم على موصوفها وقراءة الشاذة
يعنيه من الاعتناء على معنى ان ذلك الهم الذي حصل له قد ملأ صدره فلم
يبق متسع فصار بذلك شبيها بالغني في انه ملك شيئا كثيرا وقرئ يعنيه
بفتح الياء وبعين المهملة من قولهم عناني الامر اي قصدني قوله والحذر
من مطالبتهم بان يقول الاخ لم تواسني بمالك والابوان يقولان قصرت في برنا
والصاحبة تقول اطعمتني الحرام وفعلت وصنعت والبنون يقولون ما
علمتنا وما ارشدتنا وقيل اول من يفر من اخيه هابيل ومن ابويه ابراهيم و

٣٣

مطلب سورة التكوير

من صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح عم قوله وتاخير الاحب فالاحب
للمبالغة يعني ان فائدة الترتيب المبالغة في بيان كون ذلك اليوم يوم الفرار فانه
قيل يوم يفر المرء من اخيه بل من ابويه فانهما اقرب من الاخ بل من صاحبته
واولاده فان تعلق القلب بهم اشد من تعلقه بالابوين لما ذكر الله تعالى احوال يوم
القيمة واحوالهم بين الغبرة الغبار والقترة سواد كالدخان ولا ترى اوحش
من اجتماع الغبرة في السواد في الوجه كما اذا اغبرت وجه الزنجي فكانه تعالى جمع في
وجوههم بين السواد والغبرة كما جمعوا بين الكفر والفجور وفي الحديث ان
البهائم اذا صارت ترابا يوم القيمة حول ذلك التراب في وجوه الكفار

سورة التكوير مكية وايها تسع وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم

قوله اذا الشمس كورت تكوير الشيء يستعمل في المعنيين الاول تلفيفه وطيه
بازالة انبساطه وانتشاره وضم بعض اجزائه ببعض على جهة الاستدارة
كتكوير العمامة وفي الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكور اي من التشتت
بعد الالفة والثاني القاؤه واسقاطه يقال كورته فتكور اي اسقطته
فسقط وفسر ما في الاية بكل واحد من المعنيين فعلى ان يكون بمعنى التلفيف يحتمل
ان يكون المراد تلفيف ضوئها بازالة انبساطه في الافاق بان يكون التقدير
اذا ضوء الشمس كور وتلفيفها على الوجهين كناية عن اذهاب نفسها و
ازالة عينها عن فلكها فان لف الشيء وطيه من لوازم رفعه لانه لا يرفع
مبسوطا منتشرا فاطلق تكوير نفسها واريد ملزومه الذي هو رفعها و
اذهابها وكذا لف ضوئها لرفع نفسها ما دامت باقية كان ضوءها
باقيا منبسطا في الافاق غير ملفوف فتفسيره بالتلفيف يؤول الى تفسيره
بالالقاء والاسقاط قال ابن عباس رض يكور الله تعالى الشمس والقمر والنجوم
يوم القيمة في البحر يبعث عليها ريحا دبورا فتضرمها نارا كذا في
البغوي وعن ابي هريرة رض انه قال قال رسول الله عم ان الشمس والقمر
ثوران مكوران في النار يوم القيمة ولما ذكر هذا الحديث عند الحسن
قال وما ذنبهما وقال الامام سؤال الحسن ساقط لان الشمس والقمر
فالقاهما في النار لا يكون سببا لمضرتهما ولعل ذلك يصير سببا لازدياد
الحر في جهنم فلا يكون هذا الخبر على خلاف العقل قوله وارتفاع الشمس بفعل

يفسر ما بعده ولاشارة الى ان النحاة اختلفوا في اعراب اسماء التي بعدها
افعال مشتغلة عنها بضمايرها انها هل هي مرفوعة بالابتداء كما هو
قول الكوفيين والاخفش فانهم قالوا هذه الاسماء الواقعة بعد اذا
مرفوعة بالابتداء وما بعدها من الافعال اخبارها او هي معمولة
للفعل المقدر بالمفسر بما بعده كما هو عند البصريين وفي المذهبين
الجملة في محل الجر باضافة اذا اليها واختار المص قول البصريين لان اذا
فيها معنى الشرط والشرط بالفعل اولى قوله انكدرت اي تساقطت وتناثرت
كما قال واذا الكواكب انتثرت والاصل في الانكدار الانصباب فاذا السماء
تمطر يومئذ نجومها فلا يبقى بالسماء نجم الا وقع على وجه الارض كذا
روي عن النبي عم قال عطا وذلك انها في قناديل معلقة بين السماء و
الارض بسلاسل من نور وتلك السلاسل بايدي ملايكة من نور فاذا مات
من في السموات ومن في الارض تساقطت تلك الكواكب من ايدي الملايكة
لانه مات من يمسكها الله اعلم قوله ابصر خربان فضاء فانكدر قبله اذا الكرام
ابتدروا الباع بدر تقضي البازي اذا البازي كسر دانى جناحيه من الطور (من الطيور)
فمر قوله ابصر بالباع يعني الكرم يقال فلان اهل الباع والمروة
يقول اذا الكرام ابتدروا اي تسارعوا فعل المكارم بدرهم اي اسرع اليهم
كانقضاض البازي على الخربان وخربان جمع خرب بالتحريك وهو الذكر
من جنس طير يقال له الحبارى اي ابصر البازي حبارى في صحراء فانقض
من كدرت الماء فانكدر خلاف الصفوة يقال كدر الماء يكدر كدرا فهو
كدر من باب علم وكدر يكدر كدورة بضم العين فيهما مثل الاول وكدره غيره
فانكدار النجوم عبارة عن زوال نوره وضوئه قوله واذا الجبال سيرت
اي قلعت عن وجه الارض هباء منبثا كذا في المعالم او سيرت في الجو
كالسحاب لقوله وهي تمر مر السحاب كذا في الكواشي وقيل تسييرها اي تحويلها
عن صفة الحجارة فيكون كثيبا مهيلا اي رملا سايلا ويكون كالعهن ويكون
هباء منبثا ويكون مثل السراب الذي ليس بشيء وعادت الارض قاعا
صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا والعشار جمع عشراء كالنفاس
في جمع نفساء والعشراء الناقة التي اتى على حملها عشرة اشهر ثم هو اسمها

الى

٣٧

الى ان تضع في تمام السنة وقيل هو اسمها بعدما وضعت ايضا ومن عادة
العرب ان يسموا الشيء باسمه المتقدم وان كان قد جاوز ذلك الحد وخص
اللفظ بالذكر لانها انفس الاموال عند العرب ولانها معظم اسباب معاشهم
وتعطيلها واهمالها عند مجيء مقدمات قيام الساعة عبارة عن ان
الناس يتركون الاموال والاملاك ويشتغلون بانفسهم كما قال يوم لا ينفع
مال ولا بنون وقال ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة قوله والسحاب
اي يحتمل ان يراد بالعشار السحاب تشبيها لها بها والتعطيل وان كان
مجازا في هذا المعنى الا ان حمله عليه يوجب كثرة مناسبة هذه القرينة
لما قبلها وشاع عند العرب تشبيه السحاب بالحامل كما قال الله تعالى فالحا (منه)
وقرا في سورة والذاريات (والذاريات) والتعطيل الاهمال ومنه قيل للمرأة معطال
اذا لم يكن عليها حلي والوحوش اسم لما لا يستانس من حيوان البر
وفي حشرها ثلاثة اوجه الاول انه يجمعها هول ذلك اليوم من كل ناحية
بحيث يختلط بعضها ببعض ويانس مع نفرة بعضها عن البعض وعن
الناس ايضا وتفرقها في الصحارى والقفار والثاني ان يبعثها للقصاص
اظهارا للعدل فانه قد ثبت انه تعالى يحشر الوحوش كلها فيقتص للجماء
من القرناء ثم يقول لها موتي فتموت عند ذلك تمنى الكافر كونه ترابا
للقصاص والثالث ان حشر الوحوش عبارة عن موتها وهذا الوجه
رواه عكرمة عن ابن عباس رض اجحف بهم الدهر اي استاصلهم واجحف
فلان اي كلفهم ما لا يطاق وسنة مجحفة اي مهلكة قحطة واجحف به
اي ذهب به مست صلة وسيل جحاف بالضم اذا جرف كل شيء وذهب به
والجحاف ايضا الموت يقال موت جحاف يذهب بكل شيء والسنة القحط و
الشديد في مثل هذا الاوقات قد يكون لكثرة الحر وقد يكون لكثرة المحل
وقد يكون لكثرة المطر وتكرره والتخفيف بحشر والتكثير والتعرض لحشر
الوحوش على الوجه الاول للدلالة على هول ذلك اليوم فان اجتماعهن في
موقف القيامة مع الناس مع شدة نفرتها عنهم في الدنيا وتفرقها في
الصحارى يدل على ان هول ذلك حملها على الاجتماع وعلى الثاني لتأييد
حشر المكلفين فان الحيوان اذا بعث للقصاص تحقيقا لمقتضى العدل

فكيف يجوز مع هذا ان الاصل المطفو من الانس والجن الله اعلم حقيقة
قوله اجحت اى ملئت فان البحر في اللغة يكون بمعنى الملى قال تعالى والبحر المسجور
اى المملوء ويعنى الاحماء كما يقال سجرت التنور اى احميته ثم قيل في وجه احماء
البحار انه يجعل جهنم في قعور البحار لانها الآن مطبقة لا تصل اثر حرارتها الى
ما فوقها من البحار ولكن انتفاع اهل الارض بها فاذا انتهت مدة
الدنيا يرفع طبقا طبقا جهنم فيصل تاثير الحرارة الى البحار فتسخن
فتصير جميعا نارا روى عن ابن عباس اذا كان يوم القيمة كور الله
الشمس والقمر والنجوم في البحر ثم بعث عليها ريحا دبورا فتنفخه فتصير
نارا وهو قوله تعالى واذا البحار سجرت اى احميت كذا في تفسير ابي الليث
نور الله مرقده وقيل في وجه امتلائها انه خلق الله بين البحار حاجزا
لا يصل بعضها الى ما قال مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان
اى لا يتجاوزان حدهما باغراق ما بينهما فاذا رفع الله تعالى ذلك الحاجز
فاض البعض في بعض واختلط العذب بالملح وبالعكس فصارت
البحور كلها بحرا واحدا فعمت الارض كلها ثم انه يحتمل ان يكون كيفية
ارتفاع الحاجز الحائل بينهما بان تكورت الجبال وتفرقت اجزاؤها وصارت
كالتراب الهباء الغير المتماسك فلا جرم تنصب اجزاؤها وتذوب فيها
فيجعل المواضع الفارغة من الارض مستويا مع البحار ويصير الاجزاء واحدا
مسجورا اى ممتلئا وهذا احوال الست يكون في مبدء قيام الساعة
على ما روى عن ابي ابن كعب انه قال ست آيات قبل القيمة الناس بينما في
اسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك اذ تناثرت النجوم ثم
فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت
ففزعت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب والطير
والوحوش وماج بعضهم في بعض ثم يقول الجن للانس نحن نأتيكم
بالخبر فانطلقوا الى البحر فاذا هي نار تأجج فبينما هم كذلك اذ تصدعت
الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السماء السابعة
العليا فبينما هم كذلك اذ جاءتهم الريح فاماتتهم والله اعلم كذا في المعالم
ثم شرع في الاحوال التي بعد قيام الساعة فقال واذا النفوس زوجت

اثاث

القيام م

مطلب الصور

بابوان بان ردت اليها او بالانجال والامثال بان يضم كل واحد من الرجال و
النساء الى من كان في طبقته في الخير والشر فيقرن الساعى في الطاعات الى
مثله قال ابن عباس ذلك حين يكون الناس ازواجا ثلثة اى اصنافا ثلثة
السابقون زوج واصحاب اليمين زوج واصحاب الشمال زوج والنكل بالفتح
المثل المدفونة حية يقال وأد يئد بنته يئدها وأدا وهى موؤدة اذا دفنها
في القبر وهى حية وكانت كندة يئدون البنات وكان صعصعة بن ناجية
الفرزدق ممن منع الوأد وافتخر الفرزدق في قوله ومنا الذي منع الوائدات
فاحيى الوئيد فلم يؤد واد يئد مقلوب اد يؤد او داى ثقل قال في الجمل
اى ثقل قال تعالى ولا يؤده حفظهما لان الوائد اثقل بالتراب تكبت ليؤدها
جواب عما يقال ما معنى سؤال الموؤدة عن ذنبها الذى قتلت به مع ان الظا
ان يسأل الوائد عن موجب قتله اياها فاجاب عنه بان هذه الطريقة
اقطع من ظهور جناية الوائد والزام الحجة عليه فاذا قيل للموؤدة ان القتل
لا يصح الا بذنب عظيم فما ذنبك وباى سبب قتلت فلا جرم كان جوابها
انى قتلت بغير ذنب فيفتضح الوائد مبهوتا وهذا كقوله تعالى لعيسى ء
انت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله فانه ما جاب
بقوله سبحانك ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق وما قلت لهم الا ما امرتنى
به ان اعبدوا الله ربى وربكم كان ذلك اشد في تبكيت النصارى وتوبيخهم
وقرئ سألت بفتح السين والهمزة على البناء للفاعل على ان الموؤدة
هى السائلة لله تعالى او سائل قاتلها باى ذنب قتلت وفي هذه القراءة
قوله قتلت على بناء المفعول من الماضى المسند الى ضمير المتكلم وحده كلها
مع الخطاب لان الموؤدة لما كانت سائلة كان المناسب ان يجئ بعد الاخبار عن
سؤالها كلامها حين سألت وذلك قولها باى ذنب قتلت بضم التاء
المتكلم وحده كما اثبت رالمص بقوله وقرئ قتلت على الحكاية اى لا على الا
عن الواحدة الغائبة قوله واما قرئ قتلت على الاخبار جواب عما يقال
ان قراءة الجمهور سئلت وقتلت بضمة الاولى وكسرة الثانية وسكون التاء
المؤنث الغائبة فيهما لكن المناسب ان يقرأ قتلت بكسر التاء الواحدة الحاضرة
لانه لما اخبر عنها بكونها مسؤلة كان المناسب ان يجئ بعد ذلك الاخبار بكلامهم

ذنبها

خبار



الذي خوطبت به وقيل باي ذنب قتلت على لفظ الواحدة الحاضرة في وجه
قراءة قتلت على صيغة المؤنث الغائبة وحاصل الجواب انه ليس المقصود حكاية
ما خوطبت به بل المقصود الاخبار عن الموءودة بالمضمون بمجموع قوله واذا الموءودة
سئلت باي ذنب قتلت والاخبار عن الشيء يستلزم ان يعبر عنه بصيغة
الغائب وانما يرد ما ذكر ان لو كان المقصود حكاية ما خوطبت به بعد الاخبار عنها
بمجرد انها كانت مسؤلة وليس كذلك وتنشر وقت الحساب اي تفتح
بعد ما كانت مطوية فيعطى الكتب منشورة بايمانهم وشمائلهم فيقف
الانسان على ما اذنب وطلع عليه جميع اعماله فيقول ما لهذا الكتاب لا يغادر
صغيرة ولا كبيرة الا احصاها للمبالغة في النشر بيان ان التشديد بتكثير محله
وهو الصحف وان كان التفريق يصح ان يكون التشديد محله وهو الصحف
واصحابها وان يكون للمبالغة فيه بحسب الكيفية من كونه على وجه الشدة
والقوة واما كونها للمبالغة في كثرة نفس الفعل وتكرره فبعيد لان نشر
جميع الصحف وتفريقها بين جميع المكلفين فعل واحد والكثرة انما هي في
متعلقه وهو الصحف واصحابها فلا وجه لكون التشديد للدلالة على كثرة
نفس الفعل فقول المص للمبالغة في النشر مبني على ان يراد بالنشر التفريق
بين الاصحاب وان يكون التشديد للمبالغة فيه بحسب الكيفية وقوله او لكثرة
الصحف مشترك بين المعنيين قوله قلعت وازيلت اي بحيث ظهر ما
وراءها كما يقلع السقف فينكشف ما كان مستورا به ومعنى الكشط
رفعك شيئا عن شيء قد غطاه قال الامام اي كشفت وازيلت عما فوقها
والجنة وعرش الله كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشيء
او قرئت ايضا بالتشديد يقال سعرت النار والحرب بمعنى اججت والهبت
والمسعر والمسعار الخشب الذي تسعر به النار فظهر ان استعار النار
ازدياد التهابها لا احداثها ابتداء فيسعرها غضب الله تعالى وخطايا
بني ادم قال الامام واحتج بهذه الاية من قال ان النار غير مخلوقة الآن لانها
تدل على ان تسعيرها معلق بيوم القيمة انتهى ولعله عنى بقيد الازدياد
والاستمرار في مفهوم السعر هذا الاحتجاج وعلمت نفس جواب اذا
فانه تعالى ذكر في اول السورة الى هنا اثني عشر شيئا وقال اذا وقعت هذه

الاشيا

٣٦

الاشيا فهنالك علمت نفس ما احضرت فعلم النفس به جزاء مرتب على الشرط
الذي هو وقوع مجموع هذه الاشيا ولما ورد ان يقال وقوع الاشيا الستة الاولى
من هذه الاشيا في فناء الدنيا حين ما اشرفت الساعة على القيام النفوس
ما احضرت من الاعمال النافعة والضارة لا يحصل في زمان وقوع هذه الخصال الستة
فكيف يصح ان يكون اذا المضافة الى هذه الخصال الست المتقدمة معمولا لعلمت
منصوبة به اشار المص الى جوابه بقوله وانما فتح اذ يعني ان المراد بها المعمول لعلمت
هو الزمان المتسع المحيط لتلك الخصال الاثني عشر ويجازى النفوس على اعمالها
وابتداء ذلك الزمان المتسع من النفخة الاولى وفي زمان التكوير وما بعده الى
ان يتم موقف الحساب والعلم الاجمالي يحصل في اول زمان الحشر لان المطيع يرى اثار
السعادة والعاصي يرى اثار الشقاوة في اول الامر فيعرف بذلك كل واحد منهما
ما قدمه من الاعمال الاجمالي واما العلم التفصيلي فانما يحصل عند قراءة الكتب
في موقف المحاسبة الا ان المص اشار بقوله ويجازى النفوس على اعمالها الى
ان العلم بالاعمال كناية عن المجازاة عليها من حيث ان العلم لازم للمجازاة قال
ان رحمه في معنى العموم جواب عما يقال من ان النكرة في سياق الاثبات للافراد والنوعية
لا للاستغراق والعموم والموضع موضع الاستغراق لان العلم بما احضرت حاصل
لكل نفس لقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء
تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا في معنى قوله تعالى علمت نفس بالتنكير مع قصد
الاثبات ومحصول الجواب ان ما ذكر من كونه كثرة لا كلي مطرد لان النكرة في سياق الاثبات
قد يقصد بها العموم ايضا كما في قولهم تمرة خير من جرادة ونفس في الاية
من هذا القبيل قوله فلا اقسم كلمة لا يجوز ان يكون صلة لتاكيد المعنى فاقسم و
ان يكون ردا لكلام سابق اي ليس الامر كما تزعمون ايها الكفرة من ان القران
سحر وشعر او اساطير الاولين ثم ابتداء جزء ذكره نفى اقسم بالخنس
الجوار الكنس والليل عطف على الخنس وكذا والصبح عطف ايضا والعامل
في اذا معنى القسم واذا وما بعدها في موضع الحال اي اقسم بالليل مدبرا و
مقبلا وبالصبح مضيئا جواب القسم قوله انه لقول رسول والضمير في انه للقران مقبلا
وان لم يجر له ذكر للعلم به وقد وصف هذا الرسول باوصاف ست الى قوله امين
وثم ظرف مكان وهو معمول مطاع اي مطاع هنالك والخنس جمع خانس

وهو المتأخر بالخفاء والخنوس الانقباض والاستخفاء يقال خنس الرجل
من بين القوم خنوسا اذا تأخر واختفى والخناس الشيطان لانه يخنس اذا
ذكر الله تعالى واذا غفل العبد عن ذكره تعالى يعود ويوسوس اليه واصل الخنوس
الرجوع الى الخوف والكنس جمع كانس وهو المواخر في الكناس المستتر به
والكناس بيت الوحشي وموضعه الذي يأوي اليه ويستتر فيه يقال كنس
الظبي يكنس من باب ضرب وتكنس ايضا اذا دخل فيه واصل الكنوس الاستتار
والجواري جمع جارية والمراد بالحال التي تختفي فيها عن القرية فان
ههنا لا يكنس فان المراد بكنوس الكواكب استتارها واختفاؤها تحت
ضوء الشمس كالظبي المستتر بالكناس ولا كنوس لها بهذا المعنى واما ما
عداها وهو الكواكب الخمس من السيارة زحل والمشتري والمريخ والزهرة
وعطارد فانها حين تكنس وهو ظاهر وتخنس ايضا من حيث انها ترجع
وتستقيم فانها بينما ترى في آخر البرج اذ كرت راجعة الى اوله هو الخنوس
كما ان الكنوس هو اختفاؤها تحت ضوء الشمس ذكره اهل النظر ا ع
عسعس من الاضداد يقال عسعس الليل اذا اقبل وعسعس الليل اذا
ادبر وعسعس اذا دبر ذكر شريف الدين الطيبي ان العسعسة رقة الظلام
وذلك في طرفي الليل والنهار والصبح وفي الاساس لفلان بن حجر عسعس الليل
وسعسع اذا ادبر ولم يبق الا اليسير واختلف المفسرون في ان المراد منه
في الاية اي المفسرين فمنهم من قال ان المراد ههنا اقبل الليل لانه على هذا
التقدير يكون القسم واقعا باقبال الليل وهو قوله تعالى اذا عسعس و
بادبارها ايضا وهو قوله والصبح اذا تنفس فان تنفسه يكون بادبار الليل
وذهابه وكذا قال الامام والاولى ان يقال ان القسم ح يكون باقبال الليل في
باقبال النهار ولا بادبار الليل واقبال النهار معا اذ فسر عسعس بادبر فهم
اكثر المفسرين الى ان المراد منه ادبر الليل وفي الوسيط الاظهر ان عسعس
بمعنى ادبر لقوله والصبح اذا تنفس يعني ان طلوع الصبح كان متصلا بادبار
الليل فلذا المختار ان عسعس بادبر ليكون التعاقب في الذكر على حسب
التعاقب في الوجود اي اذا اضاء بمجيئه عند اقبال روح ونسيم الفجر ما
هالون الاغبرة وهو الشيء الملون بلون يشبه الغبار واضاءة جمع الارضا

٣٥

وتعديا

٣٧

وتعديا وكلاهما يصح ههنا وجعل تنفس الصبح عبارة عن طلوعه وانبساط
ضوئه بحيث زال معه عسعس الليل وهي الغبرة الحاصلة في آخره والنفس في
الاصل ريح مخصوص يروح القلب ويفرج عنه لما يهب عليه شبه ما يقبل
باقبال الصبح من الروح والنسيم بذلك الريح المخصوص المسمى بالنفس
فاطلق اسم التنفس عليه استعارة فجعل الصبح متنفسا بذلك ثم
كني بتنفسه بذلك عن اقبال الصبح فطلوعه واضاءته عبر به لان التنفس
بالمعنى المذكور لازم له فهو كناية متفرعة على الاستعارة وفي بعض النسخ
اي اذا اضاء عبر به عن اقبال روح ونسيم ولا يخفى له كما لا يخفى ان تنفس الصبح
ليس عبارة عن اقبال الروح بل هو عبارة عن طلوعه واذهابه ظلمة الليل
الا ان يقال ان قوله عبر به عن اقبال روح ونسيم بيان لكون تنفس الصبح
مستعارا لاقبال الروح والنسيم الواقع عند طلوع الصبح وقوله اي اذا اضاء
بيان لكون التنفس بذلك المعنى المجازي كناية عن طلوع الصبح قوله تحمد
السخنا في حاصل المعنى بغير وصف مرسل ههنا بصفات ست اولها
انه رسول ولا شك انه رسول عن الله تعالى الى الانبياء وثانيها انه كريم على ربه ومن
كرمه انه يعطي افضل العطايا وهو المعرفة والهداية وثالثها قوله ذي قوة اي ذي
قدرة على ما يكلف به لا عجز له ولا ضعف روي انه عم قال لجبرائيل ذكر الله تعالى
قوتك فاخبرني بشيء من اثارها قال رفعت قريات قوم لوط الاربع بقوادم
جناحي حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب واصوات الدجاج ثم قلبتها و
روي ان الشيطان في ثلة الابيض صاحب الانبياء قصد ان يتعرض بالنبي عم فدفعه فدفعه
جبرائيل دفعة رفيقة دفعه بها من مكة الى اقصى الهند ومنهم من حمله على
القوة في اداء طاعة الله تعالى وترك الاخلال بها وللخالق الى اخذ ما التكليف
وهي القوة في معرفة الله تعالى في مطالعة جلاله ورابعها عند ذي العرش
مكين اي ذو منزلة ومكانة عند الله ومعنى مكانته عند الله انه تعالى جعل له
اي تعالى في قوله فان الله تعالى هو مولاه وجبريل وهذه العندية ليست عندية
الجهة وهو ظاهر بل كناية عن الاكرام والتشريف والتعظيم وخامسها قوله تعالى
مطاع يطيعه ملائكة السموات لعلمهم بمنزلته عند الله وسادسها قوله تعالى
امين اي هو على وحي الله تعالى ورسالته قد عصمه الله تعالى من الخيانة و

الاول وقوله ثم بفتح الثاء اشارة الى الظرف المذكور اعني عند ذي العرش ثم انه
اتصل بما قبله يكون المعنى انه عند الله تعالى مطاع في ملائكة المقربين يصدرون
عن امره ويرجعون الى رأيه وان اتصل بما بعده يكون المعنى انه مؤتمن عند الله
على وحيه ورسالاته الى الانبياء وان قرئ ثم بضم الثاء يكون للتراخي الرتبي على
طريق الترقي من صفاته الفاضلة الى ما هو افضل واعظم وهو الامانة
قوله وما صاحبكم بمجنون عطف على جواب القسم وكذا قوله ولقد رآه بالافق المبين
اقسم الله تعالى على ان القرآن كلام الله نزل به رسول له امين وعلى ان محمدا عم
ليس بمجنون وعلى انه قد رأى جبرئيل بالافق المبين قوله واستدل اي استدل
بهذه الآية على فضل جبرئيل عم على نبينا عم بالموازنة بين الذكرين حيث وصف
جبرئيل بست خصال كل واحدة منها تدل على كمال الشرف ونباهة الشأن
واقتصر في ذكر رسول الله عم على نفي الجنون عنه وبين الذكرين تفاوت عظيم
وهذا الاستدلال ضعيف لانه انما يدل على مدعى المستدل ان لو كان المقصود من
سوق الآية تعداد فضلهما ليتضح ان من هو جامع للصفات الكمالية فهو
افضل وليس المقصود منه ذلك بل الغرض المسوق له الكلام ان يثبت ان
القرآن لا سيما هذه السورة مما يدل على مقدمات القيامة واهوالها و
حقيقة البعث والجزاء وحي الحق نزل به الملك المقرب عند ذي العرش الامين
على وحيه نفيا لقول الكفرة انما يعلمه بشر وان يثبت ان نبيكم الذي
ارسله بالهدى ودين الحق وليس كما يقوله الكفرة انه مجنون ليطمئن
انفس السامعين الى استماع القرآن واتباع الرسول عم ويرغبون
فيهما اشد الرغبة وهذا المعنى يستدعي ان يوصف الملك المتوسط بين
الله تعالى ورسوله بما وصف به من صفات الشرف والفضل وذلك لا يستلزم
كونه افضل من رسول البشر فان افراد احد الشخصين بالذكر و
اجراء صفاته عليه لا يدل على انتفاء تلك الصفات عن الآخر الا
ان توصيف جبرئيل بهذه الصفات وبما هو ازيد منها وافضل انما هو
لبيان شرف سيد المرسلين بالنسبة اليه من حيث ان جبرئيل عم
مع هذه الصفات هو الذي يزوره ويبلغ الرسالات اليه فاي مرتبة اعلى
من رتبته بعد ما ثبت ان سفير بينه وبين ذي العرش مثل

هذا

مثل هذا الملك المقرب بمطلع الشمس الاعلى افق السماء نواحيها والآفاق النواحي
اجمع المفسرون على ان المراد من الافق ههنا حيث تطلع الشمس استدلالا
بوصفه بالمبين فان نفس الافق لا مدخل له في تبيين الاشياء وظهورها وانما
يكون له مدخل في ذلك من حيث كونه مطلعا للكوكب المبين للاشياء بضيائه
والكوكب هو الشمس واسناد الابانة الى المطلع مجاز باعتبار سببيته له في
الجملة فان المبين في الحقيقة ضياء الطالع منه ثم خص من بين المطالع ما هو
اعلى المطالع وارفعها وهو المطلع الذي اذا طلعت الشمس منه يكون في غاية
الارتفاع والنهار في غاية الطول والامتداد وذلك عند ما يكون الشمس عند
رأس السرطان فينتهي طول اليوم الى برج الاسد وتوجه النهار الى الانتقاص
وانما فعل ذلك حملا للمبين على الكمال فانه كلما كان الكوكب الطالع ارفع واعلى
وكان النهار اطول كان ابين للاشياء واظهر لها قوله روي ان رسول الله عم سأل
جبرئيل عم ان يتراءى له في صورته التي خلقه الله تعالى عليها فقال ما قدرت على ذلك
وما زال به حتى اذن له فاتيه عليها فرآه رسول الله قد ملأ الافق بكلكله
رجلاه في الارض ورأسه في السماء جناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب
فغشي عليه فتحول جبرئيل عم في صورة بني آدم الى ان حلاه ثم قيل لرسول
الله لما رجع ما رأيتك منذ بعثت احسن منك اليوم فقال عم جبرئيل
في صورته فلقي هذا من حسنه من الظن وهي التهمة اي ليس من الظن
الذي يتعدى الى مفعولين اي موقف في جميع الخبر لا يتوهم فيه انه ينطق شيء
منه عن الهوى قرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي بظنين بالظاء يعني متهم هو
فان الظنين الرجل المتهم يقال اتهمت فلانا بكذا واتهمته به اي توهمت
فيهم ذلك وقرأ نافع وحمزة وعاصم وعامر بضنين بالضاد اي ببخيل
يقال ضننت بالشيء بكسر النون اضن به ضنا وضنانة ضنين اي بخيل فهو من
باب علم يقول يأتيه علم الغيب فلا يبخل به عليكم بل يعلمكم ويخبركم به ولا
يكتم كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلوانا واختار ابو عبيدة
القراءة الاولى لوجهين احدهما ان الكفار لم يبخلوه وانما اتهموه فنفي التهمة
اولى من نفي البخل والآخر قوله على الغيب ولو كان المراد البخل لقال بالغيب
لانه يقال فلان ضنين بكذا ولا يقال ضنين على كذا وحاصل الثاني انه

الظنين س

البخيل س

والثنايا من الاسنان جمع ثنية وهي اربعة اسنان في مقدم الفم اثنتان
منها عليا واثنتان منها سفلى ووراء الثنايا اثنتان اربع يقال رباعية
اثنتان من فوق واثنتان من تحت ووراءها اسنان يقال لها رباعيات اثنتان
من فوق واثنتان من تحت ووراءها الاضراس قوله يقول بعض المسترقة
للسمع فيشير الشيطان بالمسترقة بقرينة توصيفه بالرجيم وكان اهل مكة
يقولون ان هذا القرآن يجيء به شيطان فيلقيه على لسان نبي الله تع
ذلك بهذه الاية وقيل المراد بالشيطان الابيض الذي كان يأتي النبي عم
في صورة جبرائيل يريد ان يفتنه فان قيل القول بصحة النبوة موقوف على نفي
الاحتمال فكيف يمكن نفي هذا الاحتمال فكيف يمكن نفي هذا الاحتمال بالدليل
السمعي قلنا ولا بد صحة النبوة وكون القرآن وحيا الهيا اكثر من ان يحصى
فلا جرم امكن نفي هذا الاحتمال بالدليل السمعي استضلالهم فيما يكونون
شبهت حالهم بحال من يترك الجادة وهي معظم الطريق ويتعسف الى غير
المسلك فانه يقال له اين تذهب استضلالا وانكارا على تعسفه فقيل لمن
ترك الدين الحق وعدل عنه الى باطل ذلك القول والمعنى اي طريق تسلكون
ابين من هذه الطريقة التي ظهرت حقيته ووضحت استقامته و
اين ظرف مكان مبهم منصوب بتذهبون قال ابو البقاء التقدير الى اين
فحذف حرف الجر كقولك ذهبت الشام وقال الفراء العرب يقول الى اين
تذهب واين تذهب وذهبت الشام وانطلقت السوق والى الشام
والى السوق ويجوز ان لا يصار الى الحذف بل الى الطريق التضمين فكأنه قيل
تؤمنون وان في قوله ان هو نافية بمعنى ما والذكر بمعنى التذكير والعظة و
خص من العالمين من يشاء حيث انه الى التذكير والموعظة وهو من يعلم من
الانس والجن والمخصص هو المعتزلي في قوله تع خالق كل شيء اي شيء عكيت
لضرورة انه ليس بخالق نفسه مع انه يطلق عليه اسم الشيء سبحانه شيئا لا
كالاشياء قرئنا من جهات الست خالق راد المص الى ما ذكر بقوله تذكير لمن يعلم
وقوله لمن شاء بدل من العالمين باعادة الجار بدل البعض من الكل وان
يستقيم مفعول شاء فكانه قال ما هو الا بيان وهداية للخلق اجمعين ما
هو الا هداية لمن شاء الاستقامة منكم بتحري الحق وملازمته وابداله

من

من العالمين مع انه ذكرت من جميع المكلفين لانهم هم المنتفعون به دون غيرهم
فكانه مختص بهم ولم يتعظ به غيرهم ثم بين ان مشيئة الاستقامة موقوفة على
ان يشاء الله ان يعطيه تلك المشيئة لان تلك المشيئة صفة محدثة فلا بد في
حدوثها من مشيئة اخرى فظهر ان من مجموع هذه الاية ان فعل الاستقامة
موقوف على ارادة الاستقامة وهذه الارادة موقوفة الحصول على ان يريد الله
ان يعطيه تلك الارادة والموقوف على الموقوف على الشيء موقوف على ذلك الشيء
فافعال العباد ثبوتا ونفيا موقوفة على مشيئة الله تع وهذا قول اصحابنا
وقول المعتزلة ان هذا مخصوصة بمشيئة القهر والالجاء ضعيف لانا بينا ان
المشيئة الاختيارية شيء حادث فلا بد له من محدث فيتوقف حدوثها على ان
يشاء محدثها ايجادها وحينئذ يعود الالزام كذا قال الامام والكبير قوله يا
من يشاؤها اشارة الى ان الخطاب وما شئتم ليس للمخاطبين في
قوله فاين تذهبون بل البعض منهم لمن شاء منكم بدل على ان منهم من
يشاء الاستقامة ومن لا يشاءها الخطاب في قوله لمن وهو ما عبر عنهم بقوله
لمن يشاؤها منهم وجعل المص الا ان يشاء الله من اقامة المصدر موقع
الزمان كما في نحو اتيتك خفوق النجم قال وهب بن منبه قرأت في كتب كثيرة
مما انزل الله تع على الانبياء انه من جعل الى نفسه شيئا من المشيئة فقد
كفر وفي التنزيل ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل
شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله وقال الله تع وما كان لنفس ان
تؤمن الا باذن الله والاي في هذا كثيرة وكذا الاخبار تمت السورة قوله
ذكر الله تع في اول هذه السورة اربعة اشياء من اشراط الساعة اثنان منها
يتعلق بالعلويات واثنان اخران يتعلق بالسفليات وقال اذا وقعت هذه الاشياء
علمت كل نفس ما قدمت من خير وشر ووقوعها عبارة عن خراب العالم
وفناء الدنيا والسماء في هذا العالم كالسقف والارض كالبناء ومن اراد
تخريب دار فانه يبدأ اولا بتخريب السقف وذلك هو قوله اذا السماء انفطرت
ثم يلزم من تخريب السماء انتثار الكواكب ثم انه تع بعد تخريب السماء و
الكواكب يخرب كل ما على وجه الارض بان تنفجر بعض البحار في بعض برفع
الحاجز الذي جعله الله تع برزخا فيصير الكل بحرا واحدا وانما يرتفع ذلك

مطلب سورة الانفطار

الحاجز بتزلزل الارض وتصدعها ثم انه تخرب آخر الامر نفس الارض التي هي
البناء بان يقلبها ظهرا لبطن وبطنا لظهر يقال بعثرت المتاع وبحثرته اذا
جعلت اسفله اعلاه فقوله بعثرت القبور اي قلبها بان جعلت اسفلها
اعلاه وذلك انما يكون باخراج موتاها وقوله بعثرت ما في القبور اذا اخرجت
ما فيه وكشفته وقيل ان بعثر مركب من بعث وراء ماخوذ من الاثارة
كبسمل فانه مركب من بسم ولام من لفظة الله ويعضده قول ابي عبيدة
في قوله تعالى اذا بعثرت ما في القبور اثيرت واخرج كذا في نقله الجوهري عنه والفلاسفة
ينكروا امكان الخرق والالتيام على الافلاك ودليلنا على امكان ذلك ان الا
جسام متماثلة في كونها اجساما والمتماثلات يجب تحركها فيصح على العلويات
ما يصح على السفليات مشتركة في انها اجسام فلا تخالف فيما هو من لوازم
الجسمية قوله علم او صدقة حرفا واحدا من التقديم والتاخير ولا على معنا
هما الحقيقيين يجوز ان يكون المراد بهما معناهما المجازيين بان يكون تقديم الفرائض
عبارة عن تكميلها والاتيان بها على حسب ما كلف بها بان يراعي جميع شروطها
وادابها من اخلاص وحضور القلب والخشوع وتاخيرها تضييعها
وان اتيت بها ما كان مدحا للافراد الكاملة تقوم في الارض الى درجة الاعتبار
والقبول والافراد الناقصة يتاخر فيه وعلى تقدير ان يراد بهما معناهما
الحقيقيين ذكر فيما قدمت واخرت وجهين الاول ان يكون المراد بما قدمت
ما عمله بنفسه من الاعمال الصالحة والسيئة مقدما على موته وبما اخرت
عمله بعد موته بالسنة بان سنه لمن بعده حسنة كانت او سيئة فان
الاعمال الصالحة بعد شرة من بعده يصدق عليها انها اعمال الميت اخرها
عن موته لكونه سببا لها واسناد الفعل الى السبب شائع يكثر مثله في الاخبار
والثاني ان يراد بما قدمت الاموال التي تصدق بها قبل موته لتكون ذخيرة له
في الاخرة وبما اخرت الاموال التي اخرها لورثته وقد مر ان تنكير
نفس في الاية لا ينافي ارادة العموم بها وعموم ما الموصولة ظاهر والغرض
بجميع ذلك الكناية عن المجازاة عليه والمقصود من الكلام الزجر عن المعصية و
الترغيب في الطاعة فان قيل في اي موقف من مواقف القيمة يحصل هذا
العلم قلنا اما العلم الاجمالي فيحصل في اول زمان الحشر لان المطيع يرى

اثار

آثار السعادة والعاصي يرى آثار الشقاوة في اول الامر واما العلم التفصيلي فانما
يحصل عند قراءة الكتب والمحاسبة قوله اي شيء خدعك وجراك على عصيانه
اشارة الى ان ما في قوله ما غرك استفهام مبتدا في موضع الابتداء وغرك بمعنى
خدعك وا الخطاب في قوله يا ايها الانسان للجميع العصاة ونزول الاية في
وليد بن المغيرة او في غيره من الكفرة على ما روي لا ينافي ارادة العموم لما
تقرر ان خصوص السبب لا يقدح في بقاء اللفظ العام على عمومه وان العبرة
لعموم اللفظ لا لخصوص السبب واشار المص الى ارادة العموم بقوله وجراك
على عصيانه وقيل المراد بالانسان الكافر المنكر للبعث لقوله بعد ذلك كلا بل
تكذبون بالدين يقال جرأه غيره بفلان اذا اجراه عليه واذنه المحذور وزجره
مع انه غير مانع وهو كقوله ولا يغرنكم بالله الغرور فالمعنى ما الذي خدعك
وسولك بعصية ربك وامنك من عقابه والاستفهام بمعنى الاستجهال و
التوبيخ ولما دل على ان يقال الاعتقاد بكرم الرب وجوده يقتضي ان يغتر
الانسان به لان الكرم والجود هو افادة ما ينبغي لا لعوض فاذا لم يكن
الكريم مستفيدا فيما فعله استوى عنده طاعة المطيع وعصيان المذنب
في الحال فلم يجب فنظر فاذا هو بباب فقال لم لم تجبني فقال لثقتي بحلمك وامني
من عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه ولولا كرم الكريم لوجب الاغترار
به لما استحسن جواب الغلام واذا ثبت ان الكريم يقتضي الاغترار به فهو
يقتضي الخوف والحذر من مخالفته وعصيانه من حيث ان اعمال الظالم
ينافي كونه كريما بالنسبة الى المظلوم وكذا التسوية بين المطيع والعاصي وبين
الموالي والمعادي ومساواة الموالي والمطيع نبئت ان محض الكرم لا يقتضي الاغترار
به فكيف اذا انضم اليه صفة القهر ثم اشار الى فائدتين اخريين لذلك
الكريم بقوله وللاشعار وبقوله وللدلالة فانهما معطوفان على المبالغة في
قوله للمبالغة فالمعنى على هاتين الفائدتين لم تقرب ما يغرك الشيطان
من كثرة كرمه مع انه يستدعي الجد في الطاعة قضاء لحق شكره وفيه
اشارة الى ان سبب اغترار ابن ادم تسويل الشيطان بقوله افعل ما
شئت فربك كريم كما روي عن قتادة وقال الحسن غره حمقه وجهله
وقال مقاتل غره عفو الله عنه حيث لم يعاقب في اول امره وقيل للفضيل

ابن عباس رض انه قال من يوم القيمة وقال له ما غرك بربك الكريم ماذا تقول
قال غرني ستورك المرخاة اي انك رايت فترت وقدرته فامهلت فلما
رايت كثرة ما يحتمله اغتررت بها قال بعض اهل الاشارة انما قال بربك
الكريم دون سائر اسمائه وصفاته لانه لقنه ان يجيب ان يقول غرني كرم
الكريم وقيل لابي بكر الوراق لو قيل لك يوم القيمة ما غرك بربك الكريم ما تقول
قال اقول غرني كرم الكريم قال ولو قال ما غرك بربك الجبار والقهار لكان فهم
اخطار قيل قال بربك الكريم فانه تلقنا الجواب وفي هذا المعنى يقول مرتي اما
يستحي ربي من سوء افعالك فقلت يا مولاي نفسي فقهم جرى في كثرة
افضالك يطا وصف الله سبحانه ونعت نفسه بالربوبية والكرم ثم بقوله الذي
خلقك فسويك فعدلك ليكون كالدليل على ربوبيته وكرمه وجلالة ربوبيته ظ
لان من نظر هذه الامور الثلثة في المخلوقة فلا جرم يكون ربا ملكا لا كذا لا انه
على الكريم لانه لا شك ان الخلق كرم وجود لان الوجود خير من العدم وكذا
تسوية الاعضاء وتعديل البنية قوله معدة لمنافعها حال من المنوي في سواه
والحال مع ما عمله كالبيان لجعل الاعضاء سليمة على مجريها فهما فسويك
اي جعلك بشرا سويا اي تام خلقه سالما عن النقص في خلقه بان خلق
مشتملا على جميع ما يستعين به في مقاصده من الالات والاوضاع وجعلت
يترتب على كل عضو منها منفعته التي خلق ذلك العضو لاجلها ونظيره قوله تع
اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سويك رجلا وقوله فتمثل لها
بشرا سويا والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الاعضاء الظاهرة
اراد باعتدال البنية اعتدال كيفيتها المتضادة بكون كل واحدة منها
منكسرة نائلة عن طرفيها لحصول الفعل والانفعال بينهما وتناسب
الاعضاء كون احدى اليدين او الرجلين او الاذنين مثلا اطول من الاخرى
او يكون احد العينين اوسع من الاخرى قال علماء التشريح انه تعالى ركب
جانبي هذه الجثة على التساوي حتى انه لا تفاوت بين نصفيها لا في العظام
ولا في اشكالها ولا في الاوردة والشرايين والاعصاب النافذة فيها والخارجة
منها وكل ما في احدالها نيتين فهو مساو لما في جانب الاخر فانه عدله او معدلة
بما تستعد هي من القوى عطف على قوله معتدلة والمنوي في تستعد ضمير

البنية

البنية بتقدير المضاف وهو الاعضاء والضمير المنصوب راجع اليها وان العائد
اليه باعتبار كونه عبارة عن القوى والمعنى والتعديل جعل كل عضو من اعضاء
البنية معدا لما يليق له من القوة كاليد للبطش والرجل للمشي واللسان
للتكلم والعين للابصار الى غير ذلك فالتعديل على هذا بين الاعضاء
ومنافعها التي هي القوة المودعة فيها وذكر في قراءة عدلك بالتخفيف وجهين
الاول بمعنى المشدد اي عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت والثاني انه بمعنى
العدول اي صرفك عن الخلقة المكروهة التي لسائر الحيوانات الى احسن
تقويم والفاء في قوله فسويك وفي فعدلك لافادة ان ما بعدها لازم مرتب
على ما قبلها في الوجود لانها عاطفة للتفصيل على المجمل وموضع ذكر التفصيل
للخلق والتعديل تفصيل للتسوية ركبك في اي صورة ما شاءها اختار ان يكون
قوله في اي صورة متعلق بركبك وان شاءها في موضع الجر على انه صفة لصورة
فلذلك قدر الضمير بعد شاء لربط جملة الصفة بالموصوف ولم يعطف جملة
ركبك على ما قبلها لانها بيان لقوله فعدلك اي فعدلك ركبك اي صورة يقتضيها
مشيته وحكمته من الصور المختلفة ما يشبه الاب والام او اقرب الاب
او اقرب الام او لا يشبه واحدا منهم ومن الطويل والقصير والصورة ذكر
والانثى ويحتمل ان يكون في اي صورة متعلق بمحذوف وهو حال من مفعول
ركبك حاصلا في اي صورة شاءها وقيل انه متعلق بعدلك وفيه ان ايا اسم
الاستفهام فله صدر الكلام فكيف يعمل فيها ما تقدم عليها وان الزمخشري
استشكل هذا فقال يكون في اي بمعنى التعجب على معنى فعدلك في صورة
عجيبة ثم ابتداء حيز ذكره فقال ما شاء ركبك ما شاء من التراكيب على
ان ما في ما شاء اما موصولة او موصوفة وهي عبارة عن التركيب فيكون
مفعولا مطلقا اي ركبك تركيبا حسنا شاءه من التراكيب وتوصيفا بالحسن
لتوافق معنى التعجب المستفاد من قوله اي صورة وهذا لا يحسن ان يكون
بجواز التقدم اليه مع انه اسم الاستفهام وان دخله معنى التعجب الا يرى ان
كيف واين وان دخلهما معنى التعجب لا يتقدم عاملهما عليهما وقيل ما شرطية و
شاء فعل الشرط وركبك جزاء الشرط فيكونان في موضع الجزم والمعنى ما
شاء من الصور ركبك عليها والجملة الشرطية في موضع الجر على انه صفة لصورة

ايضاً والعامل فيه محذوف وهو عليه قوله والظرف صلة عدلك يعني قوله في اي صورة
على تقدير ان يكون ما شرطية متعلق بعدلك ولا يجوز ان يكون متعلقاً بركبك لان
ما في حيز الشرط لا يتقدم عليه الا يرى انك اذا قلت اذا ضرب ان تضرب
زيداً اضرب عمراً ولا يجوز تقديم عمراً على ان تضرب وقوله لانه لا يجوز ان يكون
ما صلة عدلك لانه استفهام والاستفهام لا يعمل فيه ما قبله فوجب ان يكون
متعلقاً بمحذوف يدل عليه ركبك ومن جعله متعلقاً بعدلك يجعل في اي معنى
التعجب على معنى فعدلك في صورة عجيبة ويجعل قوله ما شاء ركبك كلاماً مبتدأ
على معنى ما يشاء من الصور يركبك عليها قال الامام لما اخبر الله تعالى في الاية
الاولى عن وقوع الحشر اشار بقوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم
الاية الى ما يدل عقلاً على امكانه وعلى وقوعه وذلك لان القادر الذي خلق
هذه البنية الانسانية ثم سواها وعدلها اما ان يقال انه خلقها لا لحكمة
او لحكمة فان خلقها لا لحكمة كان ذلك عبثاً وهو غير جائز على الحكيم وان خلقها
لحكمة فهي عائدة الى العبد وتلك الحكمة اما ان تظهر في الدنيا او في دار سوى الدنيا
والاول باطل لان الدنيا دار بلاء وامتحان لا دار الانتفاع والجزاء ولما بطل كل
ذلك ثبت انه لا بد بعد هذه الدار من دار اخرى فثبت ان الاعتراف بوجود
الاله الكريم الذي يقدر على التخليق والتسوية والتعديل يوجب على العاقل
ان يقطع بانه سبحانه يبعث الاموات ويحشرهم وهذا الاستدلال هو الذي ذكره
بعينه في سورة والتين حيث قال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم الى ان
قال فما يكذبك بعد بالدين اهـ اي اعرض عن حديث الحساب الاحتجاج
فان كلمة بل لنفي ما تقدم وتحقيق غيره وهو معنى الاضراب والنفي المتقدم هنا
الحق الارتداع عن الاغترار بكرم الله عليهم فنفي بكلمة بل اي ارتدعوا عنه وبين
ما هو السبب في اصرارهم عليه كانه قيل انهم لا يرتدعون عن
الاغترار بالكرم اي مع يكون ذلك الاغترار وسيلة اليه وهو الاصرار على
الكفر والمعاصي بل يصرون عليه مع ان يكون المراد بالاغترار بالكرم لازمه
وكيف لا يصرون عليه وعندهم ما هو السبب الاصلي لذلك الاصرار وهو
تكذيب يوم الحساب والجزاء على ان يراد بالدين الجزاء والمكافاة يقال دانه
ديناً اي جازاه ويقال كما تدين تدان اي كما تجازي ومنه الديان في صفة الله تعالى

وان اريد بالدين الاسلام كما في قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام يكون المعنى انكم
تكذبون بالجزاء على الدين الذي هو الاسلام ليظهر وجه الاضراب قوله تعالى
وان عليكم لحافظين يجوز ان يكون الجملة حالاً من فاعل يكذبون والحال هذه
ويجوز ان يكون مستانفاً اخبرهم بذلك ليزجروا عن تكذيب ما كذبوه
والمعنى انكم تكذبون بالجزاء ان الكاتبين يكتبون عليكم لتجازوا بها فظهر
ان المقصود تحقيق ما كذبوه ورد ما توقعوه لتعظيم الجزاء اي لبيان انه عند
الله تعالى من عظائم الامور فانه لولا ذلك لما وكل بضبط ما يجازون به الملائكة
الكرام عنه نقول لحافظين في تقدير ملائكة حافظين وكذا ما بعده
وكذا كاتبين ويعلمون يجوز ان يكون صفة ايضاً وان يكون حالاً من ضمير
كاتبين وان يكون مستانفاً ووصفهم الله تعالى بكونهم حافظين لحفظهم
الاعمال وبكونهم كراماً لكرامتهم على الله تعالى بجدهم في طاعته وبكونهم
كاتبين لانهم يكتبون اعمال بني آدم على منهم بجميع افعالهم فان قيل
قوله ما تفعلون يعم افعال القلوب وهي غير مرئية ولا محسوسة فيكون هي من
الغيب والغيب لا يعلمه الا الله عز وجل على ما قال وعنده مفاتح الغيب
لا يعلمها الا هو واذا لم يكن الافعال معلومة للملائكة استحال ان
يكتبوها والاية تقتضي ان يكونوا كاتبين ما يفعلون عام مخصوص بافعال الجوارح
وتخصيص العام كثير شائع وسئل سفيان كيف يعلم الملائكة ان قد هم بسيئة
او حسنة قال اذا هم العبد بحسنة وجدوا منه ريح المسك واذا هم
بسيئة وجدوا منه ريح النتن وقوله وان عليكم خطاب مشافهة الا ان
الامة مجمعون على ان هذا الحكم عام في حق كل المكلفين ثم انه تعالى بعد وصف
الكرام الكاتبين لاعمال العباد ذكر احوال العاملين فقال ان الابرار لفي نعيم
وهو نعيم الجنة والخيرات ويصلونها صفة لجحيم او حال من المنوي في الخبر
يوم الدين ظرف له قوله تعجيب وتفخيم جعل ما ادراك بفعل التعجب المقصود به
تعجيب المخاطب وتفخيم شأن اليوم وهذا المعنى يستفاد بذكره اولاً وثانياً
تاكيد له ولا فضح ان المجهول من قبيل التعجيب وعن ابن عباس كل ما في القرآن من
قوله وما ادراك خطاب عام وقال الاكثرون انه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وانما خاطبه
بذلك مع انه عالم بذلك قبل الوحي وقيل الخطاب للكافر على وجه الزجر قوله

عند

ثم بين شدة هوله اجمالا من حيث انه عرفهم ان لا يغني عنهم الا البر والطاعة يومئذ
ودنا سيرما ان قد يغني عنهم في الدنيا من مال وولد واعوان وشفعاء فان
اهل الدنيا قد كانوا يتقلدون على الملوك ويعين بعضهم بعضا في امور بعضهم
بعضا فاما يوم القيمة بطل ذلك كله لان الله تعالى ملك في ذلك اليوم احد
شيئا من الامور كما ملكهم في دار الدنيا فكيف يكون حال من خالفه وعصاه
قوله او الخبر محذوف وذلك انه لما قال وما ادريك ما يوم الدين يوم لا تملك
اي هو يوم لا تملك وقرأ الباقون بالفتح ثم اختلفوا في انها فتحة اعراب او بناء
ومن قال انها حركة اعراب ذكروا للنصب وجوها احدها ان يكون بدلا من يوم
الدين في قوله يصلونها يوم الدين وثانيها ان يكون ظرفا لفعل محذوف يدل عليه
الدين اي يدانون ويجازون في ذلك اليوم وثالثها ان يكون منصوبا باضمار
اذكر واعني فيكون مفعولا به ومن قال انه فتحة بناء وقال انه بني لانه اضيف
الى قوله لا تملك وما اضيف الى غير المتمكن قد يبنى على الفتح وانه في موضع رفع
على انه خبر مبتداء محذوف اي الجزاء يوم لا تملك يدل عليه الدين قال الخازن — مطلب سورة المطففين
قال عطاء بن يسار الويل واد في جهنم لو ارسلت فيه الجبال لماعت من حرها
وقال الضحاك هو الشدة من العذاب وقال ابن كيسان هو كلمة لمن وقع في مكروه
فقولك ويل لك عبارة عن استحقاق المخاطب نزول البلاء والمحنة عليه
الموجب له ان يقول واويلاه ونحوه وهو مبتداء وللمطففين خبره وجاز
الابتداء به اما لانه اسم على الواحد مخصوص واما لان الاصل مصدر منصوب
باضمار فعله لا من لفظه فان الاصل اهلكهم الله اهلاكا او هلاكا وهو هلاك
والوعيد بالهلاك والاهلاك فحذف الفعل وسد الفعل مسده وعدل
الى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه كما في قوله سلام
عليكم فلما كان الويل في الاصل مصدرا ساد مسد الفعل المخصص بصدوره
عن فاعل معين كانت النكرة المذكورة متخصصة بذلك الفاعل فساغ
الابتداء بها لذلك قوله لان ما يبخس طفيف علم انه يكون في الكيل في
الوزن بان لا يعطي المشتري حقه تاما كاملا مطففا يعني ان التطفيف في
المكيال والميزان نقص شيء طفيف من المشتري بان لا يملأ المكيال الى جوانبه
بان لا يستوي عمود الميزان نقص شيء قليل على الخفية وذلك لان النقص

الكثير

الكثير يظهر فيمتنع منه فالمطفف لا يقدر ان ينقص من حق الناس الا شيئا طفيفا
فسمي مطففا لذلك يقال بخس يبخس بخسا اذا نقصه قوله اذا اكتالوا
من الناس يريد ان الاكتيال الاخذ بالكيل كالاتزان الاخذ بالميزان وان اللغة
الشائعة ان يقال اكتلت من فلان ولا يقال اكتلت على فلان الا انه في الاية
اقيم كلمة على مقام من للوجهين الاول للدلالة على ان المأخوذ ما على
الناس من الحقوق فانه اذا قيل اكتلت عليه يراد اخذت ما عليه من حقي بالكيل
واذا قيل اكتلت منه يراد اذا استوفيت واخذت منه بالكيل من غير
تعرض لكون المأخوذ منه حقا عليه ام لا والثاني للدلالة على ان اكتيالهم
من الناس اكتيال فيه اضرار لهم وتحامل عليهم فان كلمة على تدل على
الاضرار والظلم يقال تحامل عليه اي ظلم فقولهم اكتال عليه يعني اخذ
منه اخذا متضمنا للتحامل والظلم عليه وفيه ان هذا الوجه يأبى عنه
قوله يستوفون لان معناه يستكملون ويقبضون حقوقهم تاما وافيا
فكيف يتصور الظلم والاضرار فيه فالوجه الاول اظهر واقرب قوله اي اذا
كالوا للناس او وزنوا لهم يريد ان اللغة الشائعة ان يقال كالوا لهم او
وزنوا لهم ولا يقال كالهم او وزنهم وان الاية اما من قبيل الحذف والايصال
كما في جنتك بمعنى جنيت لك والاصل كالوا لهم بحذف المفعول
لعلمه وحذف الجار واوصل الفعل فلفظ هم منصوب المحل متصل الفعل
عائد الى الناس واما من قبيل حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والتقدير
كالوا مكيلهم ولم يستحسن ان يكون لفظهم ضميرا مرفوعا منفصلا
مؤكدا للضمير الذي هو المتصل بالفعل لوجهين الاول انه يفوت ارتباط
احد شقي الكلام بالآخر وذلك لان الكلام الاول وهو قوله اذا اكتالوا على
الناس يستوفون صورته بيان حال المطففين بالاخذ ولا يرتبط به
كلامهم الثاني الا بان يبين ان حالهم في الدفع يخالف حالهم في الاخذ و
هو يقتضي اتحاد مباشر الاخذ والدفع وقد عرفنا فلو جعل المنفصل تاكيدا
للمرفوع المتصل لكان المقابلة احد فاعلي المباشرتهم ومباشرة
غيرهم وليس بحق ولا يطابق ما قبله ايضا لان المعنى اذا اخذوا من الناس
استوفوا واذا تولوا الكيل او الوزن هم بخصوصهم اخسروا ونقصوا حق

صنا الحق ولا ظن انه يلزم منافر المعنى فان عن الانتظام والالتئام وشيء
انه لو كان مرفوعا مؤكدا لوجب ان يكتب الالف بعد واو الجمع امام
المصحف كما هو الاصل في امثال قعدوا هم وقاموا هم ولقد جنيتك اكموا
ونهى قلت آخره ولقد نهيتك عن بنات الاوبر العسقول ضرب من
الكماة الكبار الابيض يقال لم تجمع الارض والكماة واحدتها كمء
على غير القياس وهو من النوادر تقول هذا كمء وهذا كماءان وهؤلاء
اكموء ثلثة وهي اذا كثرت فهي الكماة وبنات الاوبر كماة صغار من
عليه على لون التراب يقال جنيت الثمرة اجنيها جنى اذا اخذتها
من شجرتها تقول جنيتك اي اجليت لك من الكمء من اجودها و
نهيتك عن النوع الاخر الذي هو اردأ انواعها قوله وفيه انكار وتعجب
من حالهم الانكار مستفاد من صورة الاستفهام فان الهمزة ليست
هي التي للتنبيه بل هي همزة الاستفهام دخلت على لا النافية فافادة
الانكار على انتفاء ظنهم والتعجب مستفاد من ذكر الظن في موضع ذكر
اليقين والانكار على انتفائه فان الواجب على العاقل ان يتيقن في البعث
والحساب والجزاء لتقاصر الدلائل العقلية والنقلية عليها فلا يتجاسر
على ما يوجب الافتضاح والخجالة في يوم الحساب وان لم يتيقن به فلا اقل من
ان يظنه ومن تجاسر على ارتكاب القبائح برئ من ظن حاله انه لا يظن
البعث والحساب ولا يخطر ذلك بباله فضلا عن التيقن به لان الظن كاف
في حصول الخوف الموجب للامتناع عنها وعدم امتناعهم يدل على انتفاء
ظنهم بذلك ايضا وذلك امر عجيب قوله حكم بتقدير المضاف اي يقومون
لحساب احد وحكم بذلك لشئ اخر ويجوز ان يكون المضاف المقدر المحاسبة
او الجزاء يوم يقومون لرد رب العالمين ارواحهم الى اجسادهم
فيقومون من مراقدهم لذلك وروى في صحيفة ثوبان عن النبي عم انه
قال يقوم احدكم في رشحه الى انصاف اذنيه وفي تحقيق ذلك القيام انهم
قال يقوم الشمس مقدار ثلثمائة سنة من سني الدنيا لا يؤمر فيهم بامر
وعن ابن مسعود رض يمكثون اربعين عاما ثم يخاطبون وقال
ابن عباس وهو في حق المؤمن كقدر انصرافهم من صلوة مكتوبة

وذكر

وذكر الظن فان ذكره ليس لاجل ان امر البعث والقيام والمحاسبة من
القضاء التي يكفي للمؤمن ان يظن بوقوعه لانه مما يجب ان يعتقده المؤمن
من اعتقادا جازما ثابتا بل انما ذكره للمبالغة في المنع عن التطفيف لدلالته
على ان الظن في البعث والقيام يكفي في الامتناع والارتداع عنه امثاله
فضلا عن الجزم واليقين وكذا وصف اليوم بالعظم فان ما يعظمه
الله تع لا شك انما يكون في غاية التعظيم وقد ثبت ان عظمة الله العظيم ما
يكون فيه من الاهوال وكذا ذكر القيام من القبور للحساب والجزاء حكم الله
الله تع بذلك فان المطفف اذا حكم عليه بذلك القيام والمحاسبة والمجازاة
على تطفيفه يكون ذلك مبالغة في المنع عنه وتعظيم الاثم لا سيما وقد وصف
نفسه برب العالمين المشعر بالمالكية والربوبية فلا يخفى عليه الظالم
القوي لكونه مملوكا مسخرا في قبضة قدرته ولا يترك حق المظلوم الضعيف
لانه رب العالمين ومقتضى الربوبية ان لا يضيع شيئا من حقوق المستحقين
واصل المنع عن التطفيف حصل بقوله اولا ويل للمطففين لان كلمة المكروه
الواقع في بلية فدل بذلك على انهم تنزل بهم بسبب تطفيفهم بلية وعذابا ثم
توعدهم بذلك على انفسهم بالويل والثبور وما ذكر بعده للمبالغة فيه قال
اعرابي لبعض من الملوك انك قد سمعت ما قال الله تع في المطففين
واراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم في اخذ القليل
فما ظنك بنفسك وانت تاخذ اموال المسلمين بلا كيل ولا وزن قوله
ما يكتب من اعمالهم لما ورد ان يقال انه تع قد اخبر ان كتاب الفجار
في سجين ثم فسر السجين بقوله كتاب مرقوم فصار في تقدير ان كتابهم
في كتاب مرقوم فما معنى ذلك اشار المص الى توجيه المعنى بان الكتاب في كتاب الفجار
مصدر كتب يكتب كتابا وكتابة ان المصدر ربما ان يكون بمعنى
المفعول كضرب الامير والكتاب الذي فسر له السجين بمعنى السفر الذي
كتب فيه فالمعنى الاعمال المكتوبة للفجار مجموعة وقال البعض لقوله كتاب مرقوم
ليس تفسير السجين بل هو خبر بعد خبر لان والمعنى ان كتاب الفجار في
سجين وانه كتاب مرقوم وقوله وما ادريك ما سجين وقع في جانبين
الخبرين وقال الامام انه استبعاد في كون احد الكتابين في الاخر اما

بان يوضع كتاب الفجار في المكان الذي هو الاصل المرجوع اليه في تفصيل احوال
الاستفهام او بان يقدر كتاب الفجار اي ذلك الكتاب المسمى بالسجين و
فيه وجه ثالث وهو ان يكون المراد في الكتابة فيكون المعنى كتابة الفجار لفي
سجين اي كتابة اعمالهم في سجين ثم وصف السجين بانه كتاب
مرقوم فيه جميع اعمال الفجار فينتظم الكلام بلا ارتكاب قوله اي مسطور
بين الكتابة الجوهرية الرقم الكتابة والختم فان فسر المرقوم بالمكتوب
يكون توصيف الكتاب به للدلالة على انه بين الكتابة حيث كل من نظر اليه يطلع
ما فيه بلا دقة وامعان توجه وان فسر بالمختوم يكون مع الدلالة على ان
ان الكتاب متنوع علامة دالة على شقاوة صاحبه وكونه من اصحاب
النار لان الضم علامة وكونه علامة الشر مستفاد من المقام لان مقام
التهويل قوله نقل من السجن وهو الحبس والتضييق كسكير فسيق من
الفسق لتضمنه الكتابة يعني انه في الاصل من اسماء الصفة وموضوع
المبالغة ثم جعل ثم نقل من الوصفية وجعل علما الكتاب تسمية السبب
باسم المسبب ودلالة على المبالغة في كونه سبب الحبس والتضييق من
حيث ان الحبس الواقع به للخلود والابد وان كان السجين مبالغة
السجن يكون تسمية الكتاب لكونه مطروحا في اسفل المواضع واوحشها
من حيث الظلمة والضيق وفيه ابليس وذريته لعنهم الله فيطرح فيه
كتاب اعمال الفجار من حيث ان اعمالهم لا تقبل ولا يصعد مواضع القبول
قوله وقيل هو اسم مكان من ذهب الى انه في الاصل اسم علم لمكان معين
منهم من قال انه الارض السابعة السفلى وقيل فيها ابليس وذريته
وروي عنه عم انه قال سجين جب في جهنم وقال الكلبي ومجاهد
سجين صخرة تحت الارض السابعة وعن ابن عباس رض قال لكعب
الاحبار اخبرني عن سجين وعليين وقال كعب والذي نفسي بيده
لا اخبرنك عنهما الا بما اجده في كتاب الله المنزل اما السجين صخرة
سوداء تحت الارض السابعة مكتوب فيها اسم كل شيطان فاذا قبضت
نفس المرء الكافر خرج بها الى السماء فغلقت ابواب السماء دونها
ثم رمي بها الى السجين فلذلك هو السجين واما عليون فانه اذا

قبضت نفس المرء المسلم خرج بها الى السماء وفتحت لها ابواب السماء حتى
ينتهي الى العرش قال فيخرج كف من العرش فيكتب له نزله وكرامته فلذلك
هو عليون وقيل حفظ كتاب الفجار في اسفل المواضع واشرفها عذابا الى
ان يبعثوا اعلام بسوء احوال اصحابه وخساستهم عند الله ثم ان
السجين اسم لاقبح المواضع واسفلها لا يصح ان يحمل عليه كتاب مرقوم
الا بان يقدر المضاف الى سجين والى كتاب ليصح الحمل ثم اليه المص
بقوله والتقدير ما كتاب السجين الى اخره قوله بالحق وبذلك ان اتصل قوله
ويل يومئذ للمكذبين بقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين يكون المعنى ويل
يوم يقوم الناس لرب العالمين لمن كذب باخبار الله تعالى وان اتصل بقوله
كتاب مرقوم برقم يدل على شقاوة صاحبه يوم القيمة يكون المعنى ويل في ذلك
اليوم للمكذبين بذلك قوله صفة مخصصة او موضحة او ذامة والمخصص
في اصطلاحهم تقليل الاشتراك الحاصل في النكرات في مثل رجل صالح
فان الصفة فيه قللت شركة الموصوف ولم يعينه والتوضيح رفع الاشتراك
الحاصل في المعارف على ما كانت او لا نحو زيد العالم والرجل الفاضل و
لام التعريف في المكذبين هنا ليست للاشارة الى نفس الحقيقة مع قطع النظر
عن تحققها في ضمن المفرد وليس للاستغراق لان المكذب بالباطل ليس
امرا وقطعها فهي اما التعريف العهد الذهني فيكون في حكم النكرة كما في قوله و
لقد امر على اللئيم يسبني فالوصف لتقليل الاشتراك تخصيصه بمن يكذب بيوم
الدين واما للتعريف عهد الخارجي والمعهود هم المكذبون باخبار الله تعالى
بان يكون كتاب الفجار في سجين مرقوم بما يدل على شقاوة صاحبه يوم القيمة
وهم وان كانت طائفة معينة الا انهم وصفوا بما هو اخص اوصافهم
وهو التكذيب بيوم الدين لزيادة الايضاح ورفع ما عرض لهم من بعض
الشركة والابهام من بعض الوجوه والموصوف المعرف ان لم يعرض له
قبل التوصيف شيء من الشركة والابهام يكون التوصيف لمجرد الثناء كما في
نحو بسم الله الرحمن الرحيم اذ لا يتصور عروض الشركة للمسمى باسم الله
او لمجرد الذم كما في نحو اعوذ بالله من الشيطان الرجيم والوصف ههنا كما يجوز
ان يكون للتخصيص والتوضيح يجوز ان يكون للذم ايضا بناء على ان يكون

تكذيبهم بيوم عظيم في قوله الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم **قوله**
المخرج اي المتجاوز نتيجة باطلة والثمرة فائدة ناقصة منقطعة
يقال اخرجت الناقة اذا جاءت بولد ناقص الخلق والاعتداء هو
التجاوز عن المنهج الحق وجعله المصنف عبارة عن اهمال القوة النظرية التي كمالها
ان يعرف الانسان به الحق لذاته مثل ان يعرف وحدة الصانع واتصافه
باوصاف الجلال والكمال وتنزهه عما لا يليق به من الالوهية والمكذب بالبعث
والقيامة انما يكذب به لاستقصاره قدرة الله تعالى وعدم اعتقاده كونه
قادرا على جميع الممكنات ولاستقصاره علمه وعدم اعتقاده بكونه بجميع المعلومات
من الكليات والجزئيات حتى يتيقن بانه عالم بتفاصيل اجزاء كل شخص متميز
عن اجزاء غيره وانه قادر على جمعها واعادة الحياة فيها ولا شك ان من
وصفه بما لا يجوز ان يوصف فقد اهمل قوة النظرية ولم يستعملها ليكتسب
بها العقائد الحقة الصحيحة ويعتقد بها والاثيم يدل على المبالغة في ارتكاب
الاثم والمعاصي بالاشتغال بالشهوة والغضب بحيث لم يتفرغ بذلك للعبادة
والطاعة بل النظرة والمؤدي الى الايمان بالبعث والقيامة ومن كان هذا
شانه فقد اهمل قوته العملية التي كمالها ان يعرف الخير لاجل العمل به ثم انه تعالى
بالغ في ذم المكذبين بان وصفهم بالاعتداء بهذا الوجه وان كان منحصرا
في الاعتداء المذكور ولا الا انه خص بالذكر للمبالغة في ذم من اتصف به فان
الامر الارذل وان نزل الشرف انما رحمة الله وفضله على عباده ومنع
الكره فهو غاية الطغيان ولا يستبعد منه تكذيب يوم الدين والصحاح
السطر بسكون الطاء الصف من الشيء ويجمع على اسطر وسطور مثل فلس
وفلوس في جمع والسطر بفتح الطاء مثله ويجمع على اسطار مثل سبب واسباب
ثم يجمع على اساطير والاساطير جمع الواحد اسطور بالضم او
اسطارة بالكسر انتهى فالاساطير الاولين اكاذيبهم واخبارهم الباطلة
واللفظ انه عام في حق جميع الموصوفين بهذه الصفات نظرا الى لفظه كان
المراد منه الوليد بن المغيرة احتجاجا بقوله في سورة ولا تطع كل حلاف
مهين الى قوله معتد اثيم والى قوله اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين
حيث نزل في الوليد بن المغيرة فهذا يكون المعنى وما يكذب بيوم الدين

من قريش او من قومك الا كل معتد اثيم وهو هذا الشخص المعين **قوله** ردلما
قالوه اشار الى ان وجه الاضراب ههنا ابطال الكلام المتقدم والاعراض عنه
ابطاله مع الشروع في الكلام يتعلق به وقد يكون الاضراب بمجرد الاعراض عما
سبق وجعله في حكم المسكوت لانه مع الشروع فيما هو اهم منه وههنا اوجب
عليهم الارتداع عن ذلك القول المنكر ثم اضرب عنه الى بيان ما ادى بهم
الى ان قالوا ليس الامر كما يقولون من انه اساطير بل افعالهم التي صيرتهم
في سبب لحصول الرين في قلوبهم فلذلك اجترؤوا على ان يقولوا ذلك و
فسر الرين بالصداء والدنس واشار في اثناء تقريره الى تفسيره بالغلبة
كما قال ابو عبيدة كل ما غلبك فقد ران بك وران عليك وران على
قلوبهم غلب عليها والخمر ترين على عقل السكران والموت يرين على الميت
اي يغلب فيذهب به فيقال رين بالرجل يران رينا اذا وقع فيما لا يستطيع
الخروج منه وقيل الرين ان يسود القلب من الذنوب والطبع ان يطبع على
وهو اشد من الرين والاقفال اشد من الطبع وهو ان يقفل على القلب وقال
الزجاج ران على قلوبهم بمعنى غطى على قلوبهم يقال ران على قلبه الذنب يرين
رينا اي غشيه والرين كالصداء يغشي القلب ومثله الغين قوله فان كثرة
الافعال سبب لحصول الملكات تعليل لكون ما انهمكوا فيه من المعاصي سببا لغلبة حب
المعاصي عليهم فان من اراد تعلم الكتابة كلما كان اتيانه بعمل الكتابة اكثر كان
اقتداره على عمل الكتابة اتم واكثر الى ان يصير بحيث يقدر على الاتيان بالكتابة
من غير روية وفكر بل يصير ذلك كالامور الطبيعية التي جبل عليها الانسان
فتلك الهيئة النفسانية هي الملكة الراسخة لما تولدت من تكرار
الاعمال الكثيرة كان الاكثار من تلك الاعمال اتم في حصول تلك الملكة النفسانية
فكذا الانسان اذا واظب على اتيان بعض انواع الذنوب حصلت في قلبه ملكة
نفسانية يزول بسببها الخوف ورعاية الاتيان بذلك الذنب ويسهل عليه ذلك
ولا معنى للذنب الا كل ما يشغلك بغير الله ويقصد لغير وجهه ولغير مرضاته
فيكون ظلمة على القلب فان الذنوب كلها ظلمات وسواد كما ان الطاعة
كلها انوار وضياء فكلما كثرت الذنوب ازداد القلب اسودادا وبحسب انوار
اسوداد القلب يزداد المرء وقاحة حتى اذا اسود القلب كله العياذ

بالله لم يبق في قلبه شيء من الحياء والخشية ويرتفع بالكلية ما يمنع عن اتباع
الشهوة والغضب مختلفة لا جرم كانت مراتب ظلمة القلب واسوداده
مختلفة بعضها يكون رينا وبعضها طبعا وبعضها اقفالا وقيل لانه
ثلثة انواع من الذنوب يقابلها في الوعيد ثلث عقوبات الاول الغفلة عن العبادة
وذلك يورث جسارة على ارتكاب الذنوب وهي المشار اليها بقوله عم ان
المؤمن اذا اذنب ذنبا اورث في قلبه نقطة سوداء فان تاب ونزع
واستغفر صقل قلبه وان ازداد زادت حتى تعلو قلبه والثاني الجسارة
على ارتكاب المحارم اما الشهوة تدعوه اليه او شرارة الخلق في طبعه
فتورث وقاحة وهي المعبر عنها بالرين في قوله كلا بل ران على قلوبهم ما
كانوا يكسبون والثالث الضلال وهو ان يسوق الى اعتقاد مذهب باطل
واعظمه الكفر فلا يكون يلتفت عنه بوجه الى الحق وذلك يورث هيئة تمرنه
على استحسان المعاصي واستقباحه للطاعات وهو المعبر عنه بالختم و
الطبع في نحو قوله تعالى اولئك طبع الله على قلوبهم وقوله وختم على سمعه و
قلبه وبالاقفال في ام على قلوب اقفالها وما في قوله تعالى ما كانوا يكسبون يجوز
ان يكون مصدرية وان يكون موصولة والراجع محذوف ومحلها الرفع على
الفاعلية على كلا التقديرين اي غلب على قلوبهم كسبهم او الذي كانوا
يكسبون قوله فلا يرونه يخلدوا المؤمنين سئل مالك ابن انس عن هذه
الاية فقال لما حجب اعداءه فلم يروه تجلى لاوليائه حتى رأوه وعن
الشافعي لما حجب قوما بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضى وقال مقاتل
يعني انهم بعد العرض والحساب لا يرون ربهم والمؤمنون يرونه وهذه الاية من جملة
ادلة الرؤية من حيث انه تعالى ذكر هذا الحجب في معرض الوعيد والتهديد للكفار
وما يكون وعيدا وتهديدا للكفار لا يجوز حصوله في حق المؤمن فوجب ان لا يحصل
هذا الحجب في حق المؤمن والاية قابلة للتخصيص فلا ترد واجاب عنه المعتزلة بانه
يجري الكلام على الاستعارة التمثيلية فانه اذا قيل فلان محجوب عن السلطان
يراد انه مهان وممنوع عنده والسلطان ساخط عليه غير راض عنه
فلذلك حجبه عن رؤيته وحضور مجلسه ثم انه شبه حال المكذبين في
اهانتهم عند الله لكونها متعلق بسخطه بحال اولئك المحجوبين عن

طريق

طريق الاستعارة التمثيلية ونحن لا نصرف النصوص المتعاضدة الدالة على الرؤية
عن ظواهرها بناء على ان النشأة الاخرى مخالفة للاولى في كثير من الامور ونحن
بمسبوقين على ان نبدل امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون وهو بقوله قادر
على كل شيء فيقدر على ان يخلق الرؤية فيمن انشأه يوم البعث فيرونه منزها
عن جميع الجهات والكيفيات والكفار يكونون محجوبين عنه في عرصة القيامة عن رؤية
الله تعالى فعند ذلك يوم بهم ثم اذا دخلوها يقطعون بتكذيبهم بالبعث
والجزاء وهو قوله تعالى ثم انهم لصالوا الجحيم الى قوله كلا قوله تكرير للاولى هو قوله
كلا ان كتاب الفجار لفي سجين لما ذكر حال الفجار المطففين اتبعه بذكر حال
الابرار الذين لا يطففون فقال كلا ردعا للمطففين عن التطفيف و
الغفلة عن البعث والحساب قوله الكلام ما هو في نظيره يعني ان كتاب الابرار معناه
الاعمال المكتوبة للابرار على ان الكتاب مصدر بمعنى المكتوب او كتابة اعمال الابرار
على انه مصدر مضاف الى مفعوله لفي عليين اي لفي كتاب جامع لجميع اعمال
الابرار على ان عليين في الاصل جمع علي وهو فعيل من العلو للمبالغة فسمي به
نقل من الوصفية وجعل علما للكتاب الجامع لكونه سببا للعلو في الجنة وغاية العلو
او لكونه موضوعا في ارفع المواضع واشرفها والحكم على العليين وهو جمع
بالكتاب المرقوم باعتبار كل واحد من احاده والمرقوم ان كان بمعنى المكتوب
يكون المعنى انه كتاب بين الكتابة يقرأ بلا تكلف وان كان بمعنى المختوم فالمعنى انه
كتاب معلم بعلامة تدل على سعادة صاحبه وفوزه بالنعيم الدائم وملك لا يبلى و
قيل عليون اسم مكان اعرب كاعراب الجمع لانه على لفظ الجمع ثم اختلفوا و
روى عن ابن عباس انها السماء السابعة وفي رواية اخرى انها السماء
الرابعة وقال قتادة ومقاتل هي قائمة العرش اليمنى فوق السماء السابعة
وقال الضحاك هي سدرة المنتهى وقال الزجاج اعلى الامكنة فعلى كونه
اسم مكان لا يصح ان يحمل عليه كتاب مرقوم الا بان يحمل الكلام على حذف
المضاف من الاول او من الثاني ويكون التقدير وما ادراك ما كتاب عليين
او هو في كتاب مرقوم ولا بعد في ان يكون الكتاب موصوفا بمعنى المكتوب
فيه وان يكون احد الكتابين في الاخر اما بان يكون ينقل ما في كتب الابرار
الى ذلك الكتاب الذي وكل الملائكة بحفظه اللوح المحفوظ وكلهم يحفظ

كتب الابرار معه ولا يمتنع ان الحفظة اذا تصعدت بكتب الابرار فانهم يسلمونها
الى هؤلاء المقربين فيحفظونها كما يحفظون ثم الحكمة في ان المقربين وضع
كتاب الابرار في اعلى المواضع واشرفها تعظيم الابرار وتكريمهم وليكون علم
الملائكة بما حفظوه من اعمالهم سببا لسعادتهم فهؤلاء الابرار
فكذلك يحاسبون حسابا يسيرا حيث شهد لهم الملائكة المقربون
قوله الاسرة في الحجال وهي جمع حجلة بالتحريك وهي العروس بيت يزين بالثياب
والاسرة والستور فان الاسرة لا تسمى اريكة اذا كانت خارج الحجال
عن الحسن كنا لا نعرف ما الاريكة حتى لقينا رجلا من اهل اليمن اخبرنا
ان الاريكة عندهم ذلك لما عظم الله تعالى كتاب الابرار وفي الاية المتقدمة
عظمهم بهذه الاية منزلتهم فقال ان الابرار لفي نعيم ثم وصف كيفية ذلك
النعيم بامور ثلثة اولها بقوله على الارائك ينظرون وثانيها قوله تعرف
في وجوههم نضرة النعيم وثالثها قوله يسقون من رحيق مختوم وقوله
على الارائك يجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون حالا من المقدر في
الخبر من الفاعل ينظرون واما ينظرون فيجوز ان يكون مستأنفا
وان يكون حالا واما من المستتر في الخبر او في الظرف اي ناظرين اي ما عطف
في الجنة مما بين هم وحذف المفعول للتعميم قوله بهجة التنعم اذا رايتهم
عرفت انهم اهل النعيم بسبب ما ترى في وجوههم من القرائن الدالة
على ذلك كالضحك والاستبشار على ما قال الله تعالى وجوه يومئذ
مسفرة ضاحكة مستبشرة وقال ان الله تعالى يزيد في وجوههم من
النور والحسن والبياض ما لا يصفه واصف قوله اي مختوم اوانيه
لي ليس مراده بيان ان ختم الرحيق مع قيد اسناد المجازي
بل بيان الختم على الشيء المكرم المصون الاستيثاق منه بالختم طرقه من
ختم ظرفه وان لم يكن ثمة ما يطرقه النفاسة كما ان تعيين المسك
محل الطين الذي يختم عليه لولا لاجل ارادة الوصف المنسوب الى بلده
كلي فان العادة ان الختم عليها بالطين من الخزف وخاتمهم
والذي لا غش فيه ولا يتغير بعده ولعله هو الخمر الذي وصف تعالى بقوله
لا فيها غول وكونه صافيا بهذا المعنى لا ينافي كونه ممزوجا بالتسنيم و

طم

في الجنة خمر تجري منها انهارها كما قال وانهار من خمر لذة للشاربين الا ان هذا
المختوم اشرف من الجاري وقال ابو عبيدة والمبرد والزجاج المختوم الذي
له ختام اي عاقبة لا لخصوصية اول زمان الملابسة به فالمعنى انه يوجد
رائحة المسك عند خاتمة شربه فان ختام الشيء وخاتمته اخره ووصف
الرحيق بان عاقبة شربه في ريح المسك عبارة عن كونه ممزوجا
بالمسك لانه لو لم يمزج بالمسك لما حصل فيه رائحة المسك فان علقمة
والضحاك وسعيد بن جبير ومقاتل وقتادة قالوا اذا رفع الشارب
فاه من اخر شربه وجد رائحة كرائحة المسك وقراءة الكسائي يؤيد الوجه
الثاني فان خاتم الشيء بفتح التاء اخره كما يقال خاتم النبيين قال الفراء
وهما متقاربان في المعنى الا ان الخاتم اسم والختام مصدر كقولهم
هو كريم الطباع والطابع فان نقب المرغوب يقال نفس الشيء نفاسة
اي صار مرغوبا فيه وتنافس في الشيء مكلفة اذا رغب فيه على وجه
المباراة في الكرم ونفس وتنافسوا فيه وفلان يباري فلانا اي يعارضه
ويفعل مثل فعله ونفس به بالكسر اي ضن يقال نفست عليه الشيء
نفاسة اذا لم تره اهلا كذا في الصحاح وقال الواحدي يقال
نفست عليه الشيء انفس نفاسة اذا ضننت به فلم تحب ان يصير اليه
والتنافس تفاعل منه كان كل واحد من الشخصين يريد ان يستاثره
فالمعنى وفي ذلك فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله تعالى لا في نعيم
الدنيا هو مكدر سريع الفناء قوله سميت تسنيما وهو مصدر سنمه اذا
رفعه فان اصل هذه الكلمة للعلو والارتفاع ومنه سنام
البعير تقول سنمت الحائط اذا علوته سميت العين التي في الجنة تسنيما
اما لانها ارفع شراب في الجنة قدرا واما لانها تاتيهم من فوق على ما
روي انها تجري في الهواء مسنمة فتنصب في اوانيهم قال ابن عباس
اشرف شراب اهل الجنة هو التسنيم لانه يشربه المقربون صرفا ويمزج
لاصحاب اليمين واعلم ان الله تعالى لما قسم المكلفين الى ثلثة اقسام
المقربون واصحاب اليمين واصحاب الشمال ثم انه تعالى لما ذكر كرامة الابرار
المذكورين في هذه السورة بانه يمزج شرابهم من عين يشرب بها

المقربون نصرفا علمنا ان المذكورين في هذه المواضع هم اصحاب اليمين
والتسنيم في الجنة الروحانية هو معرفة الله ولذة النظر الى وجه الكريم
والرحيق هو الابتهاج بمطالعة عالم الموجودات والمقربون الذين
هم افضل اهل الجنة لا يشربون الا من التسنيم لانهم لا يشتغلون الا بمطا لعة
وجه الكريم واصحاب اليمين يكون شرابهم ممزوجا فتارة يكون شرابهم
الموجودات وتارة الى المخلوقات وانتصب عينا على المدح اي تقديره اعني او
على انه حال من تسنيم بمعنى جاريا فان التسنيم لكونه علما للعين
بعينها في الجنة معرفة فيجوز ان يجيء الحال عنه والماء ومزاج ذلك
شراب المسمى بالرحيق من الماء العالي جاريا قوله والكلام في الباء
كما مر في سورة الانسان من انها اما صلة التذاذ اي يشرب المقربون
ملتذين بها اي بمعنى لان الشراب مبتدأ منها كما هنا او مزيدة اي يشربها
بتقدير يشرب ماء بها لان العين لا تشرب وانما تشرب ماؤها
لان العين لا تشرب وانما تشرب ماؤها وتجري ان يكون بمعنى في اي
يشربون هم فيها والجملة في موضع الصفة بقوله عينا قوله يعني رؤساء
قريش اشارة الى ان سبب النزول ان اكابر المشركين كابي جهل و
الوليد بن المغيرة وامثالهما كانوا يضحكون من فقراء المسلمين و
يستهزئون بهم كعمار وصهيب وبلال وغيرهم جاء علي ابن ابي طالب
في نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا
الى اصحابهم فقالوا رأينا اليوم الاصلع فضحكوا منه فنزلت
هذه الاية قبل ان يصل علي الى رسول الله صلعم والاصلع الذي انحسر
شعر مقدم رأسه وقيل انهم انما قالوا ذلك في حق علي رضه لانه يحلق
رأسه منذ سمع من رسول الله قوله تحت كل شعرة جنابة وقيل رضه
ومن عمر عار بيت راسي واعلم انه تعالى لما وصف كرامة الابرار في الاخرة
ذكر بعد ذلك قبح معاملة الكفار معهم في الدنيا في استهزائهم و
ضحكهم ثم بين ان ذلك سينقلب على الكفار في الاخرة والمقصود منه
تسلية المؤمنين وتقوية قلوبهم وذكر من معاملتهم القبيحة اربعة
اشياء اولها قوله ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون

اي يستهزئون

يستهزئون بهم وبدينهم وثانيها قوله واذا مروا بهم يتغامزون والتفاعل من
الغمز وهو الاشارة بالجفن والحاجب ويكون الغمز بمعنى العيب يقال
غمزه اذا عابه وما في فلان غميزة اي يعاب به فالمعنى انهم يشيرون اليهم
بالاعين استهزاء ويعيبونهم ويقولون انظروا الى هؤلاء ويتعبون انفسهم
ويتركون اللذات ويتحملون المشقات لما يرجون في الآخرة والمبعوثات
وامر البعث والجزاء لا يقين به وانه بعيد كل البعد وثالثها واذا انقلبوا الى
اهلهم انقلبوا فاكهين اي معجبين فرحين بما فعلوا بالمؤمنين وهو
حال من فاعل انقلبوا كما ان حافظين حال من فاعل ارسلوا وقرئ فاكهين
فكهين لغتان بمعنى ناعمين ملتذين وقيل فاكهين اي متنعمين مشغولين
بما هم فيه من الكفرة وبئس الخطأ الفاجر وفكهين معجبين الجوهري
فكه الرجل بالكسر فهو فكه اذا كان طيب النفس مزاحا والفكه الاشر
البطر والفاكه الناعم المتلذذ بما هو فيه ورابعها قوله واذا رأوهم
قالوا ان هؤلاء لضالون اي هم على ضلال في تركهم التنعم الحاضر بسبب طلب
ثواب لا يدرى هل له وجود ام لا ثم قال وما ارسلوا عليهم حافظين يعني ان الله تعالى
لم يبعث هؤلاء الكفار رقباء على المؤمنين يحفظون عليهم احوالهم و
يتفقدون ما يصنعونه من حق او باطل فيعيبون عليهم ما يعتقدونه ضلالا
وانما امروا باصلاح انفسهم فاولى لهم في تتبع احوال غيرهم قوله حين
يرونهم اذلاء مغلولين في النار مع تولههم وقيل يفتح لهم او ذكر في سبب
ضحك المؤمنين من الكفار وجهين الاول ان المؤمنين يضحكون على
الكفار بسبب ما هم فيه من انواع العذاب والبلاء المؤبد وانهم اختاروا
اللذة اليسيرة الفانية الابد بحذق انفسهم فانهم قالوا بالتعب اليسير
راحة الابد ودخلوا الجنة فجلسوا على الارائك ناظرين اليهم كيف يعذبون
في النار وكيف يصطرخون فيها ويدعون فيها بالويل والثبور ويلعن
بعضهم بعضا والوجه الثاني في سبب ضحك المؤمنين ما قيل من انه
يفتح لاهل النار وهم فيها باب الجنة قوله حال من يضحكون اي
يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد
العزة في الدنيا وانظر ان قوله هل ثوب الكفار الاية كلام مستأنف

سورة الانشقاق

قبل الله تعالى ومن قبل الملائكة تنبيها على ان اعداءهم قد جوزوا جزاء ما
فعلوا من ضحكهم بالمؤمنين بزيادة ايذاء لسرورهم الى سرورهم لانه
يقتضي زيادة تعظيمهم فان اهانة الاعداء تعظيم الاولياء قوله انشقت
وهو الانصداع والانفراج والباء في قوله بالغمام للآلة كما في قولك
شققت الارض بالة والمعنى ان السماء تنفتح بغمام يخرج منها في
الغمام الذي يكون في ذلك الغمام ملائكة العذاب وقيل ذلك الغمام
افظع منها انصار العذاب منا من غير الخير ففي هذا يكون انشقاق
السماء لنزول الملائكة وقيل السقوط والانتقاض الجوهر المجرة التي في
السماء سميت بذلك لانها كاثر المجرة بالفارسية كهكشان تنشق السماء
من ذلك الموضع كانه متصل منهم فصدهم منه قوله واستمعت له الجوهري
اذن له اذنا استمع وانشد ان يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا مني و
ما سمعوا من صالح دفنوا صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت
بشر عندهم اذنوا وعن ابي هريرة انه قال ما اذن الله تعالى لشيء كاذنه لنبي
يتغنى بالقرآن اي ما استمع الى شيء كاستماعه الى صوت نبي يقرأ الكلام المنزل
عليه وهو مجاز عن الاعتداد دون استماعه فالمعنى اذنت انه وجبا
الى بعثة فاذا اطلق في حق من لم حاسة السمع والاستماع بها يريد به
الاجابة والانقياد مجازا واذا اطلق في حق نحو السماء مما ليس من شأنه
الاستماع بالقبول يكون استعارة تمثيلية بان شبهت حال السماء
في انقيادها لتأثير قدرة الله تعالى حين اراد انشقاقها بحال
المستمع المطواع للآمر واستعمل لها ما يستعمل فيه فهي استعارة
تمثيلية متفرعة على المجاز المرسل كالامام والمعنى انه لم يجر
في جرم السماء ما يمنع من تأثير قدرة الله تعالى في شقها وتفريق
مكانه في قبول ذلك التاثير كالعطل بين الزكي اذا ورد عليه الامر من
جهة المالك انصت له واذعن ولم يمتنع قوله انقادت طاعتها يريد به
نفوذ العزة في الايجاد والابداع من غير ممانعة اصلا وقوله ههنا
واذنت لربها يدل على نفوذ قدرة الله في تفريق والاعدام والافناء
من غير ممانعة اصلا حقيق لها ان تستمع وتطيع لامر الله تعالى اذ حق

مربوبة

مربوبة مصنوعة لله تعالى وممكنة في ذاتها والممكن ليس الا القبول والاستعداد
وكل واحد من الوجود والعدم بالنسبة اليه على التسوية وترجيح
وجوده على عدمه او ترجيح عدمه على وجوده لا بد وان يتأثر واجب
الوجود وترجيحه فيكون تأثير قدرته في ايجاده واعدامه نافذا غير
ممانع اصلا قوله اكامها وهو جمع اكم بضمتين مثل عنق واعناق
والاكم جمع اكام مثل كتب في جمع كتاب والاكام جمع اكم مثل جبل وجبال والاكم
جمع اكمة مثل ثمر وثمرة والاكم الحجر فان زلزلة الساعة تزيل الارض عن
الجبال واكامها وينسفها ربها نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى
فيها عوجا ولا امتا فيستوي ظهر الارض وينبسط وعن ابن عباس
مدت مد الاديم العكاظي لان الاديم اذا مد زال كل انثناء فيه واستوى
هذا قوله تعالى مدت ماخوذ من مدت الشيء فامتد وقيل انه ماخوذ من مده
بمعنى امده اي زاد في سعتها يوم الخلائق ويوم القيمة لوقوف عليها
الحساب لا بد من الزيادة في وجود الارض سواء كان ذلك بتمديدها او
بمدادها لان الخلائق من الاولين والاخرين يجتمعون واقفين يوم
القيمة على ظهرها فلا بد من الزيادة في طولها وعرضها روى الامام ابو
الليث عن علي ابن الحسين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان يوم القيمة مد
الله الارض مد الاديم حتى يكون لبشر من الناس الا موضع قدميه يعني لكثرة
الخلائق فيها قوله من الكنوز والاموات والاولى عند قرب الساعة والثاني
عند البعث قوله وتخلت اي خلت غاية الخلو حتى لم يبق من باطنها
شيء فكانها تكلفت في الخلو اقصى وسعها وطاقتها والا فحقيقة التكلف
لا تتصور في الارض والجهد بضم الجيم الطاقة وبالفتح المشقة والجهد
المشقة في تفسير الكدح بفتح الجيم بمعنى المشقة والتعب ولذلك عطف عليه
الكدح في الكشاف حيث قال الكدح جهد النفس في العمل والكدح فيها حتى
يؤثر فيها من كدحه اذا خدشه والكدح السعي الشديد في العمل وطلب
الكسب قال قطرب كادح اي كاد نعب من قولهم فلان يكدح لعياله
اي يكسب لهم بالكد والتعب قوله لا في الانسان كدحا اشارة الى ان الضمير
في ملاقيه عايد الى الكدح لان الكدح عمل وهو عرض لا يبقى فلا قاته

العكاظ

منقعة فلا بد من حمل الكلام على تقدير المضاف اي عملا في جزاء لكدحك كقوله
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره اي يرى جزاءه او يكون الملاقي الكتاب
الذي فيه بيان تلك الاعمال والكدح فيها ويؤيده هذا الثاني قوله تعالى بعد
هذه الاية فاما من اوتي كتابه بيمينه او يكون ضمير ملاقيه عائدا الى الرب
بتقدير المضاف اي ملاق حساب ربه وحكمه لا مفر لك منه وعلى التقدير بعد قوله
الاية على الانسان يلزم جزاء كدحه وكتابة كدحه او يلزم حساب ربه وحكمه و
المدلول هو الخبر المحذوف الذي غنى عنه ما يدل عليه قوله او ملاقيه عطف على
قوله كادح فذلك هو فلاقيه جواب اذا اي فقوله يا ايها الانسان انك كادح
معترض على اسلوب قول القائل اذا كان كذا وكذا يا ايها الانسان ترى عند
ذلك ما عملت من خير او من شر فكذا ههنا والتقدير اذا كان يوم القيمة
لقي الانسان عمله وقيل ان المعنى محمول على التقديم والتاخير فكانه قيل يا ايها
الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه اذا السماء انشقت وقامت القيمة
قوله والكدح اسم السعي الى لقاء اشارة الى ان كلمة الى متعلقة بكادح لتضمنه معنى
ساع وان في الكلام حذف مضاف والمعنى انك جاهد وساع الى ما شئت من
الاعمال في الدنيا مدة الحياة ساع الى لقاء جزاء هذه الاعمال في العقبى فلاق ذلك
الجزاء لا محالة فعليك ان تباشر في الدنيا بما ينجيك ويسعدك في العقبى
واحذر عما يرديك ويهلكك فيها قوله لانها قد ... فيه يعني ان الحساب
اليسير هو العرض بان يعرض عليه اعماله ويعرف ان الطاعة منها هذه وان
المعصية هذه ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية فهذا هو
الحساب اليسير لانه لا شدة على صاحبه ولا مناقشة ولا يقال له لم فعلت هذا
ولا يطالب بالعذر ولا بالحجة عليه فانه متى طولب بذلك لم يجد عذرا ولا حجة
فيفتضح قالت عائشة رض قال رسول الله صلعم من نوقش في الحساب فقد
هلك فقلت يا رسول الله ان الله تعالى يقول فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف
يحاسب حسابا يسيرا قال ذلك العرض ولكن من نوقش في الحساب
عذب قال الله تعالى في سورة الحاقة فاما من اوتي كتابه بشماله وقال في
هذه السورة فاما من اوتي كتابه وراء ظهره والجمع بينهما انه
قال اي يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره لما روي ان الطيبي انه يغل يمينه

الطاعة منه

الى عنقه ثم يكسر يده اليسرى وراء ظهره فيعطى كتابه بشماله وهي خلف ظهره
قال الامام ويحتمل ان يكون بعضهم يعطى كتابه بشماله وبعضهم من وراء ظهره
ولما اوتي كتابه من غير ... على انه من اهوال ... فسوف يدعو ثبورا قال الفراء
يقول العرب فلان يدعو لهفه اذا قال والهفاه قيل الثبور مشتق من المثابرة
على الشيء وهو المواظبة عليه وسمي هلاك الاخرة ثبورا لانهم لا يزالون
كما قال عز وجل ان عذابها كان غراما واصل الغرام اللزوم والولوع قوله
وقراء الحجازيين وهم نافع المدني وابن كثير المكي والشامي وهو ابن عامر وفي
تيسير القراءة قرأ ابو عمرو البصري وعاصم وحمزة ويصلى سعيرا بفتح
الياء واسكان الصاد مخففا والباقون بضم الياء وفتح الصاد وتشديد
اللام انتهى وقرئ يصلى بضم الياء وسكون الصاد مجهولا اي يدخله غيره
فيدعو الثبور اذا اعطي كتابه بشماله لقوله فسوف يدعو ثبورا بالفاء
المفيدة للتعقيب واحدهما لا ينفك عن الاخر نعوذ بالله قوله فارغا عن الاخرة
حيث كان امنا من الحساب والثواب والعقاب ولا يخاف الله ولا يرجوه فقد
لزوائد عن تعب المجاهدة بالطاعة من نحو الصوم والصلوة وعن تعب
اجتناب المعاصي والمنكرات وبالجملة كان فارغا من هم الاخرة والتحزن
على عظم اهوالها فابدله الله تعالى بذلك السرور والامن والاستراحة
الفانية غما باقيا لا ينقطع بخلاف المؤمن فانه كان متقيا عن المعاصي مجتهدا
في الطاعة خائفا من العذاب ولم يكن مسرورا في دنياه فلهذا جعله
الله تعالى مسرورا في الاخرة فابدله بالغم الفاني سرورا دائما لا ينقطع قوله تعالى
ظن ان لن يحور هي ان مخففة من الثقيلة وسدت مسد مفعولي الظن
ويلزم من مصير المراد كما قالوا نعوذ بالله الحور بعد الكور ان هذا الكافر
ظن انه لا يموت ان لن يرجع الى الله والحور الرجوع والمحار المرجع
والمصير وقيل الحور الرجوع الى خلاف ما كان عليه المرء كما قالوا نعوذ بالله
من الحور بعد الكور والمعنى على هذا انه ظن ان لن يحور يرجع الى خلاف ما كان
عليه في الدنيا من السرور والتنعم قال الله تعالى بلى اي لتبعثن وعلى الوجه
الثاني ان الله ليبدل سروره بغم لا ينقطع بلى لا يزول ان ربه كان عالما
بما يعمله من الكفر والمعاصي فلم يكن يجوز في حكمته ان يهمله فلا يعاقبه على سوء

العالم وهذا اظهر لكل المكلفين عن جميع المعاصي وكلمة لا في قوله تعالى فلا اقسم يجوز ان يكون لرد الكلام السابق وابطاله حكى عن الله تعالى ان الكافر انه ظن ان لن يحور رداً وجهه بقوله بلى ثم ابطل ظنه انتفاه ثم ابتدع بالقسم فقال اقسم بالشفق ويجوز ان يكون صلة وقد مر مثله وقد اتفق العلماء عن عكرمة ومجاهد على ان الشفق اسم للاثر الباقي من الشمس في الافق بعد غروبها ثم اختلفوا بعد ذلك فذهب عامتهم الى انه هو الحمرة وعن ابي حنيفة هو البياض الحاصل بعد ذهاب الحمرة وكل واحد من البياض والحمرة يجوز ان يسمى بالشفق لان اسم الشفق ينبئ عن الرافة فان الشفقة رقة القلب ولا شك ان اثر الشمس الحمرة ضوؤها يأخذ في الرافة والضعف من غيبة الشمس الى ان يستولي سواد الليل على الآفاق كلها وروي عن ابي حنيفة انه رجع عن هذا القول بانه هو البياض واما عكرمة ومجاهد فانهما قالا ان الشفق هو النهار وبناه على ان الشفق هو اثر الشمس وهو كوكب نهاري واثره هو النهار رفع هذا يقع المقسم بالليل والنهار اللذين احدهما معاش والاخر مسكن وبهما قوام امور العالم قوله وما جمعه وستره اشارة الى ما في قوله وما وسق لست مصدرية بل هي اما موصولة او موصوفة اي وشيء وسقه والعايد لا بد منه على التقديرين والى ان وسق الليل وجمعه المخلوقات عبارة عن ستره اياها بظلمته واحاطتها اياها بظلمته فان الظلمة الليل كانها تجلل الجبال والبحار والاشجار والحيوانات فكانه تعالى اقسم بجميع المخلوقات كما قال فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون وهذا المعنى لا يحصل على تقدير ان يكون ما مصدرية لان المقسم به حينئذ يكون وسق الليل وجمعه لا جمع الليل وقيل يحتمل ان يكون المراد بما جمعه الليل العباد المتهجدين بالليل لانه تعالى قد مدح المستغفرين بالاسحار فيجوز ان يحلف بهم قوله وسقه بالسلاسل وحدث سايقا اولها انك قلت بصاحقا لقا القلوص ان فيها لنبيه ولحقا جمع حقاف جمع حقه وهي ناقة استكملت ثلث سنين ودخلت في الرابعة وصفات عن قليل يصير الحقاف يكونها متوسقة اي مجتمعات ويجوز ان يكون لها سايقا او طرده الى اماكنها عطف على قوله جمعه وستره يعني ان الوسق في اللغة كما يكون بمعنى الجمع يكون بمعنى الطرد والابعاد ايضاً كما يقال كالابل المسوقة وسيقة لان السارق يطردها من اماكنها الجوهري الوسق

مصدر

مصدر وسقت الشيء جمعته وحملته والوسق ايضاً الطرد ومنه سميت الوسيقة وهي من الابل كالرفقة من الناس فاذا سرقت طردت معاً وقال الجوهري الطرد الابعاد تقول طردته فذهب والطرد ثمرة الوسيقة وهو ما يسرق من الابل قوله اجتمع وتم بدراً مبني على ما مر منه ان اتسق واستوسق مطاوع ما ان لوسقه بمعنى جمعه مثل وصلته فاتصل تصريف للامور فلان مستوسق ومجتمع على الصلاح كما يقول منتظمة ثم انه تعالى بعد ما ذكر به ما اقسم ابتع بذكر ما عليه اقسم فقال لتركبن طبقاً عن طبق والمعنى على قراءة بضم الباء خطاب الجنس لان النداء في قوله يا ايها الانسان انك للجنس ومن قرأ لتركبن بالياء جعل الكلام اخباراً عن الغايب وهو الانسان المذكور بالاسم الظاهر منزل منزلة الغايب اي ليركبن الانسان ومعنى الآية ان الناس يلقون يوم القيامة امورا لا وشدائد حالاً بعد حال وشدة بعد شدة كانهم لما انكروا البعث اقسم الله ان البعث كائن وان الناس يلقون فيه الشدائد والاهوال التي لا ينتفع منها بهم فيصيبهم كل احد الى ما اعد له من جنة او نار ونظيره قوله تعالى بلى وربي لتبعثن ثم لتنبئن بما عملتم قوله سوهو لما يوحيه يعني ان الطبق في الاصل اسم لما طابق غيره فقالوا هذا طبق لهذا اي لا يطابقه ثم قيل للعطاء الطبق في الاصل ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق قوله او مراتب من الشدة بعد المراتب عطف على قوله حالاً بعد حال اي يجوز ان يكون طبق جمع طبقة وهي المرتبة من قولهم هو على طبقات والمعنى لتركبن احوالاً بعد حال هي طبقات في الشدة بعضها ارفع من بعض وهي الموت وما بعده من احوال القيامة قوله او هي وما قبلها اي او في المنتهى الشدة هذه المذكورة وما قبلها من الدواهي العارضة للانسان من ابتداء وجوده الى ان يموت وعلى تقدير ان يكون الخطاب للرسول ذكر في معنى الآية من وجهين الاول ان يكون الآية اشارة الى ترقي احواله من الظفر والغلبة على المشركين المكذبين بالبعث فانه يقول اقسم يا محمد لتركبن حالاً بعد حال حتى ختم لك بعاقبة حميدة فلا يحزنك تكذيبهم وتماديهم في كفرهم او لتركبن يا محمد درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة في القرب من الله تعالى والثاني ان يكون بشارة له بصعوده الى السموات هذه

ملكوتها وتعلق الملائكة اياه فيها والمعنى لتركبن يا محمد السموات طبقا عن
طبق فانها سبع سموات طباق وقد فعل الله بذلك ليلة الاسرا وقوله بعد
حال وبعد المراتب اشارة الى معنى بعد ووجه ذلك ان الانسان اذا صار
الى شيء بمجاوزة عن شيء آخر فقد صار الى الثاني بعد الاول فصح ان
يستعمل فيه بعد عن معا اذا بعض لفظة عن بفيد البعد والمجاوزة فكانت
اللفظ بعد فصح استعمال احدهما بمعنى الآخر **قوله** يوم القيمة خص يوم
القيمة بانتفاء ايمانهم به لا يؤمنون باكثرها يجب الايمان به وابطله من جهة
ان الكلام مسوق لتوبيخ منكري البعث والقيمة وتقطيع حالهم لانه تع
حكى عن الكافرين انه ظن ان لن يحور ثم حكم بانه يحور ثم اقسم بتغيرات
واقعة في الافلاك والعناصر تدل على تغير احوال الظن فان الشفق حالة
مخالفة لما قبلها وهو ضوء النهار ولما بعدها وهو ظلمة الليل وكذا قوله
والليل وما وسق فانه يدل على حدوث ظلمة بعد نور وعلى تغير احوال الحيوانات
من اليقظة الى النوم وكذا قوله والقمر اذا اتسق فانه يدل على حصول كمال
القمر بعد نقصان قال بعد ذلك على سبيل الاستبعاد فما لهم لا
يؤمنون على ان المراد الاستبعاد عدم ايمانهم بالبعث والقيمة فان
عدم ايمانهم بذلك عند ظهور الحجة وزوال الشبهة منكر مستبعد جدا
فان القادر على تغيير الاجرام العلوية والسفلية من حال الى حال ومن
صفة الى صفة بحسب المصالح لا بد وان قادر على جميع الممكنات عالم
بجميع المعلومات ومن كان كذلك كان لا محالة قادرا على البعث والقيمة
فلذلك فرع عليه استبعاد عدم ايمانهم بالفساد الدالة على البعث فقوله
فما لهم ... وعطف عليه استبعاد عدم خضوعهم وانقيادهم للقرآن
عند سماعهم اياه من حيث انهم بالعقول افصح درجات الفصاحة والبلاغة
الداخلين تحت قدرة فعند سماعهم لا بد ان يجزموا بكونه معجزا خارجا
عن طوق البشر وكونه كلام الله ويعلموا بذلك صدق محمد في دعوة
النبوة فيطيعونه في جميع الاوامر والنواهي **قوله** ولا يسجدون لتلاوة
فسر السجود اولا بالخضوع والاستكانة ثم جوز ان يراد به نفس السجود
عند تلاوة آية السجدة على ان يكون المراد بالقرآن آية السجدة خصوصا

فلينظر الى آخر الكلام **قوله** بمعنى ذي دفق اشارة الى ان توصيف الماء بانه دافق
مجاز نسبة مبدأ الاشتقاق الى ذات الموصوف به مع قطع النظر عن صورة
منه كتامر ولابن وفارس اي ذو تمر ولبن وفرس بمعنى تمري ولبني **قوله**
والمراد الممتزج من المائين في الرحم اشارة الى وجه قوله تع من ماء
بتنوين الوحدة مع ان الولد مخلوق من مائين ماء الرجل الذي يخرج
من صلبه وماء المرأة الذي يخرج من ترائبها التي هي عظام صدرها
حيث تكون القلادة وكل عظم من ذلك تريبة لان الولد انما يتكون
بعد اجتماع المائين في الرحم وامتزاجهما وصيرورتهما شيئا واحدا
فلما كان مبدأ تكونه هو الماء الواحد الممتزج في الرحم الخارج من بين
شيئين قال من ماء واحد ولم يقل من مائين يخرج احدهما من
الصلب والآخر من الترائب فلا واحد من المائين وان كان خارجا
من محل على حدة الا انه يصدق على المجموع الممتزج انه خارج من بين
ذينك المحلين **قوله** والوجه ان النطفة تتولد ... جواب عما طعن به بعض
الملاحدة في هذه الآية بانه قالوا ان كان المراد من قوله يخرج من بين
الصلب والترائب ان المني انما ينفصل من تلك المواضع فليس الامر
كذلك لانه انما يتولد من فضلة الهضم الرابع وينفصل عن جميع اجزاء البدن
فيأخذ من كل عضو طبيعته وخاصيته فيصير مستعدا **قوله** لان يتولد منه
مثل تلك الاعضاء ولذلك ترى المفرط في الجماع يستولي الضعف على جميع
اعضائه وان كان المراد ان معظم اجزاء المني يتولد هناك فهو ضعيف
بل معظم اجزائه انما يتربى ويتولد في الدماغ والدليل عليه انه يشبه الدماغ
في صورته ولان المكثر من الجماع يظهر الضعف اولا في عينه وان كان المراد
مستقر المني هناك فضعيف ايضا لان مستقره هو اوعية المني وهي عروق
ملتف بعضها ببعض عند البيضتين وان كان المراد مخرجه هو الصلب — المخ م
الصلب والترائب فليس كذلك بل مخرجه هو الاحليل كذا نقل الامام
شبهتهم ثم اجاب عنه بقوله لا شك ان اعظم الاعضاء معونة
في توليد المني هو الدماغ وللدماغ خليفة وهي النخاع وهو في الصلب
وله شعب كثيرة نازلة الى مقدم البدن وهو التريبة فلهذا السبب

مسئلة

ومشايخنا جعلوا المقتولين بحكم المعصية وهو الدروازي والكلابادي حكم اهل
البغي في حق هذه الاحكام وكذلك حكم الواقفين الناظرين اليهم اذا اصابهم
حجر او سكين وماتوا في تلك الحالة لانهم يعينونهم بالصياح ولو اصابهم
في تلك الحالة وماتوا بعد تفرقهم يصلى عليه وحكي عن الشمس الائمة السرخسي
انه سئل عمن قتل بالمحاربة بحكم المعصية فاجاب انه يصلى على اهل كلاباد
ولا يصلى على اهل دروازة لان في عهد السلطان كان من اهل دروزة وكان
يامر اهل كلاباد بالمحاربة معهم فكانوا مظلومين فيصلى عليهم وقال ابو يوسف
لا يصلى على كل من قتل على متاع ياخذه والمكابرون في المصر بالسلاح مسكين
منه

العصبية المحلة المنسوخة من غير بصيرة
الى العصبة اي يقاتل من غير اهل الجاهلية
وعلم بعصبيته لقتال اهل المبطل
لا يعرف المحق من المبطل زين العرب

ملكوتها وتجلّى الملائكة إياه فيها والمعنى لتركبن يا محمد السموات طبقاً عن
طبق فإنها سبع سموات طباق وقد فعل الله ذلك ليلة الإسرا وقوله بعد
حال وبعد المراتب إشارة إلى معنى بعد ووجه ذلك أن الأشياء إذا صار
إلى شيء بمجاوزة عن شيء آخر فقد صار إلى الشيء الثاني بعد الأول فصح أن
يستعمل فيه بعد عوض عن فإذا يفيد لفظة عن يفيد البعد والمجاوزة فكانت
اللفظة بعد فصح استعمال إحداهما مكان الأخرى قوله يوم القيمة خص يوم
القيمة بالتفسير بناء على أنهم لا يؤمنون بأكثر ما يجب الإيمان به بل لعله من حيث
أن الكلام مسوق لتوبيخ منكري البعث والقيمة وتقطيع حالهم لأنه تعالى
حكى عن الكافرين أنه ظن أن لن يحور ثم حكم بأنه يحور ثم أقسم بتغيرات
واقعة في الأفلاك والعناصر على تغير أحوال الظن فإن الشفق حالة
مخالفة لما قبلها وهو ضوء النهار ولما بعدها وهو ظلمة الليل وكذا قوله و
الليل وما وسق فإنه يدل على حدوث ظلمة بعد نور وعلى تغير أحوال الحيوانات
من اليقظة إلى النوم وكذا قوله والقمر إذا اتسق فإنه يدل على حصول كمال
القمر بعد أن كان ناقصاً قيل قال بعد ذلك على سبيل الاستبعاد فما لهم لا
يؤمنون على أن المراد الاستبعاد عدم إيمانهم بالبعث والقيمة فإن
عدم إيمانهم بذلك عند ظهور الحجة وزوال الشبهة منهم مستبعد جداً
فإن القادر على تغير الأجرام العلوية والسفلية من حال إلى حال ومن
صفة إلى صفة بحسب المصالح لا بد أن يكون قادراً على جميع الممكنات عالماً
بجميع المعلومات ومن كان كذلك كان لا محالة قادراً على البعث والقيمة
فلذلك فرع عليه استبعاد عدم إيمانهم بالفاء الدالة على السببية فقال
فما لهم الخ وعطف عليه استبعاد عدم خضوعهم وانقيادهم للقرآن
عند سماعهم إياه من حيث أنهم بالغون أقصى درجات الفصاحة والبلاغة
الداخلتين تحت قدرة فعند سماعهم لا بد أن يجزموا بكونه معجزاً خارجاً
عن طوق البشر وكونه كلام الله ويعلموا بذلك صدق محمد في دعوة
النبوة فيطيعوه في جميع الأوامر والنواهي قوله أو لا يسجدون لتلاوة
فسر السجود أولاً بالخضوع والاستكانة ثم جوز أن يراد به نفس السجود
عند تلاوة آية السجدة على أن يكون المراد بالقرآن آية السجدة خصوصاً

٧

لا مطلق القرآن وأيد هذا الاحتمال بما روي في سبب النزول قوله واحتج به على
في سبب نزول هذه الآية واحتج بهذه الآية وتذكير الضمير في المنزل والإلزام
ونحوه ويدل عليه قوله فإنه ذم من حيث أن ضميره لأنه تعالى ذمهم بهذه الآية على ترك
المذكور ووجه الاحتجاج أن الذم على ترك الشيء يدل على وجوب ذلك الشيء
وقوله تعالى الذين كفروا ها هو وضع موضع الضمير للتسجيل عليهم بالكفر والإشعار
بما هو العلة في عدم خضوعهم للقرآن وتكذيبهم والمعنى لا يسجدون لم
بل هم يكذبون به والظاهر أن ما في بما يوعون موصولة محذوف العائد يقال أوعى
عيبة الشيء أي جعلته في وعاء قال الله تعالى فأوعى وعلم أن الله تعالى يجمعونه في
صدورهم من الشرك والتكذيب والعداوة كناية عن مجازاتهم عليه
في الدنيا والآخرة وقوله فبشرهم استهزاء بهم لأن البشارة هي الإخبار
السار وقد استعملت في الخبر المؤلم قوله استثناء منقطع بمعنى لكن الذين
آمنوا الآية وهو مستثنى من الضمير المنصوب في فبشرهم الراجع إلى الذين كفروا
والمستثنى هم المؤمنون خارج عنهم ويجوز أن يكون متصلاً لأن المؤمنين
منهم من كانوا من جملة آحادهم وداخلين في عدادهم حيث وقعوا في عدم
الخضوع للقرآن وفي عدم السجدة للتلاوة وفي تكذيبهم ثم خالفوهم وهذا
القدر من الموافقة كاف في الاتصال قال ذات البروج وهي القصور التي تنزل
فيها الأكابر والأشراف أطلق على بروج السماء الاثني عشر استعارة تصريحية
تشبيهاً لها بالقصور لكونها منازل السيارات ومنها الثوابت والبروج
في اصطلاح المنجمين اسم لجزء معين من اثني عشر جزءاً من خط مدور
في الفلك يسمونه منطقة البروج وكل برج يعرف باسم كوكب ينسب
إليه ويليه والمراد بالبروج ههنا النجوم التي منازل القمر وهي ثمانية و
عشرون نجماً ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاها ولا يتقاصر عنها
فإذا صار القمر إلى آخر منازله دق واستقوس ويستتر ليلتين إن كان الشهر
ثلثين يوماً وإن كان تسعة وعشرين فليلة واحدة وإطلاق البروج على هذه
النجوم أيضاً مبني على تشبيهها بالقصور من حيث أن القمر ينزل فيها والظهور
ها أيضاً بالنسبة إليه لأن البرج ينبئ عن الظهور والبروج الاثني عشر
منقسمة إلى هذه المنازل الثمانية والعشرين والشمس يسخر تمام هذه

مطلب سورة البروج

البروج الاثني عشر في كل سنة والقمر في كل شهر وقد تعلقت بها منافع ومصالح
للعباد فاقسم بها اظهارا لقدرها والنفع الثالث ان المراد بالبروج
عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها بالنسبة الى من ينزل من السماء
ولان الثوابت لا تخرج منها كما لا يخرج من القصر قوله واصل التركيب للظهور
اى مع الاشتمال على المحاسن فان القصور لرفعتها وحسنها ظاهرة للاعين
ومظهرة المحاسن فلذلك سميت بروجا ثم قيل تبرجت المرأة اى تشبهت
بالبرج في اظهار المحاسن وهو معنى قولهم التبرج اظهار المرأة من زينتها
ومحاسنها للرجال قال الله تعالى غير متبرجات بزينة روى عن ابي هريرة عن
النبي عم ان اليوم الموعود يوم القيمة وقيل يحتمل ان يكون المراد اليوم
الموعود الانشقاق السماء وفنائها وبطلان وجودها قوله ومن يشهد
في ذلك اليوم من الخلايق الاولين والآخرين من الانس والجن والملائكة
والانبياء عم اى من يحضر فان الشاهد يطلق على المعنيين احدهما الشاهد
الذى يثبت به الدعاوى والحقوق والثاني الشاهد الذي هو بمعنى الحاضر كما في
قوله تعالى عالم الغيب والشهادة ويقال فلان شاهد وفلان غايب وحمل
الآية على المعنى الثاني اولى اذ لو كان المراد المعنى الاول لما خلا لفظ المشهود
عن حرف الصلة ظاهرة نحو ان يقال مشهود عليه او مشهود به وحيث لم تثبت
الصلة ظاهرة للآية لوجب ان يقال انها محذوفة ومقدرة كما في قوله تعالى ان
العهد كان مسئولا عنه والتقدير خلاف الاصل لا يصار اليه من غير ضرورة
لا ضرورة في الآية يجوز ان يكون المشهود من شهد بمعنى حضر وهو يتعدى
بنفسه يقال حضره اى كما قال الله تعالى واعوذ بك رب ان يحضرون فلذلك
قدم المص تفسير الشاهد والمشهود بان جعلها من الشهود بمعنى الحضور
وفسر الشاهد بالجمع الذى يحضرون في اليوم الموعود والمشهود بما يحضر
في ذلك اليوم من العجايب فانه تعالى لما اقسم باليوم الموعود وهو يوم القيمة
تنبيها على قدرها وشرفها من حيث كونه يوم الفصل والجزاء ويوم
تفرد الله تعالى بالملك والحكم فيه عطف عليه الشاهد وهو يحضر في ذلك اليوم
من الخلايق والمشهود الذي هو ما في ذلك اليوم من العجايب ولا يخفى ما
في هذا التفسير من مناسبة المعطوف للمعطوف عليه ولانه لا حضور اعظم

من ذلك الحضور والواقع في ذلك اليوم وحمل اللفظ على المعنى الاول اولى لئلا يلزم شيء
فيما يبتنى على جعلها من الشهادة التى تثبت بها الدعوى فقال او
النبي او امته دليله قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا
الى الله ولا شك ان بشيره ونذاره ودعوته انما بالنسبة الى امته فلذا
شهادته يكون بالنسبة اليهم وقوله وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا
شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وفيه ايضا دلالة ان الشاهد
هذه الامة والمشهود سائر الامم او كل نبي وامته كقوله فكيف اذا جئنا
من كل امة بشهيد فانه يدل على ان كل نبي شاهد على امته قوله او الخالق و
الخلق لقوله وكفى بالله شهيدا اى مشاهدا مطلعا على احوال خلقه قوله
او عكسه وهو ان يكون المراد بالشاهد جميع الممكنات الحادثة والمشهود خالقها
وصانعها فان كل جزء من اجزاء العالم شاهد لمن تذكره على ان له
خالقا خلقه فيكون القسم واقعا بالخالق والخلق والصانع وصنعه قال
الشاعر فيا عجبا كيف يعصى الاله ام كيف يجحده الجاحد وفي كل شيء له آية
تدل على انه واحد ولله في كل تحريكة علينا وتسكينة شاهد او الملك الحفيظ
والمكلف لقوله تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد فيكون كل نفس
مشهودا اى مشهودا عليه يشهد حفظة الاعمال عليه قوله او يوم النحر او
عرفة والحجيج وهو جمع حاج كما يقال للغزاة غزى وللعف [illegible] على اقدامهم
يحجون اى يفسر المشهود بيوم عرفة والشاهد من يحضره من الحاج و
حسن القسم به تعظيما لامر الحج روى ان الله تعالى يقول للملائكة يوم عرفة
انظروا الى عبادى شعثا غبرا اتوني من كل فج عميق اشهدكم انى غفرت
لهم وان ابليس يصيح ويضع التراب على رأسه لما يرى من ذلك ودليل
من فسر المشهود بيوم عرفة قوله تعالى وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق
ليشهدوا منافع لهم ويجوز ان يفسر المشهود بيوم النحر والشاهد
من يحضره من الحاج لان ذلك اليوم اعظم المشاهد في الدنيا فانه
يجتمع اهل الشرق والغرب في ذلك اليوم بمنى ومزدلفة وهو عيد المسلمين
ويكون المعنى المقصود به تعظيم امر الحج ايضا قوله او يوم الجمعة والمجمع اى ان
يفسر المشهود بيوم الجمعة والشاهد من يحضره من المصلين للصلوة

والذكر والمجمع اسم فاعل من جمع القوم تجميعا اى شهدوا الجمعة وقضوا
الصلوة فيها فانه يشهد له بيان بوجه تفسير كل من يوم النحر وعرفة
والجمعة بالمشهود فان كل واحد من هذه الايام يحضره المسلمون
لما فيه من العبادة ومما يدل على تفسير المشهود بيوم الجمعة ما روى
انه عم قال اكثروا على الصلوة يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده
الملائكة وقد روى ثم يحضروا الملائكة ابواب المسجد فيكتبون الناس فاذا
خرج الامام طويت الصحف وهذه الخاصية غير موجودة الا في هذا
اليوم فيجوز ان يسمى مشهودا لهذا المعنى قوله او كل يوم واهله الا وكل شاهد
وان في مشهود اى مشهود عليه كقوله تعالى ان العهد كان مسؤلا اى مسؤلا
عنه عن الحسن ما من يوم الا وينادى انى يوم جديد وانى على ما يعمل
في شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني الى يوم القيمة قوله ان جواب
القسم على تقدير لقد قتل فانه قد تقرر ان جواب القسم اذا كان جملة فعلية و
كان الفعل ماضيا مثبتا تصدر الجملة بلام الابتداء المفيدة للتأكيد داخله
على كلمة قد نحو والله لقد خرج ولا يجوز الاقتصار على احدهما الا عند طول
الكلام كما في قوله تعالى والشمس وضحيها الى قوله قد افلح فانه لم يؤت باللام
للطول او في ضرورة الشعر كقوله شعر حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا
فما ان من حديث ولا صال ويجب في مثله تقدير قد بعد اللام لان الابتداء
لا يدخل على الماضي المجرد ومن قال بان قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود جواب
القسم قال ان اصله لقد قتل فحذف اللام كما في قوله تعالى قد افلح من زكيها
ثم حذف قد وفيه في توجيه خلو الجواب عنهما ان الكلام يحمل على التقديم
والتأخير كأنه قيل قتل اصحاب الاخدود والسماء ذات البروج والاظهر
انه دليل جواب محذوف جعل كون جملة قتل اصحاب الاخدود جواب القسم
خلاف الظاهر بناء على ما ثبت ان الايات في هذه السورة وردت لبيان شدة
عداوة قريش للمؤمنين واستخفافهم بذلك لعنة الله وعظم
سخطه وان ذكر قصة اصحاب الاخدود وانقضاء حديث الجنود فرعون
وثمود المقصود منه تسلية النبي عم واصحابه على ايذاء الكفار وبيان ان
حال المؤمنين مع الكفار في جميع الازمنة مستمرة على هذا المنهج وبالاشارة

الى

الى ما حل بهم نقمته وقهره بالامم السالفة من المعاندين مثل فرعون و
ثمود فانها تتضمن وعد المؤمنين ووعيد المشركين فاذا كان كذلك
ظهر ان جعل كف جملة على طرف وتوجيه القسم على حال اصحاب
الاخدود لا وجه له ولا سيما انه يؤدي الى التقدير والاضمار من غير ضرورة
فلذلك قال المص والاظهر انه دليل جواب محذوف وهو ان كفار قريش ملعو نون
وتقدير الكلام اقسم ان الكفار قريش لملعونون احقاء بان يقال فيهم
قتلوا كما قتل اصحاب الاخدود وان يراد اللعن بان القتل اشارة الى ان
القتل كناية عنه من حيث ان القتل لكونه اغلظ العقوبات لا يقع الا عن
سخط عظيم يوجب الابعاد عن الخير والرحمة الذي هو معنى اللعن فكان
القتل من لوازم اللعن ثم الاخبار بان اصحاب الاخدود ملعونون لقوة
عنادهم ومبالغتهم في ايذاء المؤمنين يدل على ان الكفار قريش
ملعونون ايضا لاشتراكهم في العلة وسلوك طريقة الحكاية ابلغ من التصريح
وادخل في افادة التسلية فظهر ما قررنا ان قوله قتل ليس دعاء على اصحاب
الاخدود من قبيل المقسم قوله فاقتلها اى بان يخلق في قوة ادمى بها
هذا الحجر اليها واضربها به فرماها وقتلها فصار ذلك سببا لاعراض
الغلام عن السحر واشتغاله بطريقة الراهب حتى صار بحيث يبرئ
الاكمه والابرص ويشفي من الامراض الى اخر القصة والرجفة الزلزلة
وتقاعست الاناث اى كبيت وقلبت وتقاعست وتأخرت فكانها تصبر
قوله وعن على رضى انه قال حين اختلفوا في احكام المجوس انهم اهل كتاب
وكانوا مستمسكين بكتابهم وقد كانت الخمر قد احلت لهم فتناولها بعض
ملوكهم فسكر فوقع على اخته فلما صحى ندم وطلب المخرج فقالت له
اخته المخرج ان تخطب الناس فتقول ان الله تعالى احل نكاح الاخوات ثم
تخطبهم بعد ذلك فتقول ان الله تعالى حرم نكاحها حين تخطب فلم يقبلوا منه
ذلك فقالت له ابسط السوط فيهم اى اضرب من ابى منهم فلم يقبلوا فقالت
ابسط فيهم السيف فلم يقبلوا فامرت بالاخاديد وايقاد النار فيها وطرح
من ابى فيها فهم الذين اراده الله تعالى بقوله قتل اصحاب الاخدود و
نجران بلدة من بلدان اليمن ونزل اليه رجل ممن كان على دين عيسى عم فدعاهم

اليه

فاجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير وهو قبيلة من اليمن
فخيرهم بين النار واليهودية فابوا فاحرق منهم اثني عشر الفا في الاخاديد
وقيل سبعين الفا وذكر ان طول الاخدود اربعين ذراعا وعرضه اثني عشر
ذراعا فان قيل تعارض هذه الروايات يدل على كذبها قلنا لا تعارض فقيل
ان هذا كان في ثلث طوائف ثلث مرات مرة باليمن ومرة بالعراق ومرة بالشام
وهكذا قال الامام ثم قال ويمكن ان يكون المراد باصحاب الاخدود القاتلين
ويمكن ان يراد بهم المقتولين والرواية المشهورة ان المقتولين هم المؤمنون
وروي ايضا ان المقتولين هم الجبابرة لانهم لما القوا المؤمنين فيها ارتفعت النار
على الكفرة فاحرقتهم ونجى الله المؤمنين منها سالمين والى هذا القول
ذهب ربيع ابن انس والواقدي وتاولوا قوله فلهم عذاب جهنم ولهم
عذاب الحريق اي لهم عذاب جهنم في الاخرة ولهم عذاب الحريق في الدنيا ثم
قال اذا عرفت هذه المقدمة فنقول ذكروا في تفسير قوله قتل اصحاب
الاخدود وجوها ثلثة وذلك لان اصحاب الاخدود اما ان يفسر بالقاتلين
وبالمقتولين اما على الوجه الاول ففيه تفسيران احدهما ان يكون هذا
دعاء عليهم اي لعن اصحاب الاخدود ونظيره قتل الانسان ما اكفره قتل الخراصون
والثاني ان يكون المراد اولئك القاتلين قتلوا بالنار على ما ذكرنا ان الجبابرة لما
ارادوا قتل المؤمنين بالنار عادت النار عليهم فقتلتهم فاما اذا فسر اصحاب
الاخدود بالمقتولين كان المعنى ان اولئك المؤمنين قتلوا بالاحراق بالنار
فيكون ذلك خبرا لا دعاء انتهى كلامه قوله صفة لها بالعظمة وكثرة ما يرتفع
من لهبها فان النار انما تكون عظيمة اذا كثر ما يحترق ويرتفع به لهبها
من اي جنس كان اما حطب او غيره فالوقود اسم لذلك الشيء لقوله تعالى
وقودها الناس والحجارة والمعنى ذات الوقود وتعظيم امرها لما كان في ذلك
الاخدود من الحطب الكثير ولو لم يحمل على هذا المعنى لم يظهر فائدة التوصيف
اذ من المعلوم ان النار لا تخلو عن حطب ولما كان الاخدود مشتملا على
جعل النار بدل الاشتمال منه كما في سلب زيد ثوبه ولا فرق بين ان الاشتمال
من جانب البدل او من جانب المبدل منه واذ في قوله اذ هم عليها قعود
ظرف لقتل والمعنى لعنوا في ذلك الوقت الذي هم قعود عند الاخدود

يعذبون

يعذبون المؤمنين وقعود جمع قاعد قوله على حافة النار جواب عما يقال انهم
على مقتضى تفسير لعنا بدل اصحاب الاخدود والمؤمنين هم القاتلون فما معنى قعود
القاتلين على النار مع ان القاعد عليها يحترق ويتضرر وتقرير الجواب ان ضمير عليها
عائد الى طرف النار وشفيرها والمواضع التي يمكن الجلوس عليها ولفظ
على مشعر بذلك فنقول مررت عليه تريد مستعليا بمكان يقرب منه والقاتلون
كانوا جالسين فيها وكانوا يعرضون المؤمنين على النار ومن كان يترك
دينه تركوه ومن كان يصبر على دينه القوه في النار قوله وما انكروا يقال
نقم الامر اذا عابه وكرهه اي وما عابوا منهم وما انكروا الا الايمان ونظيره
هل تنقمون منا الا ان امنا بالله وانما قال الا ان يؤمنوا بلفظ المستقبل
مع ان الايمان وجد منهم في الماضي لارادة الاستمرار والدوام عليه فانهم
ما عذبوهم لايمانهم في الماضي بل لدوامهم عليه في الاتي حتى لو كفروا في المستقبل
لم يعذبوا على الماضي فكانه قيل الا ان يستمروا على ايمانهم قوله للاشعار بعلة
لقولهم وصفهم مع ما عطف عليه فان كونه تعالى غالبا لا يغلب ولا يدفع اشارة
الى القدرة وكونه منعما مستحقا للحمد والثناء ومحمودا على النعمة عبادة
المؤمنين وما لا يحمده لسان مقاله يحمده بلسان حاله فانه نفسه شاهد
على ان المحمود في الحقيقة ليس الا هو كما قال وان من شيء الا يسبح بحمده فانه
اشارة الى كونه عالما لانه ما لم يكن تام العلم لا يمكنه ان يفعل الافعال الحميدة والوصف
الثالث اشارة الى الملك التام فانه موجد لجميع الكائنات ثم ان شاء ابقاها
موجودة وان شاء افناها واخر هذه الصفة عن الاوليين لان الملك التام
لا يحصل الا عند حصول الكمال في القدرة والعلم فثبت ان من كان موصوفا بهذه
الصفات هو المستحق للايمان به وغيره لا يستحق بذلك البتة فكيف حكم هؤلاء
الكفار الجهال بكون مثل هذا الايمان ذنبا قوله بلوهم بالاذى اشارة الى ان
اصل الفتنة الابتلاء والامتحان وان الاية عامة كما تناول اصحاب الاخدود
تناول كل من امتحن المؤمنين والمؤمنات باي عذاب كان فان اللفظ عام
فكذا الحكم فالتخصيص ترك الظاهر من غير دليل وفسر بعض المفسرين الفتنة
في الاحراق بالنار قال ابن عباس ومقاتل فتنوا المؤمنين حرقوهم بالنار
وقال الزجاج فتنت الشيء احرقته والفتين احجار سود كانها محرقة

قوله تعالى يوم هم على النار يفتنون قوله العذاب الزايد في الاحراق يعني ان كلا العذابين
يحصلان في الاخرة الا ان عذاب جهنم هو عذاب الاحراق الحاصل بسبب كفرهم
وعذاب الحريق هو العذاب الزايد على عذاب الكفر بسبب انهم احرقوا
المؤمنين والعذاب الزايد على عذاب جهنم هو الا عذاب الاحراق ايضا لا
ان العذاب الاول لا نضج ان يسمى احراقا بالنسبة الثاني لان الثاني بانضمامه
الى الاول واجتماعه معه تقوى واشتد وكان الاول ضعيفا بالنسبة اليه فلا
جرم لم يسم احراقا والحريق اسم كالحرقة بمعنى الاحراق وفي الصحاح تحرق
بالنار واحترق والاسم الحرقة والحريق ويحتمل ان يكون المراد بعذاب جهنم
والعذاب ببردها وزمهريرها وبعذاب الحريق العذاب بحرها فبردها دون
برد وحره وغير الحريق من اسماء النار ايضا كالسعير فيجعل الصفة الاخرة
عذاب جهنم وعذاب الحريق فيجوز ان يكونا دركتين فيها او مكانين فيها
وهذا القول نقله صاحب التيسير وهو راجع الى ما اختاره المص قال
الامام لما قال ذلك الفوز دون تلك لرفيقة لطيفة وهو ان قوله ذلك اشارة
الى اخبار الله تعالى بحصول هذه الجنات ولو قال تلك لكانت الاشارة الى نفس
الجنات واخبار الله تعالى بذلك يدل على كونه راضيا والفوز الكبير هو رضى الله
حصول الجنة ولما ذكر الله تعالى وعيد المجرمين ووعد المؤمنين اردفه
الوعد والوعيد بالتاكيد فقال تاكيدا للوعيد ان بطش ربك لشديد
والبطش هو الاخذ بالعنف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم و
مع ذلك انه ليس بعاجز في بطشه بل شانه ان يمهل العاصي ويؤخر المجازاة
الى يوم القيمة لانه حكيم لا يفعل الا حسب المشية ووفق المصلحة ولا مصلحة
في تعجيل العقوبة فلهذا قال انه هو يبدئ ويعيد اي انه يخلق الخلق ثم يفنيهم
ثم يعيدهم احياء ليجازيهم يوم القيمة فلذلك الامهال لهذا السبب لا لاجل
الاهمال قوله وهو الغفور لمن تاب قال الامام حكاية عن المعتزلة انهم قالوا
هو الغفور لمن تاب وقال اصحابنا انه غفور مطلقا لمن تاب ولمن
لم يتب لقوله تعالى لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولان الاية
المذكورة في معرض المدح والتمدح بكونه غفورا مطلقا اتم واكمل فالحمل عليه
اولى انتهى كلامه ولان الغفور صيغة مبالغة وهي تناسب حمله على الاطلاق

فان

فان الغافر ينبئ عن اتصافه باصل المغفرة وهي الستر والغفار يفيد المبالغة
في اتصافه بالمغفرة بان يغفر مرة بعد اخرى والغفور يفيد المبالغة فيه بان
يغفر مغفرة جيدة تامة شاملة للمذنبين مع كثرتهم قال الامام الغزالي
الغفار ينبئ عن كثرة الغفر والغفور ينبئ عن جودته وكماله وشموله فهو تعالى
غفور بمعنى انه تام الغفران كاملة حتى يبلغ اقصى درجات المغفرة انتهى كلامه
ولا يخفى ان المغفرة مطلقا اجود واكمل واشمل فيحمل صيغة المبالغة اولى
لا سيما في مقام التمدح الا ان يقال مراد المص بقوله لمن تاب من تاب
عن الكفر المحب لمن اطاع يعني ان الودود فعول بمعنى فاعل وقيل
يجوز ان يكون بمعنى مفعول كركوب وحلوب ومعناه ان عباده الصالحين
يودونه ويحبونه لما عرفوا من كماله في ذاته وصفاته وافعاله وعلى تقدير
فهو صفة مدح لانه تعالى اذا احب عباده المطيعين فهو فضل منه واحسان
لان وده تعالى للموحدين عبارة عن ارادة الكرامة والنعمة واحسانه
وانعامه عليهم اذ منزه عن مثل المودة ورقتها وكذا اذا احبه عباده
العارفين فانما يحبونه لجلال ذاته ولمزيد انعامه واحسانه اليهم المراد بالكرسي
الملك والسلطان كما يقال فلان على سرير الملك والسلطنة وان لم يكن على
السرير كما يقال ثل عرش فلان اذا ذهب سلطانه يكنون بالعرش و
السرير عن الملك قوله والمجيد علوه وعظمته اي علوه في الجهة وعظم مقداره
وحسن صورته وتركيبه فانه احسن الاجسام تركيبا وصورة لا يمتنع
عليه شيء مما يريده من افعاله وافعال عباده اشارة الى ان هذه الاية تدل على ان الايمان
فوجب ان يكون فاعله الله بمقتضى هذه الاية واذا كان فاعلا للايمان
وجب ان يكون فاعلا للكفر ضرورة انه لا قائل بالفرق لما لعن الله تعالى كفار
قريش على كفرهم وايذائهم بالمؤمنين مثل عمار وبلال وغيرهم وشبه حالهم
بحال اصحاب الاخدود في الكفر وما ادى اليه من تكذيب الحق وايذاء
اهله تسلية للرسول عم والمؤمنين وابعاد الخاطئين المتمردين زاد في
التسلية والايعاد بقوله هل اتيك حديث الجنود وثمود لقرب بلاد
العرب وقصتهم مشهورة عندهم فذكر الله تعالى من المتاخرين فرعون وقومه
ومن المتقدمين ثمود لبيان ان حال المؤمنين مع الكفار في جميع الازمنة

مستمر على هذا المنهج وان تم قريب جرى اهلاك الطاغين بالتكذيب
والايذاء ولا يوخر عذابهم الى يوم القيمة فكان قيرفتج واصبر على ما ذلك
منهم فان جند دالهم المنصور دونه وحذرهم عن مثل ما مثل ما نزل
عن قبلهم بث ذكرهم في الاولين في سبب ما نزل بهم بل الذين كفروا من قومك
اشد تكذيب منهم على ان تنوين تكذيب للتعظيم والتهويل لا يرعوون
عن التكذيب اي لا ينفعون عنه يقال رعى يرعوا اي كف ومنع وارعوى
عن القبيح اي امتنع ان تو سلهم بوجه اضراب بين اقداره على الذين
كفروا وانهم في قبضته وحوزته كالمحيط اذا احيط به من وراءه فسر
عليه مسلكه فلا يجد مهربا قوله بل هو الذي كذبوا به مجيدات رد الى وجه
ارتباط هذه الاية بما قبلها ذلك انه تع لما عجب محمدا لهم بيان انهم
كذبوا تكذيب اشد من تكذيب من قبلهم من المكذبين بعد ما راوا
وسمعوا ما نزل بهم من البلاء لاجل تكذيبهم ترقى في التعجب من حالهم
بيان شرف ما كذبوا به وان الاولين لم يكذبوا بمثله فتكذيبهم ايات
بعد ما راوا اثار اهلاك الاولين عجيب غاية العجب قوله وقرا نافع
محفوظ بالرفع على انه صفة للقرآن في التقدير بل هو قرآن مجيد محفوظ
في لوح ومن لغة الشيء الذي يكتب فيه واللوح بالضم الهواء بين السماء و
الارض ومن قرأ بالضم يفسره بما فوق السماء السابعة الذي فيه
عنت ب كل شيء وقال مقاتل هو عن يمين العرش وقال ابن عباس رض
ان الله تع خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء
طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب و
قال انه في صدر اللوح لا اله الا الله وحده ودينه الاسلام ومحمد
عبده ورسوله فمن امن به وصدق وعده واتبع رسله ادخله الجنة
قال الشارح اعلم انه تع اكثر في كتابه العزيز ذكر السماء والشمس والقمر
لان احوالها في اشكالها وسيرها ومطالعها ومغاربها وكثرة
منافعها عجيبة ثم انه تع لما عطف الطارق على السماء ولا يعرف المراد
منه بدون التفسير والبيان قال وما ادريك ما الطارق ثم وطئه
لبيان المراد منه وتفخيم شانه واعلاء لقدره ثم بينه بانه النجم

مطلب سورة الطارق

المضئ

المضئ الذي يهتدى به في ظلمات البر والبحر فانه ذكر الشيء مجملا ثم تفصيله و
تعيينه نوع عن فخامة شانه واختلفوا في ان التعريف في النجم للاستغراق
او للعهد الخارجي فقال بعضهم انه للاستغراق كما في قوله ان الانسان لفي
خسر وقال اخرون ان النجم بعينه ثم قال ابن زيد انه الثريا وقال الفراء
انه زحل لانه يثقب بنوره سمك سبع سموات وقال اخرون انها الشهب
التي ترجم بها الشياطين لقوله تع فاتبعه شهاب ثاقب ثقبه يثقبه
ثقب اي جعل فيه منفذا ومسلكا ونفذ فيه وثقب النار تثقب ثقوبا
اي اتقدت واشتعلت ويقال لمن يوقد النار اثقب نارك اي اشعلها
حتى تضيء وثقب النجم اي اضاء وشهاب ثاقب اي مضئ فعلم ان المعنى
الاصل للثاقب الذي يفتح المنفذ فاطلق على المضئ لوجود معنى فتح
المنفذ فيه من حيث انه يثقب بضوئه الظلام او الافلاك واطلق
على من يوقد النار لكونه سببا لحدوث الضوء الثاقب قوله وقراه
ابن عامر وعاصم وحمزة لما بتشديد الميم والباقون بتخفيفها والمص
لمن قرأ بالتخفيف ومن خففها كانت ان عنده مخففة من الثقيلة
اسمها مضمر وهو الشان واللام فارقة وما في الف زائدة بين المخففة
وان فيه وما صلة كالتي في قوله فبما رحمة من الله وعلى قبلها وان المخففة
مع ما في حيزها جواب القسم اي اقسم ان الشان كل نفس لعليها حافظ
ومن ثقلها كانت ان عنده نافية ولما بمعنى الا في قوله تع ما ان مكناكم وان
لما بمعنى الا والجملة ايضا جواب القسم اي اقسم ما كل نفس الا عليها
حافظ يحفظ عملها ورزقها واجلها واذا استوفت كل ذلك قبضها
الى ربه فالاية تتضمن وعيد الكفار وتسلية الرسول فلا تحزن عليهم انما
نعد لهم عدا ففي هذا الحافظ هو الملك كما قال وان عليكم لحافظين
كراما كاتبين قال الزجاج استعملت لما في موضع الا في موضعين احدهما
بعد ان النافية والاخر في باب القسم تقول سالتك لما فعلت بمعنى الا
فعلت وروى عن الاخفش والكسائي وابي عبيدة انهم قالوا لم توجد
لما بمعنى الا في كلام العرب وقيل انه لما بمعنى الا مع ان النافية موجودة
في لغة هذيل وعلى الحفظ بمعنى في قوله تع لما عليها حافظ لتضمنه

معنى المهيمن واشار اليه الزمخشري بقوله حافظ مهيمن عليها قال حجة الاسلام
الغزالي معنى المهيمن في حق الله تعالى انه قائم على خلقه باعمالهم وارزاقهم
واجالهم وانما قيامه عليهم باطلاعه واستيلائه وحفظه وكل مشرف
على كنه الامر مستول عليه حافظ له فهو مهيمن عليه والاشراف يرجع
الى العلم والاستيلاء يرجع الى كمال القدرة والحفظ يرجع الى الفعل والجامع
بين هذه المعاني اسم المهيمن انتهى كلامه ثم قال الله تعالى في حق القرآن
ومهيمنا عليه لانه المشرف الحافظ لما هو المستور في الكتب السالفة
نعرف به المحرف من الحق والمنسوخ من غيره وهو من امن غيره من الخوف
والاصل آامن فهو مؤامن بهمزتين قلبت الثانية ياء كراهة لاجتماع
الهمزتين فصار مايمن ثم جعلت الاولى هاء كما قالوا هراق الماء في اراقه
ولما ذكر ان كل نفس عليها حافظ اشار الى وجه ترتب هذه الاية على ما
قبلها وذلك لان اجمال ما قبلها متضمن بمعنى قولنا ان الانسان ليس مما يترك
سدى بل له حافظ مطلع على اعماله وارزاقه واجاله واذا استوفى جميع
ما قدر له من ذلك يقبضه اليه ويجعله في البرزخ مدة ثم يبعثه ويحاسبه
ويجازيه بالثواب والعقاب على حسب اعماله لكمال قدرته وحكمته واحاطة علمه
بالكليات والجزئيات فان حفظ الاعمال ينبئ عن ذلك ولما كان ما قبلها متضمنا
لهذه المعاني وكانت هذه المعاني سبب التوجيه الانسان بالنظر في مبدأه
ليعرف كمال قدرة المهيمن عليه وساير صفات كماله ويستدل به على صحة
البعث والجزاء ويجتهد في ان يكتب عليه حافظ اعماله سوى ما يفتضح
يوم العرض والجزاء فظهر بهذا التقرير ان ما ذهب اليه شرف الدين
الطيبي من ان الفاء في قوله فلينظر الانسان فصيحة تفصح عن ابتناء الكلام
على الحذف والتقدير ليس بوجه اذ لا حاجة في ارتباط الكلام واتساقه
الى الحذف والتقدير لكفاية المذكور قبله في كونه سببا للتوجيه بالنظر بلا
ارتكاب الحذف مثل ان يقدر بعد قوله عليها حافظ ما يدل هو عليه
من قولنا وان النفوس لم يخلقوا عبثا وانما خلقوا لاجل امر خطير و
هو ان يعرفوا خالقهم ويعبدوه ويطيعوه في جميع تكاليفه وانه تعالى يبعثهم
بعد موتهم ويثيب من اطاعه ويعاقب من عصاه ومن انكر ذلك

فلينظر

فلينظر الى اخر الكلام **قوله** بمعنى ذي دفق اشارة الى ان توصيف الماء بانه دافق
لمجرد نسبة مبدأ الاشتقاق الى ذات الموصوف به مع قطع النظر عن صدوره
منه كما مر ولابن وفارس اي ذو تمر ولبن وفرس بمعنى تمري ولبني **قوله**
والمراد الممتزج من الماءين في الرحم اشارة الى وجه قوله تعالى من ماء
بتنوين الوحدة مع ان الولد مخلوق من ماءين ماء الرجل الذي يخرج
من صلبه وماء المرأة الذي يخرج من ترائبها التي هي عظام صدرها
حيث يكون القلادة وكل عظم من ذلك تريبة لان الولد انما يتكون
بعد اجتماع الماءين في الرحم وامتزاجهما وصيرورتهما شيئا واحدا
فلما كان مبدأ تكونه هو الماء الواحد الممتزج في الرحم الحادث من
شيئين قال من ماء واحد ولم يقل من ماءين يخرج احدهما من
الصلب والاخر من الترائب فكل واحد من الماءين وان كان خارجا
من محل على حدة الا انه يصدق على المجموع الممتزج انه خارج من بين
ذينك المحلين **قوله** ولو صح ان النطفة تتولد من جواهر طعن به بعض
الملاحدة في هذه الاية بانهم قالوا ان كان المراد من قوله يخرج من بين
الصلب والترائب ان المني انما ينفصل من تلك المواضع فليس الامر
كذلك لانه انما يتولد من فضلة الهضم الرابع وينفصل عن جميع اجزاء البدن
فيأخذ من كل عضو طبيعته وخاصيته فيصير مستعدا **قوله** لان يتولد منه
مثل تلك الاعضاء ولذلك ترى المفرط في الجماع يستولي الضعف على جميع
اعضائه وان كان المراد ان معظم اجزاء المني يتولد هناك فهو ضعيف
بل معظم اجزائه انما يترشح ويتولد في الدماغ والدليل عليه انه شبيه الدماغ
في صورته ولان المكثر في الجماع يظهر الضعف اولا في عينيه وان كان المراد
مستقر المني هناك فضعيف ايضا لان مستقره هو اوعية المني وهو عروق
ملتف بعضها ببعض عند البيضتين وان كان المراد مخرج المني من الصلب المني من
والترائب فليس كذلك بل مخرجه هو الاحليل كذا نقل الامام
شبهتهم ثم اجاب عنها بقوله لا شك ان اعظم الاعضاء معونة
في توليد المني هو الدماغ وللدماغ خليفة وهي النخاع وهو في الصلب
وله شعب كثيرة نازلة الى مقدم البدن وهو الترائب فلهذا السبب

خص الله تعالى هذين العضوين بالذكر على ان كلامهم في كيفية تولد المني وكيفية تولد
الاعضاء من المني كلام محض الوهم والظن الضعيف وكلام الله اولى بالقبول
انتهى كلامه والحاصل ان الملاحدة خفي عليهم وجه قوله تعالى يخرج من بين
الصلب والترائب بناء على زعمهم ان المني ينفصل عن جميع اجزاء البدن فيأخذ
من كل عضو طبيعته وخاصيته فيستعد لان يتولد منه مثل تلك الاعضاء
فاشار المص اولا الى منع زعمهم بانه محض وهم وظن ضعيف والله تعالى اصدق
القائلين وكلامه المجيد لا يأتيه الباطل من بين يديه وخلفه واجاب ثانيا
بانا لو سلمنا ما زعموه فوجه تخصيص الصلب والترائب بالذكر كونهما
اقرب الى اوعية المني التي هي مستقره بالنسبة الى سائر الاعضاء التي بينها
وبين الدماغ تعلق واتصال فان الصلب محل النخاع الذي هو خليفة
الدماغ ومتشعب منه والترائب منتهى الشعب النازلة من الدماغ
اليها ومتصلة به بوصلة الاعضاء الممدودة بينهما انتهى محصول كلامه
ولا يخفى ان جعل الترائب مخرجا للمني بمجرد تشعب الاعصاب من الدماغ
اليها من غير ان يكون لها مدخل في توليد المني ومن غير انفصاله منها
فقط ومن غير كونها مخرجا له لا يخلو عن بعد والوجه في تخصيصها ان يقال
على تقدير تسليم ما زعموا ان النخاع والقوى القلبية والكبدية والدماغية
كلها متفقة ومتممة في افراز ذلك الفضل وتوليده على ما زعموا فنبه الله تعالى
على مدخلية الدماغ والنخاع في تكون ذلك الماء بذكر الصلب لانه محل النخاع
الذي هو خليفة الدماغ ومتشعب منه والى مدخلية القلب والكبد
بذكر الترائب لان الترائب موضع القلب والكبد ومشتمل عليهما ولا
ضرورة الى تخصيص الترائب بالنساء فانه قد ذهب قوم الى ان الولد
مخلوق من الماء الذي يخرج من صلب الرجل وترائبه واحتجوا على ما ذهبوا
اليه بان الله تعالى بين ان الانسان مخلوق من ماء دافق اي ذي اندفاق
وانصباب والموصوف بذلك هو ماء الرجل ووصف ذلك الدافق بانه
يخرج من بين الصلب والترائب فدل ذلك على ان ترائب ترائب
الرجل وعدم التعرض بماء المرأة لا ينافي لان يكون لها ايضا مدخل
في تكون الولد واجاب القائلون بان الولد مخلوق من الماء الذي يخرج

من صلب الرجل وترائب المرأة عن هذا الاحتجاج بان توصيف هذا الماء
الممتزج بالدافق من قبيل توصيف المجموع بوصف بعض اجزائه **قوله** والضمير
للخالق يعني ضمير انه للخالق المدلول عليه بقوله خلق فحمله اولا بترك
الف عن في قولهم خلق اذ لا يذهب الوهم الا الى الخالق سواه ويحتمل ثانيا
بالاضمار قبل الذكر لذلك ايضا ولا خفاء في ان ضمير رجعه للانسان وعلى من
صلة لقادر فان قيل ما وجه الاختصاص المستفاد من تقديم قوله
على رجعه على عامله وهو لقادر مع انه تعالى قادر على كل شيء قلنا ان التقديم
قد لا يكون للتخصيص بل لمجرد الاهتمام والتبرك والاستلذاذ او موافقة
كلام الخصم او ضرورة الشعر او رعاية السجع والفاصلة وما اشبه
ذلك والتقديم ههنا للاهتمام به من حيث ان الكلام فيه بخصوصه و
الامر بالنظر في مبدأ خلقه لكونه وسيلة ومؤديا الى العلم بصحة الرجع
كانه قيل فلينظر مم خلق ليعلم ان خالقه من مثل ذلك الشيء الحقير لقادر
على اعادته ورده حيا بعد موته فلا يشتغل الا بما يسره في القيمة
اذ يراه ثم انه تعالى لما اقام الدليل على صحة القول بالبعث والقيمة وصف
حاله في ذلك اليوم فقال يوم تبلى السرائر الاية والسرائر جمع سريرة
وهي الذي يكتم ويخفى والمراد بها في الاية ما اسر في القلوب من
العقائد والنيات وما اخفي من الاعمال والابلاء هو الاختبار والاختبار
هو التفحص بلوته بلوا جربته واختبرته وبلاه الله بلاء وابلاه ابلاء وابتلاه
امتحنه واطلاق الابلاء على الكشف والتمييز من قبيل اطلاق اسم
السبب على المسبب لان الاختبار يكون للتفريق والتمييز وابتلاء الله تعالى
عباده بلا علم منه لكشف ما علم منهم في الازل **قوله** وهو ظرف لرجعه
قيل عليه لا يجوز ان ينصب به للفصل بين الصلة والموصول بخبر ان وهو
لقادر ولا ينتصب ايضا بقادر لانه تعالى قادر على الاوقات لا يختص قدرته
بوقت دون وقت الا ان يقال معنى كونه منتصبا برجعه انه منتصب بمضمر
دل عليه رجعه اي يبعثه يوم تبلى السرائر واجيب بان الفصل غير
مانع من كونه ظرفا لرجعه لانه متوسع تقديرا وانما قدم عليه رعاية
للفاصلة على ان الظرف اتسعوا فيه ما لم يتسعوا في غيره **قوله** فما له

مستفاد من عطف قوله ولا ناصر على قوة فانه يدل على ان المراد بالقوة المنفية
القوة الثابتة لنفسه لا القوة مطلقا والا لم يبق للعطف فائدة
لان القوة المستفادة من الغير قوة ايضا وقد نفيت لولا ان المعنى اذ ان
الله تعالى انه في ذلك اليوم فما له من قوة في نفسه يدفع بها عن نفسه
ما حل به من العذاب ولا ناصر ينصره في دفعه ولا شك ان زجره وتحذيره
ومن في قوله من قوة لافادة عموم النفي بجميع افراد القوة والانصار
قليلها وكثيرها كانه قيل ما له شيء من القوة ولا احد من الانصار قوله
سمي به كما سمي اوبا لان الله تعالى يرجعه نوعهم بانها لمثل الاول سمي المطر
بمصدر رجع واب بمعنى ذو رجع وذو اوب او لانه لكثرة رجوعه جعل
نفس الرجوع او الاوب مبالغة او لان الماء الذي نزل من السماء الى الارض
هو الذي صعد منها بان حمله السحاب من البحار وصعد منها ثم رجع اليها
فسمي رجعا لذلك فانه يقال يسري المطر يرجعه وقتا فوقتا قالت
ربابة شمة الايا وتقلبه الا السحاب والا الاوب والسير في ال
ربات الحجر على تهما وشما اي مرتفعة صفة محذوف اي ظلة جبال
شماء اي شامخة مرتفعة والاوب والسير المطر يصف رحلة بجبل
العقاب الشاقة ورجع يتعدى ولا يتعدى يقال رجع هو بنفسه ورجعه
غيره قال الله تعالى فرجعناك الى امك وهذيل يقول ارجعه غيره قوله ان النبات
بيان لما يتصدع عنه الارض فعلى هذا يكون المراد بالصدع نبات الارض
سمي به لانه صادع للارض والارض تتصدع بخروجه بالنبات بل لفظ الصدع
للبيان والتفسير والصدع في اللغة الشق ومنه قوله تعالى يومئذ يصدعون
اي يتفرقون فذات الصدع ذات الانشقاق بالنبات والعيون وعلم
انه سبحانه وتعالى ذكر كيفية خلق الحيوان وجعله دليلا على معرفة
المبدأ والمعاد وذكر في هذه الاية كيفية خلق النبات فالسماء ذات
الرجع كالاب والارض ذات الصدع كالام وكلاهما من النعم العظام
لان نعم الدنيا موقوفة على ما ينزل من السماء من المطر متكررا و
على ما ينبت من الارض كذلك فانه تعالى بعد ان فرغ من بيان دليل
التوحيد والمعاد اقسم قسما آخر بقوله والسماء ذات الرجع

عن

عن قوله انه لقول فصل يفصل به الحق من الباطل والهزل واللعب لان الفصل
قد يكون مذكورا على سبيل الجد والاهتمام بشأنه بل يذكر اتفاقا من غير
ان يقصد بذكره فائدة مطلوبة وهو ذكره بالهزل واللعب وقد يذكر
على سبيل الجد والاهتمام بشأنه والقرآن كله من هذا القبيل فانه كله
نزل جدا لا بالهزل واللعب قوله وانهم يكيدون كيدا اشارة الى ان تسمية
ما كان من الله تعالى في حق اهل مكة من استدراجهم والانتقام منهم من حيث
لا يحتسبون كيدا من باب المشاكلة لوقوعه في مقابلة كيدهم وجزاء لهم لان
الكيد هو المكر والاحتيال لا يجوز اسناده اليه تعالى مرادا به معناه الحقيقي
وتسمية جزاء الشيء على سبيل المشاكلة في القرآن مثل نسوا الله فنسيهم
ويخادعون الله وهو خادعهم والله يستهزئ بهم بعد ما حكى منهم
قولهم انما نحن مستهزئون قوله امهلهم رويدا اشارة الى ان رويدا هنا
صفة مصدر محذوف لا اسم فعل لانه لو كان اسم فعل يكون المعنى امهلهم
ارودهم اي امهلهم فيكون الامر بالامهال مكررا ثلث مرات فان مهل
امهل واروده بمعنى واحد وفائدة التاكيد قد حصلت بالثاني بقي الثالث
بلا فائدة واما اذا كان صفة مصدر محذوف فانه يكون تصغير رود
بضم الراء وهو المهل ويكون التصغير للتقليل فكرر الامر بالامهال لزيادة
التسكين والتصبر لان التكرير للتاكيد وخولف بين لفظي الامر بان بني
احدهما من باب التفعيل والثاني من باب الافعال لزيادة التسكين ايضا وذلك
لان المعنى الواحد اذا عبر عنه بعبارتين مختلفتين يكون كانه معنيان
مختلفان يتعلق بكل واحد منهما قصد على حدة ثم انه تعالى بعد ما سكن رسوله
وصبره بان امر بامهالهم امرا مؤكدا بين ان زمان ذلك الامهال قليل بان
وصفه بقوله رويدا فان رويدا في كلام العرب يستعمل على ثلثة اوجه احدها
ان يكون اسما للفعل الامر فيعمل عمل الافعال فيقال رويد زيدا اي ارود زيدا
وامهله وخله ودعه وارفق به ولا ينصرف حينئذ رويد على هذا الوجه لانه
يكون من الاسماء الغير المتمكنة والثاني ان يكون بمنزلة سائر المصادر فيضاف
الى ما بعده كما يضاف المصادر فتقول رويد زيد كما تقول ضرب زيد قال الله تعالى
فضرب الرقاب والثالث ان يكون نعتا منصوبا كقولك ساروا سيرا

مطلب سورة الاعلى

رويدا ويقولون ايضا ساروا رويدا يحذفون المنعوت ويقيمون رويدا مقامه كما
يفعلون بسائر النعوت المتمكنة ففي هذا يجوز في رويدا وجهان احدهما ان يكون
حالا بمعنى غير مستعجل والثاني ان يكون نعتا كما ذكروا ان اظهرت المنعوت لم يجز ان
يكون حالا والذي في الاية مستمر على الوجه الثالث لعدم ذكر المنعوت فلم
يحتمل ان يكون نعتا كما اختاره المص وان يكون حالا بمعنى غير مستعجل ومنهم من
قال ان المعنى امهلهم رويدا الى يوم القيمة اي صغر ما بين الوقتين بناء على
ان كل ما هو ات قريب ومنهم من قال المعنى امهلهم رويدا الى يوم البدر والاول
اولى لان الذي جرى يوم بدر وسائر الغزوات لا يعم الكل اذ الحق على ان الاخذ
عم الكل وانما هو فهو زجر وتحذير للقوم عما هم عليه وترغيب فيما هو
خلاف طريقهم من الطاعات قال الشارح رح نزه اسمه عن الالحاد فيه اي
عن الميل عن الحق والصواب في تفسيره بان يفسر بما يختص من اسمائه بما لا يصح
ثبوته في حقه تعالى نحو ان يفسر الاعلى بالعلو في المكان والاستواء بالاستقرار
فيجب ان ينزه كل واحد من الاسمين المذكورين عن هذا التاويل بل
يؤول الاستواء بالاستيلاء والعلو بالفوقية والارتفاع في الرتب المعقولة
كالعلم والقدرة والارادة والكرم والرحمة وغير ذلك من صفات الكمال
فان الموجودات اذا قسمت الى درجات متفاوتة بحسب هذه الصفات
الكمالية يكون الحق تعالى في الدرجة العليا من درجات اقسامها فلا يمكن
ان يبلغ موجود ما الى درجته فضلا عن ان يكون فوقه درجة فهو العلي
المطلق وكل ما سواه علي بالاضافة الى ما دونه ودني سافل بالاضافة الى
ما فوقه وكما يجب تنزيه ذاته تعالى عما لا يصح ان يثبت له من الاوصاف
يجب تنزيه اسمائه الدالة على الكمال عما لا يصح فيها ذلك كالتاويلات الزائغة
ومن تنزيه اسمائه ابعادها عن ان يسمى بها غيره تعالى على الوجه الذي
سمي بها الحق تعالى فالعبد وان صح ان يطلق انه رحيم حليم كريم محسن و
نحو ذلك لكن ذلك الاطلاق بوجه آخر غير الوجه الذي اطلق به عليه تعالى ومن
تنزيهها ايضا ان يصان عن ذكرها على وجه الخشوع والتعظيم ويدخل فيه
ان يذكر تلك الاسماء عند الغفلة وعدم الوقوف على معانيها وحقائقها و
المراد باسماء الله تعالى المعاني الجارية على الذات حمل مواطاة كالقادر

والعليم

والعليم لا الفاظها فقط ولا المحمولة حمل اشتقاق اعني نحو القدرة والعلم فانها
من الصفات وان كانت قد يتجوز باستعمال احدهما مكان الاخر واعلم ان للاشياء
وجودا في الاعيان ووجودا في الاذهان ووجودا في اللسان اما وجودها
في الاعيان فهو الوجود الاصلي الحقيقي والوجود في الاذهان هو الوجود
العلمي الصوري والوجود في اللسان هو الوجود اللفظي الدال على ما في الذهن من
الصورة العلمية وتلك الصورة هي المنطبعة في النفس من الموجود العيني الخارجي
فلو لم يكن وجود في الاعيان لم تنطبع الصورة في الاذهان ولو لم تنطبع الصورة
في الاذهان لم يعبر عنها اللسان فاذن اللفظ والعلم والمعلوم ثلثة امور
متباينة لكنها متطابقة متوازية وهذا لا يشتبه على الذوق السليم بعد
المراجعة الى ما ذكره علماء علم الكلام في مبحث الكيف ومبحث الوجود الذهني و
ظهر بهذا ان الاسم غير المسمى الذي هو الموجود في الاعيان بالوجود الاصلي كما انه
غير الصورة الذهنية التي يعبر عنها بالعلم ومن العلماء من ذهب الى ان الاسم
عين المسمى وان تعدد الاسماء راجع الى تعدد الصفات الذاتية والفعلية القائمة
بذات المسمى وانما ذهبوا اليه زعما منهم بان اسماءه تعالى لو كانت عبارة عن
الالفاظ الدالة على ما في النفس لزم ان لا يكون له تعالى اسماء في الازل اذ لم يكن
في الازل لفظ ولا لافظ لان كل واحد منهما حادث واجيب عنه بان المراد بالاسماء
في قوله ولله الاسماء الحسنى معاني الاسماء المحمولة على الذات حمل المواطاة
[illegible] ان معاني نحو القدوس والعالم والقادر ثابتة له في الازل وان لم يكن
الالفاظ متحققة فيه فانه تعالى قدوس وعالم في الازل بمعنى انه كان متصفا بصفة
القدوسية والعلم فيه ولا محذور في حدوث الاسماء الملفوظة المتصفة بكونها عربية او
فارسية قليلة الحروف او كثيرها لان مقتضى الدليل القاطع ان ذاته تعالى وصفاته
الذاتية والفعلية قديمة مصونة عن الزوال باعتبار وجوداتها العينية واما وجودها
في اللسان وفي الاذهان الانسانية فحادثة بحدوثهما قوله وقرئ سبحان ربي
الاعلى روي عن علي وابن عمر رضي الله عنهم قرؤا سبحان ربي الاعلى الذي خلق فسوى
ولعل الوجه فيه ان قوله سبح امر بالتسبيح فلا بد ان يذكر ذلك التسبيح وما هو
الا قوله سبحان ربي الاعلى ولعل مقصود المص من ايراد الحديث بيان انه من طريق
الامتثال بالامر موضع الاستدلال به فلا حاجة في الامتثال به الى قراءة النظم بما

ويعضدها نقله عن تفسير الثعلبي ان اول من قال سبحان ربي الاعلى ميكائيل فقال
النبي عم يا جبرائيل اخبرني عن ثواب من قالها في صلوته او في غير صلوته فقال
يا محمد ما من مؤمن ولا مؤمنة يقولها في سجوده او في غير سجوده الا كانت
له في ميزانه اثقل من العرش والكرسي وجبال الدنيا ويقول الله تع صدق عبدي
انا الاعلى وفوق كل شئ وليس فوقي شئ اشهدوا ملائكتي اني قد غفرت لعبدي
وادخلته جنتي فاذا مات زاره ميكائيل كل يوم فاذا كان يوم القيمة حمله على
جناحه فيوقفه بين يدي الله تع فيقول يا رب شفعني فيه فيقول قد شفعتك
فيه اذهب به الى الجنة وبعض هذا ذكره الامام ابو الليث في تفسيره باشبع
من هذا القدر قوله خلق كل شئ فسوى خلقه اشارة الى ان حذف مفعولي خلق
وسوى لقصد التعميم وان تسوية خلق المخلوق [illegible] موصوفة بوصف الاحكام
والاتقان سالما عن الخلل والنقصان جامعا لجميع ما [illegible] تفهم كماله علما وذاته
وينتظم به اسباب معاشه قوله اي قدر اجناس الاشياء اي جعل اجناس الاشياء
بمقدار معلوم وكذا جعل انواع كل جنس وا[illegible] كل نوع بمقدار معلوم
وكذا جعل ايضا مقدار كل شخص في جثته و[illegible]ب وصفاته كالحسن
والقبح والسعادة والشقاوة والهداية والضلا[illegible] والاشكال و
الطعوم والروائح والارزاق والاجال وغير ذلك بمقدار معلوم كما قال
ان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم قوله نبت ما ترعى
الدواب من العشب لا كالاصنام التي عبدتها الكفرة قال ابن عباس المرعى
الكلأ الاخضر وفي الصحاح المرعى بالكسر الكلأ وبالفتح المصدر والمرعى
المرعى الموضع والمصدر والغثاء ما يبس من النبت فحملته الاودية والمسيل
الجوهري الغثاء بالضم والمد ما يحمله السيل من القماش والقماش جمع القماش
من هنا وهنا وذلك الذي يقمش قوله يابسا اسود اشارة الى ان الغثاء
بمعنى اليابس وان الاحوى بمعنى الاسود صفة لغثاء وسبب ذلك اما
احتراقه بشدة الحر او البرد فيحطمه فيلصق به اجزاء كدرة فيسود او لان
الريح تحمله فيلصق به الغبار الكثير فيسود ويجوز ان يكون احوى حالا من المرعى
بكون الاحوى بمعنى الاسود لشدة الخضرة كما في مدهامتان صفة لقوله
جنتان اي سوداوان لشدة خضرتهما فعلى هذا يكون في الاية تقديم و

تأخير

تأخير والتقدير الذي اخرج المرعى احوى فجعله غثاء قال مجاهد ومقاتل والكلبي كان النبي عم
اذا نزل عليه القرآن اكثر تحريك لسانه مخافة ان ينسى فقال جبرائيل
لا يفرغ من اخر الوحي حتى يتكلم وهو اوله مخافة النسيان فانزل الله تع
سنقرئك فلا تنسى فلم ينس بعد ذلك شيئا لانه اخبار منه تع واخباره تع
صدق ولا في قوله فلا تنسى نافية وعليه الاكثرون لا للنهي لان الانسان لا ينهى عن
النسيان لانه ليس باختياره ولذلك ثبتت الالف فلا تنسى خطا ولفظا
ومن جعله نهيا عن النسيان احتاج الى تكلف في توجيه ورود النهي عما ليس
لقدرة العبد واختياره وضربان يقول ان النهي ههنا عن النسيان صورة لكنه
في الحقيقة عن سببه وهو الغفلة عن دراسته وتكريره فكانه قيل فلا تغفل
عن قرائته وتكريره فتنساه واحتاج في توجيه ثبوت الالف الى ان يقول انها
مزيدة رعاية لفواصل الاي كالتي في الظنونا والسبيلا وحمله على الخبر اولى
لعدم احتياجه الى تكلف ولانا اذا جعلناه خبرا كان معنى الاية بشارة من
الله تع اياه باني اجعلك بحيث لا تنساه واذا جعلناه نهيا كان معناه
ان الله تع امره بان يواظب على الاسباب المانعة عن النسيان وهي المواظبة
على القراءة والدراسة وهذا ليس في البشارة وتعظيم حاله مثل الاول
الا ترى خلاف قوله لا تحرك به لسانك لتعجل به قوله على لسان جبرائيل او
سنجعلك قاريا بالهام القراءة على ان يكون همزة اقرا للصيرورة اي
نصيرك ذا القراءة واذا اصله اي نجعلك قاريا القرآن تقرؤه متى شئت
بحيث لا يتطرق لك نسيان شئ منه وعلى الاول يكون الهمزة للتعدية اي نجعلك
فاعلا اصله مفعولا فيكون المعنى سيعلمك هذا القرآن جبرائيل حتى تحفظه
فلا تنساه من حيث ان جبرائيل يقرؤه عليك مرارا كثيرة الى ان يستقر
تمكنه في خاطرك فكيف تنساه فهم النسيان على هذا المعنى فرع على
التعليم والتكرير والتثبيت وعلى كون الهمزة للصيرورة يكون متفرعا على مجرد
جعل الله وتصييره اياه قاريا يقرأ فاسمعه من جبرائيل مرة واحدة حتى
ثبت بان يلهم الله تع قرائته في اي وقت شاء والهام القراءة لا ينافي كون
اصل المقرو مسموعا من جبرائيل ثم منزلا عليه بواسطته قال الامام
ذكروا في كيفية ذلك الاستقراء والتعليم وجوها احدها ان جبرائيل م

سنقرئه عليك القرآن مرات حتى تحفظ ولا تنساه وثانيهما انا نشرح صدرك
ونقوي خاطرك حتى تحفظ بالمرة الواحدة حفظا لا تنساه وذلك وجه
ثالث ثم اتفق على معناه اما الصعوبة في نفسه واما لسقامة النسخة
قوله اصلا اي بوجه ما لا بطريق النسخ ولا بغيره ليظهر معنى الاستثناء
المتصل ليكون ذلك آية اخرى له قوله وهو نوع من كونك منصوب بالعطف على آم
ان يعني ان هذه الآية تدل على المعجزة من وجهين الاول انه رجل امي يحفظ
لهذا الكتاب المطول من غير دراسة ولا كتابة خارق للعادة فيكون معجزا و
الثاني ان هذه السورة من اول ما نزل بمكة وفيها اخبار عما سيقع في
المستقبل من امر عجيب غريب مخالف للعادة وقد وقع كما اخبر به و
لا شك ان الاخبار عن الغيب معجزة ونوع كما اخبر معجزة قوله بان نسخ
تلاوته فان الانساء الكلي الدائم في جميع الاوقات بحيث لا يذكر بعد ذلك نوع
من النسخ وطريق من طرقه فالمعنى الا ما شاء الله ان تنساه في الاوقات
كلها نسيانا دائما وذلك الانساء هو النسخ او يكون النسيان متفرعا على
النسخ فانه اذا نسخ تلاوته من الآيات وامر النبي عم بان لا يقرأ ولا يصلي به
يصير ذلك سبب النسيان وزواله عن حفظه فالمستثنى الذي هو ما
شاء الله نسيانه يراد به الآيات التي نسخت تلاوتها والمراد بنسيانها
الكلي الدائم بحيث لا يعقبه التذكر بعده وقيل المراد به القلة معطوف بحسب
المعنى على التفسير السابق فلا يراد بالنسيان ما يكون بنسخ التلاوة بل
يراد به النسيان المتعارف الذي يعقبه التذكر بعده ويكون المقصود بالاستثناء
تقليل المنسي بهذا المعنى مع انه لا يبقى منسيا دائما ... من العطف على المقام
ووجه افهام معنى القلة من هذا الاستثناء انه لما ابتدأ بنفي النسيان
مطلقا ثم استثنى من مفعول نفي النسيان القدر الذي تعلق مشيئة الله تعالى
بنسيانه ولا شك ان تعلق المشيئة بنسيانه شيء مبهم غير معلوم ويجوز انه
لا يتعلق اصلا وعلى تقدير تعلقها بنسيان شيء من ذلك فلا محالة ان ما
تعلقت المشيئة بنسيانه اقل من الباقي بعد الاستثناء قوله او المستثنى
يعني انه نفي رأسا وبين القلة والندرة وما كذلك في غاية القلة فهذا
وجه حمل قوله تعالى الا ما شاء الله على استقلال ما ينساه قوله او نفي النسيان

رأس

رأسا مرفوع معطوف على قوله القلة والندرة ففي هذا لا يكون قوله الا ما شاء الله جاريا
على حقيقة الاستثناء كما في الوجهين الاولين بل يكون مجازا عن نفي النسيان رأسا لما
ان قوله الا ما شاء الله من الالفاظ الدالة على القلة واستعمال القلة بمعنى النفي رأسا
على طريق المجاز وارد في كلامهم ومنه قولهم وقليل ما هم في مقام نفي
الموصوفين المذكورين قال الكلبي انه صلى الله عليه وسلم لم ينس بعد نزول هذه الآية
يؤيد هذا الوجه الثالث لكن حمل الاستثناء الوارد بعد النفي على النفي لا يخلو
عن بعد فتأمل قوله يعلم ما فيه صلاحكم من ابقاء او انساء تنزيل على
التفسير واشارة الى ان قوله انه يعلم الجهر وما يخفى تعليل للحكم الذي
المتفرع على الاستثناء بان يجعل علمه بما ظهر وبما خفي من احوال العباد
او من جهره عم بالقراءة مع جبريل وما خفي في نفسه مما يدعوه اليه من مخافة
التفلت والنسيان مجازا عن علمه بما فيه صلاح العباد فلا ينسى ما انساه
من الوحي ولا يغير ما ابقاه الا لمصلحة تعود اليهم ولو قال بعد هذا القول
او فلا تخف فانه اكفيك ما تخافه لكان اظهر قوله ونعدك للطريقة اليسرى
ضمن قوله نيسرك معنى الاعداد والتوفيق توجيها لتعديته بدون اللام
فان العبارة المعتادة ان يقال يسر الفعل الفلاني ميسر الفلان ولا يقال
جعل فلان ميسرا للفعل الفلاني كما في الآية وكما في قوله عم اعملوا فكل ميسر لما
خلق له فالاعداد والتوفيق يتعديان بنفسهما وقوله للطريقة ابراز للموصوف
المحذوف واشارة الى وجه تأنيثه والوصف الطاعة ودوامها اي اطاعه و
داوم عليها وتدين به علما طاعة والطريقة اليسرى في باب الطاعة هي
طريقة الاسلام التي هي الطريقة السهلة السمحة البيضاء وقال نيسرك
بنون العظمة ليكون عظمة المعطي دليلا على عظمة العطاء نظيره قوله تعالى
انا انزلناه وانا نحن نزلنا الذكر انا اعطيناك الكوثر وكيف لا وقد نشأ صبيا
بلا اب له ولا ام فشاء في قوم جهلة ثم انه تعالى جعله في افعاله واقواله قدوة
للعالمين وهاديا للخلق اجمعين لا شريعة لم يهتد الى مثلها احد من
الاولين اي نيسر بلوغك الى هذه الدرجة قوله بعد ما استتب لك الامر
يعني فان التعقيب يقال استتب له الامر اذا تهيأ واستقام يعني انه تعالى
لما تكفل له بتعليم القرآن وتيسير حفظه له بحيث لا ينسى شيئا منه الا ما

بجهره

في الله شأنه او يتبين سبيل الرشد ولتدين امر تذكر الخلق ودعوتهم الى
الحق ليكون جامعا بين منصبي الاهتداء والهداية ودولتي الكمال والتكميل فانه
تكميل الناقصين وهداية الخلق الى ما هو اهدى من صب واولى لفضل واكمال قوله
لعل هذه الشرطية انما جاءت اه جوابه ان يقال انه مبعوث الى الناس كافة
لينذرهم بسوء عاقبة الكفر والعصيان ويذكرهم بيان ثواب الطاعة
والوفاء فتعليم انه ينذر الكل ويذكرهم سواء نفعتهم الذكرى او لم تنفعهم فان
نفعتهم الذكرى بان يقبلوها ويهتدوا بها فهو المطلوب والا فلا اقل من ان يظهر
بها عصيان المعاندين واستحقاقهم للمؤاخذة والعذاب وتنقطع بها
حجتهم حيث لا يمكنهم بعد الانذار والتذكير ان يقولوا انا كنا عن هذا غافلين
لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المهتدين فانه سنة الله
قد جرت على انه لا يعذب قوما على ما فعلوا حتى يبعث فيهم رسولا يبين لهم
ما يأتون وما يذرون قال الله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فاذن
تقرر انه يجب عليه ان يذكر الخلق في كل حال نفع او لم ينفع فما وجه تعليق التذكير
على الشرط في قوله ان نفعت الذكرى واجاب عنه المص بوجوه ثلثة خلاصة
الاول ان ما ذكر من وجوب التذكير العام عليه في كل حال انما هو من قبيل الزام
الحجة عليهم واتمام دعوتهم بتذكير بعد تكرير التذكير واوضح البيان الى ان يتعب
الى ان يبين الحق عند طالبيه فيتبعوه ويظهر من اصر على الكفر و
الضلال بعده انما يصر عليه لفساده واتباع هواه واما بعد ذلك فلا يجب
عليه الا بشرط ظن نفع فان تذكير من حصل اليأس عن انتفاعه وجحدا
بلا فائدة لم يورث الا اتباع النفس والتلهف عليهم ومحصول الثاني ان قوله تعالى
ان نفعت الذكرى وان كان ظاهره شرطا وتعليقا لامر التذكير على ترتب
النفع عليه لكنه لم يؤت به في هذه المواضع لتقييد الحكم به وانما اتى به ذما
للمذكورين وتنبيها للرسول عم انه لا ينفعهم الذكرى كما يقال للرجل ادع فلانا
ان اجابك والمعنى ما اراه يجيبك فانه قد ذكرهم وما نطق انقياظهم
وقبولهم منكرا فاذا لم يكن التعليق والتقييد مرادا بقي الامر بالتذكير
على اطلاقه غير مقيد بشرط رجاء نفع واما الجواب الثالث فانه
يحرر بحث وتامل لايهام بعدم وجوب التذكير عليه في كل حال ان وجوب

عليه

عليه اذا ظن نفع وليس كذلك لما مر ولعل مراده انه عم وان وجب عليه
التذكير العام في كل حال وان وجوب التذكير عليه غير مقيد برجاء هداية
المذكورين الا انه بصورة التقييد للاشعار بان معظم الحكمة في ارسال الرسل
وايجاب التذكير عليهم هو انتفاع الامة واهتداؤهم بالذكرى وان كان الزام
الحجة على المعاندين داخلا في حكمة الارسال وايجاب التذكير على الرسل الا ان هذه
الحكمة والايجاب في جنب الاولى كانها ليست بحكمة وكان التذكير انما يجب عليهم
لانتفاع الامة به بحيث اذا ظنوا عدم الانتفاع لا يجب عليهم ذلك وايد
هذا التوجيه بقوله تعالى فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا قوله
وهو بينا ولا نعارف والمتردد فان الناس كانوا من المعاد على ثلثة اقسام
منهم من قطع بصحته ومنهم من جوز وجوده لكنه غير قاطع فيه لا بالنفي
ولا بالاثبات ومنهم من اصر على الانكار وقطع بانه لا يكون فالقسمان الاولان
يكون الخشية حاصلة لهما دون الثالث فقوله تعالى من يخشى كناية عن العارف
بالله وبكمال قدرته وعلمه وحكمته فيقطع لذلك بصحة المعاد ويدخل فيه من
يتوقف الى ان يتبين له الحق ولا يكون من اهل العناد والاصرار فانه اذا ادعى
الى التخويف مثل ان من كفر وابى يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى
انكسر قلبه فيحمله ذلك على استماع الحق وقبوله بخلاف من غلب هواه
وحمله ذلك على العناد والاصرار فان قلبه يقفل عليه فلا يصل اليه الخوف
والخشية فلا ينتفع بالذكرى لان الانتفاع مبني على حصول الخشية في القلب
ولم تحصل فلذا هو يتجنب الذكرى ولا يقربها بل يتباعد عنها ولا ينتفع
بها وهو المراد بالاشقى الذي هو القسم الثالث من اقسام الناس قوله
الاشقى الكافر بجانب اللام في الاشقى اما للجنس فالاشقى هو الكافر والفرد
المعين من الكفرة كالوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة وابي بن خلف و
المقصور عليه على الاول جنس الاشقى وعلى الثاني سائر الكفرة فانه
قد روي ان قوله سيذكر من يخشى نزل في عثمان بن عفان وقوله ويتجنبها
الاشقى نزل في الوليد وعتبة وابي فان تعلق العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب لا ينافي ان التقسيم يقوى القول بان المراد بمن يخشى القسمان
الاولان من تلك الاقسام وبالاشقى القسم الثالث يؤيد العقل السليم قوله

ولا يحيى حيوة تنفعه فهو في قوله تعالى لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من
عذابها ويقال لمن ابتلى بالبلاء الشديد لا هو حى ولا هو ميت وقيل ان روح
احدهم في النار تصير في حلقه فلا تخرج فيموت ولا ترجع الى موضعها من
الجسد فيحيى والى يحله غم لان هذه الحالة اقطع واعظم من نفس الصلى
فهى بمنزلة عنه في مراتب الشدة والكبرى اسم تفضيل لانه تانيث الاكبر
فيقتضى المفضل عليه وهو نار الدنيا ان كان المراد بالنار الكبرى نار جهنم
وان كان المراد بها ما في اسفل دركات جهنم من النار التي هي نصيب الكفار
كما قال الله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار يكون المفضل عليه
ما في الدركات التي فوقها فان في جهنم نيرانا ودركات متفاضلة كما ان في الدنيا
ذنوبا ومعاصى متفاضلة فكما ان الكافر اشقى العصاة كذلك يصلى اعظم
النيران **قوله** او تكثر من التقوى من الزكاء وهو النماء يقال زكى الزرع يزكو زكاء
اى نما وتكثر والزاكى هو النامى الكثير وهذا الوجه يعتضد بقوله تعالى قد افلح
المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون اثبت الفلاح للمتصفين بتلك
الخصال وكذلك قوله في اول سورة البقرة واولئك هم المفلحون والوجه الاول
يعتضد بوجهين الاول انه تعالى لما ذكر في هذه الاية ما يجب التزكى عنه علم ان
المراد هو التزكى عن الكفر الذي مر ذكره قبل هذه الاية والثاني ان الاسم
المطلق ينصرف الى المسمى الكامل والكامل من انواع التزكية هو تزكية القلب عن
الكفر فوجب صرف هذا المطلق اليه **قوله** ويجوز ان يراد بالذكر تكبيرة الاحرام
كما ذهب اليه الامام الاعظم ابو حنيفة فيكون المعنى وذكر اسم ربه في افتتاح
الصلوة وصلى عقيبه واحتج بهذه الاية على وجوب تكبيرة الافتتاح حيث
عرفت وجملة ما علق به الفلاح وعلى انها ليست من اركان الصلوة حيث
ان الصلوة عطفت عليها بفاء التعقيب والملابسة بالكل انما يكون بعد
ركن من اركانها لا عقيبها وعلى ان افتتاح الصلوة والشروع فيها غير
مختص بلفظ التكبير بل هو جائز بكل اسم من اسمائه فالمنع على هذا ان يحمل
التزكى على التطهر للصلوة لتكون الاية معرفة لحكم كل من هذين
الشرطين للصلوة وصح عقيبه فالاعتراض نعته قالوا وان دلت الاية على
مدح كل من ذكر اسم الله فصلى عقيبه لكن ليس في الاية بيان ان ذلك

الذكر

الذكر هو تكبيرة الافتتاح بجواز ان يكون المراد به ذكر الله تعالى بقلبه ولسانه وذكر ثوابه
وعقابه ودعاه ذلك لا فعل الصلوة فحمل على الصلوة التي اصل اركانها واجل منها
تكبيرة الافتتاح كما روى عن ابن عباس انه قال في تفسير هذه الاية ذكر معاده
وموقفه بين يدى ربه فصلى له قال الامام والاولى هذا التفسير متعين وذلك
لان مراتب اعمال المكلف ثلثة فاولها ازالة العقائد الفاسدة عن القلب
والثاني استحضار معرفة الله تعالى بذاته وصفاته واسمائه وثالثها الاشتغال
بخدمته وطاعته فالمرتبة الاولى هي المراد بالتزكية في قوله تعالى قد افلح من تزكى
وثانيها هي المراد بقوله فصلى فان الصلوة عبارة عن التواضع والخشوع فمن
استنار قلبه بمعرفة جلال الله تعالى لا بد وان يظهر في جوارحه واعضائه اثر
الخضوع والخشوع انتهى كلامه واذا حمل التزكى على اداء الزكوة المفروضة
تكون الاية نظير قوله تعالى واقام الصلوة وايتاء الزكوة وقيل هذا التفسير بعيد
من حيث ان عادة الله تعالى جارية على تقديم الصلوة على الزكوة اينما ذكرا
معا وهذا التفسير يستلزم مخالفة العادة وتركها **قوله** وقيل تزكى اى
تصدق للفطر روى عن ابن عمر انه قال نزلت هذه الاية في هذا يعني ان
بالتزكى كما اخرج صدقة الفطر قبل المضى الى المصلى وبالذكر ان يكبر في الطريق حين
الى المصلى وبالصلوة ان يصلى صلوة العيد بعد ذلك مع الامام وقال بعضهم
لا ادرى ما وجه هذا التاويل لان هذه السورة مكية بالاجماع ولم يكن بمكة
عيد ولا زكوة فطر واجيب بانه لما كان في علم الله تعالى ان ذلك سيكون اثنى على
من فعل ذلك فانه تعالى قد يخبر عما سيكون كما في قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون
الدبر وقد قال عمر بن الخطاب كنت لا ادرى اى جمع يهزم فلما كان يوم بدر رايت
النبي عليه السلام يثب في الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر وقال الله تعالى وانت
حل بهذا البلد فان السورة مكية وظهر اثر الحل يوم الفتح حتى قال عليه السلام احلت
لى ساعة من نهار **قوله** فلا تفعلون ما يسعدكم في الاخرة اشارة الى انها
دل عليه كلمة بل من النفى المتعلق بالكلام السابق فانها موضوعة لنفى ما تقدم
وتحقيق غيره **قوله** فان الشقى الدنيا الدنية اكثر في الجملة من الكل قال ابن مسعود
ان الدنيا احضرت لنا وعجلت لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذتها
وبهجتها وان الاخرة نعتت لنا وزويت عنا فاخذنا العاجل وتركنا

الاجر وترك الاجر حال اكثر الناس وجعله للكل تغليبا واقامة للاكثر مقام الكل
قوله والخطاب للاشقين اشارة بايراد لفظ الجمع الى ان الاشقى جنس فهو
في معنى الجمع قوله فان نعيمها تلذذ بالذات بيان لوجه خيرية الاخرة جعل
نعيمها نفس الالتذاذ مبالغة وسببها له ونعيم الدنيا وان كانت يتلذذ
بها الانسان في ذاتها ليست للاستلذاذ بها بل انما خلقت لان يتعدى
بها على الطاعة ويتوسل بها الى سعادة الاخرة بخلاف نعيم الاخرة و
العود الى جميع ما هو الشر قوله من قد افلح بيان لاول ما قد سبق ومنها
قوله والاخرة خير وابقى فان قوله قد افلح من تزكى اشارة الى تطهير النفس
عن كل ما لا ينبغي من العقائد الفاسدة والاخلاق الذميمة وقوله
وذكر اسم ربه اشارة الى تكميل الروح بمعرفة الله تعالى وقوله فصلى اشارة الى
تكميل الجوارح وتزيينها بطاعة الله تعالى وقوله والاخرة خير وابقى اشارة
الى الترغيب في الاخرة وفي ثواب الله تعالى وفي كرامته وهذه امور لا يجوز
ان تختلف باختلاف الشرائع فلهذا قال ان هذا لفي الصحف الاولى الصحف
جمع صحيفة وهي الكتاب قيل صحف موسى عم هي الالواح التي كتب التورية و
قيل صحف نزلت عليه قبل ذلك وصحف ابراهيم عم كتب انزلت عليه وروي
ان ابا ذر سأل رسول الله عم بانه قال لم كم انزل الله تعالى من كتاب فقال عم
مائة واربعة كتب على آدم عشر صحف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى
ادريس ثلثين وعلى ابراهيم عشر صحايف والتورية والانجيل والزبور
والفرقان كذا قال الامام وفي التيسير صحف شيث وهي ستون
وصحف ابراهيم وهي ثلثون وصحف موسى قبل التورية وهي عشرة والتي
التورية والانجيل والزبور والفرقان وقيل ان في صحف ابراهيم ينبغي للعاقل
ما لم يكن مغلوبا على عقله ان يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه
مقبلا على شانه

مكية سورة الغاشية

قال الشارح الغاشية الغطاء غشيه غطاه
وكل ما احاط بالشيء من جميع جهاته فهو غاش له وسميت القيمة غاشية
لانها تغشى الناس جميعا من الاولين والآخرين ولانها تغشى الناس
بالاهوال والشدائد وقيل المراد بالغاشية النار وسميت بها لانها
تغشى وجوه الكفرة قال هو الذي قال لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم

غواش

غواش وقال وتغشى وجوههم النار وتغشوا عن ان هل هنا وفي قوله تعالى هل
اتى على الانسان حين من الدهر بمعنى قد كما تقول هل رأيت صنيع فلان وقد
علمت انه قد رآه تريد ان تحمل المخاطب على ان يقر على مرّ بك الفعل الذي
دخلت عليه كلمة هل كذا قال الامام في اول سورة الدهر بل ان الاستفهام
في هل اتيك التقرير لان حمل الكلام على حقيقة الاستفهام غير متصور ههنا
لاستحالته على الله تعالى وقد يكون الاستفهام بمعنى الانكار والجحد كما تقول
هل يقدر احد على مثل هذا كما يكون لحقيقة الاستفهام وتعيين كل واحد
من هذه المعاني موكول الى شهادة المقام والمقام ههنا مقام التقرير
لانه تعالى عرف رسوله عم من حال الغاشية وحال الناس فيها ما لم يكن
هو ولا قومه عارفا به على التفصيل لان العقول دالة على ان لا بد ان
حال العصاة مخالفة لحال المطيعين واما كيفية تلك التفاصيل فلا سبيل
للعقل اليه فلما عرفهم الله تعالى تفصيل الاحوال لاجرم قال هل اتيك
حديث الغاشية اي حديث الداهية الغاشية على حذف الموصوف قوله تعالى
وجوه يومئذ مبتدأ وخاشعة خبره ويومئذ ظرف للخبر اي ذليلة يوم
اذ غشيت تلك الداهية الناس ولعل وجه الابتداء بالنكرة كونه تقديره كلام
اصحاب وجوه بالاضافة الا ان الخشوع والذل لما كان يظهر في الوجه حذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وانما قال ان الذل يظهر في الوجه لانه
ضد التكبر الذي محله الرأس والدماغ قال الامام المراد بالوجوه اصحاب
الوجوه وهم الكفار بدليل انه تعالى وصف الوجوه بانها عاملة ناصبة
وذلك صفات الجملة لكن الخشوع يظهر في الوجه فعلقه بالوجه
قوله الخشوع والخضوع والتطامن والتواضع كلها بمعنى ويكنى بالجميع
عما يعتري الانسان من الذل والخزي والهوان يقال خشع الانسان اذا
امال رأسه الى الارض او دنى منها قوله يعملوا ما تتعب فيه اشارة الى
ارتفاع كل واحد من عاملة وناصبة على انه خبر بعد خبر وان ناصبة
في المعنى لتقييد العمل بانه من قبيل ما تتعب الوجوه فيه فان النصب
بمعنى التعب يقال نصب الرجل ينصب نصبا من باب علم اذا تعب
في العمل واذا كان كل واحد منهما خبرا بعد خبر يكون يومئذ ظرفا للكل

واحد

من الاخبار الثلثة ويكون الاخبار باسرها حاصلة في الاخرة فان الكفار لما
تكبروا في الدنيا عن عبادة الله تعالى والانقياد لحكمه يكونون يوم القيمة خاشعين
اي ذليلين وعاملين ناصبين لانهم لا يتعبون فيها وفي جرهم السلاسل
والاغلال الثقيلة كما قال الله تعالى في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا و
خوضهم في النار كما يخوض الابل في الوحل بحيث يرتقي عنه تارة ويغوص فيه
اخرى والوقوف عراة حفاة جياعا عطاشا في العرصات قبل دخول النار
في يوم كان مقداره خمسين الف سنة والثلاث جمع ثلة وهو الحجر الصغير الذي
هدة المكان المطمئن والجمع وهدود هاد والوحل بفتح الحاء الطين
الرقيق والتسكين لغة ردية قوله او عملت ونصبت في اعمال لا تنفعها يوم
اشارة الى جواز ان يكون بعض تلك الصفات حاصلة في الاخرة وهو الخشوع
والذلة وبعضها في الدنيا وهو كونها عاملة ناصبة اي انها خاشعة
في الاخرة مع انها كانت في الدنيا عاملة ناصبة والمعنى انها لم تنتفع
بعملها ونصبها في الدنيا لكون ذلك العمل والنصب في غير طاعة الله تعالى و
لا يبعد وصفهم ببعض الاوصاف العارضة لهم في الاخرة ثم ان يذكر
بعض اوصافهم في الدنيا ثم عاد الى ذكر احوال الاخرة اذ الكلام وجه
صحيح ومعنى معقول فكانه قيل وجوه يومئذ القيمة خاشعة لانها
كانت في الدنيا عاملة ناصبة في غير طاعة الله تعالى فهي اذن تصلى نارا حامية
في الاخرة فالوجه على هذا المعنى ان يكون قوله تعالى عاملة ناصبة خبر
مبتدا محذوف والجملة في موضع الحال من ضمير خاشعة والتقدير وهي
عاملة نفسها في الدنيا فيما لم ينتفع به يومئذ غشيت الداهية
الكبرى قوله بلغت اناها اي غايتها من انا الحميم ياني انا والانا
نهاية الحر فيه الضريع بمعنى المضرع كالاليم والبديع بمعنى المؤلم والمبدع
والمعنى الا من طعام يحملهم على ان يضرعوا ويذلوا عند تناوله لما
من الخشونة والمرارة والحرارة وقيل الضريع ما يبس من الشبرق
وهو جنس من الشوك ترعاه الابل ما دام رطبا فاذا يبس
تحامته وهو سم قاتل قال ابن عباس رضي الشبرق والزيادة حتى اذا
ذوي وعاد ضريعا وعنه النحائص جمع نحوص وهي الحائل

مم

من الابل والاتان وعن ابن عباس يرفعه الضريع شيء في النار شبه الشوك امر من
الصبر وانتن من الجيفة واشد حرا من النار قال تعالى في سورة الحاقة فليس له
اليوم ههنا حميم ولا طعام الا من غسلين وقال ههنا ليس لهم
طعام الا من ضريع والظاهر ان احد الحصرين ينافي الاخر بناء على ان الضريع غير
الغسلين وان كلا منهما ينافي قوله تعالى ان شجرة الزقوم طعام الاثيم ويجاب
بان النار دركات متفاوتة تتفاوت بحسب اختلاف المعاصي واهلها فمن
اهل النار من طعامه الزقوم ومنهم من طعامه الغسلين ومنهم من طعامه
الضريع ومنهم من شرابه الحميم ومنهم من شرابه الصديد لكل باب منهم جزء مقسوم
واشار المص الى هذا الجواب بقوله ولعل طعام هؤلاء اشارة الى جواب ثان
بقوله او المراد يعني ان المقصود بهذه الاية حصر طعامهم المقيد المخصوص بانه
مما يكرهه الابل ولا يشتهيه لمرارته وخباثته في الضريع وذلك لا ينافي ان يكون
لهم من جنس اخر كالزقوم والغسلين روي ان كفار قريش قالت
الضريع يسمن عليه ابلنا فنزلت قوله تعالى لا يسمن ولا يغني من جوع فلا يخ
اما ان يتعنتوا بذلك الكلام كذبا فرد الله تعالى قولهم وكذبهم بذلك واما
يصدقوا فيه فيكون المعنى ان طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعكم انما
هو من ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع قوله ذات بهجة وحسن على انه
فاعلة من نعم الشيء بالضم نعومة اي صار ناعما لينا ويكون نعومة الوجوه
اي غضاضتها ونضارتها كناية عن تنعمها وطيب حالها او على ان ناعمة
للنسبة بمعنى ذات النعمة مشتقة من لابن وتامر ويراد بالنعمة لازمها وهو الحسن
والبهجة [illegible] هذه الاية في المعنى نظير قوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم
او يراد بها حقيقة النعمة فيكون ناعمة بمعنى متنعمة قوله رضيت بعملها
اشارة الى ان المراد بسعيها ما سعوا فيه وهو عملها وان اللام في لسعيها
متعلقة براضية اي قد رضيت في الاخرة لسعيها وهو عملها في الدنيا لما
رأت من العاقبة الحميدة والتقدير راضية لسعيها فلما تقدم المعمول
ضعف العامل فلذلك جيء باللام تقوية لعمله فهذه اللام مؤكدة لمعنى الفعل
وناصرة له على العمل ويجوز ان يكون لام التعليل اي لاجل سعيها في طاعة الله
راضية جزاءه وثوابه قوله علية المحل على ان يكون عالية من العلو في

المكان فان الجنة درجات بعضها اعلى من بعض قال عطاء الدرجة مثل ما بين
السماء والارض من العلو الصوري والشرف والكرامة بما فيها من النعيم قوله لا تسمع
يا مخاطب على ان يكون ضمير المؤنث لا تسمع ضمير انت في الخطاب عام لكل
من يصلح للخطاب كقوله تعالى واذا رايت ثم رايت نعيما وقوله تعالى واذا
رايتهم حسبتهم وقوله انت عبد اذا انت اكرمت الكريم ملكته قوله او الوجوه
يكون المسند اليه ضمير هي والتاء لتانيث الوجوه لا للخطاب قوله واللاغية فانه
لتانيث لفظ لاغية والياء لام التانيث مجاز حقيقي اولان اللاغية بمعنى اللغو
على انه مصدر كالعافية قوله او كلمة ذات لغو على ان يكون لاغية بمعنى النسبة
مشتقا من صفة لموصوف مؤنث وهو الكلمة او النفس فاللاغية للحدوث لا بمعنى
النسبة فان كلام اهل الجنة الذكر والحكم وذلك لان المجالس الشريفة في
الدنيا تصان عن اللغو فكيف لا يصان عنه اشرف المجالس في جوار رب
العالمين مع ان اهلها انما نالوها بالجد والادب لا باللغو وسوء الادب
فلما نالوا حسن ثواب سعيهم وادبهم رضوا به فكان ذلك مقتضى طبعهم
السليمة قوله والتنكير للتعظيم ومن رفعة شانها انها تجري على وجه الارض
من غير اخدود وتجري لهم حيث ارادوا واجراها وماؤها اشد بياضا
من اللبن واحلى من العسل فمن شرب منه شربة لا يظمأ بعدها ابدا
ويذهب من قلبه الغل والغش والحسد والعداوة والبغضاء قوله
رفيعة السمك اي عالية في الهواء فان السمك هو الامتداد الاخذ من
اسفل الشيء الى اعلاه فالمراد برفع سمكها شدة علوها في الهواء
وذلك لاجل ان يرى المؤمن اذا جلس عليها جميع ما اعطاه ربه في الجنة
من النعيم والملك ورفعة قدر تلك السرر حيث اشتملت على جميع
جهات الحسن والكمال في ذواتها واوصافها قوله بالفتح والضم بفتح
نون نمرقة وضمها لغتان والراء مضمومة فيهما قاله الجلبي نمارق
مصفوفة اي وسائد موضوعة بعضها الى جنب بعض كالنمارق الذي جعل
صف انما ارادوا ان يجلس المؤمن جلس على واحدة واستند
الى اخرى وعلى راسه وصفاء كانهن الياقوت والمرجان قوله افلا ينظرون
نظر اعتبار حتى يستدلوا به على كمال قدرة صانع العالم وكمال علم

وحكمة

وحكمته ليثبت عندهم اقتداره على البعث والجزاء فلا ينكروهما فانه تعالى لما
بمجيء الغاشية وهي يوم القيمة وحكم بان بعض اهلها اشقياء معذبون
وبعضهم سعداء منعمون ومعلوم ان ذلك يتوقف على ان العالم له صانع حكيم
قادر على جميع الممكنات فلذلك اتبع امر المعاد بذكر الانكار على ترك النظر الى
ما برد م
انواع المخلوقات والحث على النظر والاعتبار ليتحقق عندهم كمال قدرة الخالق و
علمه فان من نظر الى هذه المخلوقات على هذا الاتقان والاحكام يتيقن بان
خالقها متصف بصفات الكمال منزه عن سمات العجز والامكان ثم انه تعالى لما خلق الانسان
متمدنا يحتاج بعضهم الى البعض في امور معاشهم فان الانسان الواحد لا يمكنه القيام
بمهمات نفسه الا بان يجتمع مع بني نوعه ويكون كل واحد منهم مشغولا بمهم اخر حتى
ينتظم من مجموعهم مصلحة كل واحد منهم وذلك الاجتماع يستدعي ان يوضع
بينهم قانون الشرع وتكليفهم بالانقياد له بحيث يستمر ذلك القانون على الوعد
والوعيد حتى يكون اجتماعهم على سنن العدل والاستقامة وذلك يستدعي
البعث والقيمة وخلق الجنة قوله فثبت ان النظر الى انواع المخلوقات يؤدي الى القول
بصحة البعث والقيمة قوله ناهضة بالحمل الباء للتعدية اي رافعة اياه ونهض اي
قام وناء ينوء نوءا اي نهض بجهد ومشقة وناء بالحمل اذا نهض به مثقلا
والبرك بكسر الحاء ويجوع او قار الحمل احال يعني ان الحكمة في طول اعناقها
اقتدارها على القيام بالاحمال الثقيلة فانها اذا مالت عنقها الى جانب قدامها
من الارض يتوجه الثقل الى القدام فيسهل عليها رفع عجزها ثم اذا رفعت عنقها
ومالت الى جانب الخلف يسهل عليها رفع قدامها قوله وقيل المراد بها السحب
تشبيها للسحب بالابل في كثرة ما ينتظم به من حاجة الناس كالابل فلذلك اطلق اسم
الابل المشبه به عليها مجازا وقرينة المجاز ذكره في جنب ذكر السماء والجبال قوله
الى عشر العشر ما بين الوردين وهو ثمانية ايام لانها ترد اليوم العاشر كذا
في الصحاح قوله وعن الكسائي بالسين على الاصل هكذا في اكثر النسخ و
الصواب وعن هشام وهو مع يوري قراءة ابن عامر ثم فانه قرأ بمسيطر
بالسين وحمزة بخلاف عن خلاد وبين الصاد والزاي اي يخلط صوت الصاد
بصوت الزاي بحيث يمتزجان فيتولد منهما حرف ليس بصاد ولا زاي والخلط
المذكور اي خلط حرف بحرف احد معاني الاشمام في عرف القراء والباقون بالصاد

خالصة والكسائي منهم الجوهري سطر يسطر سطرا كتب والمسيطر والمصيطر
المسلط على الشيء ليشرف عليه ويتعهد احواله ويكتب عمله واصله من السطر
لان الكتاب مسيطر والذي يفعله مسطر ومسيطر [illegible] والمعنى انك ما امرت
الا بالانذار والتذكير فاما ان تكون مسلطا عليهم تحملهم على الايمان جبرا و
توقعه في قلوبهم كرها فلا وقيل لست الان مسلطا عليهم تقاتلهم على الايمان
وكان هذا قبل الامر بالقتال ثم امر به ونسخته اية القتال قوله والاستثناء
منقطع فعلى هذا يكون معنى من تولى شرطية والجزاء هو الاخبار بالتعذيب
في الاخرة والمعنى لست بمسيطر عليهم لكن من تولى منهم واعرض عن الايمان
وكفر بالله واياته فان لله الولاية والقهر يعذبه العذاب الاكبر الذي هو
عذاب جهنم قالوا وعلامة كون الاستثناء منقطعا ان يحسن دخول ان
في المستثنى كما في هذه الاية فانك تقول الا ان من تولى وكفر فيعذبه الله واذا
كان الاستثناء متصلا محضا لا يحسن ذلك نحو عندي مائتان الا درهما
فلا يدخل عليه ان قوله وقيل متصل على انه استثناء من الضمير في عليهم بمسيطر
الا على من تولى عن الايمان وقام على الكفر فانك مسلط عليه بما يؤذن الشرع
من قتله وسبيه واسره ويعرف قتلهم في الجهاد يعذبهم الله في الاخرة
العذاب الاكبر من القتل ولما استشعر بقاء الايمان من اعمال القلب
فالتسلط على احد باكراهه على الايمان يكون بالجبر على القلب لان يقبل الايمان
وذلك ليس في وسع البشر اذ لا يستولي على القلب احد غير الله تعالى اجاب
بان الاستيلاء على جهاد الكفار وقتلهم الذي هو من الاسباب الموردة الى الايمان
بمنزلة الاستيلاء على الايمان قوله وكان ذلك وعدهم بالجهاد في الدنيا الخ اي
جواب لما يقال من ان السورة مكية وانه لم يكن مأذونا بالقتال الا بعد الهجرة
فكيف يصح حمل الكلام على الاستثناء المتصل المستلزم لان يكون المعنى انك
متسلط على من تولى عن الايمان وقام على الكفر منهم وحاصل الجواب انه
الكلام وارد على طريق الوعد له بالاذن للقتال ووعيد الكفار بالمقاتلة
لا على طريق الاخبار بالتسلط في الحال قوله اي فذكر الا من تولى واصر فاستحق
العذاب الاكبر الظاهر ان من على هذا موصولة وان فيعذبه عطف على كفر و
معلوم ان عذاب جهنم غير متعقب لكفرهم فلذلك حمل قوله فيعذبه على انه

استحق

استحق العذاب الاكبر باصراره على الكفر وهذا المصر المعاند لما لم ينفعه التذكير
صار بمنزلة من لم يذكره فلذلك استثني من جملة من امر بتذكيره قوله و
يؤيد الاول وهو ان يكون الاستثناء منقطعا على معنى لكن الله هو المسيطر
عليهم يعذبهم وقوله من تولى من وضع الظاهر موضع المضمر للاشعار بسبب استحقاقهم
لتعذيب الله ووجه التأييد ظ وهو توافق المعنيين ح بخلاف ما اذا كان
الاستثناء متصلا على احد الوجهين فان قراءة الا بفتح الهمزة وتخفيف اللام
على ان حرف التنبيه لا توافق في المعنى ومن على هذه القراءة شرطية والجواب
قوله فيعذبه الله بتقدير فانه يعذبه الله ولا بد من هذا التقدير لانه لو كان
الجواب الفعل الذي هو بعد الفاء لقيل فيعذبه بالجزم قوله وقرئ بالتشديد
والجمهور على تخفيف ياء ايابهم على انه مصدر كصيام وقيام من اب يؤوب اوبا
واوبة وايابا اذا رجع كصام يصوم صوما وصياما وقام قياما اصلهما
صواما وقواما قلبت الواو ياء فيهما لانكسار ما قبلها واعلالها في الفعل ووجه
قراءة التشديد بوجهين الاول انه مصدر على وزن فيعال من ايب على وزن
فيعل نحو حوقل حيقالا وبيطر بيطارا اصله ايوابا لما اجتمعت الواو والياء
وسبقت احدهما بالسكون قلبت الواو ياء وادغمت فصار ايابا والثاني انه
مصدر على وزن فعال من اوب نحو كلم كلاما واصله اوابا قلبت الواو
الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها كما في ديوان اصله دوان فصار ايوابا
ثم فعل به ما مر قوله من الاياب تارة ومن الاوب اخرى لمجرد التفنن في العبارة
لمجانسة الاوب والاياب كلاهما مصدر اب يؤوب اجوف واوي قوله وتقديم
الخبر للتخصيص والمبالغة فانه يفيد معنى ان ايابهم ليس الا الى
الجبار المقتدر على الانتقام وان حسابهم ليس بواجب الا عليه وهو الذي
يحاسب على النقير والقطمير قال الشارح اقسم بالصبح او فلقه
الاول على ان يكون الفجر اسما بمعنى الصبح وهو اول وقت ظهور ضوء الشمس
في جانب المشرق والثاني على ان يكون مصدرا بمعنى انفجار الظلمة عن النهار
في كل يوم اي خروج الصبح بفلق الظلام اي بشقه يقال فلقت الشيء
فلقا شققته روي عن ابن عباس ان الفجر هو الصبح المعروف في كل يوم
وقيل انفجار الصبح الصادق او الكاذب اقسم الله تعالى به لما يحصل به من

مطلب سورة الفجر

انقضاء الليل فظهور الضوء وانتشار الناس وسائر الحيوانات من الطيور والوحوش
في طلب الارزاق وذلك مشاكل لنشور الموتى وفيه عبرة عظيمة لمن تامل
فان الشيء انما يقسم به اذا كان فيه فائدة دينية مثل كونه دليلا باهرا
على التوحيد وعلى صحة البعث والجزاء ونحوهما او فائدة دنيوية
توجب البعث على الشكر ونحوهما والفجر مشتمل على الجميع بتلك الفائدتين
قوله او بصلوته بان يراد بالفجر صلوته وفيه مجاز مرسل وانما اقسم بصلوة الفجر
لانها صلوة في مفتتح النهار ولم يجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار
لاستماع ما فيها من القراءة كما قال الله تعالى ان قرآن الفجر كان مشهودا اى
يشهده ملائكة الليل والنهار لاستماع القراءة فيه قوله عشر ذي الحجة اقسم
لانها ايام الاشتغال بنسك الحج واعمال الحج المبرور من افضل الاعمال
وانه كفارة لذنوب العمر وفي الخبر ما من ايام العمل الصالح فيه افضل من الايام
العشر ولما فسر الليالي العشر بعشر ذي الحجة قيل المراد بالفجر فجر يوم
معين وهو فجر عرفة او فجر يوم النحر ثم اقسم بفجر يوم عرفة لانه
يوم شريف يتوجه فيه الحجاج الى جبل عرفات للوقوف ويقفون فيه متوجهين
فيه الى رب العزة متضرعين اليه فهو نظم اجابة الدعوات وفي الحديث
الحج عرفة واقسم بفجر يوم النحر لانه يوم عظيم يأتي الانسان فيه بالقربان
يريد ان يتقرب بذبح نفسه فلما عجز عنه فدى نفسه بالقربان كما قال الذبيح
وفديناه بذبح عظيم ويقع فيه الطواف المفروض والحلق والرمي وروي
ان يوم النحر يوم الحج الاكبر قوله او عشر رمضان عطف على عشر ذي الحجة
اقسم الله تعالى لشرفها وفيها ليلة القدر اذ في الخبر اطلبوها في العشر
الاخير من رمضان وكان عليه السلام اذا دخل العشر الاخير شد المئزر وايقظ
اهله وكف عن الجماع وامر اهله بالتهجد قوله وتنكيرها للتعظيم جواب
سؤال ما قال لها منكرة من بين ما اقسم به وتقريره انه لما كان خصوصية
تلك العشر لعظمها لا تحصى عرفها على ما اشير اليه فنكرها الدلالة على
تلك الفضيلة العظيمة قوله على ان المراد بالعشر الايام لم يجعل الاضافة
بيانية لان الاصل في الاضافة المغايرة بين المضاف والمضاف اليه وهي
انما توجد اذا فسر العشر بالايام واما اذا جعلت الاضافة بيانية و

فسر العشر بالليالي

وفسر العشر بالليالي فلا توجد تلك المغايرة في توجيه تانيث العشر حتى قد يراد
بها الايام وهو قوله قال الله تعالى سبع ليال وثمانية ايام قوله والاشياء كلها شفعها
ووترها على ان يكون الشفع والوتر معا كناية عن جميع الاشياء من حيث ان شيئا
ما من اجناس الاشياء وانواعها واصنافها واشخاصها وجواهرها واعراضها
لا يتصور كونها خاليا عنهما فالقسم بهما قسم بجميع الاشياء بهذا الطريق وكذا
اذا جعل الشفع كناية عن جميع المخلوقات لانه تعالى خلق كل شيء منها زوجين ذكرا وانثى
ناطقا وصامتا عالما وجاهلا فوقا وتحتا حارا وباردا رطبا ويابسا
فلكيا وعنصريا الى غير ذلك وجعل الوتر كناية عن الله تعالى لانه فرد لا تعدد فيه وقال
بعض المتكلمين لا يجوز ان يقال الوتر هو الله تعالى لانه تعالى لا يذكر مع شيء من المخلوقات
على هذا الوجه بل يعظم ذكره حتى يتميز عن غيره روي انه عليه السلام سمع من يقول الله
ورسوله فنهاه عنه فقال قل هو الله ثم رسوله ومن فسرهما بالعبث صرف الافراد
الى قوله موجب للتكرار جوابه على ما مر ان المفسرين اكثروا القول في تفسير الشفع
والوتر فان منهم من فسر الشفع بالعناصر الاربع والوتر بالافلاك السبع ومنهم
من فسر الشفع بالبروج الاثني عشر والوتر بالسيارات السبع ومنهم من فسر الوتر
بما فيه وتر من الصلوات صلوة المغرب والشفع بما كان شفعا منها ومنهم من فسر
الشفع بيوم النحر لانه عاشر ايام ذي الحجة التي هي ايام الليالي والوتر بيوم عرفة
لانه تاسع تلك الايام وقد روي عن النبي عليه السلام انه فسرهما بذلك ومنهم من فسرهما
بغير ما ذكر سوى ان يفسر الشفع باليومين بعد يوم النحر والوتر باليوم الثالث
وممن ذهب الى هذا القول فاحتمل الشفع والوتر على هذا اولى من حملهما على يوم
النحر وعرفة دخلا في عشر ليال اذا فسر بعشر ذي الحجة لحمل الشفع والوتر عليهما
يستلزم التكرار في القسم بهما ولان بعض الحج انما يحصل في هذه الايام التي بعد
يوم النحر لحمل لفظ الشفع والوتر عليها يفيد القسم بجميع ايام اعمال المناسك
وفيه بحث لان دخول يومي النحر وعرفة في عشر ليال لا ينافي تخصيصهما بالذكر
بلفظ الشفع والوتر تنبيها على مزيد شرفهما على باقي الايام العشر مع ان حمل
اللفظ عليهما روي مرفوعا كما ذكره المص فالحمل عليهما اولى ومنهم من فسر الشفع
بادم وحوا حيث شفع بزوجته والوتر بمريم او الشفع بالعيون الاثني عشر التي
فجرها الله تعالى لموسى عليه السلام والوتر بالآيات التسع التي اوتي موسى عليه السلام كما قال الله تعالى ولقد

آتينا موسى تسع آيات أو الشفع بأيام عاد والوتر بلياليهم كما قال الله تعالى سخرها
عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما أو الشفع بالشهر الذي يتم ثلثين يوما و
الوتر بالشهر الذي يتم بتسعة وعشرين يوما أو الشفع بالأعضاء والوتر بالقلب قال
الله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه أو الشفع بالشفتين والوتر باللسان قال
الله تعالى ولسانا وشفتين أو الشفع بالسجدتين والوتر بالركوع أو الشفع بأبواب
الجنة لأنها ثمانية والوتر بأبواب النار لأنها سبعة أو الشفع بدرجات الجنة وهي
ثمانية والوتر بدركات النار وهي سبعة أو الشفع بصفات المخلوق كالعلم والجهل و
القدرة والعجز والإرادة والكراهة والحيوة والموت والوتر بصفات الخالق جل ذكره
وجود بلا عدم حيوة بلا موت علم بلا جهل قدرة بلا عجز عز بلا ذل وأن يفسر
الشفع والوتر بنفس العدد لأنه إما شفع أو وتر فكأنه تعالى أقسم بالحساب الذي لا بد
للخلق منه وهو بمنزلة الكتاب والبيان الذي من الله تعالى به على العباد إذ الحساب يعرف
مواقيت العبادات والأيام والشهور وقال مقاتل الشفع هو الأيام والليالي والوتر هو
اليوم الذي لا ليلة بعده وهو يوم القيمة وقيل الشفع كل نبي له اسمان مثل محمد وأحمد
والمسيح وعيسى ويونس وذو النون والوتر كل نبي له اسم واحد مثل آدم ونوح و
إبراهيم وهذا تفصيل أقوال المفسرين في الشفع والوتر ولا إشعار للفظ الشفع و
الوتر بتخصيص بعض هذه التفاسير وتعيينه ولفظ الشفع والوتر في نفسه
عام متناول لهذه الأنواع لا على خصوص شيء منها فأقوال المفسرين في
تفسيرها لا تخلو عن التخصيص بلا مخصص فإن ثبت في شيء منها خبر من الرسول
أو إجماع من أهل التأويل حكم بأنه هو المراد وإن لم يثبت يجب أن يحمل اللفظ على
الكل لأن الألف واللام فيهما للاستغراق فلذا قلنا أن لا يقطع شيء منها بخصوصه
بل ذكر كل واحد منها على طريق الجواز والاحتمال وتقريب الجواب أن من فسرها بهذه
الوجوه لم يدع انحصار مدلولهما فيما ذكره بل لعله ما مر عليه أنه أفراد من
أنواع مدلول الشفع والوتر ما رآه أظهر دلالة على التوحيد كالعناصر والأفلاك
أو البروج والسيارات أو مدخلا في الدين كالصلوات شفعها ووترها أو مناسبة بما قبلها
كيوم النحر وعرفة أو أكثر منفعة موجبة للشكر كالأعضاء والقلب والشفتين
واللسان أو كالعناصر والأفلاك والبروج والسيارات فإن ما فهم الأكثر من أنه تخصيص
الأيام الخمسة في الفصول الأربعة فإنها لا تعد ولا تحصى وإن ثبت من الشارع

تفسيرها

٧٨

تفسيرها بعض هذه الوجوه فالظاهر أنه ليس مبنيا على تخصيص مدلول اللفظ
به بل إنه وارد على طريق التمثيل بما رأى في تخصيصه بالذكر فائدة معتدا بها من
الفوائد المذكورة ويجوز للمفسر أن يحمل اللفظ على بعض أفراده محتملة اللفظ
لفائدة أخرى وفي تيسير القرآن قرأ حمزة والكسائي والوتر بكسر الواو والباقون
بفتحها قيل الفتح لأهل الحجاز والكسر لغة بني تميم قوله والتقييد بذلك لما فيه قب
من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة فإن أصل الدلالة عليهما يحصل بمجرد
ذكر الليل بما فيه من النقص لانقضائه وزوال المجيء ضوء النهار وذلك لأنه سلخ ضوء
النهار من الليل وأدخل الخلق تحت لبس الظلام بغروب الشمس أنه
دالة على كمال القدرة وفيه أيضا نعمة جليلة للناس حيث يسترون بظلام الليل
ويستريحون بالنوم وبالتقييد بانقضاء الليل وتعاقب النهار عليه تتقوى
تلك الدلالة فإن آية الليل إذا محيت مع كونها محيطة بجميع أقطار العالم بإثبات
آية النهار وشيوعها بإشراقها على كمال القدرة واحتياج جميع الحيوانات
فكأنهم أعيد إليهم الحيوة بعد الموت وتنبهوا بذلك لطلب الأرزاق والحجة
للحيوة الدنيوية التي يتيسر بها إلى سعادة الدارين فإن قيل القسم بالليل
يغني عن القسم بليال عشر قلنا المقسم به في قوله والليل إذا يسر هو
الليل باعتبار مسيره ومضيه وفي قوله وليال عشر هو الليالي بلا اعتبار مضيها
بل باعتبار خصوص أخرى فلا يغني أحدهما عن الآخر قوله أو يسرى فيه فيكون
من قبيل إسناد الفعل إلى زمانه مثل صام نهاره أي صام هو فيه وعلى المعنى
تستوضح هو فيه والتقييد بذلك على هذا التوجيه لأن السير في الليل حافظ
للعابر عن حر الشمس فإن السفر مع مقاساة حر النهار أشد على النفس
ومع ضرر قطاع الطريق غالبا لأنهم مشغولون بالنوم في الليل أكثر ما وقيل المراد
بالليل إذا يسري فيه ليلة النحر فإن الحاج يسري فيها إلى المزدلفة بعد
أن أفضت الدهن من عرفات والقرب منه إذا مضى القسم أي أقسم به إذا يسري
أي إذا سار وذهب وانقضى كما قال الله تعالى والليل إذ أدبر وحذف الياء
ههنا ثلث قراءات الأولى حذف الياء وقفا ووصلا والثانية حذفها وقفا لا
وصلا والثالثة عدم حذفها في الحالين وجه الحذف مطلقا التخفيف و
مراعاة الفواصل مع الاكتفاء عنها بدلالة كسرة الراء عليها ووجه الإثبات

مطلقا ان الياء لام الفعل ولام الفعل لا يحذف في الوقف فضلا عن الوصل تقول
هو يقضي وانا اقضي وانما يحذف من الاسماء نحو قاض ورام وغاز ووجه الحذف
في الوقف مراعاة الفواصل دون الوصل لانه لام الفعل وهو لا يحذف في الوصل
فان قيل لم اجيز حذفها في الوقف مراعاة الفواصل وقد سلف ان لام الفعل
لا يحذف في الوقف من الفعل قلنا الفواصل موضع الوقف والوقف تغيير
فيه الحروف الصحيح بالتضعيف والاسكان وروم الحركة فيها فتغيير هذه
الحروف الشبيهة بحروف الزيادة بالحذف اولى وقرئ يسر بالتنوين فان تنوين
الترنم يلحق القوافي في الاسم والفعل [illegible] والحرف بدلا عن حرف الاطلاق
اي عن حروف المد واللين بترك الترنم لان الالف والواو والياء في القوافي يصلح
للترنم بما فيها من المد فجيء لها بالتنوين اذا قصد الانشاد بترك الترنم
لخلو التنوين من المد فان قيل ما فائدة قوله تعالى هل في ذلك قسم لذي حجر بعد
ان اقسم بالاشياء المذكورة قلنا نعم وهي زيادة التأكيد والتحقيق كمن ذكر حجة
باهرة ثم قال هل فيما ذكرته حجة والمعنى ان من كان ذا لب وعقل علم ان ما اقسم
الله تعالى به من هذه الاشياء فيه عجائب كثيرة ودلائل على التوحيد والربوبية فهو
حقيق بان يقسم به لدلالته على خالقه وقيل هذه الاية تدل على ان المراد الا قسم
برب هذه الامور لان هذه الاية دالة على ان هذا مبالغة في القسم ومعلوم ان
المبالغة في القسم لا تحصل الا بان يقسم بالله رب العالمين قوله سمي به لانه
يحجر على الانسان والحجر بالفتح المنع من الشيء يقال حجر عليه القاضي يحجر حجرا اذا منعه
من التصرف في ماله قوله والمقسم عليه محذوف اعلم ان في جواب هذا القسم
قولان الاول انه قوله ان ربك لبالمرصاد وما بينهما اعتراض والثاني انه محذوف
وهو ليعذبن الكافر يدل عليه قوله تعالى الم تر الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب
واختار المص هذا القول لانه لما لم يتعين المقسم عليه ذهب الوهم الى كل
مذهب فكان ادخل في التخويف فلما جاء بعده بيان عذاب الكافرين دل على
المقسم عليه اولا وهو ذلك قوله قوله تعالى الم تر يعني الم تعلم لا من روية البصر وهو
ظ وانما عبر عن العلم بالروية لان اخبارهم كانت منقولة بالتواتر وهو يفيد العلم
العلم الضروري تعالى ربك مجرى الروية في الجلاء [illegible] فيه وانه كان [illegible]
قوله لجلاء علم ذلك ليكون زجرا للكفار عن مثل ما ادى بهم الى الهلاك وحثا

للمؤمنين

هاشم

للمؤمنين على الثبات على الايمان قوله اولاد عاد بن عوص يريد ان لفظ عاد هنا اسم
للقبيلة المنتسبة الى عاد بن عوص كما يقال لبني هاشم هاشم ولبني تميم تميم ثم قالوا
للمتقدمين من هذه القبيلة عاد الاولى قال الله تعالى انه اهلك عادا الاولى
وللمتأخرين عاد الاخيرة وارم اسم جدهم [illegible] وفي المراد منه في هذه الاية اقوال
احدها ان المراد به المتقدمون من قبيلة عاد فانهم كما يسمون بعاد الاولى
فكذلك يسمون بارم تسمية لهم باسم جدهم والثاني ان ارم بلدتهم التي كانوا يسكنون
فيها ثم قيل تلك المدينة هي الاسكندرية وقيل هي دمشق وقيل ان منازل
عاد كانت بين عمان الى حضرموت وهي بلاد الرمال والاحقاف كما قال الله تعالى
واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف واما الاسكندرية ودمشق فليست
من بلاد الرمال والثالث ان ارم اعلام قوم عاد كانوا يبنونها على هيئة
المنارة وعلى هيئة القبور وارم سواء كانت قبيلة او ارضا لا ينصرف للتعريف
والتأنيث فان جعلناه اسم قبيلة كان قوله ارم عطف بيان لعاد وايذانا
بانهم عاد الاولى القديمة وان جعلناه اسم البلدة او الاعلام كان التقدير
بعاد اهل ارم ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه كما في قوله واسأل
القرية قوله وهذا كون ارم عطف بيان لعاد بان يكونا اسمين للاولين من
قبيلة عاد وهو الذي اشار اليه المص بقوله وقيل سمي اوائلهم فاولاد عاد
اي المتقدمون منهم كما سموا باسم ابيهم عاد سموا ايضا اسم جدهم ارم فلذلك
صح ان يكون ارم عطف بيان لعاد وهم عاد الاولى من غير تقدير مضاف وهو
البسيط واما اذا كان ارم علما لاصل وضعه وهو كونه اسما لجد قبيلة عاد فانما
يكون عطف بيان لعاد بتقدير البسيط قوله ذات البناء الرفيع او القدود الطوال
او الرفعة والثالث كل واحد من هذه الاوصاف الثلاثة يصلح ان يكون وصفا لارم
وهو اسم قبيلة اما وصفه بذات البناء الرفيع فلانهم اصحاب المدينة وهي بناء
رفيع فلانهم كانوا ذات ابنية مرفوعة على العمد وكانوا يعالجون الاعمدة
ينصبونها ويبنون فوقها القصور وكانت قصورهم تنحت من ارض بعيدة
قال الله تعالى في وصفهم اتبنون بكل ريع اية تعبثون اي علامة وبناء رفيعا و
اما وصفه بذات القدود الطوال فلما اشتهر انه كان قد احدهم اثني عشر
ذراعا واكثر من ذلك وفي تفسير الكواشي قالوا كان طول الطويل منهم اربعمائة

ذراع وكان احدهم ياخذ الصخرة العظيمة فيقلبها على الحي فيهلكهم واما وصف
بالرفعة واثبات انه رفعة قدودهم وثبات اعمارهم وسعة ابدانهم وقوة
اجسادهم واما على تقدير كون ارم اسم بلدة فالمعنى لا يكون وصفا لهم هو
ذات الابنية الرفيعة قيل انه من بنيتهم كانت ذات اساطين اي ذات ابنية مرفوعة
على الاسطوانات ويجوز وصفها ايضا بالرفعة وانه لا بد ذات القدود الطويلة
قيل انه قال الامام محمد في ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وبنى مدينة
عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت و
فيها اصناف الاشجار والانهار ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان
منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى صيحة من السماء فهلكوا اجمع ولم
يبق ارم لاهو ولا احد ممن كان معه ولم يقدر عليه حتى الساعة غير ابن قلابة
والقصة مستوفاة في التيسير عن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له
فوصل الجنة شداد فحمل ما قدر عليه مما هناك وبلغ خبره معاوية فا
ستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هي ارم ذات العماد سيدخلها
رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال
يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال والله ذاك الرجل انتهى
وفي قوله بعث عليهم صيحة من السماء فهلكوا بحث لان قوم عاد هلكوا بالريح
وقوم صالح هلكوا بالصيحة لقوله تعالى في سورة الحاقة فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية
واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية الى قوله وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات
بالخاطئة فعصوا رسول ربهم فاخذهم اخذة رابية اي زائدة في الشدة
كزيادة اعمالهم في القبح بين الله تعالى في تلك السورة ما اجمله في هذه السورة
بقوله فصب عليهم ربك سوط عذاب حيث لم يبين كيفية ما صب عليهم من
العذاب اللهم الا ان يراد بالصيحة ههنا الريح الشديدة الصوت و
الضمير لها سواء جعلت اسم القبيلة او البلدة فالمعنى على الاول لم يخلق مثل
هذا القوم في البلاد في عظم الجثة وطول القامة وشدة القوة كان
طول الرجل منهم يكون اربعمائة ذراع وكان يحمل الصخرة العظيمة فيلقيها على
الحي فيهلكهم والمعنى على الثاني لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا
وقيل ضمير مثلها راجع الى العماد اي لم يخلق مثل تلك الاساطين في البلاد ولم

يلتفت

يلتفت المصلي اليه لان الشوق وصف ارم بتلك الصنعة ومن رخام ونحت لها
لا نظير لها اساطينها والمقصود من ذكر هذه الحكاية زجر الكفار فانه تعالى لما بين انه
اهلكهم بما كفروا وكذبوا الرسل مع اختصاصهم بما لهم من وجوه القوة و
الشدة نبه انه قادر على اهلاك الكفرة لان تكونوا خائفين من مثل ما نزل بهم اذ حكمهم
على كفركم مع كونكم اضعف منهم بكل وجه اولى واحرى ثمود فقطعوه فان معنى الجوب
القطع يقال جبت البلاد اجوبها جوبا وزاد الفراء جبت البلاد اجيبها
جيبا اذا جبت فيها وقطعتها قيل اول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود
وبنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة او لتعذيبه بالاوتاد كما روي
عن ابن عباس ان فرعون انما سمي ذا الاوتاد لان امرأة خازنه حزبيل كانت
ماشطة فرعون وكان حزبيل مؤمنا يكتم ايمانه مائة سنة وكانت امرأته في
ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت
تعس من كفر بالله عز وجل فقالت بنت فرعون هل لك اله غير ابي فقالت الهي
واله ابيك واله السموات والارض واحد لا شريك له فقامت ودخلت على ابيها
وهي تبكي فقال ما يبكيك قالت الماشطة امرأة خازنك تزعم ان الهك
والهها واله السموات والارض واحد لا شريك له فارسل اليها فسألها عن
ذلك فقالت صدق فقال لها ويحك اكفري بالهك واقري باني الهك قالت لا افعل
فمدها بين اربعة اوتاد ثم ارسل عليها الحيات والعقارب وقال لها اكفري بالله والا
عذبتك بهذا العذاب شهرين فقالت لو عذبتني سبعين شهرا ما كفرت به
وكانت لها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى فذبحها على فيها وقال لها اكفري
بالله فذبحت الصغرى حتى يكون فيها رضيع فقالت لو ذبحت من على
الارض على فيّ ما كفرت بالله تعالى فاتي بابنتها فلما اضجعت على صدرها وارادوا
ذبحها جزعت المرأة فاطلق الله لسان ابنتها فتكلمت وهي من الاربعة
الذين تكلموا اطفالا فقالت يا اماه لا تجزعي فان الله تعالى قد بنى لك بيتا في
الجنة اصبري فانك تفضين الى رحمة الله تعالى وكرامته فذبحت فلم تلبث ان
ماتت فاسكنها الله الجنة وكان فرعون قد تزوج امرأة من اجل بني اسرائيل
يقال لها آسية بنت مزاحم فرأت ما صنع فرعون بالماشطة فقالت
في نفسها كيف يسعني ان اصبر على ما يفعل فرعون وانا مسلمة وهو كافر فبينا

هي تؤامر نفسها اذ دخل عليها فرعون فجلس قريب منها فقالت يا فرعون انت
شر الخلق واخبثهم عمدت الى الماشطة فقتلتها قال فلعل بك الجنون الذي كان
بها قالت ما بي من جنون وان الجنون من يكفر بالله الذي له ملك السموات
والارض وما بينهما وحده لا شريك له وهو على كل شيء قدير فمدها بين اربعة
اوتاد يعذبها ففتح الله لها بابا الى الجنة ليهون عليها ما يصنع بها فرعون
فعند ذلك قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله
فقبض الله روحها واسكنها الجنة قوله صفة للمذكورين فيكون مجرور
المحل لكون بعض المذكورين قبله مجرورا بالباء وبعضه معطوف عليه وتقديم
هذا الوجه يدل على انه المختار عنده من حيث ان الوجه الثاني يحتاج الى
حذف الفعل وهو اعني والوجه الثالث يحتاج الى حذف المبتدأ فما اختاره
المصنف حسن بحسب اللفظ واختار الكشاف كونه منصوبا على الذم بتقدير
اعني لكونه صريحا في الذم والمقام مقام الذم فهو احسن نظرا الى المعنى قوله
فاكثروا فيها الفساد بيانا لوجه طغيانهم في البلاد فان الفساد ضد
الصلاح فكما ان الصلاح يتناول جميع اقسام البر فكذلك الفساد يتناول
جميع اقسام الاثم من الكفر والظلم فمن عمل بغير امر الله وحكم في عباده بالظلم
فهو مفسد متجاوز الحد قوله ما خلط لهم من انواع العذاب فيه تشبيه
سوط العذاب بانواع العذاب المختلف بعضها ببعض لانه في اللغة اسم
السوط الذي يضرب به وجعل العذاب بمعنى المعذب وجعل اضافة السوط
اليه بمعنى من ويحتمل ان يكون العذاب بمعنى التعذيب والاضافة بمعنى اللام
والمعنى صب عليهم الانواع المختلفة مما يعذب به للتعذيب فانه تعالى قال
في سورة الحاقة فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية واما عاد فاهلكوا بريح صرصر
اي شديدة الصوت او البرد عاتية اي شديدة العصف وجاء فرعون ومن قبله
والمؤتفكات بالخاطئة فعصوا رسول ربهم فاخذهم الله اخذة رابية
اي زائدة في الشدة كزيادة اعمالهم في القبح يدل على انه تعالى صب على كل واحد
منهم نوعا من العذاب لا الانواع المخلوطة المشبهة بالسوط ولذلك قيل في
تفسير سوط عذاب لونا من العذاب صبه عليهم قلنا المذكور في تلك
السورة صريح في ان ما عذب به كل واحد منهم مغاير لما اهلك به الآخرون

بنوع مخصوص فيه وذلك لا ينافي ان يكون ما صب على كل واحد منهم مشتملا على
الانواع مما عذب به فاقله ان يختلط ما ذكر في تلك السورة من نحو الطاغية
وريح صرصر والاخذة الرابية بالعذاب الروحاني من التحسر على عدم الاطاعة
والهموم والاحزان فان قيل اليس قوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك
على ظهرها من دابة يقتضي تأخير العذاب الى الآخرة فكيف يجمع بين هاتين
الآيتين قلت انه يقتضي تأخير تمام الجزاء الى الآخرة وذلك لا ينافي ان يعجل
من ذلك في الدنيا فان الواقع في الدنيا شيء من الجزاء ومقدمة من مقدماته
قوله الجلد المضفور اي المنسوج المفتول قوله يترقب فيه الرصد وهو يحتمل ان
جمع راصد كالحرس جمع حارس ويكون مصدرا ايضا كالرصد بالسكون يقال
رصده يرصده رصدا ورصدا بمعنى رقبه يرقبه رقوبا ورقبة والترصد الترقب
وصيغة مفعال قد يكون اسم مكان كالمضمار اسم المكان الذي يضمر فيه الخيل
والمنهاج اسم للمكان الذي ينهج فيه وقد يكون للمبالغة كالمعطار والمطعان
لمن يكثر منه هذه الافعال وههنا يتعين الاول للباء الداخلة على الظرفية اي انه
لبالمكان الذي يترقب فيه السابلة وعن بعض العرب انه قيل له اين ربك
فقال بالمرصاد وقيل لارصاده العصاة بالعقاب الظاهر ان الباء في بالعقاب للتعدية
والمعنى قيل لاعداده العقاب للعصاة وجعله العقاب مرصدا لهم الجوهري
عن الاصمعي رصدته ارصده ترقبته وارصدت له اي اعددت له والكسائي مثله
انتهى وههنا لما عدى الارصاد بنفسه حيث قال لارصاده العصاة عدى
بنفسه العصاة عدى الى العقاب بالباء والحاصل ان قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد
استعارة تمثيلية شبه حاله تعالى في كونه حفيظا لاعمال العباد ومجازيا عليها
بالنقير والقطمير لا مجير للعباد عن ان يكون مصيرهم الا اليه بحال من قعد
على طريق السابلة يترصدهم ليظفر بالجاني او لاخذ المكار ونحو ذلك والمخلص
لهم عن العبور الى ذلك الطريق ثم استعير هنا ما كان مستعملا هناك
عن الكلبي انه قال لا يفوته شيء من اعمال العباد كما لا يفوت من بالمرصاد شيء
وفي الكثير من المفسرين من يخص هذه الآية اما بوعيد الكفار او بوعيد
العصاة اما الاول فقال الزجاج يرصد من كفر به وعدل عن طاعته بالعذاب
واما الثاني فقال الضحاك يرصد اهل الظلم والمعصية وقول المصنف لارصاده

العصاة يوم الجزاء انه اختار قول الضحاك وقال الحسن يرصد اعمال بني آدم وقال
الفراء اليه المصير لا يتجاوزه احد هذين الوجهين يعم المؤمنين والكافرين قوله فاما
الانسان متصل بقوله ان ربك لبالمرصاد يعني ان كلمة اما المصدرة بالفاء لا بد ان تقع
بين الكلامين لربط احدهما بالآخر وتؤذن ان البون البعيد بين الامرين المثبت فيه
والكلام السابق لما تضمن بانه تعالى اعد لعباده موقف حساب ودار جزاء يعاقب
فيها العصاة المتبعين للشهوات ويكرم فيها بجزيل الثواب من اطاعه وعمل
الصالحات كان محصوله انه تعالى بالمرصاد في الآخرة ولا يطلب من عباده الا ما
يسعدهم فيها ولا يحزنهم الا عما يرديهم فيها فاما الانسان فانه لا يهمه الا الدنيا
ولذاتها وشهواتها فان وجد الراحة في الدنيا يقول ربي اكرمني وان لم يجد
هذه الراحة يقول ربي اهانني فيرى الكرامة في وجود هذه الراحة والهوان
والذل في عدمها ونظيره قوله تعالى في صفة الكفار يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا
وهم عن الآخرة غافلون فلم يريدوا الا السعي لها الظ ان المراد بالارادة الطلب
الامري لا يطلب من عباده الا الطاعة لان حقيقة الارادة متعلقة بجميع
الكائنات خيرها وشرها ولا يامر الا بما هو خير ورشد قوله اختبره بالغنى و
اليسر يعني انه تعالى كل واحد من بسط الرزق وتقديره ابتلاء لانه اختبار للعبد
فاذا بسط له فقد اختبره هل يشكر ام يكفر واذا قدر عليه فقد اختبره هل
يصبر ام يجزع فالحكمة فيهما واحدة وهو خبر المبتدا الى قوله ليوازن فيه
قسيمه جواب لما يقال ان اما التفصيلية لا بد ان يقع بعدها جملتان او اكثر على
حسب ما قصد تفصيله يصدر كل واحد منها بكلمة اما ويكون قسيما لصاحبه
ولا بد ان يكون تلك الجملة متوازنة ومتعادلة بحيث اذا كان الواقع بعد اما
في الفقرة الاولى اسما كان الواقع بعدها في الثانية اسما نحو قولك اما الكافر
فكفور واما المؤمن فشكور وان كان شرطا او ظرفا فامثل قولك فشرط او ظرف
مثل قولك اما اذا احسنت الى زيد فهو محسن اليك واما اذا اسات
اليه فهو مسيء اليك وفي الآية قد وقع بعد الاولى اسم وبعد الثانية ظرف فلا
توازن بينهما وحصول الجزاء المبتدا مقدر بعد اما الثانية لتوازن الفقرتان
وذكر في الاولى دليل على ان المقابل للتقصير هو المحكوم عليه لان الظرف فوجب
ان يقدر في الثانية ايضا ليصح التفسير فيكون قوله فيقول ربي اهانن خبر لذلك

المقدر

المقدر كالاولى والتقدير واما الانسان اذا ما ابتلاه بالفقر والتقتير فكانه قيل و
الانسان فيقول ربي اهانن وقت ابتلائه بالفقر وبذلك يحصل التقابل والتوازن
بين القسمين قوله فيقول خبر المبتدا لئلا يتوهم انه جواب اذا واذا مع جوابها
خبر المبتدا فانه ح يجب جواب اما بدون الفاء لقصور نظره تنبيه على انه حكاية
قوله ذم وتجهيل حيث حكم بان التوسعة في الدنيا تفضيل والتقتير اهانة
وانه مطلق مع ان التوسعة قد يكون سببا للسلامة وايضا توسعة الدنيا
سبب الف النفس وكثرة اشتغالها بها وعمارتها وذلك سبب لتاكد حب
الدنيا وحب الدنيا سبب لصعوبة الانقطاع عنها والاستغراق فيها ومن استغرق
فيها ينغلق عليه ابواب عبودية الله تعالى فيكون راحة الدنيا وتوسعها سببا
للحرمان عن النعيم الدائم والراحة الباقية بخلاف التقتير فانه يسهل له
الاشتغال بعبودية الله تعالى لارتفاع ما يمنعه عنه في حقه ومن كان لله كان الله له
فيحصل كرامة الدارين وايضا من كانت محبته للدنيا اشد كان غمه بمفارقتها
عند الموت الم اكثر فيكون التوسعة اذن سببا للالم الشديد بعد الموت
فكيف يكون تفضيلا واكراما فثبت من ذينك القولين جهل وخطأ سواء اعترف
قائلها بالبعث والجزاء او جحدهما او لم يعترف واما القول بان
التوسعة اكرام من المعترف فلان التوسعة كما يؤدي الى قصد الاعداء في
الدنيا يؤدي ايضا الى الانهماك في حب الدنيا وهو سبب الاستغراق فيها والالم
الشديد بمفارقتها واما جهل من قال بان التوسعة اكرام وهو ممن ينكر البعث
فلوجهين اولهما ان التوسعة قد يكون سببا للالم الشديد في الدنيا بقصد الاعداء
واما جهل من قال بان التقتير اهانة وهو معترف بالبعث فلان نفس التقتير خلاص
عن قصد الاعداء والانهماك في حب الدنيا وكذا ان كان القائل منكر البعث
ثا قوله جهل كيف لا وقد سلم ان التقتير يخلص عن قصد الاعداء في الدنيا وقد ذكر في
بيان كون القولين جهلا وخطأ وجه آخر هو ان لذة الدنيا و
راحتها مع شقاوة الآخرة وعذابها ليست بسعادة وان محنة الدنيا
وضيقها مع سعادة ليست بشقاء وضيق فلا ينبغي ان يقال ان الاول اكرام
والثاني اهانة قوله ان قوله الاول مطابق لقوله تعالى اكرمه متعلق بقوله ذمه
على قوليه اي لا جرم ان التقتير قد يؤدي الى كرامة الدارين والتوسعة قد يقتضي

اي قصد الاعداء والانهماك في حب الدنيا ذمه على كل واحد من قوليه مع انها قوله
الاول وهو قوله ربي اكرمن قول صادق مطابق لما حكى الله تعالى من ذاته المقدس
انه اكرمه وانما الخطاء الصريح والاعتقاد الفاسد هو ظنه ان علة الدنيا و
تقتيرها اهانة الا ان كلا قوليه لما نشأ عن قصور نظره واعتقاده الكرامة
والهوان انما يكون بوجود الدنيا وعدمها ذمه على كلا قوليه وردعه عنه
اي عن كل واحد منهما قوله ولم يقل فاهانه وقدر عليه عطف على قوله ذمه
اي ولا جواب ان التقتير قد يؤدي الى كرامة الدارين لم يقل فاهانه فانه يصح ان
يحكي الله تعالى من نفسه اهانة بالتقتير مع ان التقتير قد يؤدي اليها وهي
متضمن لجواب ما يقال من انه تعالى لما قال في القسم الاول فاكرمه ونعمه لزم
ان يقول في القسم الثاني فاهانه فقدر عليه لكنه لم يقل كذلك فاوجهه
واجاب عنه بوجهين الاول ان التقتير ليس باهانة بل يؤدي الى كرامة الدارين و
الثاني التوسعة تفضل فيكون قوله اكرمه صادقا بخلاف التقتير فانه ترك
التفضل فلا يكون اهانة فانه اذا اهدى احد اليك هدية قلت اكرمني فلان
بالهدية واذا لم يهد اليك شيئا لا تقول اهانني قوله وقرأ ابن عامر فقدره
بالتشديد بمعنى ضيق عليه بان جعله على مقدار البلغة والمخفف بمعنى قتر
التقتير لتضييق النفقة حكى الامام عن ابن عباس انه قال معنى قوله تعالى كلا اي لم
ابتليه بالغنا لكرامته علي ولم ابتله بالفقر لهوانه علي بل ذلك اما على مذهب
اهل السنة فمن محض القضاء والقدر والمشية والحكم المنزه عن التعليل
بالعلل واما على مذهب المعتزلة فبسبب مصالح خفية لا يطلع عليها الا هو
فقد يوسع على الكافر لا لكرامته ويقتر على المؤمن لا لهوانه قوله اي بل فعلهم
اسوأ من قولهم اشارة الى ان بل في هذا الموضع لترك الاول والاخذ فيما
هو اهم وعبر عن التروك والافعال بقوله بل فعلهم اسوأ تغليبا للافعال
على التروك ووجه القراءة بتاء الخطاب بتقدير فقل لهم يا محمد كذا وكذا
والنكتة في تقدير قوله الاشارة الى انهم غير لائقين لخطاب الله تعالى ويجوز ان
يكون من قبيل الالتفات للمبالغة في الذم فان الذم على وجهه ابلغ
من الذم على الغيبة ووجه القراءة بالياء في قوله بل لا يكرمون ولا يحضون
على طعام المسكين ويأكلون التراث اكلا لما ويحبون المال حبا جما ه

اسناد

٧٧

اسناد هذه الافعال الى ضمير الانسان المتقدم ذكره وجمع الضمير الراجع اليه مع انه قوله
في قوله اما اذا ما ابتليه ربه واكرمه بقوله ربي حيث ان الانسان مفرد لفظا
وجمع معنى لان المراد به الجنس فبالنظر الى الاول ارجع اليه ضمير المفرد وبالنظر الى
الثاني جمع الضمير في ترك احسان اليتيم على وجوه احدها ترك بره واليه اشار
بقوله بل لا تكرمون اليتيم والثاني دفعه عن حقه الثابت له في الميراث واكل ماله
ظلما واليه اشار بقوله وتأكلون التراث اكلا لما اذا فسر بذلك اي جمعا بين
الحلال والحرام فانهم لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون انصباءهم ومن
لا يحض غيره على طعام المسكين فانه لا يطعم بنفسه اولى فالمعنى انه يقال
ولا تطعمون مسكينا ولا تأمرون باطعامه ومن قرأ ولا تحاضون اراد ولا تتحاضون — ضون
بتائين فحذف تاء تتفاعلون كراهة اجتماعهما والمعنى لا يحث بعض على
اطعام طعام جنس المسكين فحذف المضاف وهو اطعام واقيم المضاف
اليه مقامه وقلبت واو وراث تاء لانضمامها اولا كما في تجاه وتجاه قوله ذا لم
اي جمع اشارة الى ان معنى اللم في اللغة الجمع يقال كتيبة ملمومة اي مجتمعة
مضموم بعضها الى بعض وانه مصدر جيء به نعتا لاكلا والمراد به الف عين اي اكلا
لما اي جامعا بمعنى ذا جمع تام ولا بد منه لان الجمع يقتضي شيئين فصاعدا و
المراد بهما في الآية الحلال والحرام قال الحسن اي يأكلون نصيبهم ونصيب
صاحبهم ويجمعون نصيب غيرهم الى نصيب انفسهم وايضا المال الذي يبقى من
الميت بعضه حلال وبعضه حرام وبعضه مشتبه فالوارث طريقه اللم في الاكل
اي يضم البعض الى بعض ويأخذ الكل كله وعلى التقديرين اكل الوارث اكل ذي
جمع بين الحلال والحرام والجم الكثير يقال جم الشيء يجم جموما والمقصود
ذمهم ببيان ان حرصهم على الدنيا فقط لانهم عادلون عن امر الآخرة قوله
ردع لهم عن ذلك اي الذي ذكر من الافعال والتروك قوله وانكار لما ينبغي ان
يكون الامر كذلك في الحرص على الدنيا وحض الهمة على تحصيلها وجمعها من حيث
تهيأ من هو حرام وترك المواساة منها وتوهم ان لا حساب ولا جزاء فان
على ما تنبه ذلك الحسرة والندامة على ايثار الحيوة الدنيا على الحيوة الابدية
قوله وما بعده وهو قوله اذا دكت الارض الى قوله يا ايتها النفس المطمئنة
وعيد على ما صدر منهم من قوله وافعاله وتروكه بانه اذا جاء يوم موصوف

نصب ع

بصفات ثلث فانه يحصل له الندامة على ما صدر منه ويتمنى انه لو كان افنى عمره في
التقرب الى الله تعالى بالاعمال الصالحة والمواساة بالمال الجوهري الدك الدق و قد
دككت الشيء اذا دككته دكا اذا ضربته وكسرته حتى سويته بالارض انتهى وقال
الخليل الدك كسر الحائط والجبل وقال المبرد الدك حط المرتفع بالبسط و
الدك سنام البعير اذا افترش في ظهره وناقة دكاء اذا كانت كذلك فمعنى الدك
على قول الخليل كسر كل شيء على وجه الارض من جبل او شجر او بناء و
ذلك حين زلزلت الارض فلم يبق على ظهرها شيء مرتفع بل ينخفض جميع ما
عليها او يصير هباء منبثا وعلى قول المبرد معناه انها استوت في الانفراش
فذهب دورها وقصورها وسائر ما عليها من الابنية والجبال والتلال
والاشجار حتى صارت كالصخرة الملساء وهذا معنى قول ابن عباس انه تمد
الارض يوم القيمة وهذا الدك متاخر عن الزلزلة لانه تدك الجبال والتلال
وانهدام الابنية والاشجار على قول الخليل والاستواء في الانفراش على قول
المبرد والذي يكون اذا زلزلت الارض زلزلة بعد زلزلة و دكت تحريكا بعد
تحريك حتى تنخفض ما ارتفع عليها من الجبال ونحوها وامتلأت الاغوار و
صارت ملساء وذلك عند انقضاء الدنيا اي ظهرت ايات قدرته واثار قهره
لما ثبت بالدليل العقلي ان الحركة على الله تعالى محال لان كل ما كان كذلك كان جسما
والجسم يستحيل ان يكون ازليا امتنع حمل قوله تعالى وجاء ربك على معناه الحقيقي فلذلك
فسره بما هو معنى مجازي له بان جعل مجيء بمعنى ظهور قدره المضاف والمضاف
اليه مثل حاله تعالى في ظهور اثار قدرته واثار قهره وسلطانه بحال السلطان
اذا حضر بنفسه فانه يظهر بمجرد حضوره من اثار هيبته وسياسته ما لا يظهر بحضور
وزرائه وسائر خواصه وعساكره باسرهم فاستعير لحاله الاولى حضور
استعمل في الثانية وذكر الامام في تاويل الاية وجوها اخر منها ان التقدير و
جاء امر ربك بالمحاسبة والمجازات بواسطة الملك ومنها وجاء جلائل
ايات ربك فانه يوم القيمة يظهر فيه عظائم الايات وجلائلها فجعل مجيئها مجيئا
له تفخيما لشان تلك الايات ومنها ان جاء ربك بمعنى ظهر ربك لان معرفته تعالى
تصير ضرورية في ذلك اليوم فصار هذه المعرفة كظهوره وتجليه للخلق
فقيل وجاء ربك اي زالت الشبهة وارتفعت الشكوك تع قوله والملك

صفا صفا

صفا صفا والظاهر ان الملك اسم جنس يعم جميع ملائكة السموات وتعريفه للاستغراق وصفا صفا
حال من الملك اي المصطفين يصطفون يوم القيمة صفوفا بحسب منازلهم
ومراتبهم اصطفاف اهل الدنيا في الصلوة وقيل هو ملائكة السموات السبع
فانه ينزل اهل كل سماء يوم القيمة فكانوا صفوفا محيطين بالارض ومن فيها من
الجن والانس فيكونون سبعة صفوف اهل كل سماء صف على حدة قوله يجرونها
تمام حديثه انهم يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش فتشرد شردة
لو تركت لاحرقت اهل الجمع قال الامام الاصوليون معلوم انها لا تنفك عن مكانها
وبرزت واظهرت حتى رآها الخلق وعلم الكافر ان مصيره اليها انتهى والى هذا المعنى
اشار المص بقوله كقوله وبرزت الجحيم فان قيل ما ذكر في الحديث من قوله يجرونها
يدل على انفكاكها عن مكانها قلت هذا ايضا يجوز والمراد انهم يباشرون اسباب
ظهورها قوله لئلا يناقض ما قبله علة لتقدير المضاف فانه لو لم يقدر لكان بين
قوله يتذكر و قوله وانى له الذكرى تناقض حيث اثبت له التذكر اولا ونفى ذلك عنه
اخرا وبتقدير المنفعة ارتفع التناقض قوله اي يتذكر معاصيه اي يتذكر ان ما
هو عليه في الدنيا من ايثار حظوظ الدنيا على راحة الاخرة وترك النظر في ايات الله تعالى
التي تهديه الى سبيل السعادة كان ضلالا ومعصية على ان يكون المعاصي جمع معصية
بمعنى العصيان لا بمعنى ما به يعصى وان تذكرها ومعرفة انها ضلال وعصيان وهذه
المعرفة يستلزم الندم عليها قوله او يتعظ اي يقبل التذكير والارشاد الذي بلغ اليه
في الدنيا ولم يتعظ به ولم يقبله في الدنيا فيتعظ به في الاخرة فيقول يا ليتنا نرد و
لا نكذب بايات ربنا وهذا الاتعاظ يستلزم الندم على تفصيل ما ايضا واذا
حصل الندم فقد حصلت التوبة ثم انه تعالى لما نفى كون هذا التذكر والتوبة نافعة
له بقوله وانى له الذكرى علمنا انه لا يجب قبول التوبة كما ذهب اليه المعتزلة
قوله اي لحيوتي هذه يعني ان الحيوة الاخروية التي هي دائمة غير منقطعة اي يقول
هذا الانسان يومئذ متمنيا وقائلا يا ليتني قدمت وقت حيوتي في الدنيا
لحيوتي هذه وانما قال لحيوتي ولم يقل لهذه الحيوة اشعارا بان الحيوة كانها
ليست الا الحيوة في الاخرة كما قال تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان اي الحيوة قوله
او وقت حيوتي في الدنيا على ان يكون اللام في لحيوتي بمعنى في كما في قوله تعالى جامع
الناس ليوم اعمالا صالحة اشارة الى ان مفعول قدمت محذوف قوله تعالى

يقول ويجوز ان يكون في موضع الحال اي يتذكر قائلا او ان يكون عطفا على قوله
يتذكر فان قيل قوله تعالى فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى وقوله ثم لا يموت فيها ولا يحيى دال
على ان الكفار لا حيوة لهم في الاخرة فكيف يصح تمني هذه الحيوة عن الحيوة
في الاخرة مع ان الاية في حق الكفار قلت معنى الاية يا ليتني قدمت اعمالا صالحة
لتحصيل حيوة في الاخرة فلا اشكال على ان الحيوة المنفية في الايات المذكورة
ليست اصل الحيوة بل الحيوة التي تنفع على معنى ان اهل النار في الاخرة كانهم
لا حيوة لهم قوله وليس في هذا التمني دلالة على استقلال العبد بفعله
جواب عن استدلال المعتزلة بهذه الاية على استقلال العبد في افعاله انها
متعلقة بقصدهم وارادتهم فقط بحيث لا مدخل فيها لقدرة الله تعالى وارادته
وانما المستند الى قدرة الله تعالى وارادته عندهم هو نفس قدرة العبد لا الفعل
المترتب عليها وعلى انهم ما كانوا مجبورين عن الطاعات مجبرين على المعاصي كما
ذهب اليه بعض اهل الاهواء والبدع والا فلا معنى للتمني والتحسر وتقرير الجواب
ان المجبور عن الشيء قد يتمنى ان كان ممكنا منه بان يقول يا ليتني كنت ممكنا منه
فعلته نادما فاذا صح ذلك من المجبور فلان يصح ممن لا استقلال في افعاله
اولى فانه يصح منه ان يقول يا ليتني كنت مستقلا في تحصيل الاعمال الصالحة فاكتسبت
بها في الدنيا لهذه الحيوة الاخروية قال الامام في استدلال المعتزلة وجوابه
ان فعلهم ان كان معلقا بقصدهم فقصدهم ان كان معلقا بقصد اخر لزم
التسلسل وان كان معلقا بقصد الله تعالى فقد بطل الاعتزال انتهى كلامه وفيه
بحث لان القول باسناد قصد العبد وارادته الى ارادة الله تعالى لا ينافي مذهب
اهل الاعتزال كما اشرنا اليه في تقرير استدلالهم فان القدرة والارادة
ليست من الافعال الاختيارية للعبد عندهم لكنها اذا اخلقها الله تعالى في العبد
كانت هي كافية مستقلة في افعاله الاختيارية واستقلال العبد في تلك
الافعال لا يستلزم استقلاله في القدرة عليها فان التمكين والاقدار انما هو
الا من الله تعالى بالاتفاق فعلى هذا لا يكون القول بكون قصد العبد معلقا
بقصد الله تعالى مبطلا للاعتزال قوله الهاء لله تعالى او له او رد انه بعد ما كيف
يصح ان يعود ضمير عذابه ووثاقه على الله تعالى مع انه يوهم ان يكون يوم القيمة
معذب سوى الله تعالى لكنه لا يعذب احد مثل عذابه تعالى وهذا المعنى

غير

غير صحيح اشار المصنف الى دفعه بان المعنى حينئذ لا يتولى عذاب الله ووثاقه
يوم القيمة سواه اذ كان الامر كله يومئذ له والامر ليس له اصلا فيكون الحصر
في تولي العذاب بما سواه لا في تلك عذاب الغير بعذاب الله تعالى كما توهم
فالعذاب والوثاق اسمان وضعا موضع التعذيب والايثاق والمعنى لا يملك
احد التعذيب والايثاق في ذلك اليوم الا الله وحده والامر كله له قوله وقرا
هما الكسائي ويعقوب على بناء المفعول وعن ابي عمرو انه رجع اليها في اخر عمره
لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قراها بالفتح وضمير عذابه ووثاقه للانسان السابق
ذكره وقيل هو ابي بن خلف ولهذه القراءة تفسيران احدهما لا يعذب احد
مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه لتوغله في كفره وفسقه
والثاني انه لا يعذب احد من الناس عذاب الكافر كقوله ولا تزر وازرة وزر
اخرى لما وصف الله تعالى حال من اطمأن الى الدنيا وصف حال من اطمأن الى معرفته
وعبوديته فقال يا ايتها النفس وتقدير الكلام يقول الله تعالى للمؤمن يا ايتها النفس
فاما ان يكلمه اكراما له كما كلم موسى عليه السلام او على لسان ملك قال الامام المطمئنة
هي المستقرة الثابتة وفي كيفية هذا الاستقرار وجوه احدها ان يكون متيقنة
بالحق فلا يخالطها شك وهو المراد بقوله ولكن ليطمئن قلبي وثانيها النفس
الامنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن ويشهد لهذا قراءة ابي بن
كعب يا ايتها النفس الامنة المطمئنة وهذه الحالة تحصل عند الموت
عند قوله الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة وتحصل عند البعث
وعند دخول الجنة لا محالة وثالثها وهو تاويل مطابق للحقائق العقلية فنقول
القران والبرهان تطابقا على ان هذا الاطمينان لا يحصل الا بذكر الله اما
القران فقوله الا بذكر الله تطمئن القلوب واما البرهان فهو ان القوة العقلية
اذا اخذت تترقى في سلسلة الاسباب والمسببات فكلما وصل الى سبب يكون هو
ممكن الوجود لذاته محتاجا الى علة كان العقل طالب سبب اخر فلم يقف العقل عنده بل
لا يزال يترقى من كل ممكن الى ما هو اعلى منه حتى ينتهي ذلك الترقي الى واجب
الوجود لذاته مستغن مطلق عن جميع ما سواه فيقف العقل عنده
واطمأن اليه ولم ينتقل عنه الى غيره حيث ان القوة العاقلة كلما
كانت ناظرة الى شيء من الممكنات ملتفتة اليه استحال ان تقف عنده

واذا نظرت الى جلال واجب الوجود وعرفت ان الكل به استحال ان تنفك عنه فظهر بذلك ان الاطمينان لا يحصل الا بذكر واجب الوجود فقول المص فان النفس تترقى الخ دليل لحصول الاطمينان النفس بذكر الله قوله تسكن دون معرفته اى عندها قوله ويستغنى به عن غيره اى لا يطلب له سببا آخر او الى الحق متعلق بقوله عولها الاطمينان قال الزمخشرى او المطمئنة الى الحق التى سكنها ثلج اليقين فلا يخالجها شك او الامنة اى او هى النفس الامنة قال الامام نقلا عن القفال قوله تع ارجعي الى ربك وان كان امرا في الظ لكنه خبر في المعنى والتقدير ان النفس اذا كانت مطمئنة رجعت الى الله وقال الله لها فادخلي في عبادي وادخلي جنتي انتهى ولعل وجه العدول عن الحقيقة الى المجاز ان الاطمينان انما يكون بالرجوع اليه تع على ما اشار اليه المص في الوجهين الاولين في تفسير المطمئنة فالخطاب بارجعي يكون طلبا لتحصيل الحاصل قوله الى امره او موعده رد لتمسك المجسمة بقوله تع الى ربك بناء على ان كلمة الى لانتهاء الغاية فلو اريد بان يقال المراد الى امر ربك وحكمه او ثوابه او احسانه ونحو ذلك سقط التمسك والجواب الحقيقي ما اشار اليه انفا من ان القوة العاقلة سيرها العقلي يترقى من موجود الى موجود ومن سبب الى سبب حتى ينتهي الى حضرة واجب الوجود فهناك انتهاء الغاية وانقطاع الحركة والحاصل تشبيه الحركة الفكرية بالحركة الابنية ثم استعمل في المشبه ما وضع للمشبه به قوله ويشعر ذلك بقول من قال ان الاشارة الى جواب من احتج بهذه الاية على ان النفوس قديمة وتقرير الاحتجاج انه لا يقال للنفس ارجعي الى ربك الا اذا كانت موجودة قبل هذا البدن وتقرير الجواب انما يشعر بتقدم الارواح على الاجساد وذلك لا يستلزم كونها ازلية قديمة كما ذهب القدماء اليه قوله بالموت متعلق بقوله تع واشارة الى ان هذا الخطاب يوجد عند الموت وكون الخطاب المذكور في عند الموت يشعر بتقدم الارواح على الابدان وان لم يكن صريحا فيه لاحتمال ان يكون المعنى ارجعي الى ما وعده من الثواب قوله او بالبعث عطف على قوله بالموت فيكون الخطاب المذكور عند البعث والقيمة والمعنى ارجعي الى موعد ربك وثوابه قوله او في زمرة المقربين هذا تفسير ثان لقوله فادخلي

٨٠

خلي

في عبادي والمعنى على الاول ادخلي في عبادي الصالحين وانتظمي في سلكهم وادخلي جنتي معهم ونظيره قوله تع وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وعلى الثاني المنضمي الى عبادي المقربين فتكوني في حالة شريفة وفي انعكاس انوارهم اليك فان الارواح الشريفة كالمرايا المصقولة فاذا انضم بعضها الى بعض يظهر في كل واحد منها كل ما ظهر في كلها فيكون ذلك الانضمام سببا لتكامل السعادات الروحانية ثم قوله وادخلي جنتي اشارة الى السعادة الجسمانية قال الامام ولما كانت السعادة الروحانية غير متراخية عن الموت في حق السعداء قال فادخلي في عبادي بالفاء الدالة على التعقيب ولما كانت الجنة الجسمانية لا يحصل الفوز بها الا بعد قيام القيمة الكبرى قال وادخلي جنتي بالواو ولا بالفاء وفيه بحث لانه معطوف على مدخول الفاء فيستحب حكم الفاء عليه ايضا قوله اجمع المفسرون على ان ذلك البلد هو مكة وفضل مكة معروف فان الله تع جعله حرما امنا وقال في المسجد الذي فيه ومن دخله كان آمنا وجعله قبلة لاهل المشرق والمغرب وامر بحجه وجعله كفارة للذنوب التي وجعل البيت المعمور في السماء بازائه وغير ذلك من الفضائل ولاجتماع هذه الفضائل وغيرها في مكة اقسم الله تع بها اظهارا لمزيد فضلها وقيل الاقسام بها لحلوله عم فيها اشعارا بان شرف المكان بشرف اهله فان المتمكن الشريف يجعل المكان معظما لانه يقع فيه انواع العبادات ولا شرف للارض افضل منه فكما ان شرف المكان مستند الى شرف اهله فشرف الاهل ايضا مستند الى كونه معظما لله تع عابدا خاضعا له فيكون القسم بالمكان من حيث كونه موضع عبادة الله وتعظيمه لا من حيث هو فيكون القسم بالمكان ابلغ في تعظيم الله تع من القسم بالله تع والحاصل ان المص ان كلمة لا في قوله تع لا اقسم بهذا البلد صلة حيث قال اقسم سبحانه وتع بالبلد الحرام ولم يجعلها نافية لقوله تع وهذا البلد الامين فانه تع اقسم فيه بالبلد الحرام فكيف يجحد القسم به وقد اقسم فهي صلة كما في قوله تع ما منعك ان لا تسجد وقد قال في ص ما منعك ان تسجد وقال ابن عمر تذكرت ليلى فاعترتني صبابة وكاد صميم القلب لا ينقطع اى ينقطع ولا صلة وقيل هي نافية والمعنى لا اقسم به وانت مقيم به نازل فيه حال به حل اقسم بك وان رخ في تفسير قوله تع وانت حل الى نكتة او جه الاول انه يجوز

الحر نعتا بمعنى الحال كالسقط بمعنى الساقط وعلى هذا يكون الجملة حالية اشار اليه
المص بقوله وقيده فان الحال قيد لعاملها واما ان يكون بمعنى الحلال من حل
الشيء يحل حلا وحلالا والمعنى اقسم بهذا البلد الحرام عند جميع اهل الاديان
حتى ان المشركين ايضا يحرمون ان يقتلوا فيها صيدا او يعضدوا بها شوكة
ثم انهم مع ذلك ومع التزام الله تعالى اياك يستحلون ايذاءك فيه ولو تمكنوا
منك لقتلوك واخرجوك منه فانت حل لهم في اعتقادهم لا يرون لك
من الحرمة ما يرونه لغيرك والجملة على هذا اعتراض اقسم الله تعالى بهذا
البلد وبما بعده على ان الانسان في كبد واعترض بهذه الجملة بين بعض القسم
والمقسم عليه تعجيبا من جراءتهم وشدة عداوتهم يعني من جملة المشقة
التي خلق الانسان معها ان مثلك مع عظم حرمتك يستحل فيه كما يستحل
الصيد في غير الحرم وفيه ايضا تثبيت للرسول ع م وبعث له على احتمال اذاهم
والثالث ان يكون الحل بمعنى المحلل قال قتادة انت حل اي لست باثم يحل
لك ان تقتل بمكة من شئت وذلك ان الله تعالى فتح عليه مكة واحلها له وما فتحت
على احد قبله فاحل ما شاء وحرم ما شاء فقتل ابن خطل وهو متعلق باستار
الكعبة ومقيس ابن صبابة وغيرهما وحرم دار ابي سفيان ثم قال ان الله
حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهو حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل
لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار الحديث والجملة على هذا ليست
معترضة اقسم ببلده ثم على ان الانسان لا يخلو عن مقاساة شدائد
واعترض بينهما بان وعده فتح مكة تسلية وقوله وانت حل بهذا البلد يستقبل
فان قوله وانت حل في معنى الاستقبال لان السورة مكية بالاتفاق وفتح
مكة وقع في سنة ثمان بعد الهجرة فاين هو وقت نزولها ونظير هذه الاية
في كون اللفظ للحال والمعنى على الاستقبال قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون
وقولك لمن تعده الاكرام والحباء انت مكرم محبو وهو احسن في
كلام الله تعالى لان المستقبل عنده كالحاضر بسبب انه لا يمنعه عن وعده مانع
قوله ووالد وما ولد ذريته ادم اشارة الى ان المراد بالوالد وذريته ابراهيم ان
قال ان المراد بالوالد في الاول يكون القسم بجميع افراد نوع البشر صالحهم
وطالحهم اذ هم من اعجب خلق الله على وجه الارض لما فيهم من البيان

والنطق

والنطق والتدبير واستخراج العلوم وفهم الانبياء والدعاة الى الله تعالى والانصار
لدينه وكل ما في الارض خلق لاجلهم وامر الملائكة بالسجود لادم وعلم الاسماء
كلها وقد قال الله تعالى ولقد كرمنا بني ادم وقيل المراد بقوله وما ولد الصالحون
من اولاد ادم بناء على ان الطالحين كانهم ليسوا من اولاده وكانهم بهائم
في صورة البشر كما قال ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا وعلى الثاني يحتمل
ان يكون القسم بابراهيم وبجميع اولاده من العرب والعجم ويحتمل ان يكون
قسما به وباولاده المؤمنين ويؤيده انه شرع في التشهد ان يقال كما
صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم وهم المؤمنون قوله او محمد ع م اي او الوالد
ادم وما ولد محمد ع م وعلى جميع الانبياء والمرسلين اقسم ببلده وبابيه
ادم وبه وهو احد اولاد ادم من الانبياء او الوالد ابراهيم وما ولد محمد ع م اقسم
بمكة وبابراهيم بانيها وبمحمد مطهرها من الاصنام والمشركين وخاتم الانبياء
والمرسلين وروي عن ابن عباس انه قال الوالد الذي يلد وما ولد الذي لا يلد
فيكون ما في قوله وما ولد للنفي فلا بد من اضمار الموصول اي والذي ما ولد و
حذف الموصول وابقاء صلته لا يجوز عند البصريين وقيل المراد كل والد ومولود
وهذا معنى حسن لان حرمة الخلق كلهم داخل في هذا الكلام قوله اي التنكير في
والد للتعظيم ووجه التعظيم ان يراد به ادم او ابراهيم ع م فانه ان يراد به الذي
[illegible] ولد الانبياء والدالة على كمال القدرة وتنكير الشيء وابهامه
يدل على ان ذلك الشيء بلغ من الفضل والكمال الى حيث لم يتصور ان يعبر عنه بما
يدل عليه بعينه وخصوصيته وانما الممكن ان يعبر عنه باسم جنسه فهذا
[illegible] التنكير على التعظيم وايثار ما على من لما فيه من الابهام وان ما لغير العقلاء بمقتضى التفسير
المذكور لما الطائف [illegible] ولكن يدل ما [illegible] للدلالة على الوصفية و
بلوغ الوصف الى اقصى الغاية بحيث يكون الموصوف عجيب الشان بحسب اتصافه
فانها تستعمل في الصفة فاذا اردت ان تسأل عن صفة زيد تقول ما زيد والجواب
فقيه طبيب ام فقيه واذا سالت عن ذاته تقول من هو فالجواب انه زيد و
في شرح الرضي وتستعمل ما في الغالب في صفة العالم نحو زيد ما هو وما هذا
الرجل فهو سؤال عن صفته والجواب عالم او زاهد او نحوهما وقول فرعون
وما رب العالمين يجوز ان يكون سؤالا عن الوصف ولهذا قال موسى ع م

رب السموات الاية ويجوز ان يكون سؤالا عن الماهية واجابه ببيان الاوصاف
وتنبيها لفرعون على انه تعالى لا يعرف الا بالصفة وما هيته غير معلومة للبشر
انتهى وقالوا قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء تقديره فانكحوا الطيب
من النساء فجعلوا كلمة ما مستعملة في صفة من يعقل ولا تشعر على هذا
الوجه ثم ان كلمة ما لشدة ابهامها تدل على ان الوصف الذي دل بها عليه بالغ
الى اقصى الغاية فتفيد في مقام المدح تفخيم شان الموصوف بانه مما لا يكتنه
كنهه في اتصافه بذلك كما في قوله تعالى والله اعلم بما وضعت اي باي شيء وضعت
اي بعظيم انها وضعت موضوعا عجيب الشان بديع الاوصاف فكذا هنا اي اقسم
بهذا البلد وبالوالد وباي شيء ولده ذلك الوالد الذي هو مولود عجيب الشان فليحفظ
هذا الكلام فانه ينفعك في تفسير قوله والسماء وما بناها في سورة و
الشمس قوله تعالى في كبد مصدر المجرور على انه حال من الانسان اي مكابدا قال الامام
وحرف في واللام متقاربان تقول انما انت في العناء والنصب وفيه وجه آخر
وهو ان قوله تعالى في كبد يدل على ان الكبد قد احاط به احاطة الظرف بالمظروف
والكبد في الاصل مصدر ومعناه نال الكبد يقال كبد الرجل كبدا فهو اكبد اذا
وجعت كبده وانتفخت ثم اتسع فيه حتى استعمل في تعب ومشقة وقيل الكبد
هو الاستواء والاستقامة ولهذا قال ابن عباس في كبد اي قائما منتصبا والحيوانات
الاخر يمشي منكسا فهذا امتنان عليه بهذه الخلقة وقيل الكبد شدة الخلق
والقوة ويؤيده ما روي عنه انه قال نزلت هذه الاية في رجل من بني جمح يكنى ابا
الاشد من كلدة ولم يتعرض المص للوجهين الاخيرين لان المناسب
بهذا الموضع هو الوجه الاول حتى يكون الاية تسلية للرسول صم فيما كان يكابده
من قريش ثم ان فسر الكبد بالنصب والمشقة يجوز ان يراد بها شدائد الدنيا
فقط او شدائد التكاليف فقط او شدائد الاخرة فقط او الكل والظاهر من كلام
المص انه حمله على الكل حيث جعل مبتداه الشدائد ظلمة الرحم ومضيقه و
منتهاه الموت وما بعده وما بينهما اي بينا ولد شدائد الدنيا من قطع
سرته والقماط وخرق محركة الاعضاء ومكابدة الختان واوجاعه ومكابدة
المعلم وصولته والاستاذ وهيبته ثم مكابدة شغل التزوج وشغل الاولاد
والخدم وشغل المسكن ثم الكبر والهرم وفي جملة مصائب كثيرة لا يمكن تعداد

ها كالصداع ووجع الاضراس ورمد العين وغم الدين ونحوها ثانيها
شدائد التكاليف كالشكر على السراء والصبر على الضراء والمكابدة في العبادات
كالصوم والصلوة والزكوة والحج والجهاد ثم بعد ذلك تقاسي شدة الموت
وسؤال الملك وظلمة القبر ثم البعث والعرض على الملك المحاسب الى ان يصل الى
موضع الاستقرار اما في الجنة واما في النار قال الامام ليس في هذه الدنيا لذة
البتة بل ذلك الذي يظن انه لذة فهو خلاص عن الالم فاللذة عند الاكل هي
الخلاص عن الم الجوع وعند اللبس هي الخلاص عن الحر والبرد فليس للانسان
الا الم وخلاص عن الم وانتقال الى اخر وهذا معنى قوله لقد خلقنا الانسان
في كبد ويظهر منه انه لا بد للانسان من البعث والقيمة لان الحكيم الذي دبر خلقه
الانسان ان كان مطلوبه منه ان يتألم ابدا فهذا لا يليق بالرحمة وان كان مطلوبه
ان لا يتألم ولا يتلذذ ففي تركه على العدم كفاية في هذا المطلوب وان كان مطلوبه
ان يتلذذ فقد بينا انه ليس في هذه الحيوة الدنيا لذة وانه تعالى خلق الانسان في هذه
الدنيا في كبد ومحنة فاذن لا بد بعد هذه الدار من دار اخرى لتكون للانسان فيها
ما خلق لاجله من اللذات والكرامات قوله لبعضهم اي لبعض صناديد قريش قوله
او يضمر عطف على يكابد لما سلى الرسول صم وحمله على ان يصبر على اذى قريش
اقسم على انه خلق الانسان في كبد اخذ في وعيد من كان يكابد منهم اكثر المكابدة
ويضمر هو اشد الاغترار في وعيد كل واحد منهم فانهم كانوا منهمكين على
انكار البعث والقيمة فلذلك كانوا يصرون على ايذائه صم فقال على سبيل الاستفهام
الانكاري ايحسب ان لن يقدر عليه احد على ان يكون ضمير يحسب لبعضهم او
لكل واحد منهم اي ايظن ان الشأن لن يقدر على بعثه ومجازاته احد وارجاع
ذلك الضمير الى الانسان على تقدير ان يفسر الكبد بالشدة والقوة ظاهر لان
المراد بالانسان بعض المعهود الذي كان يكابد منه اكثر المكابدة فيكون المعنى
كما اذا رجع الى بعض صناديد قريش واما اذا فسر الكبد بالمحنة والمشقة
فيكون المراد بالانسان الجنس ويكون المعنى ايظن ذلك الجنس مع انه خلق في امتحان
المحنة والمشقة ان الانسان لن يقدر على بعثه ومجازاته بسوء افعاله احد باعتبار كل
من جملة افراد الجنس المذكور فان قوله ايحسب ذلك الجنس ان لن يقدر عليه
احد تعريضا بالتقريع والتوبيخ للاشقياء المغترين بقوتهم وكثرة اعوانهم



باعتبار دخولهم فيه ايض وان في قوله تع ان لن يقدر وان لم يره محففة من
الثقيلة بتقدير انه لن يقدر وهي بجملتها سدت مسد مفعولي ايحسب
قوله والمراد ما انفقه سمعة او مفاخرة اي انفقت فيما زعمت انه عرف
تفضل ولم يكن الا سمعة او مفاخرة او معاداة وكل احد ممن يوزنه عدم
ذلك المتوغل الابذار سمي الانفاق اهلاكا من حيث ان الانفاق لما لم ينفع
كان ما انفقه هالكا ضايعا فان قيل كيف يجوز ان يرجع حسب الى جنس
الانسان وانه يستلزم ان يرجع ضمير يقول اليه ايض والجنس في حكم الجمع وبعضهم
لم ينفق مالا اصلا او انفق مالا قليلا لا كثيرا قلت لا نم الاستلزام المذكور
لجواز ان يكون القائل بعض منهم لا كلهم قال الامام ابو الليث يعني ابا جهل
بن هشام يقول انفقت مالا كثيرا على عداوة محمد فلم ينفعني ذلك وهو
انه ضمن مالا بعد تكذيب النبي م ويقال انفق ماله يوم بدر ثم قال تع ايحسب
ان لم يره الله تع سوء صنيعه ولا يعاقبه عليه قوله او بعد ذلك فيسأله
عنه من اين كسبه واين انفقه اشارة الى جواز ان يكون لم يره بمعنى لم يره
احد حين الانفاق ولم يعلم ان الله رآه فيجازيه مع انه هو المطلع بل قال
يراه لقصد الاستمرار والدوام قوله او يجزيه فيحاسبه عليه بحصول الحال
حسبانه انه لن يرى ذلك منه احد بعد ذلك ولن يوجد ذلك في كتابه الذي
كتبه الكرام الكاتبين اي بل يرى ذلك منه ويجده في كتابه يوم العرض على
الحساب فيحاسبه عليه قال الامام قوله تع ايحسب ان لم يره احد فيه وجهان
الاول قال قتادة ايظن ان الله لم يره ولم يسأله عن ماله من اين كسبه
واين انفقه والثاني قال الكلبي انه كان كاذبا لم ينفق شيئا فقال الله تع ايظن
ان الله تع ما رأى ذلك منه فعل او لم يفعل انفق او لم ينفق بل رآه وعلم
منه خلاف قاله قوله ثم بين ذلك اي بين انه قادر عليه انه تع لما حكى
عن ذلك الكافر حسبانه ان احدا لا يقدر عليه وانكر عليه ذلك الحسبان
اقام دليلا على كمال قدرته بقوله الم نجعل له عينين قال الحسن اهلكت
مالا لبدا فمن الذي يحاسبني عليه فقيل الذي قدر على ان اعطاك هذه الاعضاء
قادر على محاسبتك فان من قدر على ان يخلق من الماء المهين قلبا
عقولا ولسانا قوولا وسائر الاعضاء السليمة والقوى القوية على اعلان (?)

ما خلوقا در وربما يخفيه المخلوق عالم بما في القلوب الزهنا عن هذا ومن وضع
وما الحجة في الكف بالله تع فقط ثم ومن العلة في التعز على جهاد الله تع و
على انصار دينه بالمال وهو المعطي له والممكن من الانتفاع به قوله واصله
المكان المرتفع وسمي طريقا الخير والشر نجدين لانه لما وضحت الدلائل الدالة
على تلك الطريقين صارتا كالطريقين المرتفعين بسبب كونهما
واضحين للعقول بتلك الدلائل كوضوح الطريق العالي للابصار فسميا
بالنجدين لذلك واليه ذهب عامة المفسرين اي فلم يشكر تلك الايادي فان
شكرها انما يكون بمجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه من شياطين
الانس والجن بان يكون في جميع ما يفعله من الافعال البدنية والمالية و[illegible]
تابعا بامر الله تع وامر رسوله طالب مرضاته ومجتنبا عن سخطه لا بان
يهلك مالا لبدا رياء ومفاخرة ومعاداة لرسوله م استعار لها لما
فسرها به من فك والاطعام ان لفظ الفك والاطعام في الاية ليس
تفسيرا لنفس العقبة بل لاقتحامها على ان يكون تقدير وما ادريك ما العقبة
وما ادريك ما اقتحام العقبة بتقدير المضاف فان الفك والاطعام وان
كان عقبة اي طريقا صعبا الترقي من عالم الحس والخيال الى عالم الانوار
الالهية الا ان نفس العقبة اذا قرنت بها فاقتحامها فينبغي ان يفسر
نفس العقبة بمجاهدة النفس والشيطان وترك متابعتهما واقتحام
العقبة هو الاعمال الصالحة المؤدية الى تلك المجاهدة قوله ولتعدد المراد
بها وحسن لما يقال من انه قلما توجد لا داخلة على الماضي الا مكررة
نحو قولك لا جئتك ولا ضربتك وقال تع فلا صدق ولا صلى وفي هذه الاية
ما اغنى عن التكرير في السبب فيه وتقرير الجواب ان المراد بالعقبة متعدد لانها
عبارة عن الفك والاطعام واذا تعددت العقبة بحسب المعنى يتعدد
اقتحامها لا محالة فيحسن بذلك دخول لا على اقتحم بدل لم وان لم يوجد
التكرير لفظا والفك الفرق بين الشيئين بازالة احدهما عن الاخر كفك القيد
والغل وفك الرقبة الفرق بينها وبين الرق بايجاب الحرية وفك الرقبة قد يكون
بان يعين الرجل في عتق الرقبة وقد يكون بان يعطى مكاتبا ما يصرفه في جهة
فكاك رقبته ويحتمل ان يكون المراد بفك الرقبة ان يفك المرء رقبة نفسه

بان يشتغل بالاعمال الصالحة حتى يصير بها الى الجنة وهي العقبة الكبرى ويتخلص بها
من النار فيكون قوله او اطعام الخ من قبيل التخصيص بعد التعميم اشارة الى
مزيد فضل ذلك الخاص بحيث خرج به عن ان يتناوله اللفظ السابق مع
عمومه قوله مسغبة اي كل واحد منهما مصدر ميمي على مفعلة من سغب يسغب
سغبا فهو ساغب وسغبان من باب علم بمعنى جاع يجوع جوعا ومجاعة
وذي مسغبة اي مجاعة وقرب في النسب قربا ومقربة وترب الرجل اي
افتقر كانه لصق بالتراب تربا ومتربة قيد الاطعام بكونه في يوم جاع فيه الناس
للقحط لان اخراج المال في ذلك الوقت اثقل على النفس واوجب للاجر
وهو كقوله وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى وقيد اليتيم بان يكون
بينه وبين المطعم قرابة نسبية لا اجنبي فيه حقا الاستحقاق اليتم
والقرابة فاطعامه افضل لاشتماله على الصدقة وصلة الرحم قوله اي
مسكينا ذا متربة معناه مسكينا قد لصق لصق بالتراب من فقره و
ضره فليس فوقه ما يستره ولا تحته ما يوطئه ويفرشه واحتج الشافعي بهذه
الاية على ان المسكين قد يكون بحيث يملك شيئا والا لكان تقييده بكونه
ذا متربة تكرارا وهو غير جائز وفيه بحث لجواز ان يكون ذا متربة صفة كاشفة للتصريح
للمسكين ويكون الفائدة في التوصيف بها التصريح بجهة الاحتياج
ان اطعام الاحوج افضل والتكرير الذي لا يجوز هو التكرير الخالي عن
الفائدة وما نحن فيه ليس من هذا القبيل قوله وقرأ ابن كثير وابو عمرو
والكسائي فك رقبة او اطعم على لفظ الفعل الماضي فيهما قال الامام حكي
عن الفراء ان هذه القراءة اشبه الوجهين بقانون العربية وذلك
لان في قوله تعالى ثم كان فعلا فاذا قرئ فك او اطعم على لفظ الفعل
ايضا كان عطف الفعل على الفعل واذا قرئ على لفظ المصدر على تقدير
هي فك رقبة او اطعام كان عطف الفعل على الاسم وهو غير حسن في
قانون العربية وفيه بحث لان قراءة الرفع لا تستلزم عطف الفعل على الاسم
لجواز ان يكون ثم كان في تلك القراءة معطوفا على اقتحم لا على الفك و
فذلك راجع الى جوازه في قوله الا فك عطف على اقتحم او فك قوله
عطف اقتحم فيه اشارة الى الجواب عن الاشكال الذي اجاب عنه القفال

بقوله

بقوله تعدد المراد بها حسن وقوعها موقع لم وتقرير الجواب ان لا الواقعة
على الماضي وان لم يتكرر لفظا هي متكررة معنى لان قوله ثم كان من الذين امنوا
مع سابقه في معنى فلا اقتحم العقبة ولا امن لكونه معطوفا على اقتحم
يكون داخلا في الذي عطف على اقتحم ايضا فيتحقق التكرير بحسب المعنى قوله
لتباعد الايمان عن العتق والاطعام في المرتبة يعني ان كلمة ثم لتراخي الايمان
عنهما في الرتبة والفضيلة لا في الزمان لان الايمان شرط للانتفاع بما اقتحم فيه
من الطاعة فيجب ان يكون مقدما عليها وقيل هي للتراخي في الزمان بناء
على ان المعنى ثم كان في عاقبة امره من الذين امنوا بان يموت على الايمان
فان من فات الموت على الايمان شرط الانتفاع بالطاعة قوله بالرحمة على
عباده اي واوصى بعضهم بعضا ان يرحم المظلوم او الفقير او يرحم
المقدم على منكر فيمنعه منه فان كل ذلك واخواته رحمة وهذا يدل على انه
يجب على المرء ان يدل غيره على طريق الحق كالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات
والمحن التي يبتلي بها المؤمن ويمنعه عن سلوك طريق الشر ما امكنه و
بالحيلة فقوله وتواصوا بالصبر اشارة الى التعظيم لامر الله وقوله وتواصوا
بالمرحمة اشارة الى الشفقة على خلق الله تعالى ومدار امر الطاعة ليس الا على
هذين الاصلين وفيه تحريض على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقيل
الاصل في التصوف امران صدق مع الحق وخلق مع الخلق او بموجبات رحمة الله
على ان يكون المرحمة مصدرا بمعنى الرحمة ثم يراد بها ما يوجب رحمة الله تعالى بمقتضى
وعده مجازا بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب تنبيها على كماله في
السببية والرحمة بهذا المعنى اعم من الرحمة بمعنى الاول وهو الشفقة لمن
يستحقها من العباد ووجه العموم ظاهر واعم ايضا من الطاعة التي اوجب التواصي
بالصبر عليها بقوله وتواصوا بالصبر على طاعة الله لان المراد بالطاعة فعل
الواجبات وترك المحرمات وما يوجب رحمة الله تعالى كما يتناولهما يتناول السنن
والادب والمندوبة والمستحبة فلذلك لم يكتف بذكر التواصي بالصبر على طاعة
الله بل ذكر بعده التواصي بما يوجب رحمة الله ايضا تكميلا للترغيب في جميع ما
هو من معالم الدين وتحريض على التعاون وجميع ذلك قوله اليمين او اليمن
يعني ان المراد باصحاب الميمنة اما اصحاب اليمين وهم الذين يعطون كتبهم بايمانهم

لانهم

ويسلك بهم عن طريق اليمين الى الجنة وقد وصف كرامتهم في سورة الواقعة بانهم
في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب الآية فاصحاب
اليمن والخير والسعادة فان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم
والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم وكذا اصحاب المشأمة اما بمعنى اصحاب
الشمال وهم الذين يعطون كتبهم بشمائلهم من وراء ظهورهم ويسلك
بهم شمالا الى النار وبمعنى اصحاب الشوم والشر والشقاوة وقد وصفهم الله بانهم
في سموم وحميم وظل من يحموم الى غير ذلك **قوله** ولتكرير ذكر المؤمنين باسم
الاشارة الموضوعة للاشارة الى الحاضر المشاهد وذكر الكفار بضمير الغائب
شانه لا يخفى وذلك لان ذكرهم باسم الاشارة تكريم لهم بانهم حاضرون
عند الله في مقام كرامته وفي كون اسم الاشارة للبعيد اشارة الى علو
درجاتهم عما درجة الكفار لان درجة من حضر عنده تعالى اعلى من درجة
من غاب عنه وذكر الكافر بضمير الغائب اشارة الى انهم غيب عنه تعالى وفي
درجة نازلة عن درجة المؤمنين لان درجة من غاب عنه تعالى نازلة عن
درجة من حضر عنده بلا شك **قوله** من اوصدت الباب اذا اطبقته اوصد
افعل من المعتل الفاء مثل اوصر يوصر واصل يصل افعل لانه في الماضي
الف مثل آمن يؤمن وهي لغة بمعنى اغلق واطبق فاصدت الباب
واوصدته اذا اغلقته فمن قرأ موصدة بالهمزة جعلها اسم مفعول
من اصدت ويجوز ان يكون من اوصدت ولكنه همز الواو لكونه لضم
ما قبلها على لغة من يتخذه مذهبا ويقول مؤسى وعليه قراءة من
قرأ بالسؤق والاعناق وكان ابو بكر راوي عاصم يكره الهمز في هذا
الحرف ويقول لنا امام يهمز مؤصدة فاشتهى ان اسد اذني اذا سمعته
وكانه لم يحفظ عن شيخه الا ترك الهمز وقد حفظه حفص عنه بالهمزة
وهو اضبط حرفه من ابي بكر على ما نقله القراء وان كان ابو بكر اكبر واتقن
واوثق عند اهل الحديث ومن لم يهمز اخذها من اوصدت كما يقال
من اوعد هو موعود وذلك موعد ويحتمل ان يكون من آصد مثل آمن
لكنه قلبت همزة الكلمة واوا لانضمام ما قبلها للتخفيف كما خففت في نحو
بقلبها واوا وقوله من اوصدت الباب اشارة الى انه قال مقترنا الا يصد

فما يتعلق بالباب فقوله تعالى عليهم نار موصدة معناه نار ابوابها مغلقة فلا يفتح
لهم باب ولا يخرج عنها غم ولا يدخل فيها روح ابد الآباد الا انها جعلت
صفة للنار اشعارا باحاطتها بهم كما قال احاط بهم سرادقها فاصل
التركيب موصدة الابواب فلما تركت الاضافة عاد التنوين اليها لانها تعاقبا
والوجه ان يكون نار مبتدأ متخصصا بالصفة وهي موصدة عليهم خبره اي نار
مطبقة ثابتة عليهم انهم في نار لا فرجة فيها فلا يخلص اليهم روح ولا يخفف
عنهم كرب **قوله** اقسم الله تعالى بسبعة اشياء على فلاح من زكى نفسه ترغيبا
في تزكيتها بالعلم والطاعة وتحذيرا عن تضييعها بالجهل والمعصية وضوئها
اذا اشرقت اي طلعت وانبسط نورها يقال شرقت الشمس تشرق
شروقا اي طلعت واشرقت اي اضاءت قال مجاهد والكلبي ضحى الشمس ضوءها
اي نورها المنبسط على وجه الارض وهو نقيض الظل والمشهور وعند
العرب ان الضحوة وقت ارتفاع الشمس بعيد الطلوع والضحى فوق ذلك
والضحاء فوق ذلك واختار المبرد الاول حيث قال ان الضحى والضحوة مشتق
من الضح وهو نور الشمس المنبسط على وجه الارض المضاد للظل وفي
الحديث لا يقعدن احدكم بين الضح والظل فانه مقعد الشيطان فعلى هذا
الضحى هو ضوء المشرق لا الوقت بدليل اضافة الوقت اليه حيث يقال
وقت الضحى اي وقت اشراق الضوء **قوله** تلاها طلوعا طلوع الشمس الظاهر ان
يقول بدل هذه العبارة تلاها غروبا غروب الشمس وذلك في ليلة الهلال فان
تبعية القمر للشمس في الطلوع لا يظهر للحس لكونه مغلوبا مضمحلا بنور
الشمس بخلاف تبعيته لها في الغروب فانها ظاهرة وروى عطاء عن ابن
عباس ان القمر يتبع الشمس في الاضاءة فانه اذا غربت الشمس في النصف
الاول من الشهر يخلفها القمر طالعا بعدها في الاضاءة اقسم بشمس النهار
ثم ثنى بالقمر الذي يتبع الشمس **قوله** فانها تنجلي اذا انبسط النهار ضد
على الليل ان الليل في الحقيقة ظل الارض الحائلة بين الشمس وبين ما وقع
عليه ظلمة الليل وكذا ان النهار في الحقيقة هو نور الشمس الذي ينسخ ظل
الارض ويمحو ظلمة الليل فكلما ازداد نور الشمس انبساطا وانتشارا
ازدادت الشمس انجلاء فظهورها لان انتشارها وانبساطها يستلزم

مطلب سورة والشمس

الانجلاء المؤثر وظهوره ولما كان زمان انتشار الآثار هو زمان ارتفاع النهار
زمانا لانجلاء الشمس وكان الانجلاء واقعا فيه اسند فعل التجلية اليه
اسنادا مجازيا مثل صام نهاره والا فليس النهار في الحقيقة مجليا و
مظهرا للشمس وكذا الكلام في اسناد تغطية الشمس الى الليل فان احتجاب
الشمس بحيلولة الارض بيننا وبينها لما وقع في الليل صار الليل كانه حجبها
وغطاها فاسند التغطية والتغشية الى الليل لذلك قوله ولما كانت
واوات العطف الخ جواب لما يقال من انه لا يخفى ان جعل الواو الاولى هي التي للقسم
وما بعدها للعطف كما هو مذهب الخليل وصاحبه سيبويه فيلزم العطف
على معمولي عاملين مختلفين وذلك لان النهار المجرور في قوله والنهار اذا جلاها
معطوف على معمول واو القسم الجارة وهو الشمس والظرف الذي فيه
معطوف على معمول فعل القسم الناصب لاذا الاولى ولا يخفى ان عطف
معمولين على معمولي عاملين مختلفين او جعل كل واحد من الواوات المذكورة
للقسم فيلزم تعدد القسم مع كون المقسم عليه واحدا وقد اتفق
الخليل وسيبويه على استكراههم وقالا استقرانا وتتبعنا كلام العرب
فلم نجد موضعا تعدد فيه القسم الا وقد كان لكل واحد من القسم مقسم
عليه على حدة وحاصل الجواب اختيار كون ما بعد الواو الاولى للعطف ومنع
لزوم العطف على معمولي عاملين مختلفين بل هو من قبيل العطف على
معمولي عامل واحد كما في قولك ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فان الواو فيه
بكرا وخالدا على معمولي ضرب وهما الفاعل والمفعول فكذا هنا وذلك لان
الواو الاولى القسمية لما عملت الجر لنيابتها عن الباء القسمية وكذا النصب
الظرف الذي بعدها لنيابتها عن فعل القسم واصل الكلام اقسم بالشمس
فحذف الفعل وحرف الجر واقيم الواو مقامهما فصارت مسدهما معا
فلذلك كانت جارة وناصبة معا فكان المجرور والظرف اللذين بعدها
معمولي عامل واحد فاذا عطف بالواو العاطفة عليهما لم يلزم العطف على
معمولي عاملين فلا اشكال وهذا الجواب لا يجري فيما اذا كان فعل القسم
مصرحا به كما في قوله تعالى والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس بعد قوله فلا
اقسم بالخنس الجوار الكنس فان هنا عاطفة عطف بها المجرور

على معمول الباء والظرف على معمول فعل القسم المصرح به وهو الظرف الاول فيحتاج
الى جواب آخر مطرد وهو ان يقال لا نسلم ان الظرف المنصوب معمول لفعل القسم او
للواو النائبة منابه لان تقييد القسم بالزمان غير متصور حالا كان او استقبالا
بل هو معمول لمضاف مقدر مدلول عليه بالقسم من نحو العظمة فان الاقسام
بالشيء تعظيم له فكانه قيل اقسم بعظمة الشمس وضحاها وبعظمة القمر اذا تلاها
والقمر المجرور وكذا الظرف بعده معمولان لذلك المقدر فيكون المجرور والظرف
في قوله والصبح اذا تنفس معطوفان على معمولي عامل واحد فان قيل ما
ذكرتم في تقرير الجواب من ان الواو العاطفة لنيابتها عن اصل القسم تنصب
الظرف بعدها محل بحث لان فعل القسم المضمر يعني الحال لان انشاء القسم
في الحال فلا يعمل في اذا لانه ظرف مستقبل والفعل الحالي لا يعمل في الظرف المستقبل لان
كون الفعل حاليا ينافي كونه استقباليا واذا لم يصلح فعل القسم المضمر ناصبا
لظرف الزمان المستقبل فكيف تصلح الواو النائبة منابه ناصبة قلنا فرق
بين قولنا اقسم بالشمس غدا واقسم بها اذا اشرق غدا والذي لا يجوز
هو الاول لا الثاني فانه يجوز ان يقسم الان باشراق الشمس في المستقبل مما
يترقب وجوده بعد زمان القسم قوله وانما اوثرت على من لارادة معنى
الوصفية لم يرد ان كلمة ما يوصف بها نعتا نحويا كما يوصف بالذي فان من و
ما الموصولتين لا يوصف بهما بخلاف الذي بل اراد ان كلمة ما قد تستعمل في صفة
من يعقل كما في قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء قالوا المعنى انكحوا الطيب
من النساء وكلمة من لا تستعمل على هذا الوجه وقوله والشيء القادر الذي بناها
عبارة الى الصفة التي استعملت فيها ما وقد مر هذا البحث فيما يتعلق بتفسير
قوله تعالى وما ولد في السورة المتقدمة فليرجع اليه قوله ولذلك افرد ذكره من بين
المخلوقات ولم يكتف بالقسم هو خالق الجميع المكونات فهو نظير قوله تعالى والشفع و
والوتر على تفسيرهما بالخلق والخالق فكانه جواب عما يقال من ان قوله
وما بناها اذا كان في معنى خالق السماء فكيف يصح ذكره مع مخلوقه في قرن
جوابه ان المنهي في الذكر عنه فانه لا يذكر مع شيء من المخلوقات على هذا الوجه بل
يعظم ذكره وقد روي انه عليه السلام نهى من قال الله تعالى ورسوله عنه وقال له
قل الله ثم رسوله وتقرير الجواب ان افراد بعض المخلوقات بالذكر وعطف

الخالق جل ذكره عليه والاقسام بها ليس لاستوائها في استحقاق التعظيم تعالى
من ذلك علوا كبيرا بل النكتة في ذلك الترتيب ان يتبين وجود صانع العالم وكمال
قدرته ويظفر العقل بادراك جلال الله تعالى وعظمة شانه حسب ما امكن فانه تعالى
لما اقسم بالشمس التي هي اعظم المحسوسات شرفا ونفعا وصفها باوصافها
الاربعة وهي ضوؤها وكونها متبوعة للقمر ومتجلية عند ارتفاع النهار ومختفية
متغطية بالليل ثم اقسم بالسماء التي هي مسكن الشمس واعظم منها فقد
نبه على عظمة شانها لما تبين ان الاقسام بالشيء تعظيم له ومن المعلوم انها
لحركتها الوضعية وتغير احوالها من الاجسام الممكنة المحتاجة الى صانع مدبر
له من القدرة بالغ الحكمة فتوسل العقل بمعرفة احوالها واوصافها الى كبرياء
صانعها فكان الترتيب المذكور كالطريق الى ضبط العقل من حضيض عالم
المحسوسات الى بقاع عالم الربوبية وبيداء كبرياء الصمدية فسبحان من عظمت
حكمته وكملت كلمته وذكر في تعريف ذات الله تعالى هذه الاشياء الثلثة وهي السماء
والارض والنفس لان الاستدلال على الغائب لا يمكن الا بالشاهد وهو ليس الا
العالم الجسماني وقسمه العلوية واليه الاشارة بقوله والسماء والسفلية واليه
الاشارة بقوله والارض والمركب وهو افضلها واشرفها ذوات النفس و
اليه الاشارة بقوله والنفس والطحو كالدحو وهو البسط وابدال الطاء من
الدال جائز والمعنى بسطها على الماء وقيل طحاها من تحت الكعبة
وان حملت النفس على الجسد فتسويتها تعديل اعضائها بعضها ببعض
على ما يشهد به علم التشريح وان حملناها على القوة المدبرة فتسويتها
تكميلها باعطائها من القوى ما يتم به جميع احوالها وبعض تلك القوى
محركة واثنان القوة الشهوانية والغضبية وبعضها مدركة وهي عشرة
الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة وبعضها لا محركة ولا مدركة وهي
هي سبعة الغاذية والنامية والمولدة والجاذبة والهاضمة والماسكة و
الدافعة قوله بحذف الفعل عن الفاعل اي بحذف المنوي في الهمها عما يرجع
هو اليه فان ما التي في قوله وما بناها وما طحاها وما سواها ان
كانت مصدرية لا يكون المذكور الا السماء والارض والنفس ما يتعلق بها
من المعاني المصدرية وهي البناء والطحو والتسوية ونحو

منها لا يصلح لان يرجع اليه المنوي في ضمير الهمها الا ان يضمر فيها اسم الله تعالى
استغناء من قوله بحذف الفعل عن الفاعل واشارة الى ان سبق الذكر ليس بشرط
في ارجاع الضمير اذا كان المرجع اليه لشهرته ونباهته لا يغيب عن العقل كقوله
انا انزلناه قرآنا ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها اي الارض
قوله ويخل بنظم قوله فالهمها بقوله وما سواها فانه على تقدير ان يكون
ما مصدرية يلزم عطف الفعل على الاسم ويكون التقدير ونفس وتسويتها
فالهمها ولا خفاء في ركاكة هذا النظم ويمكن ان يقال لا بعد في ان يجعل
معنى مصدرية فيكون فالهمها عطفا على سواها فيكون هو ايضا في تأويل المصدر
ومعنى وتسويتها فالهامها فجورها فيكون الهمها كالافعال السابقة و
بناها وطحاها وسواها في تجردها عن الفاعل فان قيل الفاء يدل على
الترتيب من غير مهلة والتسوية قبل نفخ الروح والالهام بعد البلوغ فكيف
انتظام الالهام المصدرية الفاء بما قبله على تقدير ان يكون ما مصدرية
قلنا التسوية تعديل الاعضاء والقوى الادراكية وذلك انما يكون بعد البلوغ
بحكم الشرع والالهام عبارة عن بيان كيفية استعمالها في النجدين فهذا
المحل وهذا البيان والتعريف لا يتراخى عن التسوية بذلك المعنى ثم يزداد الالهام
والبيان بحسب ازدياد القوى كيفية وذلك لا ينافي ترتبه على التسوية بلا
مهلة قوله والهام الفجور والتقوى افهامهما واعقالهما وتعريف حالهما
بين احدهما حسن والآخر قبيح والتمكن من اختيار ما شاء منهما وهو
كقوله وهديناه النجدين وهذا الوجه مروي عن ابن عباس وعن جمع
من اكابر المفسرين ومطابق لمذهب المعتزلة حيث لم يفسر الهام
الفجور والتقوى بايقاعهما في القلب وخلقهما فيه وقيل المعنى انه تعالى الهم
المؤمن المتقي تقواه والهم الكافر فجوره قال سعيد بن جبير الزمها
فجورها وتقويها وقال ابن زيد جعل فيها ذلك بتوفيقه اياها للتقوى
وخذلانه اياها للفجور واختار الزجاج والواحدي ذلك وهو صريح في انه تعالى
خالق في المؤمن تقواه وفي الكافر فجوره وقد ثبت عن رسول الله عليه السلام ان ما
يعمل الناس ويكدحون فيه شيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر سبق وتصديق
ذلك في كتاب الله تعالى ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقويها وعن

زيد بن ارقم انه عليه السلام قال اللهم آت نفسي تقواها وزكها انت خير من زكاها انت
وليها ومولاها وقد سيق الآيات الثلث ذكرا للدلالة على كونه سبحانه وتعالى موجدا
الاجسام العلوية والسفلية البسيطة والمركبة فلم يبق شيء في عالم الحس
الا وقد ثبت بمقتضى ذلك التنبيه انه واقع بتخليقه وتدبيره وبعد ذلك لما اصلح
في القلب ان افعال الجوارح الاختيارية ايضا من قضائه وقدره واخل
تحت ايجاده وتصرفه سبحانه وتعالى بقوله فالهمها فجورها وتقواها
على ان ذلك ايضا منه وبقضائه وقدره فثبت ان كل ما سوى الله تعالى فهو
واقع بقضائه وقدره وداخل تحت ايجاده وتصرفه قوله انماها بالعلم والعمل
اي رفعها واظهرها وشهرها بالفضائل العلمية والعملية فان الزكاة الزيادة
والنمو منه زكاء الزرع اذا علا وكثر ريعه ومنه كنية الفاضل اشهر لانه
يرفع من قدره بالتقوى فاهل الصلاح يظهرون انفسهم ويشهرونها بما
سطع من انوار طاعاتهم ومعارفهم الخالصة الى المراد الاخروي ويحضرونها
مواضع الطاعة ومحافل الخيرات بخلاف اهل الفسوق فانهم يخفون انفسهم
ويدسونها في مواضع الخفية لا يلوح عليهم سيما سعادة يشتهرون بها بين
عباد الله المقربين ويستعمل التزكية بمعنى التطهير ايضا وقد فسرت الاية به
حيث قيل قد ادرك مطلوبه من زكى نفسه بان طهرها من الذنوب في
مجانبة المعصية قوله وهو جواب القسم لم يجعل قوله كذبت ثمود جوابا للقسم
اقسم الله على انما تؤكد به الوعد والوعيد وهو ليس منهما بخلاف
قوله قد افلح وقد خاب فان الاول وعد لاهل التزكية بالظفر بما طلبوه
الثاني وعيد لاضدادهم بالخسران ودساها دسى من التدسيس فهو
الاخفاء ودسى مبالغة في دس اي اخفى فانه لما يرتضوا توالي
واجتماع الامثال لما اوجب الثقل قلبت السين الاخيرة ياء كما في تقضى
البازي وما ذكره المصنف في تفسير الهام الفجور والتقوى يدل على ان
جعل المنوي في زكيها ودسيها راجعا الى من واسند كل واحد من
التزكية والتدسيس الى العبد لكونهما فاعلين بما يقدر الله ومشيئته
لذلك مع انهما مخلوقان في ايجاده وقيل المنوي فيهما راجع الى الله تعالى
والضمير المنصوب فيهما راجع الى من وانث حملا على المعنى لانه قد افلحت

نفس او فرقة زكاها الله وقد خاب من دسيها الله اي اجملها واخفاها
في المعاصي عن سعيد بن جبير وعطاء وعكرمة ومقاتل والكلبي ان المعنى قد
افلحت وسعدت نفس زكاها الله واصلحها وطهرها والمعنى وفقها
للطاعة قال الواحدي فكانه تعالى اقسم على فلاح من طهره وخسار من
خذله لئلا يظن ان المرء يتولى ذلك من عند نفسه بغير قضاء سبق وقدر وقد خاب
من دسيها اي دسى نفسه في جملة الصالحين وليس منهم قوله بسبب
طغيانها اشارة الى ان الطغوى لما كان اشبه برؤوس الآيات اختير
على لفظ الطغيان وان كان اشهر منه الاولى والى ان الباء فيه سببية و
مفعول كذبت محذوف للعلم به والمعنى كذبت ثمود نبيهم صالحا بسبب
طغيانها ومجاوزتها الحد في الكفر ويحتمل ان يكون كذبت منزلة اللازم
فلا يقدر له مفعول على معنى انها فعلت التكذيب بطغيانها وهذا هو القول
المشهور وهنالك قول آخر اشار اليه بقوله او بما اوعدت به فيكون الطغوى
اسما للعذاب الذي اهلكوا به والباء للتعدية ومتعلق بالتكذيب اي كذبت
بعذابها اي بالعذاب الذي اهلكوا به ولم يصدقوا رسولهم فيما انذرهم
به من العذاب وعبر عن ذلك بالطغوى للمبالغة لكونه مجاوزا عن الحد
المعتاد فان الطغيان في اللغة مجاوزة الحد وكان عذابهم صيحة و
مجاوزة للحد المعتاد جعلت نفس المجاوزة للمبالغة او بتقدير ذي اي
بعذابها ذي الطغوى كما عبر عنه بالطاغية في قوله تعالى فاما ثمود فاهلكوا
بالطاغية وهي صفة بمعنى النسبة اي بصيحة ذات طغيان قال تعالى كذبت
ثمود وعاد بالقارعة اي بالعذاب الذي قرعهم ثم قال فاما ثمود
فاهلكوا بالطاغية فسمى ما اهلكوا به من العذاب طاغية بمعنى الطغيان
قوله واصله طغيا بمعنى انه مصدر من المعتل اللام اليائي وهذا على لغة من
يقول طغيت طغيا بالياء وهي لغة اخرى وهي ان يقال طغوت طغوا
بالواو فالطغوى على هذه اللغة اصلية وفي الصحاح الطغوان والطغيان
واحد قوله تفرقة بين الاسم والصفة وذلك ان فعلى اذا كانت من ذوات
الياء كانت اسما قلبت ياؤها واوا وان كانت صفة ابقيت الياء على حالها
تفرقة بينهما تقول في الصفة خزيا وريا وصديا فان خزيا صفة بمعنى

المستحي من خزي الدنيا اذا استحيى وريّا من روي يروى وهو ريّان وهي ريّا
وصديا من صدي يصدى صدا اي عطش فهو صديان وهي صديا مثل
عطشان وعطشى وزنا ومعنى وتقول في الاسم تقوى وبقوى في اسم الاتقاء
والانتظار رعوى تقي الله تقيا خافه وبقيته اي انتظرته وابقاء الياء على
حالها في الصفة اولى من ابقائها في الاسم لان الصفة اثقل من الاسم والياء
اخف من الواوات وقرئ بطغواها بضم الطاء يكون ايضا مصدرا كالرجعى
والحسنى الا ان قلب يائه واوا يكون مخالفا للقياس اذ القياس بقاؤها
على حالها كالسقيا قوله حين قام اي حين قام ونهض اشقاها لعقر
الناقة امتثالا لامرهم بعثه الله فان انبعث مطاوع بعث يقال
بعثت فلانا على الامر فانبعث له وامتثل والمعنى كذبوا نبيهم بسبب طغوهم
او كذبوا بذي طغواهم حين قام اشقاهم لعقر الناقة واختلف في الاشقى
الذي هو عاقر الناقة هل هو شخص معين او جماعة فمن ذهب الى الاول
قال اسمه قدار بن سالف ويضرب به المثل فيقال اشأم من قدار وهو اشقى
الاولين ومن ذهب الى الثاني قال انما جاء الاشقى بلفظ الواحد بناء على انه
افعل التفضيل اذا اضيف يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث تقول
هذان افضل الناس وهؤلاء افضلهم والقول الثاني يؤيده قوله تعالى فكذبوه
فعقروها والثاني يجوز ان يقال انبعث اشقوها كما يقال افضلهم ويؤيد
الاول قوله في سورة القمر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فانه يدل على ان
المباشر واحد معين قوله ومن مالأه اي صاحبه وعاونه من ملاوة
من الدهر اي حينا وبرهة يقال ملاك الله حبيبك اي متعك به واعاشك
معه زمانا طويلا وفي بعض النسخ ومن ولاه اي صادقه وهو من الولي
بمعنى الصديق قوله اقولهم العقر فانهم لما باشروا العقر وتعاونوا عليه
كانوا اشد شقوة من غيرهم وهم الذين بعثوا هؤلاء المباشرين ورضوا
بعقرهم فان درجة مجرد الرضا والبعث ادون من درجة المباشرة قوله
اي ذروا ناقة الله اشارة الى ان ناقة الله منصوب على التحذير وانه لم يكن
من الصور التي يجب فيها حذف العامل وهي ان يذكر المحذر عنه بعد ذكر
ما هو المحذر منه اما بواو العطف نحو اياك والاسد وفيه تقدير منه او يكون

المحذر منه مكررا نحو الطريق الطريق والذي لا يكون على احد هذه الصور فلا
خلاف في انه لا يجب فيه حذف العامل والمعنى ذروا عقرها واحذروا سقياها
يعني شربها وهو نصيبها من الماء وقد تقدم ان تلك الناقة كان لها شرب
يوم معلوم ولهم ولمواشيهم شرب يوم آخر وكانوا هم يستقون بدل الماء من
مواشيهم فهموا بعقرها ولما علم صالح ما عزموا عليه قال لهم اي ناقة
الله دالة على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وعلى نبوتي فاحذروا
ان تمسوها بسوء واحذروا ايضا ان تمنعوها من سقياها واذا استأثروا بها
عليه وكان صالح يحذرهم حالا بعد حال من عذاب ينزل بهم ان اقدموا على
ذلك وكان هذا المعنى على هذا التفصيل والبيان متصورا في نفوسهم ومعلوما
لهم بما حذرهم مرة بعد اخرى فلذلك اقتصر في بعض المرات بتحذيرهم على ان
قال ناقة الله وسقياها لان هذه الاشارة فيه مع ما تقدم من البيان تم ان الله تعالى
بين ان القوم كذبوا نبيهم فيما حذرهم منه وهو نزول العذاب عليهم ان مسوها
بسوء وعقروها واسند الفعل الى الجميع لانه كان برضاهم ومعاونتهم ولم يمنعوا
عن عقر الناقة وهو المراد بقوله فكذبوه فعقروها وقول المص فيما حذرهم
منه اشارة الى ان قوله ناقة الله وسقياها انشاء لا يحتمل التكذيب فالتكذيب يرجع
الى مدلوله عليه السلام فان معنى قوله اتركوا ناقة واحذروها انكم لم تتركوها
يحق لكم عذاب فكذبوه في هذا الاخبار المدلول عليه بفحوى الكلام يقال
دمدم الناقة بالشحم اي طليت به فاحيطت بحيث لم يبق منها شيء لم يمسه
الشحم فكررت الدلالة للمبالغة في الاحاطة قوله او عموا بهلاك بحيث ان
تعميمهم بسواها يحتمل ان يعود الى الدمدمة والعقوبة المذكورة معنى في قوله
فعقروها هو اقرب فقوله فدمدم عليهم وان بين احاطة العذاب بهم بحيث
لم يتخلص عن تلك الدمدمة والاحاطة احد منهم فان اهلاكهم كان بصيحة
جبرائيل وتلك الصيحة اهلكتهم جميعا فاستوت عليهم صغيرهم وكبيرهم
قوله اي على تبعة الدمدمة او عاقبة هلاك ثمود يعني ان ضمير سواها ان رجع
الى الدمدمة يرجع ضمير عقباها ايضا اليها وان رجع الى ثمود فكذلك يرجع اليها
ضمير عقباها الا انه حينئذ لا بد من تقدير ما يضاف اليه العقبى قوله فيبقي بعض
الابقاء اي فيرحم بعض الترحم الجوهري ابقيت على فلان اذا رعيت

عليهم ورحمتهم يقال ابقى الله عليك ان ابقيت علي والاسم منه البقيا وكذلك
البقوى بفتح الباء وقال ايضا تقول ارعيت عليه اذا ابقيت عليه وترحمته قوله
والواو للحال فقوله ولا يخاف عقباها في محل النصب على انه حال من المنوي في
سواها الراجع الى الله جل ذكره اي فسواها غير خائف عقبى ما صنع بهم من
الاهلاك اي عاقبتها كما يخاف الملوك والولاة لانه لا يفعل ما فعل بهم بحق وحكمة
وكل من كان فعله على مقتضى الحكمة فانه لا يخاف عاقبة فعله وقيل نفي خوف
العاقبة عنه تعالى كناية عن الاستقصاء في مجازاتهم والمبالغة في استيصالهم
لانه لازم لعدم خوف عاقبة التعذيب وقد تحقق منهم الا ان ما يوجب تعذيبهم
وان قرئ فلا يخاف بالفاء يكون معطوفا على قوله فسويها ومتفرعا عليها
قوله اي يغشى الشمس او النهار اي يغطيه ويستره فان كان المفعول المقدر
ليغشى احد الامرين كان عدم ذكره للعلم به فان قوله في السورة المتقدمة والليل
اذا يغشاها يدل على ان المفعول المقدر هنا هو الشمس وقوله يغشي الليل النهار
يدل على انه هو النهار وان كان كل ما يستره الليل بظلامه كان عدم ذكره للتعميم قوله
ظهر بزوال ظلمة الليل هذا المعنى على تقدير ان يكون المغشي النهار وكل ما يستره
الليل بظلامه قوله او تبين بطلوع الشمس وهذا على تقدير ان يكون المغشي
الشمس قوله والقادر الذي خلق مبني على ان يكون كلمة ما عبارة عن صفة العالم
وانها لتوغلها في الابهام افادت ان الوصف الذي استعملت هي فيه بالغ الى
اقصى درجة القوة والكمال بحيث كان مما لا يمكن كنهه وانه لا سبيل للعقول الى ادراكه
بخصوصه وانما الممكن هو ادراكه بامر عام صادق وقيل ما مصدرية اي وخلقه
الذكر والانثى قوله ان سعيكم لشتى اشارة الى وجه الاخبار عن المبتدا وهو
مفرد بشتى وهو جمع شتيت كمريض ومرضى وقتيل وقتلى وبيانه ان السعي
مصدر جنس شامل لجميع افراده لاسيما وقد اضيف الى الجمع فهو جمع في المعنى
فلذلك قيل ان سعيكم اي مساعيكم يعني اعمالكم لشتى وهو جواب القسم
اقسم الله تعالى بهذه الاشياء على ان اعمال عباده لشتى اي مختلفة في الجزاء
فمنكم مثاب بالجنة على اعماله ومنكم معاقب بالنار او مختلفة متباعد
بعضها عن بعض لان بعضها ضلالة وبعضها هدى فمنكم مؤمن ومنكم كافر
ومطيع وفاجر والمشتت المتباعد المتفرق وشتت الامر شتا وشتاتا

وتفريق

سورة الجاثية [illegible]

تفريق وامر شتيت وشت اي متفرق وقيل للمختلف شتى لتباعد ما بين بعضه
وبعضه ويقرب من هذه الاية قوله تعالى لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة وقوله افمن
كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون وقوله ام حسب الذين اجترحوا
السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء
ما يحكمون قوله تفصيل مبين لتشتت المساعي اي لتباعد الاعمال بحسب تباعد
اجزيتها المختلفة وعاقبتها المحمودة والمذمومة التي عبر عنها باليسرى
والعسرى قوله والمعنى من اعطى الطاعة واتقى المعصية اشارة الى ان عدم ذكر
متعلقات هذه الافعال للتعميم ليذهب ذهن السامع كل مذهب مما يصح تعلق
الفعل به فمتعلق الاعطاء جميع ما يتقرب بفعله واتيانه من العبادات القلبية والبدنية
والمالية واعطاؤها بذل النفس بها واتيانها وكذا متعلق الاتقاء جميع ما كان
ملابسته معصية ولولا ذلك لما لم ينفع مع الكف عقبه بقوله وصدق بالحسنى
اي بالكلمة الدالة على التوحيد والنبوة وهو كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة
الى قوله ثم كان من الذين امنوا قوله للخلة التي تؤدي الى يسر اشارة الى ان
تانيث اليسرى لتانيث موصوفها المحذوف وهو الخلة او الفعلة والخلة
بالفتح الخصلة وبالضم المودة والصداقة والاول انسب هنا ومثل الخصلة
اليسرى بدخول الجنة لانه يؤدي الى يسر وراحة والعسرى بدخول النار
على تعريف العسر والاشارة الى ان تسمية احدى الخصلتين باليسرى
والاخرى بالعسرى باعتبار موادهما وعاقبتهما فان كل ما ادت عاقبته
من الراحة والامور المحمودة فذلك اليسرى ودخول الجنة كذلك وكل ما ادت
عاقبته الى التعب والردى فذلك العسرى كدخول النار فالمعنى من امن
بالله وواظب على ما امر به ونهى عنه نجعله متهيئا لدخول الجنة قبل دخول
[illegible] قوله فسنيسره على سبيل ترقيق الكلام وتلطيفه وهو من الله تعالى
قطع ويقين وانطباقه الدال على الجزاء الموعود بمقابلة الطاعة والمعصية
متحققة لكونه في الاخرة التي هي امر متراخ منتظر فاذا دخلت السين وهي
حرف التراخي ليدل بذلك على ان الوعد اخر عنه حاصل قوله نفي او استفهام انكار
وما في ان ما نافية يكون مفعول يغني محذوفا اي ليس يغني عنه ماله شيئا وان
كانت استفهامية يكون ما في محل النصب على انه مفعول يغني اي اي شيء يغني عنه

ما له يعني لا يغني شيئا قوله هلكت اي مات تفعل من ردي يردي ردى من باب علم اي
هلكت وارداه غيره وتردى تفعل منه للمبالغة ويقال ايضا ردي في البئر و
تردى فيه اذا سقط فيه او تهور من جبل ومنه المتردية ومعنى الآية اذا يئس له
لو خول الدنيا وتردى فيها فما يغني عنه ماله الذي بخل به وتركه لوارثه ولم
يصحب شيئا منه الى آخرته التي هي موضع فقره وحاجته يعني ان الذي ينفعه به
الانسان هو ما قدمه من اعمال البر واعطاء الاموال في حقوقها دون المال
الذي خلفه على ورثته ثم انه تعالى لما عرفهم ان سعيهم مختلف في العواقب
وبين ما للمحسن من اليسرى وللمسيء من العسرى اخبرهم بانا لما خلقنا
الخلق للعبادة وجب علينا بمقتضى الحكمة ان نبين لهم وجوه التعبد وسائر
ما يكون المتعبد به مطيعا فما يكون به عاصيا اذ كنا انما خلقناهم لننفعهم و
نرحمهم ونعرضهم للنعيم المقيم فقد فعلنا ما كان فعله واجبا علينا في الحكمة
وقضينا ما علينا من البيان والدلالة والترغيب والارشاد وتيسير الهداية وذلك قوله
ان علينا للهدى ولما استدلت المعتزلة بهذه الآية على انه يجب على
الله شيء بناء على ان كلمة على للوجوب اشار المصنف الى جوابه بقوله بموجب قضائنا
او بمقتضى حكمتنا قوله وان علينا طريقة الهدى على معنى ان سالك الطريقة
المبينة بالهدى والارشاد والهداية فانه يصل الينا ومن اراد الله فعليه قصد
السبيل اي مستقيم يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم فالهدى على الاول
بمعنى الهداية والارشاد وعلى الثاني بمعنى الطريقة المبينة بالهدى سميت
باسم ما تبينها مجازا مرسلا قوله فنعطي في الدارين ما نشاء لمن نشاء
فيكون قوله تعالى وان لنا للآخرة والاولى في موضع التاكيد والتحقيق لقوله ان
علينا للهدى ولا يلزمه من الضمان ثواب الاهتداء في الآخرة فان من
نفعه بالكثير في الدارين بعد ارشاد الانام الى الحق في الدنيا وبعد اثابتهم
على الاهتداء في العقبى قوله او ثواب الهداية للمهتدين فيكون تتميما لقوله
ان علينا للهدى على معنى ان علينا ان نهديهم في الاولى الى الحق وان نثيبهم على
اهتدائهم في الآخرة وان سيقت الآية المذكورة ليتفرع عليها قوله فلا يضر
تركهم الاهتداء يكون تعليلا لقوله المقدر تقديره علينا ان نهديكم الى طريق
مستقيم ومن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ابى فعليها لا تعود

منفعة

منفعة اهتدائه ولا مضرة تركه الاهتداء بهدايتنا علينا لان اهتداءكم لا
يزيد في ملكنا شيئا لان لنا الآخرة والاولى فالوجوه الثلاثة لبيان وجه
الارتباط بين قوله وان لنا للآخرة والاولى وبين ما قبله لبيان معناه لانه
معلوم قوله لا يلزمها مقاسي شدتها لما ورد قوله تعالى لا يصلاها الا الا شقى
الذي كذب وتولى على انه لا يدخل النار الا الكافر وهذا الحصر يرده النصوص
الواردة في وعيد العصاة والفساق من دخول النار رجح لزومها والخلود
فيها مقاسي شدتها وحرها بناء على ان لزومها هو كان الصلي فيه عليه
عند الاطلاق ولا شك ان الصلي بهذا المعنى مختص بالكافر وان الفاسق مفوض
الى مشيئة الله تعالى اما ان لا يدخلها او يدخلها ولكن لا يلزمها بل يخرج منها
وجعل حمل صلي النار على لزومها وسيلة الى دفع ما يتوهم من ان منطوق
قوله تعالى لا يصلاها الا الاشقى يخالف مفهوم قوله وسيجنبها الاتقى فانه
بمفهومه يدل على ان غير الاتقى لا يجنبها بل يصلاها ويدخلها ودخول عصاة
المؤمنين النار يخالف الحصر الى قوله فلما جعل صلي النار بمعنى لزومها كان
منطوق الاول خلود الكافر فيها ومفهوم الثاني دخول العصاة وهو لا ينافي
اختصاص الخلود بالكافر لان دخول العصاة لا يستلزم خلودهم وهو ظ قوله
يقوله يتزكى استدل به على ان الايتاء ليس المراد به صرف المال مطلقا بل صرفه
مصارف الخير فان التزكي سواء كان بمعنى الطهارة من الذنوب او بمعنى التزايد
في الخير انما يكون بالصرف في مصارف الخير وان كان يتزكى بدلا من يؤتي لا يكون
له محل من الاعراب لانه ح يكون بدلا من صلة الذي كان داخلا في حكم الصلة و
الصلات لا محل لها من الاعراب لان الصلة بعض الاسم وبعض الاسم لا محل
له وان كان حالا من المنوي في يؤتي يكون المعنى يؤتيه متزكيا اي متطهرا من
الذنوب او متزايدا في الخير زاكيا رفيع القدر عند الله لا للرياء والسمعة
استثناء منقطع لان ابتغاء المرضاة ليس من جنس النعمة التي
تجزى عليها فهو منصوب على الاستثناء المنقطع والا بمعنى لكن اي لكن فعل
ذلك ابتغاء وجه ربه اي لابتغاء وجهه ولطلب التوجه الى ربه فهو في الحقيقة
مفعول له وما اوتي من المال مكافاة على نعمة لغيره فذلك يجري مجرى اداء
الدين فلا يكون له دخل في استحقاق مزيد الثواب اذا كان فعله لاجزاء

مطلب سورة الضحى

الله تعالى به وختم عليه قوله او منقطع عن محذوف وتقدير الكلام لا يؤتي ماله
لاحد من الاحد الا ابتغاء وجه ربه الاعلى فيكون المستثنى داخلا في المستثنى منه
حقيقة على هذا المعنى وانما بنى الكلام على الحذف والتقدير مع انه خلاف الاصل
لاقتضاء المعنى ذلك فانه لما قال ولا يؤتي ماله متزكيا طالب كثرة ضمره عند
الله او متطهرا من ذنوبه بناء على ان الحسنات يذهبن السيئات دل على نفي كون
الايتاء للسمعة والرياء ثم اتبع ذلك بقوله وما لاحد عنده من نعمة
تجزى فانه نفي لمكافاة نعمة الله احد عنده ثم قال بعد ذلك الا ابتغاء
وجه ربه تبادر الى الذهن ان يكون المعنى لا يؤتي ماله الا ابتغاء وجه ربه
فيكون ابتغاء وجه ربه مفعولا له في هذا المعنى فيكون هذه العلة مع العلل
المحذوفة كلها وتقرير المفهوم من الكلام اسباب وجه اشتراء بلال في حق
مولاهم المشركون اي كانوا متولين على تعذيبهم على الايمان يعني ان العبد
المؤمن الذي اشتراه ابو بكر رضه واعتقه ليخلصه عن ايذاء المشركين
وتعذيبهم اياه على ايمانه ليس مخصوصا ببلال بل هم جماعة وبلال واحد منهم
روي ان بلالا اسلم اي تغوط على الاصنام وكان صادقا طاهر القلب
فاطلع المشركون عليه فاخذوا يعذبونه في الرمضاء اشد العذاب وهو
يقول احد احد فمر ابو بكر رضه ببلال وسيده امية بن خلف يعذبه فقال
اتعذب عبدا على الايمان فاشتراه فاعتقه معه على الاسلام فقيل انه
ست رقاب وبلال سابعهم فلما اعتقه قال المشركون ما اعتقه ابو بكر
الا ليد كانت له عنده فنزلت وما لاحد عنده من نعمة تجزى فوعد الله تعالى
بان يرضيه في الآخرة بثوابه فقال ولسوف يرضى وهو كقوله ولسوف
يعطيك ربك فترضى قوله فسر الضحى اولا بوقت ارتفاع الشمس بقرينة
عطف الوقت عليه بقوله والليل وفسره في قوله والشمس وضحاها بضوء
الشمس ونورها بقرينة اضافة الضحى الى الشمس لان اضافة وقت ارتفاع
الشمس اليها لا معنى لها بخلاف اضافة النور اليها وفسره ثانيا بالنهار كله و
لفظ الضحى مجاز في هذا المعنى من قبيل اطلاق اسم الجزء على الكل وقرينة
المجاز مقابلته بقوله والليل اذا سجى فان المراد به الليل كله فناسب ذلك ان
يراد بالضحى النهار كله كما فسر الضحى بالنهار كله في قوله تعالى افامن اهل

القرى

القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون او امن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا
ضحى وهم يلعبون اى نهارا بقرينة وقوعه في مقابلة بياتا اى بائتين داخلين
المساء قوله سكن اهله اشارة الى ان الاسناد مجازي من قبيل اسناد
الفعل الى زمانه مثل صام نهاره وكذا الحال في اسناد سكون الظلمة الكائنة
في الليل اليه يقال ركد الشيء اى سكن وثبت وكل ما ثبت في مكانه فهو راكد فيه
فسكون الليل اما عبارة عن سكون اهله او عن استقرار ظلامه وكونه بحيث
لا يزداد بعد ذلك . وتقديم الليل في السورة المتقدمة الخ يعني ان كل واحد منهما
له اثر عظيم في صلاح العالم فان قدم به فلليل فضيلة السبق والاصالة
لان النهار انما يحدث بطلوع النير وبغيبه يعود الهواء الى الحالة الاصلية
فلذلك قدم الظلمة في قوله وجعل الظلمات والنور وكان للنهار فضيلة الشرف
والاستنارة فقدم هذا تارة وقدم الليل اخرى كالركوع والسجود في قوله
اركعوا واسجدوا وقوله واسجدي واركعي مع الراكعين فان قيل ما السبب
في انه ذكر الضحى وهو ساعة من النهار وذكر الليل بجملته اجيب بانه كان في
من النهار لكنه يوازي جميع الليل كان محمدا يوازي جميع الانبياء والنهار
وقت السرور والراحة والليل وقت الوحشة والغم فهو اشارة الى ان هموم
الدنيا ادوم من سرورها فان للضحى ساعة والليل ساعات روي ان الله تعالى
لما خلق العرش اظلت غمامة سوداء عن يساره ونادت ماذا امطر
فاجيبت ان امطري الهموم والاحزان مائة سنة ثم انكشفت فامرت
مرة اخرى بذلك وهكذا الى تمام ثلثمائة سنة ثم بعد ذلك اظلت عن يمين
العرش غمامة بيضاء ونادت ماذا امطر فاجيبت ان امطري السرور
ساعة فلهذا السبب ترى الغموم والاحزان دائمة والسرور قليلا ونادرا
قوله لما تركه الاستثناء روي ان مشركي قريش ارسلوا الى يهود المدينة وسألوا لوهم
عن امر محمد عم فقالت لهم اليهود سلوه عن اصحاب الكهف وعن
قصة ذي القرنين وعن الروح فان اخبركم بقصة اهل الكهف وعن
قصة ذي القرنين ولم يخبركم عن امر الروح فاعلموا انه صادق فجاءه
المشركون وسألوه عنها فقال عم لهم ارجعوا ساخبركم غدا ولم يقل
ان شاء الله فاحتبس عنه الوحي الى ان نزل جبرائيل عم بقوله تعالى ولا تقولن لشيء

في فاعل ذلك فقال الا ان يشاء الله فاخبره بما سئل عنه ونزل بعضه بقوله تعالى
ما ودعك ربك وما قلى وروي ان عثمان بن عفان رضي اهدى الى رسول الله
عنقود عنب فجاء سائل فاعطيه ثم اشتراه عثمان بدرهم فقدمه الى
رسول الله ثانيا ثم عاد السائل فاعطيه ففعل ذلك ثلاث مرات ثم
قال ملاطفا للسائل لا غضبا عليه اسائل انت يا فلان ام تاجر فتأخر
الوحي اياما لذلك وروي ان خولة كانت تخدم رسول الله فقالت ان
جروا دخل البيت فدخل تحت السرير فمات فمكث نبي الله اياما لا ينزل
عليه الوحي فقال يا خولة ما حدث في بيتي ان جبرئيل لا يأتيني قالت خولة
في البيت فكنسته فاهويت بالمكنسة تحت السرير فاذا جرو
ميت فاخذته فالقيته خلف الجدار فجاء نبي الله ترعد لحياه وكان
اذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة فقال يا خولة دثريني فانزل
الله هذه السورة فلما نزل جبرئيل سأله النبي عن سبب تأخره
فقال اما علمت انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة واختلفوا في قدر
مدة انقطاع الوحي قال ابن جريج اثني عشر يوما وقال الكلبي خمسة عشر
يوما وقال ابن عباس خمسة وعشرين وقال السدي ومقاتل اربعين يوما
فان قيل ما ذكرت من الروايات يدل على ان احتباس الوحي كان عن قلى فما
وجه قوله تعالى وما قلى اجيب بان اقصى ما في الباب انه وقع منه ما هو ترك
الافضل والاولى فلا يصير بذلك ممقوتا ولا مبغوضا وروي انه قال
لجبرئيل ما جئتني حتى اشتقت اليك فقال جبرئيل كنت اليك اشوق
ولكني عبد مأمور وتلا وما نتنزل الا بامر ربك قرأ الجمهور بتشديد
الدال من ودعك على انه من التوديع واصله عند الزجاج اي ما قطع عنك
وحيه قطع التارك لك وانما اخره لحكمة والتوديع اصله الودع وهو
الترك وبناء التفعيل للمبالغة فيه لان من ودعك مفارقا فقد بالغ في
تركك وقرئ وما ودعك بتخفيف الدال وهو قليل الاستعمال فانهم اماتوا
ماضي يدع ويذر قال المبرد لا يكادون يقولون ودع ولا وذر لضعف الواو في
اول الكلمة واستغنوا عنهما بترك وقد استعملوا مضارعهما لعدم الثقل
كانه لما بين انه تعالى لا يزال يواصله بالوحي والكرامة ذكر في وجه اتصال هذه

الآية بما قبلها امرين الاول انه لما نزل قوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى وكان ذلك
في معنى ان ربك لا يزال يواصلك بالوحي وانواع الكرامة في الدنيا وحصل له
بهذا تشريف عظيم فكأنه استعظم هذا التشريف فقيل له وللآخرة خير لك
من الاولى اي هذا التشريف وان كان عظيما الا ان ما لك عند الله في الآخرة
خير واعظم والثاني ان يكون المعنى لا تظن ان ربك ودعك وتركك فلولا انك
قطع عنك وحيه اياما بل كل حالة تأتي عليك فيما بعد من الازمنة والايام
فانها خير لك من احوالك الماضية فان من جملة احوالك انه احتبس
عنك الوحي مدة بعد تواتره وتعاقبه فقال الاعداء فيك ما قالوا وقلنا
في ردهم مؤكدا بالقسم ما ودعك ربك وما قلى ولسوف يعطيك ربك فترضى
وهذه الكرامة والموعدة خير لك مما كان قبل من تواتر الوحي وتعاقبه فالآخرة خيرة
في هذا الوجه ليست هي الآخرة المتعارفة المقابلة للدنيا كما في الوجه
الاول بل هي بمعنى الحالة الآتية كانه تعالى وعده بانه يزيد كل يوم عزا الى عز و
شرفا واحدا لا ضرا عما كان في اليوم السابق وفيه وجه اتصاله بما قبله
ان انقطاع الوحي لا يجوز ان يكون مبنيا على انه تعالى تركه وعزله عن النبوة
بحاله ما في الباب ان انقطاع الوحي يدل على الموت بناء على حصول الاستغناء
عن اداء الرسالة لبلوغ الحكم فيه الى غايته فان فهمت منه قرب الموت
فالموت خير لك واللام في قوله وللآخرة خير لك من الاولى لام الابتداء المؤكدة
لمضمون الجملة وكذا اللام في قوله ولسوف يعطيك ربك الا ان لام الابتداء
لا تدخل على الجملة الاسمية فلا بد من تقدير مبتدأ اي ولانت سوف
يعطيك وليست بلام جواب القسم لان لام القسم لا تدخل على المضارع
الا مع نون التأكيد فقد استثنى منه النحاة صورتين احدهما ان لا يفصل
بينها وبين الفعل حرف تنفيس كما في هذه الآية وكقولك والله لسيعطيك
والثانية ان لا يفصل بينهما بمعمول الفعل كما في قوله تعالى لالى الله تحشرون فان قيل
يجوز ان يكون كلا اللامين لام جواب القسم بان اقسم الله تعالى على اربعة
اشياء اثنان منفيان وهي توديعه وقلاه واثنان مثبتان مؤكدان وهي
كون الآخرة خيرا له من الدنيا وانه سوف يعطيه ربه ما يرضيه قيل على التقرير
كيف يكون اللام لام الابتداء ولام الابتداء اذا دخلت على المضارع تخلصه

للحال وهنا لا يمكن ذلك لاجل حرف التنفيس واجيب بانه نص في مريم ان اللام
قد يخلع منها دلالتها على الحال ويكون مجردة للتاكيد واقول كيف يصح ان يقال ان
اللام فيه داخلة على المضارع وقد ذكر ان تقدير الاية لانت سوف يعطيك قوله
وعدت ما لو الشمول مستفاد من حذف المفعول الثاني لا عطيت وجمعها مع سوف
فان لام الابتداء لما تجردت للدلالة على التاكيد وفات السين تدل على التاخير
والتنفيس حصل من اجتماعهما ان العطاء المتاخر حكمه ثابت لا محالة وفان
اللام لتاكيد الحكم المقترن بالاستقبال قوله ويجدك من الوجود بمعنى العلم اي الم
يعلمك الله يتيما فآوى اي جعل لك ماوى تاوي اليه يقال اوى فلان الى منزله
ياوي اويا على فعول وآويته انا ايواء والماوى كل مكان ياوي اليه شيء ليلا ونهارا
يقول الله عز وجل حين كنت ضعيفا غضا ما تركتك بل ربيتك ورفعتك الى
حيث جعلت شرفا على شرفات العرش وقلت لك لولاك لما خلقت الافلاك
انظن انا بعد هذه الحالة نهجرك ونتركك وقد يتيما ان اباه عبد الله بن عبد
المطلب وام رسول الله ص حامل به ثم ولد به رسول الله ص فكان مع جده ثم توفي
عبد المطلب ومع امه امنة فهلكت امه امنة وهو ابن ست سنين ثم
جده بعد امه بسنتين ورسول الله ص ابن ثماني سنين ولما اشرف جده
عبد المطلب على الموت اوصى به ص ابا طالب لان عبد الله وابا طالب كانا من
ام واحدة فكان ابو طالب هو الذي يكفل رسول الله ص بعد جده الى ان بعثه
الله للنبوة فقام بنصرته مدة مديدة ثم توفي ابو طالب بعد ذلك فلم يظهر
على رسول الله ص يتم البتة فاذكر الله تعالى هذه النعمة قوله عن علم الحكم و
الاحكام اي وجدك غافلا عن معالم النبوة واحكام الشريعة فهداك اليها
كقوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان وقوله وان كنت من قبله لمن الغافلين
وروي انه ص خرج مع عمه ابي طالب في قافلة ميسرة غلام خديجة فبينما
هو راكب ناقة ذات ليلة ظلماء وهو نائم جاء ابليس فاخذ بزمام الناقة
فعدل به عن الطريق فجاء جبرائيل ع م فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى الحبشة وفي
الى ارض الهند ثم رده الى القافلة يقال عال يعيل عيلة وعيولا اي افتقر واعال
الرجل اذا كثر عياله اي من يفتقر عليهم قيل العائل ذو العيال ثم اطلق على الفقير
وان لم يكن له عيال ثم المشهور ان المراد بالعائل هنا الفقير ويؤيده ما وجد
في

مطلب سورة الم نشرح

في مصحف عبد الله ووجدك عديما فاغناك بما حصل لك من ربح تجارة سفرك
مع ميسرة وبمال خديجة وبتربية ابي طالب وبمال ابي بكر رض ثم امره بالجهاد
فاغناه باعانة الانصار ثم امره بالجهاد فاغناه بالغنائم قوله الشرح التوسعة
والفسحة السعة ومكان فسيح اي واسع وفسح له في المجلس اي وسع
له وتفسحوا في المجالس اي توسعوا فكان غائبا حاضرا متفرعا عن
انشراح صدره المطهر ص فانه ص لما وسع صدره بعد ما كان متمحضا
لمناجاة مولاه متجردا عما سواه كان حاضرا في بساط قربه مستفيضا لما اوحي
من ربه وغائبا عنهم من حيث تصديه لدعوة الخلق وتكميل القاصرين وافاضتهم
ما استفاده من عالم القدس فكان بلوغه الى الغاية القصوى في كل واحد
من مقام الاستفاضة والافاضة نتيجة انشراح صدره لتحمل ما يتعلق
بالنبوة في الجهتين وعلى قوله او الم نفسحه بما اودعت فيه ان يكون انشراحه
نتيجة استكماله بعلوم النبوة بان يكون اتساع الحيز كناية عن كثرة ما حل
فيه وتضيقه كناية عن قلته بل عن خلوه عنه وكذا على قوله او بما يسرنا لك
تلقي الوحي بعد ما كان يشق عليك فان توسيع الصدر يكون بتيسير تلقي الوحي
وزوال العسرة فانه صدره ص كان يضيق عن تلقي الوحي باخذه الرعدة
ويحصل عليه الوقف عند نزول الوحي ويقول زملوني دثروني فشرح الله صدره
بتيسير ذلك عليه وقيل انه اي قوله الم نشرح لك صدرك اشارة الى ما روي ان
جبرائيل ع م اتى رسول الله ص في صباه اي حين كان كاينا في السنة التي اعادته
فيها الى جده عبد المطلب وشق صدره واخرج قلبه وغسله وانقاه مما فيه من الدم
الاسود ثم جاء بطست من ذهب قد ملئ علما وايمانا فوضعه في صدره او
يوم الميثاق ان الظاهر ان المراد بيوم الميثاق ليلة المعراج فانها ليلة اوحى الله
فيها الى عبده ما اوحى ووصاه بما شاء ويؤيده ما روي ان هذا حين جاء
بالبراق ليلة المعراج قال القاضي عبد الجبار رح طعن في هذه الرواية من وجوه
احدها ان الرواية ان هذه الواقعة انما وقعت في حال صغره وذلك من المعجزات
فلا يجوز ان يتقدم نبوته وثانيها ان تاثير الغسل في ازالة الاجسام والاخلاق
والمعاصي ليست من قبيل الاجسام فلا يؤثر الغسل فيها وثالثها انه لا يصح ان
يملأ القلب علما بل الله تعالى يخلق فيه العلوم والجواب عن الاول ان تقدم المعجزة

عن زمان البعثة جائز عندنا وذلك هو المسمى بالارهاص ومثله في حق الرسول عليه السلام
كثير واما الثاني وان لك فلا يبعد ان يكون حصول ذلك الدم الاسود الذي غسلوه
من قلب الرسول عليه السلام علامة لميل القلب الى المعاصي واحجامه عن الطاعات
فاذا ازالوه عنه كان ذلك علامة لمواظبة صاحبه على الطاعات واحترازه عن
الشهوات المنبعثة عن توجه القوة الطبيعية اليها فكان ذلك كناية عن تخلص المزكية
عن قوى النفسانية والطبيعية علامة والزم عصمتهم وايضا فان الله تعالى يفعل
ما يشاء ويحكم ما يريد كذا في التفسير الكبير والمصنف لم يلتفت الى الجواب عن طعن القاضي
في هذه الاية بما حصله ان المراد من المروي ليس ظاهره بل هو رمز الى توسيع
الصدر وتوسيعه نقلا وتعلما اي وهو رمز واشارة الى نحو ما سبق من
تفسيح الصدر قوله مبالغة في اثبات وجه المبالغة ان الانكار نفي ونفي
النفي اثبات فكان المعنى قد شرحنا لك صدرك واثبات الشرح بنفي انتفائه ابلغ له
بدليل وكان ابلغ من اثباته ابتداء قوله ولذلك عطف عليه قوله ووضعنا اي
ولاجل ان معنى الم نشرح لك قد شرحنا عطف عليه ووضعنا لانه بهذا الاعتبار
يكون عطف الجملة الخبرية على مثلها والنقض بالكسر الحمل ووصف الحمل بانه انقض
ظهره فاوهنه حتى سمع له نقيض اي صوت ونقيض الرحل صريره عند تحرك
اجزائه الى الانفكاك ووضعه حطه وغفره فهو كقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تأخر فيكون الوزر استعارة والوضع ترشيحا لها شبه ما وقع
منه قبل البعثة بل البعثة من فرطات الواقعة سهوا وخطاء من ترك الافضل
باتيان الفاضل بالحمل بالثقيل واطلق عليه اسم المشبه به وهو الوزر ثم
قرن بما يلائم المستعار منه وهو الوضع والحط لا يقال قوله تعالى الذي انقض ظهرك
يدل على عظم الذنب فكيف يحمل على ترك الافضل والاولى سهوا وخطاء قلنا
زلات الانبياء وصفت بهذا الثقل مع كونها ادنى درجة من الصغائر
التي ارتكبتها الامة لشدة اهتمامهم بها وندمهم فيها وتحسرهم عليها فان
تحلمهم بورود العتاب عليهم في ذلك يثقلها عليهم بهذه الدرجة وبورود
عليهم هذه المشقة وجهله بالحكم والاحكام عطف على قوله ما تقرر ولعله
اراد بالحكمة العلم المتعلق بتهذيب الاخلاق وتحلية النفس بالفضائل النبيلة
وتخليتها عن الرذائل الردية وفي التلويح الحكمة هي العلم النافع المعبر عنه بمعرفة

النفس ما لها وما عليها المشار اليه بقوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا
وبالاحكام العلم المتعلق باصلاح الاعمال والمعاملات الذي يتوقف عليه
حسن المعاشرة بين الانام ويدور عليه حسن انتظام احوالهم ووضع
هذا الجهل عنه بان تعلم ما لم يكن يعلم قوله او حيرته اي والمراد من الوزر
الثقل الحيرة التي كانت له قبل البعثة وذلك انه عليه السلام كان ينظر بكمال عقله الى
عظم نعم الله عليه حيث اخرجه من العدم الى الوجود واعطاه الحيوة و
العقل وانواع النعم فيثقل عليه نعم الله وكان ينقض منه الحياء لانه عليه السلام كان يرى
ان نعم الله لا تنقطع وما يعرف انه كيف يطيع ربه فلما جاءت النبوة والتكاليف
وعرف انه كيف ينبغي له ان يطيع ربه في قربه فرح به وسهلت عليه تلك الاحوال
فان اللئيم اذا اسبغ عليه النعم المتظاهرة لا يستحيي من عدم مقابلتها
بالخدمة بخلاف الانسان الكريم النفس فانه اذا كثر الانعام عليه وهو لا
يقابلها بنوع من انواع الخدمة فانه يثقل عليه ذلك جدا بحيث ينقضه الحياء
فاذا كلفه المنعم بنوع خدمة سهل ذلك عليه وطاب قلبه قوله او تلقي الوحي
اي ان المراد من الوزر ما اصابه من الهيبة والفزع في اول ملاقاة جبريل
حين اخذته الرعدة وكاد يرمي نفسه من الجبل من شدة الفزع ثم انه تعالى وضع
هذه الهيبة وقوى قلبه حتى الفه وصار بحالة كاد يرمي نفسه من الجبل
الغيرة اشتياقا اليه قوله او من اصرارهم وتعنتهم فيه اذاءهم وكان يثقل عليه
جدا الاذى حتى كاد ينقض ظهره وتأخذه الرعدة من ذلك ثم قواه الله تعالى
حتى صار بحيث كانوا يرمونه في وجهه وهو يقول اللهم اهد قومي قوله فلا تيأس
من روح الله اذا عراك ما يغمك اشارة الى ارتباط هذه الاية بما قبلها فانه
لما ذكر لنبيه عليه السلام ما فعل به في ابتداء امره من شرح صدره ووضع وزره ورفع
ذكره فانه في ابتداء امره كان غير عالم بشيء ثم جعله الله نور شرح صدره بما اودع
فيه من الحكم وكان عليه من الاوزار ما يثقل عليه فوضعها عنه وكان خامل
الذكر فرفع ذكره اتبع ذلك بقوله فان مع العسر يسرا اي فتفرع عن ذلك
بان في الاحوال ويتيقن بان كل حالة من الاحوال العسيرة لها انجلاء وانكشاف
وان كل زمهرير له ربيع واعتدال فلا تيأس من روح الله اذا عراك ما
يغمك فقوله تعالى فان مع العسر يسرا تقرير لتفريع الحكم على الدليل في صورة

الاستدلال بالجزئي والكلي كقولنا اما ترى الى الانسان والفرس والغنم كلها يحرك
فكه الاسفل عند المضغ فاعلم بذلك ان كل حيوان يفعل كذلك قوله والمعنى به
في ان مع من المصاحبة المبالغة في معاقبة اليسر للعسر يعني انهما متضادان
لا يجتمعان فلا بد من توجيه كلمة مع في هذا المقام قوله تكرير للتأكيد او استئناف
يعني ان الجملة الثانية وهي قوله ان مع العسر يسرا يحتمل ان يكون تكريرا للاولى
مقولة ويؤيده قوله للتكذيب فيكون الغرض من تكريره تقرير معناها في النفوس
وتمكينه في القلوب وكما يكرر المفرد في قولك جاء زيد زيد لذلك ويحتمل ان يكون
الجملة الثانية عدة مستأنفة بان العسر مشفوع بيسر اخر وذلك ان الاسم
اذا ذكر معرفا ثم اعيد ذكره معرفا كان الثاني هو الاول فيكون العسر الذي
يعد كل واحد والنكرة اذا اعيدت مع الالف واللام كان الثاني عين الاول ايضا
كما في قوله تعالى كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول واذا اعيدت
بنكرة لا يلزم ان يكون الثاني عين الاول ويسرا ثاني ههنا منكر فيحتمل ان يكون
عين الاول والحال ان العسر الثاني ايضا هو الاول فيكون قوله تعالى ان مع العسر
يسرا يؤكد للاول تأكيدا له وان يكون غيره فيكون الثاني كلاما مستأنفا
مفيدا لان يكون مع عسر واحد يسرين والاستئناف ارجح لما علم من
فضل التأسيس على التأكيد ولان كلام الله محمول على ابلغ الاحتمالين واوفاها
والمقام مقام التسلية والتنفيس فالحمل عليه اولى وعن ابن عباس قال
يقول الله تعالى خلقت عسرا واحدا وخلقت يسرين فلن يغلب عسر
يسرين وقراءة هذه الآية ووجه تعلق قوله فاذا فرغت فانصب بما قبله انه تعالى
لما عدد عليه نعم السالفة ووعده بالنعم الآتية لا جرم بعثه على الشكر
والاجتهاد في العبادة قال الحسن وغيره اذا كنت صحيحا فانصب
في العبادة ويدل عليه ما روي ان شريحا مر برجلين يتصارعان فقال
الفارغ ما امر بهذا انما قال الله تعالى فاذا فرغت فانصب وبالجملة امر الله تعالى
ان يواصل بين بعض العبادات وان لا يخلي وقتا من اوقاته منها فاذا
فرغ من عبادة اتبعها اخرى قوله وقيل المراد بهما جبلان من الارض
هاتين الثمرتين لانهما منبتا التين والزيتون وقال ابن زيد التين
مسجد دمشق والزيتون بيت المقدس ولما كانت هذه المساجد

مطلب سورة التين

٩٦

في هذه المواضع التي يكثر فيها التين والزيتون لا جرم اكتفى بذكر التين والزيتون و
قيل المراد من التين والزيتون بلدان فقال كعب التين دمشق والزيتون بيت
المقدس وقيل التين الكوفة والزيتون الشام وسينين وسيناء اسمان للبقعة
التي حصر فيها الجبل المسمى بالطور وهو الجبل الذي كلم الله تعالى موسى ثم اضيف
ذلك الجبل الى البقعة التي حصر هو فيها اي وجبل الموضع المسمى سينين من
اسماء الرجل امانة فهو امين واما نته ان يحفظ من دخله كما يحفظ الامين
ما يؤتمن عليه وقيل من حيث ان الله تعالى حفظه من الفيل واصحابه والتقويم
تصيير الشيء على ما ينبغي ان يكون عليه في التأليف والتعديل يقال قومته تقويما
فاستقام وتقوم وذكر في احسن تقويم انه تعالى خلق كل ذي روح مكبا على
وجهه الا الانسان فانه تعالى خلقه مديد القامة يتناول ماكوله بيده وقيل انه تعالى
خلقه ذا عقل وفهم وادب وعلم وبيان والحاصل ان القول الاول راجع
الى الصورة الظاهرة والثاني الى السيرة الباطنة وعن يحيى بن اكثم القاضي انه
فسر التقويم بحسن الصورة فانه حكى ان ملك زمانه خلا بزوجته في ليلة مقمرة
فقال لها ان لم تكوني احسن من القمر فانت كذا فافتى الكل بالحنث الا يحيى بن
اكثم فانه لا يحنث فقالوا خالفت فقال الفتوى بالعلم ولقد افتى من هو اعلم
منا وهو الله تعالى قال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وكان بعض الصالحين
يقول الهنا اعطيتنا في الاولى احسن الاشكال فاعطنا في الآخرة احسن
الافعال وهو العفو عن الذنوب والتجاوز عن العيوب وقيل ان عيسى بن موسى
الهاشمي يحب زوجته حبا شديدا فقال لها يوما انت طالق ثلاثا ان
لم تكوني احسن من القمر فنهضت واحتجبت عنه وقالت طلقتني وبات
بليلة عظيمة فلما اصبح غدا الى دار المنصور فاخبره الخبر واظهر لجزعا
عظيما فاستحضر المنصور فقهاء زمانه واستفتاهم فقال جميع من
حضر قد طلقت الا رجلا من اصحاب ابي حنيفة فانه سكت فقال له المنصور
ما لك لا تتكلم فقال بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون الى قوله لقد
خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم قال يا امير المؤمنين فالانسان احسن
الاشياء ولا شيء احسن منه فقال المنصور لعيسى بن موسى الامر كما قال
الرجل فاقبل على زوجتك وارسل الى زوجته ان اطيعي زوجك لا تعصيه

٤

فالملائكة كما في تفسير القرطبي قوله ونظائر سائر الممكنات اي وبان خص بانسجام
مثل كل شكل لان مقابلة الجمع بالجمع يقتضي انقسام الآحاد الى الآحاد فلذلك
قالت الفلاسفة انه العالم الاصغر اذ كل ما في المخلوقات حاصل فيه قوله بان
جعلنا من اهل النار يعني ان قوله ثم رددناه كناية عن جعله من اهل النار
لانه اقبح الصور وصور اهل النار وقوله اسفل حال من الضمير المنصوب في رددناه
على المعنى ثم ما عاقبته انه حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة ان رددناه
اي صرفناه عن طريقه في حسن صورته حال كونه اسفل من سفل خلقا و
تركيبا واقبح من قبح صوره وخلقه وهم اصحاب النار قوله او الى اسفل
سافلين وهو النار يعني انه يكون اسفل صفة لمكان محذوف اي لمكان هو
اسفل امكنة السافلين وعن مجاهد ثم رددناه الى النار اسفل سافلين
وعلى الوجهين الاستثناء في قوله الا الذين امنوا متصل والمستثنى منه الضمير
المنصوب في قوله ثم رددناه لانه في معنى الجمع لرجوعه الى الانسان المراد به الجنس و
نحوه الى اسفل سافلين ارذل الوجه معنى ثم رددناه بعد ذلك التقويم
والتحسين اسفل من سفل في حسن الصورة والشكل حيث نكسناه
في خلقه فتقوس ظهره وضعف بصره وسمعه فالآية على هذا نظير قوله ثم
يرد الى ارذل العمر حاصل المعنى على الاول ان الكفار تتغير صورهم في النار
وعلى الثاني تتغير صورهم بالشيخوخة والهرم ويكون الاستثناء على الثاني
منقطعا لانه لم يخص بالاخراج من المذكورين قبله من الحكم الذي اثبت
لهم بل اثبت للواقع بعد الا حكم لم يثبت للواقع قبله فيكون الا بمعنى لكن و
الذين امنوا وعملوا الصالحات اسم وقوله فلهم اجر خبره ودخول الفاء فيه
لتضمن اسمه معنى الشرط والفاء على الوجه الاول للتعليل اي ولا يغير صورهم
في النار لانهم مثابون في الجنة قوله فاي شيء يكذبك بما اخبرت به من البعث
والجزاء بعد ظهور هذه الدلائل الدالة على كمال القدرة فانه من خلق
الانسان من الماء المهين وحسن ظاهره وباطنه باحسن تقويم ودرجه
في مراتب الزيادة الى ان استكمل واستوى ثم نكسه الى ان يبلغ الى ارذل العمر
لا شك انه قادر على البعث والحشر والجزاء وكونه احكم الحاكمين يقتضي
ذلك فانه لو لم يعد خلقه لا للحكمة لان ذلك عبث وهو لا يجوز من الحكيم وانه

خلقها

مطلب سورة العلق

خلقها لحكمة عائدة اليهم يلزم كونه مستكملا بغيره تعالى عن ذلك علوا كبيرا
فتعين انه تعالى خلق الانسان لحكمة عائدة اليهم وتلك الحكمة لا تظهر في الدنيا لانها
دار بلاء وامتحان لا دار الراحة والجزاء فثبت انه لا بد قوله من دار اخرى
وبعد هذه الحياة من نشأة اخرى يخاطب الانسان فيها باحسن ما كانوا
يعملون فالقول بوجودها لان الكريم القادر يوجب على العاقل ان يقطع
بالبعث والجزاء اي مجيء مرة قوله فالمعنى فما الذي يحملك على هذا الكذب
ايها الانسان المصر على انكار الحشر فانه من خبر عن الواقع بانه لا يقع فهو كاذب
في انكاره واخباره والاستفهام لتوبيخ الانسان الكاذب بسبب تكذيبه
بالبعث والجزاء تحقيق لما سبق من انه خلق الانسان ثم رده حيا اي رده
العمر بفعل الله تعالى اليس الذي فعل ذلك ما احكم الحاكمين صنعا وتدبيرا اي
اليس ذلك بالغ اتقان الامور من لا يتقن لها على ان الحكيم هو المتقن
للامور ويلزم كونه تام القدرة كامل العلم ومن هذا شأنه كيف ينبغي ان ينكر منه
البعث والجزاء او المعنى اليس الله باقضى القاضين يحكم بينك وبين من
يكذبك بالحق والعدل فلا يحكم بينهم اي فقضى فالآية وعيد للمكذبين قوله
زعم اكثر المفسرين ان هذه السورة اول ما نزل من القرآن واول ما نزل منها
خمس آيات من اولها الى قوله ما لم يعلم وقال آخرون الفاتحة اول ما نزل ثم
سورة القلم وقيل اول ما نزل يا ايها المدثر اي اقرأ القرآن مفتتحا باسم
ربك مستعينا به اشارة الى ان مفعول اقرأ محذوف وهو القرآن حذف للعلم
اذ القراءة في عرف الشرع لا تستعمل الا فيه وان محل قوله باسم ربك النصب
على الحال والتقدير اقرأ القرآن مفتتحا باسم ربك او مبتدئا به اي قل بسم الله
الرحمن الرحيم ثم اقرأ فالآية على هذا التوجيه تدل على انه يجب قراءة التسمية
في الابتداء بكل سورة كما انزل الله تعالى وامر به وهذا حجة للامام الشافعي في
جهره بالتسمية في اول كل سورة مع ما جاء من الاحاديث المروية في هذا الباب
وان قدر ان المعنى اقرأ القرآن مستعينا باسم ربك فكانه تعالى امره ان يجعل
الاسم آلة فيما يحاوله من امر الدين والدنيا كما في قولك كتبت بالقلم و
تحقيقه انه لما قال له اقرأ فقال لست بقارئ فقال اقرأ باسم ربك اي
استعن باسم ربك واتخذه آلة في تحصيل هذا الذي عسر عليك قوله

الذي له الخلق وجه عموم ذكر مفعول خلق بوجوه ثلثة الاول ان ينزل خلق منزلة
اللازم فلا يقدر له مفعول بناء على ان المقصود بيان انفراده بالخلق وانه لا خالق
سواه فاقتصر على المقصود ولم يتعرض لبيان متعلق الخلق فالمعنى الذي حصل منه
الخلق واختص به لا خالق سواه والثاني ان يقدر له مفعول ويكون بيان تعلقه
بمفعول مقصودا الا انه حذف قصدا للتعميم فانه تع لما كان خالق كل شيء لم
يكن بعض المخلوقات بتقديره اولى من بعض فقدر له مفعول عام اي الذي خلق
كل شيء وقوله خلق الانسان من علق ما ثبت انه خلق كل شيء تخصيص للانسان
بالذكر بعد التعميم لشرفه وانه لغاية شرفه صار كانه حقيقة منفردة خارجة
من عداد ما سبق وذلك كتخصيص جبرئيل بالذكر بعد ذكر الملائكة والثالث
عليهم السلام ولان المقصود توصيف الرب تع بالخالقية تعليل الامر بالقراءة الذي
هو في معنى الامر بالعبادة فان قوله تع اقرا في اعبد ربك وتوصيفه بقوله
الذي خلق للايماء الى ان كونه خالق الاشياء يقتضي ان يعبد ويعظم ويدل
على وجوب ذلك والانسان لما كان اشرف مصنوعاته واظهرها صنعا
وتدبيرا كان خلقه مع اياته ادل على وجوب العبادة فلذلك افرده بالذكر
بعد التعميم قوله اظهر صنعا بمعنى انه اكثرها اظهارا للصنع خالقه وتدبيره والقياس
ان لا يبنى افعل التفضيل من مزيد الثلاثي الا بزيادة اشد واكثر ونحوهما
انما ارتكب ذلك اختصارا في اللفظ مع ظهور المراد والثالث ان يقدر له
مفعول خاص ابتداء الا انه ابهم اولا ثم فسره ثانيا بقوله خلق الانسان
تفخيما للانسان جمعه لان الانسان في معنى الجمع والعلق جمع علقة كثمر وثمرة وهي
الدم الجامد واذا جرى فهو المسفوح والمقابلة الجمع بالجمع تقتضي انقسام
الاحاد على الاحاد فافاد انه تع خلق كل واحد منهم من علقة قوله ولما كان على
اتفق المتكلمون على ان اول الواجبات معرفة الله تع او النظر في معرفة الله او
القصد الى ذلك على الاختلاف المشهور فيما بينهم ثم ان الحكيم سبحانه لما
اراد ان يبعث رسولا الى المشركين لو قال لهم اقرا باسم ربك الذي لا شريك له
لابوا ان يقبلوا ذلك منه لكنه تع قدم في ذلك مقدمة تلجيهم الى الاعتراف
به حيث رسوله ان يقول لهم انهم هم الذين خلقوا من العلقة ولا يمكنهم
انكاره ثم ان يقول لهم ولا بد للفعل من فاعل فلا يمكنهم ان يحيلوا ذلك

الفعل الى الوثن لعلمهم بانهم نحتوه فبهذا التدريج يقرون بان المستحق للثناء
دون الاوثان لان الالهية موقوفة على الخالقية ومن لم يخلق شيئا كيف يكون
الها مستحقا للعبادة وهذه الطريقة كما يحكى ان زفر لما بعثه ابو ح الى البلدة
لتقرير مذهبه فيهم فوصل اليهم وذكر ابا ح فمنعوه ولم يلتفتوا اليه فرجع الى ابي ح
فاخبره بذلك فقال له ابو ح انك لم تعرف طريق التبليغ لكن ارجع اليهم واذكر
في المسئلة اقاويل ائمتهم ثم بين ضعفها ثم قل بعد ذلك ههنا قول اخر فاذكر
قولي وحجتي فاذا تمكن ذلك في قلبهم فقل هذا قول ابي ح فانهم ح يستحيون فلا
يردونه قوله تكرير للمبالغة يعني اقرا الثاني تكرير للامر بالقراءة تاكيدا ومبالغة
في الامر بها فيتم الكلام عند اقرا الثاني ويكون ما بعده كلاما مستانفا بان يكون
وربك مبتدا والاكرم صفته والذي مع صلته خبره وقوله علم الانسان ما لم يعلم
بدل من قوله علم بالقلم لكونه بيانا له اولا والاول مطلق اي بطلب القراءة سواء
كانت على طريقة التعلم من حيث سرعام او على طريقة تكرارها لنفس طلب
الثواب واقرا الثاني امر بان يقرا للتبليغ وتعليم الامة او بان يقراه في الصلوة قوله
ولعله لما قيل زاد اي جواز ان يكون اقرا الثاني جوابا لقوله ما انا بقارئ على
معنى اقرا فان ربك الاكرم يعلمك القراءة وان لم تكن قاريا قوله بل هو الكريم وحده
على الحقيقة قال الامام الرازي الكريم افادة ما ينبغي لا لغرض فمن يهب ما ينتفع
به نفسه فهو ليس بكريم ومن اعطى ثم طلب عوضا فهو ليس بكريم وليس يجب
ان يكون العوض عينا بل المدح والثواب والتخلص عن المذمة كله عوض وقال
الامام الغزالي قدس سره الكريم هو الذي اذا قدر عفى واذا وعد وفى واذا
اعطى زاد على منتهى الرجاء ولا يبالي كم اعطى ولا لمن اعطى واذا رفعت حاجة
الى غيره لا يرضى واذا جفي عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذ به والتجى ويغنيه عن
الوسائل والشفعاء فمن اجتمع له جميع ذلك لا بالتكلف فهو الكريم المطلق وذلك هو
الله تع وحده ومن كان على اضداد هذه الصفات فهو اللئيم المطلق انتهى
كلامه وذكر المصنف بيان اكرميته تع انه لا ينعم بالنعم الا محض الكرم بخلاف
غيره فانه يطلب به نفعا اما مدحا او ثوابا او تخلصا عن المذمة وايضا انه يحلم
ويعفو وقت الجناية ولا ينقص بها شيئا من احسانه الذي احسن قبلها بل
يزيد في احسانه بعد الجناية كما قيل متى زدت تقصيرا تزد في تفضلا كاني بالتقصير

استوجب الفضل لتقييده العلوم وبقائها البعيد بيان الوجه كرمه الزائد في تعليم
الكتابة بالقلم فان الغرض المسوق له الكلام اظهار كونه الاكرم ومزيد الفضل و
الاحسان على نوع الانسان والامتنان عليه بافاضة ما هو من اشرف اثار
كرمه واحسانه عليه وهو تعليم علم الخط والكتابة بالقلم ولذلك قيل العلم صيد
والكتابة قيد وقيل الحفظ مغرور ووقت العلم مسرور ويبقى من اعتمد
على حفظه اغتر حيث ينسى حفظه ومن قيد وكتب فهو يحرر ما كتبه بعد
النسيان فيكون مسرورا بذلك والقلم وان كان لا ينطق الا انه يسمع الشرق و
الغرب وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار الاولين ومقالاتهم
ولا كتب المنزلة الا بالكتابة ولولاهي لما استقامت امور الدين والدنيا
ذكر الله تعالى نفسه اولا باسم الرب ورتب عليه خلقه الانسان من العلقة تنبيها
على ان الايجاد والاحياء والاقدار والتربية من باب الكرم والتربية ثم ذكره
بانه الرب الاكرم ورتب عليه تعليم الانسان الخط بالقلم وتعليمه ايضا غير ذلك
مما لم يعلم الانسان تنبيها على ان الاكرمية انما يكون باعطاء اجل المواهب
واعز المطالب وهو التكريم بافادة الفوائد العلمية وما يؤدي الى تقييدها
وضبطها وفيه تشريف لمنزلة العلم فانه لو كان في جملة المطالب ما هو
اشرف منه لكان ذكره اولى في مقام بيان اكرميته ولا مناسبة بحسب النظم
بينهما ان وصف الله تعالى نفسه بانه الذي خلق الانسان من علق وبانه الذي علم
بالقلم في التحقيق في غاية الحسن والانتظام وذلك لانه تعالى بين اولا اخس احوال
الانسان وهو كونه علقة وهي اخس الاشياء واحقرها وهو صيرورته عالما
محققا بالاشياء قادرا متمكنا على ضبط تلك العلوم وتقييدها وعلى اعلامها
وتبليغها الى اهل البلدان البعيدة وهذا مرتبة عظيم بنقله من اخس
الاحوال الى اعلى المراتب واشرفها الى انه كان في بداء حاله دليلا مهينا فيضه
كرم الربوبية الى ارتفاع ذروة العز والشرف بفضله ولطفه قوله [illegible]
اولا ما يدل على معرفته عقلا فان قوله باسم ربك الذي خلق خلق الانسان
من علق يدل دلالة عقلية على معرفته بصفات كماله من وجوب وجوده و
كمال قدرته وعلمه وحكمته وقوله الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم اشارة
الى الاحكام التي تثبت من الدليل السمعي ومنها معرفة صانع العالم بصفات

كماله

كماله ونعوت جماله وجلاله قيل ان اول السورة الى هنا هو اول ما نزل عليه واوحي
اليه ثم نزل باقي السورة بعد ذلك بزمان وان ابي جهل لعنه الله فانه لم يوصف
في هذا الموضع لان تاليف ايات السورة انما كان بامر الله تعالى وبيانه الايات ان
قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله آخر ما نزل عند المفسرين ثم هو مقدم
الى ما نزل قبله بزمان طويل وقيل المراد من الانسان المذكور في هذه الاية جنس
الانسان وجملته والقول الاول وان كان اظهر بحسب الرواية الا ان هذا القول
اقرب بحسب النظم لانه تعالى بين ان الله تعالى خلقه من علقة واعلم عليه بما ذكره من
النعم اذا اغناه وزاد في النعم عليه فانه يطغى ويتجاوز الحد في المعاصي واتباع
هوى النفس وذلك وعيد وزجر لهم عن هذه الطريقة ثم انه تعالى اكد هذا الزجر
بقوله ان الى ربك الرجعى وتحقيق الكلام في هذه الاية ان الله لما ذكر في هذه
الاية في اوائل السورة دلائل ظاهرة على التوحيد والقدرة والحكمة بحيث يبعد
من العاقل ان لا يطلع عليها ولا يقف على حقائقها ابتهها بما هو السبب الاصلي
في الغفلة عنها وهو حب الدنيا والاشتغال بالمال والجاه والرفعة بالحظوظ العاجلة
فانه السبب للقلب في الحقيقة الا ذلك والحاصل ان هذا القول الذي يجب
قال في رجوع لمن كفر بنعمة الله تعالى لطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه فان الكلام
السابق دل على انه تعالى خلق الانسان من العلق ثم علمه ما لم يعلم فرفعه من حضيض
الجهالة الى يفاع العلم والمعرفة وكذلك الكلام اللاحق وهو التعليل بقوله ان الانسان
ليطغى ان رآه استغنى فقدر بعد قوله ما لم يعلم ما يصح ان يكون هذا ردعا له
منه في خلق الانسان من علق وعلمه ما لم يعلم ليشكر تلك النعم الجليلة
فطغى وكفرها ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى اي ما ينبغي للانسان ان ينعم الله عليه
بخلقه وتعليمه ثم هو يطغى اي يفرط في المعصية واتباع هوى النفس لان رأى
نفسه قد كثر ماله فاستغنى به عن غيره قال الكلبي يرتفع عن منزلة الى منزلة في
اللباس والطعام وغيرهما وقال مقاتل نزلت في ابي جهل كان اذا اصاب مالا زاد
في ثيابه ومركبه وطعامه فذلك طغيانه قال الاخفش معنى قوله ان رآه استغنى
لان رآه فحذف اللام كما يقال انكم لتطغون ان رايتم غناكم فمحله النصب على انه
مفعول له وقيل معناه استغنى بماله عن ربه واول هذه السورة يدل على مدح العلم

وآخرها مخافة مزمنة المال وكفى ذلك مرغبا في الدين والعلم ومنفرا عن الدنيا والمال
قوله واجنحة وهي اجنحة الملائكة ابصر اللعين الاجنحة ولم يبصر اصحابها فقال ام
والذي نفسي بيده لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا واول القصة ان
اللعين قال هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم قالوا نعم قال لو رايته والعفر
بالتحريك التراب وتعفير الوجه كناية عن السجود على الارض وكان ابو جهل
يكنى في الجاهلية بابي الحكم لانهم يزعمون انه عالم وحكيم فسمي بابي جهل في الاسلام
قوله ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة في تقبيح النهي فانه لو قيل ارايت الذي ينهاك
بدل قوله ينهى عبدا لكان الكلام فاصلا في الدلالة على تقبيح النهي لان النهي العبد
عن تعظيم مولاه اقبح من نهي غيره فافراد الانشاء عن الصلوة وتنكير لفظ العبد
يدل على كونه كاملا في العبودية فنهيه اقبح من نهي عبد ما اي عبد في زمانه
نهي اكمل الخلق في العبودية عن عبادة ربه والشرطية مفعول ثاني جعل رايت
من روية القلب المقتضية لمفعولين وجعل قوله الذي ينهى مفعوله الاول
وجعل الشرطية الاولى مفعوله الثاني وهي قوله ان كان على الهدى او امر بالتقوى
مع جوابه المحذوف وهو قوله الم يعلم بان الله يرى ويطلع على ما يزعم انه
على هدى في نهيه عن طاعة الله وعبادته او امر بالتقوى فيما يامره من
عبادة الاوثان وحذف جواب الشرط الاول اكتفاء عنه بجواب الشرط الثاني
لان الشرط الثاني وهو قوله ان كذب وتولى مقابل الشرط الاول وهو قوله ان كذب
وتولى مقابل الشرط الاول وهو قوله ان كان على الهدى او امر بالتقوى فلما
اجيب الشرط الثاني بقوله الم يعلم بان الله يرى احوالهم علم من ذلك جواب
الشرط الاول من هذا القبيل ايضا وجاز ان يكون الجملة الاستفهامية وهو
قوله الم الخ جوابا للشرط كما جاز في قولك ان اكرمتك اتكرمني وان احسنت
اليك فلان هل تحسن اليه وجعل رايت الثاني تكرارا للاول لاجل ان كمل
كذا رايت الثالث وصور المعنى بقوله والمعنى اخبرني عمن ينهى بعض عباد
الله الخ وحاصله ان نظم التنزيل الكلام مع المص والارخاء العنان حيث
نظم من اهل الحق بان عبر عنهم بقوله عبدا ولم يعبر بنبيا مع صفوة
خلق الله تعالى وقال المص في تفسيره ينهى بعض عباد الله وادخل حرف
الشرط في الشرطية الاولى لارخاء العنان صورة للقطع بان ذلك الناهي

احق م

ليس

ليس من الهدى والامر بالتقوى في شيء وهو في الحقيقة تهكم به ضرورة انه
ليس في النهي عن عبادته تعالى والامر بعبادة الاصنام على هدى البتة وفي
هذا يجب ان يكون الخطاب في قوله ارايت لكل من يصلح ان يكون مخاطبا مع
لم ملة اولا انسان على الالتفات كما في قوله ان الى ربك الرجعى وهذا اظهر
واولى لان النبي عم والكافر الناهي كليهما لقوله اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله تعالى
فان الناهي والمنهي حاضران عند مورد الخطاب فكانه يجعل الغير حاكما بين
اهل الحق واهل الباطل فيخاطبه من قرا اهل الحق فيقول يا ايها الحاكم اخبرني
عمن ينهى بعض عباد الله عن طاعته وعبادته ويزعم انه على الحق في
ذلك النهي وامر بالتقوى والمعروف في امره بعبادة الاوثان واخبرني ايضا
عما يقول بعض ان ذلك الآمر والناهي كاذب على التكذيب للحق والتولي
عن الدين الصحيح فما علمك في ذلك الم يعلم بان الله يراه ويطلع على
احواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك فيكون قوله الم يعلم
وعيدا للكافر الناهي **قوله** وقيل المعنى ارايت الذي ينهى يعني قيل ان ارايت كلمة
تعجيب تعجب الله عباده من ابي جهل في منعه رسول الله عم من ثلثة
اوجه الاول انه ينهى عبدا من طاعة ربه والثاني ان المنهي عن الصلوة
مهتد بصلوته وتعظيم ربه امر بتقوى الله بفعله والثالث ان الناهي
عن الصلوة مكذب بالحق متولى عنه غير قابل به واشار المص الى ان المعنى
على التعجيب ثم التعجب من ذا في هذا فمن ينهى ويكذب ويتولى الكافر
الناهي وضلالته وامر للعبد المنهي وكذا على الوجه الثالث واما على الوجه
الاول فالخطاب لا يختص بالكافر الناهي ولعله ذكر الامر بالتقوى في التعجب و
التوبيخ واجاب المص عن هذا السؤال اولا بان صلوته عم صلوة وعبادة
فحق نفسه ودعوة بالفعل الى عبادة الله تعالى وامر بالتقوى بالنظر الى غيره
فان كل من يراه وهو في الصلوة يرق قلبه فيميل الى الايمان والطاعة
فكان فعل الصلوة دعوة وامرا بالتقوى بلسان الفعل وهي اقوى من الدعوة
بلسان القول فعلى هذا يكون النهي عن الصلوة نهيا عنها وعن الامر
بالتقوى فاقتصر على ذكر الصلوة لحصول المقصود واجاب عنه ثانيا بانه لم يقل
ينهى عبدا عن الصلوة فقط حتى يتوجه ان يقال انه كما نهى عن الصلوة

بنهي عن الامر بالتقوى ايضا فلم اقتصر على ذكر الصلوة بقوله ينهى عبدا اذا
صلى وهو نهي ولا نهيهم عنها مع قلبه في الكلام اقتصر على ذكر النهي
عن الصلوة فقط وعدم ذكر المفعول به الذي هو ينهى يدل على ارادة
العموم اى ينهى عن عامة افعاله المخصوصة في تكميل نفسه بالعبادة وغيره
بالدعوة وهذه الاية وان نزلت في حق ابي جهل لكن كل من ينهى عن طاعة
الله فهو شريك ابي جهل في هذا الوعيد ولا يلزم عليه المنع من الصلوة
في الدار المغصوبة والاوقات المكروهة لان المنهي عنه غير الصلوة وهو
المعصية فان عدم مشروعية الوصف المقارن وكونه مستحقا لان ينهى
عنه لا ينافي مشروعية اصل الصلوة الا انه لشدة الاتصال بينهما بحيث
يكون النهي عن الوصف موهما للنهي عن الاصل احتاط فيه بعض الاكابر
حتى روى عن علي رض انه رأى في المصلى اقواما يصلون قبل صلوة العيد
فقال ما رأيت رسول الله ع م يفعل ذلك فقيل له الا تنهاهم فقال اخشى ان
ادخل تحت وعيد قوله ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى فلم يصرح بالنهي عن
الصلوة احتياطا واخذ ابو حنيفة هذا الادب الجميل حين قال له ابو يوسف
ايقول المصلي حين يرفع رأسه من الركوع اللهم اغفر لي قال يقول ربنا لك
الحمد ويسجد ولم يصرح بالنهي قوله ولنسفعنه بها اي لنأخذن وذلك في
الاخرة ويحتمل ان يكون المراد من هذا السفع سحبه على وجهه [illegible]
الى المنحر فلما عاد مكنهم الله تع من ناصيته يوم بدر روى انه لما نزلت
سورة الرحمن علم القرآن قال ع م من يقرؤها على رؤساء قريش
فتثاقلوا فقام ابن مسعود رض فقال انا فاجلسه ع م ثم قال ع م من
يقرؤها عليهم فلم يقم الا ابن مسعود ثم ثالثا الى ان اذن له وكان ع م
يبقي عليه لما كان يعلم من ضعفه وصغر جثته ثم انه وصل اليهم فرآهم
مجتمعين حول الكعبة فافتتح قراءة السورة فقال ابو جهل فلطمه
فشق اذنه وادماه فانصرف وعينه تدمع فلما رآه النبي ع م رق قلبه
واطرق رأسه مغموما فاذا جبرائيل ع م يجيء ضاحكا مستبشرا فقال
يا جبرائيل تضحك ويبكي ابن مسعود فقال ستعلم فلما ظفر المسلمون
يوم بدر التمس ابن مسعود ان يكون له حظ في الجهاد فقال ع م خذ

[illegible] ١٩٠٩

رمحك

رمحك والتمس في الجرحى من كان به رمق فاقتله فانك تنال ثواب المجاهدين
فاخذ يطالع القتلى فاذا ابو جهل مصروع يخور فخاف ان يكون به قوة فيؤذيه
فوضع الرمح على منحره من بعيد فطعنه ولعل هذا معنى قوله تع سنسمه على
الخرطوم ثم لما عرف عجزه لم يقدر ان يصعد على صدره لضعفه فارتقى عليه
بحيلة فلما رآه ابو جهل قال يا رويعي الغنم لقد ارتقيت مرتقى صعبا فقال
ابن مسعود الاسلام يعلو ولا يعلى فقال له ابو جهل بلغ صاحبك انه
لم يكن احد ابغض الي منه في حال مماتي فروي انه ع م لما سمع ذلك قال
فرعوني اشد من فرعون موسى ع م فانه قال امنت وهو قد زاد عتوا ثم قال
لابن مسعود اقطع اقطع بسيفي هذا لانه احد واقطع فلما قطع رأسه لم
يقدر على حمله فشق اذنه وجعل الخيط فيه وجعل يجره الى رسول الله ع م و
جبرائيل بين يديه يضحك ويقول يا محمد اذن باذن لكن الرأس ههنا مع الاذن
ولعل الحكيم سبحانه وتع انما خلقه ضعيفا حتى لم يقو على حمل الرأس المقطوع
لوجوه احدها انه كلب والكلب يجر والثاني ليشق الاذن فيقتص الاذن
بالاذن والثالث ليتحقق الوعيد المذكور بقوله لنسفعا بالناصية فتجر تلك
الرأس على مقدمها وهذا ما روي في مقتل ابي جهل اوردته هنا مع الفظ
ليتضح تفسير قوله تع لنسفعا بالناصية والناصية شعر الجبهة وقد تسمى
محلة الشعر ناصية ثم انه تع كنى بها ههنا عن الوجه والرأس ولعل السبب
في تخصيص السفع بها ان اللعين كان شديد الاهتمام بترجيل الناصية
وتطييبها واللام في لئن لم ينته لام توطئة القسم والقسم بعده
مضمر اي لئن لم ينته والله لنسفعن والجمهور على تخفيف هذه النون
والوقف عليها بالالف لانفتاح ما قبلها تشبيها لها بالمنون المنصوب وقد
كتبت في مصحف عثمان رض بالالف على حكم الوقف وقرئ لاسفعن بالالف
مكان النون اي يقول الله تع انا الذي اتولى اهانته يا محمد بنظيره هو الذي
اتولاه واللام في قوله بالناصية بدل من الاضافة اي لنسفعا بناصيته اكتفى
بلام العهد عنها للعلم بان المراد ناصية المذكور ثم انه تع يقول بانه ناصية المعروفة
عندكم ذاتها لكنها لمجهولة عندكم صفتها وهي انها ناصية كاذبة
قوله خاطئة نعتها ووصف الناصية بالكذب لانه كان كاذبا على الله في انه

لم يرسل محمدا او لقد باعا رسولي وانه ساحر وليس بمرسل ووصفها بالكذب
خاطئة لان صاحبها متمرد على الله تعالى ولا خطأ اعظم منه وقوله ناصية
بدل من الناصية وجاز ابدالها من المعرفة وهي نكرة لانها وصفت بقوله
كاذبة على معنى كاذب صاحبها فصح بذلك جعلها بدلا مقصودا بالنسبة و
النكرة الغير الموصوفة لا تبدل من المعرفة لانه لا يصح جعلها مقصودا بالنسبة
وجعل المعرفة في حكم السقوط **قوله** اي اهل ناديه فهو بالمضاف لان نفس
المجلس والمكان لا تدعى **قوله** يتندى فيه القوم اي يجتمع ومنه دار الندوة
بمكة لانهم كانوا يجتمعون فيها للتشاور ولا يسمى المكان ناديا حتى يكون فيه اهله
قوله وهي في الاصل الشرط وهو جمع شرطة بالسكون والحركة وهي خيار الجند
واول كتيبة تحضر الحرب وفي الصحاح الشرط بالتحريك العلامة واشراط
الساعة علاماتها والشرط من الابل وغيرها اراذلها منها بنت البيع وشرط
تلاوين نفسه للامر كذا اعلمها واعدها له ومنه سمي الشرط لانهم جعلوا لانفسهم
علامة يعرفون بها الواحد شرطة وشرطي وقيل سموا شرطا لانهم
اعدوا انتهى **قوله** او زبني على النسب اي على ان النسبة الى الزبن وهو الدفع
وجمع على زباني ثم غير هذا اللفظ الى زبانية بان عوضت التاء نيابة عن
احدى الياءين بعد حذفها كالتاء في غيبة في جمع اغيثى والمهالبة في جمع مهلبي
لان التعويض في زبانية ظاهرة وفي التاء في غيبة معنوي وبالجملة فالمراد
بالزبانية ملائكة العذاب وهم الملائكة الغلاظ الشداد وقال قتادة هم
خزنة جهنم ارجلهم في الارض ورؤسهم في السماء سموا زبانية لانهم يزبنون
الكفار اي يدفعونهم في جهنم قيل في الآية قولان الاول انه تعالى يعجلهم وذكر
من دعوى اهل ناديه وانصاره وانه سنفا ثم بهم من صيته مجرد بانه
لو فعل ذلك فنحن ندعو الزبانية الذين لا طاقة لاهل ناديه وقومه بهم قال
ابن عباس لو دعا ناديه لاخذته الزبانية من ساعته عيانا وقيل هذا
اخبار بان الزبانية يجرونه في الآخرة الى النار والقول الثاني ان في الآية
تقديما وتأخيرا اي لنسفعا بالناصية وسندعو الزبانية في الآخرة
وهو ناديه فليدعه وحذف الواو من سندع في الامام اتباعا للخط
باللفظ فان الواو لما سقطت في اللفظ لاجتماع الساكنين سقطت في

الخط

١٠٢

في الخط ايضا اتباعا وكلمة ما في قوله اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا ساجد
مصدرية واقرب مبتدأ حذف خبره ويكون من كان التامة اي اقرب
وجود العبد الى ربه حاصل وقت سجوده فانه قد تقرر في النحو انه يجب
حذف خبر المبتدأ اذا كان المبتدأ افعل التفضيل مضافا الى المصدر
المذكور بعده الحال او الظرف مثل اكثر شربي السويق ملتوتا واخطب
يكون الامير قائما والظرف في معنى الحال او رد الحديث لتأييد المراد بقوله
واقترب وانه قرب المنزلة من ربك وقيل المعنى واسجد يا محمد واقترب
يا ابا جهل حتى تبصر ما ينالك من اخذ زبانية اياك **قوله** شهادة له
بالنباهة اي بالشهرة في رفعة القدر وكمال الشرف التي تقوم مقام تصريحهم
باسمه في ارجاع الضمير اليه يقال نبه ونبه اي مشهور ونبه الرجل
بالضم نباهة اي شرف واشتهر **قوله** وانزل فيها جواب عما يقال القرآن
لم ينزل جملة في وقت واحد بل انزل منجما مفرقا في زمان ممتد بين اوله واخره
ثلث وعشرون سنة فما وجه قوله انا انزلناه في ليلة القدر كذا واجاب عنه بثلثة
وجوه الاول ان المراد ابتدأنا بانزاله على طريق التنجيم والتفصيل في ليلة القدر
بناء على ان البعثة كانت في رمضان والثاني ان السؤال انما يرد ان لو كان
المراد انزاله الى الارض والى رسول الله م فان الوحي كان منجما في ثلث و
عشرين سنة وليس المراد ذلك بل المراد ما روي عن ابن عباس رضه انه
جملة انه نزل به جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا
فيبين نزاوله جبرائيل على السفرة ثم كان جبرائيل ينزل على النبي م مفرقا على
بحسب المصالح والسفرة جمع سافر بمعنى كاتب من السفر وهو الكتابة و
السفرة الكرام البررة هم الملائكة في السماء الدنيا والثالث ان السؤال
انما يرد لو كان ليلة القدر ظرفا للانزال على معنى ان الانزال وقع في ذلك الزمان
المعين وليس كذلك بل المعنى انا انزلناه في فضل ليلة القدر وبيان شرفها
وقدرها وهذا المعنى لا ينافي كونه الانزال مفرقا في ثلث وعشرين سنة
فان قيل ينبغي ان يقدح على الوجه الثاني انزلناه الى السماء الدنيا لان اطلاقه
يوهم الانزال الى الارض والى الرسول م لاخير لان انزاله الى السماء بمنزلة
انزاله الى الارض من حيث انه تعالى اذا شرع في امر يتمه لا محالة ومن حيث ان السماء

مطلب سورة انا انزلناه

التنجيم

الدنيا كالمشترك بيننا وبين الملائكة السفرة فهي لهم مسكن ولنا سقف و
زينة فانزال القرآن هناك كانزاله ههنا قوله وهي اوتار العشر الاخير من
رمضان ولعلها السابعة منها الجمهور على انها باقية متكررة في كل سنة
مختصة برمضان لقوله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن مع قوله تعالى
انا انزلناه في ليلة القدر فانهما يستلزمان ان يكون ليلة القدر في رمضان والا لا
يلزم التناقض ثم اختلفوا في تعيينها على ثمانية اقوال فقيل هي الليلة الاولى
من رمضان وقيل هي الليلة السابعة عشر منه وقيل التاسعة عشر وقيل
الحادية والعشرون وقيل الثالثة والعشرون وقيل الرابعة والعشرون وقيل
الخامسة والعشرون وقال ابي بن كعب من الصحابة السابعة والعشرون
وقيل التاسعة والعشرون والذي عليه معظم العلماء انها الليلة السابعة
والعشرون وذكروا فيها امارات ضعيفة احدها حديث ابن عباس ان
السورة ثلثون كلمة وقوله هي السابعة والعشرون منها ومنها ما نقل
ايضا عن ابن عباس انه قال ليلة القدر تسعة احرف وهو مذكور في هذه
السورة ثلث مرات فتكون السابعة والعشرين ومنها انه كان لعثمان ابن ابي
العاص غلام فقال يا مولاي ان البحر يعذب ماؤه ليلة من الشهر قال اذا
كانت تلك الليلة فاعلمني فاذا هي السابعة والعشرون من رمضان روى الحسن
عن النبي عم انه قال في ليلة القدر ان امارتها انها ليلة بلجة سمحة لا باردة
ولا حارة تطلع الشمس صبيحتها ليس لها شعاع وقال بلجت نفسي الكا
لحانت نقولها لا باردة ولا حارة بيانا لما قبله وقال عبيد بن عمير كنت
في ليلة السابع والعشرين في البحر فاخذت من مائه فوجدته عذبا سلسا
ومن قال انها هي الليلة الاخيرة من رمضان استدل بقوله عم ان الله في كل
ليلة من شهر رمضان عند الافطار الف الف عتيق من النار كلهم استوجبوا
العذاب فاذا كان اخر ليلة من شهر رمضان اعتق الله تعالى في ذلك اليوم بعدد
من اعتق من اول الشهر الى اخره ولان الليلة الاكمل وما ولد له ذكر فهي ليلة
الشكر والليلة الاخيرة ليلة الفراق كمن مات له ولد فهي ليلة صبر وقد علمت ما
بين الشكر والصبر فان الشاكر مع المزيد لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم
والصابر مع الله لقوله تعالى ان الله مع الصابرين قوله والداعي الى اخفائها ان يجتهد

يريد

يريدها اي كثرة كما اخفى رضاه في الطاعات حتى يرغبوا في الكل واخفى غضبه
في المعاصي ليحترزوا عن الكل واخفى وليه فيما بين الناس حتى يعظموا الكل و
اخفى المستجاب من الدعوات ليدعوه بكلها واخفى الاسم الاعظم
ليعظموا كل الليالي واخفى الصلوة الوسطى ليحافظوا على كل الصلوات واخفى
وقت الموت ليكون المكلف على احتياط في جميع الاوقات قوله وتسميتها
بذلك لشرفها على ان القدر بمعنى المنزلة والشرف نقل عن الزهري انه
قال ليلة القدر بمعنى ليلة العظمة والشرف من قولهم لفلان قدر عند
فلان اي منزلة وشرف ويدل على هذا الوجه قوله ليلة القدر خير من الف
شهر ثم ان القدر والشرف يحتمل ان يرجع الى العامل فيها على معنى ان من
اتى فيها بالطاعة صار ذا قدر وشرف ويحتمل ان يرجع الى نفس العمل على معنى
ان الطاعة الواقعة في تلك الليلة لها قدر وشرف او لتقدير الامور فيها
عن الواحدي ان القدر في اللغة بمعنى التقدير وهو جعل الشيء على مقدار غيره
من غير زيادة ولا نقصان وقد سميت بها لانها ليلة تقدير الامور والاحكام
عن ابن عباس ان الله تعالى قدر فيها كل ما يكون في تلك السنة من مطر ورزق
واحياء واماتة الى مثل هذه الليلة من السنة الاتية وسلم الى مدبرات
الامور من الملائكة وهم اسرافيل وميكائيل وعزرائيل وجبرائيل عم ونظيره
قوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم واعلم ان تقدير الله تعالى لا يحدث في تلك الليلة
فانه تعالى قدر المقادير قبل ان خلق السموات والارض بل المراد اظهار
تلك المقادير للملائكة في تلك الليلة بان يكتبها في اللوح المحفوظ وهذا
القول اختيار عامة العلماء وعن ابي بكر الوراق سميت ليلة القدر لانه
نزل فيها كتاب ذو قدر على لسان ملك ذي قدر على امة لها قدر ولعله تعالى
انما ذكر لفظ القدر في هذه السورة ثلث مرات لهذا السبب وقال الخليل
سميت ليلة القدر اي ليلة الضيق لان تضيق فيها الملائكة فالقدر بمعنى الضيق
كما في قوله ومن قدر عليه رزقه قوله وذكر الالف اما للتكثير فان العرب تذكر الالف
ولا تريد حقيقتها وانما تريد المبالغة في الكثرة كما في قوله تعالى يود احدهم لو يعمر
الف سنة يعني الدهر او لما روي عن مجاهد انه قال كان في بني اسرائيل
رجل يقوم الليل حتى يصبح ثم يجاهد حتى يمسي فعل ذلك الف شهر فتعجب

رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون من ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية لبيان أن ليلة القدر
لأمتك خير من ألف شهر ذلك الإسرائيلي الذي حمل السلاح ألف شهر وهي ثلاث
وثمانون سنة وأربعة أشهر وأصل تنزل تتنزل حذفت إحدى التاءين كراهة
اجتماع الأمثال قوله وما أدراك ما ليلة القدر أي وأي شيء أعلمك ما هي
أي إنك لا تعلم كنهها ولم تبلغ درايتك غاية فضلها ومنتهى علو قدرها
فإنها أعظم من أن تبلغها دراية أحد وما مبتدأ وأدراك خبره وما
في قوله تعالى ما ليلة القدر مبتدأ ثان وليلة القدر خبره ومحل الجملة النصب
على أنه مفعول ثان لأدرى ومفعوله الأول الكاف وأدرى مع معموليه خبر
الأولى كما شرع يبين فضيلة تلك الليلة من ثلاثة أوجه الأول قوله ليلة القدر
خير من ألف شهر والثاني من فضائل هذه الليلة قوله تنزل الملائكة والروح
فيها والوجه الثالث من فضائلها قوله تعالى سلام هي حتى مطلع الفجر قوله
وتنزلهم إلى الأرض هو الأظهر لأن الأحاديث دلت على أن الملائكة
ينزلون في سائر الأيام إلى مجالس الذكر فلا بد أن يختص التنزل في هذه الليلة مع
علو شأنها أولى لأن مطلق النزول لا يفهم منه إلا النزول من السماء إلى الأرض
وقيل إن الملائكة ينزلون بأسرهم إلى السماء الدنيا في ليلة القدر فإن
قيل إن الملائكة لهم كثرة عظيمة لا يحتملهم الأرض كلهم وكذا السماء فإنها
مملوءة بحيث لا يوجد فيها موضع قدم إلا وفيه ملك فكيف يسع الجميع سماء
واحدة وقد قال أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع قدم إلا
فيه ملك ساجد وراكع أو قائم قلنا إذا وقع التعارض بين الحجج وخبر
الواحد نصا يدل عليه الكل مع أنه لا تعارض ههنا لما روي أنهم ينزلون
فوجا فوجا فمن نازل وصاعد كأهل الحج فإنهم على كثرتهم يدخلون الكعبة
ومواضع النسك بأسرهم لكن الناس بين داخل وخارج ولهذا السبب
طال مدة المغاية طلوع الفجر ولذلك أيضا ذكر لفظ تنزل الذي يفيد
التدريج والمدة بعد المدة ثم قال لهم بأنهم ينزلون إلى الأرض اختلفوا
وسبب نزولهم على وجوه فقال بعضهم إن الله تعالى وعد في الآخرة بأن الملائكة
يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم ثم قال إنك لو اشتغلت في الدنيا
بعبادتي لتنزلت الملائكة حتى يدخلوا عليك للتسليم والزيارة فإن نظر

الملائكة

الملائكة إلى الأرواح ونظر البشر إلى الأشباح فكما أن البشر إذا رأوا صورة حسنة
قبلوه فإن لوا إليه فكذا الملائكة لما رأوا في روحك صورة حسنة وهي معرفة
الله وطاعته أحبوك ورغبوا في زيارتك وتمنوا التنزل لكن ينتظرون الإذن
كما قالوا وما نتنزل إلا بأمر ربك وقد أتى في هذه الآية بإذن ربهم فإنه يدل
على أنهم استأذنوا أولا فأذنوا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنهم ينزلون ليسلموا أو
ليشفعوا لمن أصاب تلك الليلة غفر له ذنبه وقيل إن الله تعالى جعل فضيلة
هذه الليلة في الاشتغال بطاعته في الأرض فهم ينزلون إلى الأرض لتصير
طاعتهم أكثر ثوابا كما أن الرجل يذهب إلى مكة لتصير طاعته هنالك أكثر ثوابا
فيكون الحق من الإخبار بنزولهم فيها ترغيب الإنسان في الطاعة ومن الناس
من خص لفظ الملائكة ببعض فرق الملائكة وهم سكان سدرة المنتهى و
عن كعب أن سدرة المنتهى فيها ملائكة لا يعلم عددهم إلا الله يعبدون
ومقام جبرائيل في وسطها ليس فيها ملك إلا وقد أعطي الرأفة والرحمة
للمؤمنين ينزلون مع جبرائيل ليلة القدر فلا يبقى بقعة من الأرض إلا وعليها
ملك ساجد أو قائم يدعو للمؤمنين والمؤمنات وجبرائيل لا يدع واحدا
من الناس إلا صافحهم وعلامة ذلك من اقشعر جلده ورق قلبه ودمعت
عيناه فإن ذلك من مصافحة جبرائيل ومن قال في تلك الليلة ثلاث مرات
لا إله إلا الله غفر له بواحدة ونجاه من النار بواحدة وأدخله الجنة بواحدة
وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال إذا كان ليلة القدر ينزل الملائكة الذين هم سكان
سدرة المنتهى فيهم جبرائيل ومعه ألوية ينصب لواء منها على قبري ولواء
على بيت المقدس ولواء في المسجد الحرام ولواء على طور سيناء ولا يدع
مؤمنا ولا مؤمنة إلا يسلم عليه إلا مدمن الخمر وآكل لحم الخنزير والمتضمخ
بالزعفران وأول من يصعد إلى السماء جبرائيل حتى يصير أمام الشمس
فيبسط جناحيه الأخضرين لا ينشرهما إلا تلك الساعة من تلك الليلة
ثم يدعو ملكا ملكا فيصعد الكل ويجتمع نور الملائكة ونور جناح جبرائيل
فيقيم جبرائيل ومن معه من الملائكة بين الشمس وملائكة الدنيا يومهم
ذلك مشتغلين بالدعاء والرحمة والاستغفار للمؤمنين ولمن صام رمضان
احتسابا فإذا أمسوا دخلوا السماء الدنيا فيجلسون حلقا حلقا فيجتمع

اليهم ملائكة السماء فيسألونهم عن رجل رجل وعن امرأة امرأة حتى يقولون ما فعل
فلان وكيف وجدتموه فيقولون وجدناه عام أول متعبدا وفي هذا العام
مبتدعا وفلان كان في العام الأول مبتدعا وفي هذا العام متعبدا فيكفون
عن الدعاء للأول ويشتغلون بالدعاء للثاني ويقولون وجدنا فلانا تاليا و
فلانا راكعا وفلانا ساجدا فهم كذلك في ليلتهم حتى يصعدون إلى السماء
الثانية وهكذا يفعلون في كل سماء حتى ينتهوا إلى السدرة فتقول لهم
السدرة يا سكاني حدثوني عن الناس فإن لي عليكم حقا وإني أحب من
أحب الله فذكر كعب أنهم يعدون لها الرجل والمرأة بأسمائهم وأسماء
آبائهم ثم يصل ذلك الخبر إلى الجنة فتقول الجنة اللهم عجلهم إلي والملائكة و
أهل السدرة يقولون آمين آمين وذكروا في الروح أقوالا أحدها
أنه ملك عظيم لو التقم السموات والأرضين كانت ذلك لقمة واحدة
وفي التيسير وينزل الروح في تلك الليلة وهو من تحت الأرض ورجلاه في
تخوم الثرى السابعة ورأسه تحت عرش الجبار وله ألف رأس كل رأس
أعظم من الدنيا وفي كل رأس ألف وجه وفي كل وجه ألف فم وفي كل فم ألف
لسان يسبح الله تعالى بكل لسان ألف نوع من التسبيح والتحميد والتمجيد ويتكلم
بكل لسان لغة لا تشبه الأخرى فإذا فتح أفواهه بالتسبيح خرت ملائكة
أهل سبع سموات سجدا مخافة أن يحرقهم نور أفواهه وإنما يسبح الله
غدوة وعشية فينزل تلك الليلة فيستغفر للصائمين والصائمات من أمة
محمد عليه السلام بتلك الأفواه كلها إلى طلوع الفجر وقيل إنه طائفة من الملائكة لا يراهم
الملائكة إلا ليلة القدر كالزهاد الذين لا تراهم إلا يوم العيد وقيل إنه خلق
من خلق الله يأكلون ويلبسون وليسوا من الملائكة ولا من الإنس و
لعلهم خدام أهل الجنة وقيل يحتمل أنه عيسى عليه السلام لأنه اسمه ثم إنه ينزل في
موافقة الملائكة ليطالع أمة محمد عليه السلام وقيل إنه القرآن كقوله تعالى وكذلك أوحينا
إليك روحا من أمرنا وقيل إنه الرحمة كما قرئ لا تيأسوا من روح الله بالضم
كأنه تعالى يقول الملائكة ينزلون ورحمتي تنزل في أثرهم فيجدون سعادة
الدنيا وسعادة الآخرة والأصح أن الروح ههنا جبرائيل وتخصيصه
بالذكر لزيادة شرفه كأنه تعالى يقول الملائكة في كفة والروح في كفة وقوله

بإذن ربهم يدل على أنهم يرغبون إلينا ويشتاقون فيستأذنون في النزول
إلينا فيؤذن لهم فإن قيل كيف يرغبون إلينا مع علمهم بكثرة ذنوبنا
قلت لا يقفون على تفصيل المعاصي روي أنهم يطالعون اللوح فيرون
فيه طاعة المكلف مفصلة فإذا وصلوا إلى معاصيه أرخي الستر فلا
يرونها فيقولون سبحان من أظهر الجميل وستر على القبيح ولأنهم يرون
في الأرض من أنواع الطاعات أشياء ما رأوها في عالم السموات أحدها
أن الأغنياء يجيئون بالطعام من بيوتهم فيجعلونه ضيافة للفقراء ويأكل الفقراء
طعام الأغنياء ويعبدون الله وهذا نوع من الطاعة لا يوجد في السموات
وثانيها أنهم يسمعون أنين العصاة وهو لا يوجد في السموات وفي الحديث
القدسي لأنين المذنبين أحب إلي من زجل المسبحين فيقولون
تعالوا نذهب إلى الأرض فنسمع صوتا هو أحب إلى ربنا من صوت
تسبيحنا كيف لا يكون أحب وزجل المسبحين إظهار كمال المطيعين
وأنين العصاة إظهار لغفارية رب العالمين ويجوز أن يكون الروح في
قوله والروح فيها مرفوعا بالابتداء وفيها خبره والجملة حال من ضمير
الملائكة ويجوز أن يكون مرفوعا بالعطف على الملائكة وفيها
متعلق بتنزل وضمير فيها لليلة قوله من أجل كل أمر قدر في تلك السنة من
خير وشر أو في بيان صلاح المكلف في دينه ودنياه على أن يكون كل أمر
بمعنى الدنيا والآخرة فإن قيل من فسر الليلة المباركة في قوله تعالى إنا أنزلناه
في ليلة مباركة بليلة القدر لما فيها من البركة والمغفرة للمؤمنين يمكنه
تفسير كل أمر قدر في تلك السنة من الأرزاق والآجال ونحوهما إذ لا
يلزمه المخالفة بين هذه الآية وبين قوله فيها يفرق كل أمر حكيم وأما
من فسر الليلة المباركة بليلة النصف من شعبان كما ذهب إليه
الأكثرون فإنه يلزمه أن تقدير الأعمال والأرزاق والآجال والمصائب
ونحوها يكون في ليلة النصف من شعبان لقوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم فإن
ضمير فيها يرجع إلى الليلة المباركة وقد فسرت بليلة النصف فكيف يمكنه
أن يفسر كل أمر في هذه الآية بما قدر في تلك السنة فإنه يلزم القول بأن
تقدير المقادير يكون في ليلة النصف وفي ليلة القدر قلنا يمكن ذلك أيضا

بناء على ان ههنا ثلثة اشياء الاول نفس تقدير الامور والاحكام اي تعيين
مقاديرها واوقاتها وذلك في الازل قبل ان يخلق السموات والارض والثاني
اظهار تلك المقادير للملائكة بان يكتبها في اللوح المحفوظ وذلك يكون في ليلة
النصف وثالثها اثبات تلك المقادير في نسخ وتسليم تلك النسخ الى اربابها
من المدبرات فتدفع نسخة الارزاق والنباتات والامطار الى ميكائيل
ونسخة الحروب والرياح والجنود والزلازل والصواعق والخسف الى
جبرائيل ونسخة الاعمال الى اسرافيل صاحب سماء الدنيا ونسخة المصائب
الى ملك الموت هذا ما تحصل من مواضع متعددة والله اعلم بحقيقة الحال
وقيل يقدر في ليلة البراءة الآجال والارزاق وفي ليلة القدر يقدر الامور
التي فيها الخير والبركة والسلامة وقيل يقدر في ليلة القدر ما يتعلق به اعزاز
الدين وما فيه النفع العظيم للمسلمين واما ليلة البراءة فيكتب فيها اسماء
من يموت ويسلم الى ملك الموت قوله ما هي الا سلامة اشارة الى ان قوله هي
مبتداء وسلام خبره ومعناه السلامة وتقديم الخبر يفيد الحصر كما في تميمي انا
اي لا يحدث فيها داء ولا شيء من الشرور والآفات كالرياح والصواعق و
نحو ذلك مما يخاف منه بل كل ما ينزل في هذه الليلة انما هو سلامة ونفع و
خير ولا يستطيع الشيطان فيها سوءا وفي الحديث الشيطان لا يخرج في هذه
الليلة حتى يضيء فجرها ولا يستطيع ان يصيب فيها احدا بخبل او داء او ضرب
من ضروب الفساد ولا ينفذ فيه سحر ساحر والليلة ليست نفس السلامة
بل ظرف لها ومع ذلك وصفت بالسلامة للمبالغة في اشتمالها عليها كما يقال
ابو فلان حج وغزو والمراد انه ابدا مشغول بهما ثم اشار الى احتمال ان يكون
السلام بمعنى التسليم قال الجوهري السلام السلامة والسلام الاسم
من التسليم والمعنى ان ليلة القدر من غروب الشمس الى طلوع الفجر او الى وقت
طلوعه سلام اي يسلم فيها الملائكة على المطيعين فان الملائكة ينزلون
فوجا من ابتداء الليل الى طلوع الفجر ولترادف النزول ولكثرة السلام
وتتابعها وصفت الليلة بانها سلام مع انها زمان التسليم لا نفسه الا
انه لكثرته وتوقعه فيها صارت كانها نفس التسليم فوصفت به كما قال رجل
عدل والخليل عم لما سلم عليه سبعة من الملائكة صار نار نمرود بردا و

سلاما

سلاما عليه فلا يبعد ان يكون النار الموقدة ببركة تسليم الملائكة على المؤمن بردا
وسلاما حتى تقول جهنم جز يا مؤمن فان نورك اطفأ لهبي لكن ضيافة
الخليل لهم انه عجلا مشويا وهم يريدون ما قلب مشويا قوله على انه
كالمرجع في انه مصدر ميمي جاء على خلاف القياس فان قياس المصدر الميمي من الثلاثي
ان يجيء على مفعل بفتح العين وكذا اذا كان المطلع بكسر اللام اسم زمان الطلوع
يكون على خلاف القياس فان قياس اسم الزمان من يفعل ويفعل بفتح العين
او ضمها ان يكون على مفعل بفتح العين فظهر ان مطلع الفجر بكسر اللام بخلاف
القياس سواء حمل على المصدر او على اسم الزمان ولا يجوز ان يكون المطلع بمعنى موضع
الطلوع اذ لا معنى له ههنا وفي الكشاف ان السلام بمعنى الف عزاى مثل سواء
كان بمعنى التسليم او السلامة ولا بد من هذا التقدير ليصح ان يكون حتى غاية له
ومتعلقة به لانه اذا حمل على المصدر لم يجز تعلق حتى به لانه يستلزم الفصل بين
الصفة والموصوف بالمبتدأ الذي هو قوله هي وذلك لا يجوز وقيل جاز ان يتعلق
الغاية بتنزل وفيه تعسف لان جملة سلام هي فصل بين العامل وبين
المعمول وهي اجنبية عنهما الا ان يقال انها في موضع الحال من الضمير المجرور في قوله
فيها اي تنزل الملائكة والروح فيها ذات سلام او سلامة فلا يكون اجنبية
عن العامل وفائدة الغاية تعميم السلام او السلامة على التقديرين لكل الليلة
وقيل تم الكلام عند قوله باذن ربهم ثم ابتدأ فقيل من كل امر سلام هي اي سلامة
من كل امر مخوف من بلاء وآفة وكيد شيطان حتى مطلع الفجر اي ذلك الى طلوع
الفجر فانهم كفروا بالالحاد في صفات الله بيان لوجه توصيف
اهل الكتاب بالكفر قبل بعثة نبينا عم وذلك ان طريق الكفر غير
منحصر بانكار الدين الناسخ وتكذيبه بل قد يكون به ككفر اليهود بتكذيب
عيسى عم وانكار دينه وقد يكون بانكار حكم من احكام اصل الدين والعدول
فيه عن الحق ككفر النصارى قبل بعثة رسولنا عم بالالحاد في صفات الله تع
والعدول فيها عن الصواب كما قالوا في صفة العلم انه اقنوم من الاقانيم
الثلثة انتقلت الى بدن عيسى عم ونحو ذلك قوله منفكين عما كانوا عليه من
دينهم فان قيل كيف يصح ان يفسر قوله تع منفكين بالانفكاك عن الكفر الذي
كانوا عليه حتى يكون معنى الآية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى

مطلب سورة البينة

تأتيهم البينة التي هي الرسول وانه يقتضي انهم صاروا منفكين عن كفرهم عند اتيان
الرسول عم واتفقوا عند ذلك على الايمان واتباع الحق الذي جاء به عم وذلك لان
كلمة حتى لانتهاء الغاية تقتضي ان تكون الحال التي بعد الغاية مخالفة للتي كانت
قبلها وقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة
يقتضي ان كفرهم قد ازداد عند مجيء الرسول عم ولا يخفى ان هذا المقتضى مناقض
لمقتضى الاولى بالتفسير المذكور وهذه المناقضة انما لزمت من ذلك التفسير
فيكون ذلك التفسير محالا او باطلا وجوابه ما اشار اليه صاحب الكشاف في محمل الاية
الاولى على كونها حكاية من الله تعالى لما كانوا يقولونه قبل بعثته عم وهو قولهم
لا ننفك عما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو
مكتوب في التورية والانجيل وهو محمد المصطفى عم وعلى اله واصحابه اجمعين
فاذا بعث نتفق على تصديقه ونجتمع على قبول دينه والدخول فيه قوله وما
تفرقوا الا من بعد ما بعث الزام عليهم بعد حكاية زعمهم الباطل وكلامهم
الزائغ على سبيل التوبيخ والتعيير اي كانوا يعدون الاجتماع على الحق وقت
مجيئه عم فكان ثمرته انما فرقهم عن الحق ولا اقرهم على الكفر الا مجيئه فاذا
كانت الاية الاولى مبنية على حكاية كلامهم لا اخبارا ابتدائيا منه تعالى عن حالهم وكانت
الاية الثانية وهي قوله تعالى وما تفرق الذين اه اخبارا عن الواقع ارتفع الاشكال
لان حاصل الايتين ان الذي وقع كان على خلاف ما وعدوا واما اذا فسرت
الاية الاولى بانه تعالى لم يكونوا منفكين عن الوعد باتباع الحق اذا جاءهم
الرسول الموعود في التورية والانجيل فلا اشكال ولا جواب ومن للتبيين
اذ ليس المقام مقام بيان حال بعض كل واحد من الفريقين ليحمل من على
التبعيض كما في قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان لان الكفار كانوا جنسين
احدهما اهل الكتاب كفرة اليهود والنصارى فانهم كفروا باحداثهم في دينهم
ما كفروا به كقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله وتحريفهم كتابهم وكتبهم
والثاني المشركون الذين كانوا لا ينسبون الى كتاب فذكر الله تعالى الجنسين بقوله
الذين كفروا على الاجمال ثم اردف ذلك الاجمال بالتفصيل والتبيين وهو قوله
من اهل الكتاب والمشركين وهو في محل النصب على انه حال من الواو في كفروا
كائنين منهم ومنفكين خبر كان من انفك الشيء اذا فارقه وانفصل عنه

فالمعنى

فالمعنى ان قلوبهم ما خلت عن كفرهم الذي كانوا عليه الى وقت البعثة والبينة
الحجة الظاهرة التي بها يتبين الحق من الباطل وذكر في تعيين المراد بالبينة في هذه
الاية احتمالات الاول انها هي الرسول فانه رسول باعتبار ادعائه الرسالة وتبليغه
عن الله تعالى وبينة واضحة على نبوته باعتبار استجماعه مكارم الاخلاق
الحميدة المرضية وبلوغه في ذلك الخصال حد الاعجاز واقصى درجات الكمال بحيث
افحم الحكماء المهذبين وعجزهم عن ان يتشبهوا بشيء من مكارم اخلاقه
والثاني انها هي القرآن والثالث ان المراد بها مطلق معجزاته عم وكون كل واحد
منها حجة واضحة على نبوته ظاهر حيث ان كل واحد منها يفحم من هو بصدد
المعارضة ويعجزه عن ان ياتي بما يوازيه قوله افحم من تحدى به اي [illegible]
من طلب منه ان ياتي بمثلها او قدح من شواهد نبوته يقال افحم الصبي في
البكاء فحوما وفحاما اذا بكى حتى ينقطع صوته وكلمته حتى افحمته اي اسكته
في خصومة او غيرها ويقال تحديت فلانا اذا باريته وعارضته في فعل و
نازعته الغلبة قوله بدل من البينة اي من غير تقدير مضاف فيكون بدل الكل
هذا على تقدير ان يراد بالبينة الرسول عم قوله او بتقدير مضاف مثل وحي رسول
او كتابه على تقدير ان يراد بالبينة القرآن او معجزة رسول من الله تعالى على تقدير ان
يكون المراد بها المعجزة وعلى التقديرين يكون من قبيل بدل الاشتمال ويكون قوله يتلو
صحفا صفة رسول وان جعل رسول مبتدأ مخصصا بقوله من الله يكون قوله
يتلو صحفا خبره وان جعل مخصصا بقوله يتلو صحفا يكون قوله من الله في موضع
النصب على الحال اما من صحفا او من المنوي في مطهرة ويكون خبر المبتدا
محذوفا والتقدير رسول يتلو صحفا مطهرة كائنة من الله كفى بينة او عظم
اجرا او وضح بينة وقوله فيها كتب قيمة مبتدا وخبر والجملة في محل النصب
على انها صفة لقوله صحف قوله والرسول وان كان اميا جواب لما يقال
كيف نسب تلاوة الصحف المطهرة الى الرسول مع انه كان اميا لا يكتب ولا يقرأ
عن كتاب وانما يقرأ ما اوحي اليه عن ظهر القلب وتوضيح الجواب انه عم وان كان
اميا يتلو ما اوحي اليه عن ظهر قلبه الا ان متلوه الذي هو القرآن لما كان
مصدقا للصحف الاولين مطابقا لها في اصول الشرائع والاحكام صار
متلوه كانه هو صحف الاولين وكتبهم فعبر عنه باسم الصحف مجازا او الصحف

جمع صحيفة وهي ظرف المكتوب ومحله فلذلك فسره الزمخشري بقوله قراطيس
ونقل عن الراغب ان الصحيفة اسم للمبسوط الذي كصحيفة الوجه والصحيفة
التي يكتب فيها وجمعها صحائف وصحف وقيل المراد بالرسول هو جبريل عم
فلا اشكال في نسبة تلاوة الصحف اليه لانه ليس اميا قوله وما تفرق الذين
اوتوا الكتاب عما كانوا عليه وهو كفرهم غير منفكين عن كفرهم بل ثابتين
مستقرين متفقين على ما كانوا عليه من دينهم الى وقت مجيء الرسول عم وما
فارقوا عما كانوا عليه من الاتفاق على الكفر بان تفرقوا فرقا بان صار
البعض منهم مؤمنا وبقي الباقون على الضلال القديم وبان تردد منكر
وتحير في دينه ومعتقده الاول وفي سائر الاديان بعد ما كان كل فريق جازما
بدينه معتقدا في حقيته فاليهود في يهوديته وكذا النصارى في و عبدة الاصنام
وبقي الباقون على كونه جازما بكونه القديم واشار المص بتفسير هذه الاية
على هذا الوجه الى دفع ما يتوهم من التناقض بينها وبين الاية الاولى كما
ذكرنا في اثناء بيان ما يتعلق بها ثم استبعد ما ذهب اليه صاحب الكشاف
من حمل الاية الاولى على كونها حكاية من الله تعالى لما كانوا يقولون قبل بعثته عم
بناء على انه حمله في الظاهر انها اخبار من الله تعالى عن حالهم ووجه الوقوف ان
مقتضى كلمة حتى ان يكون الحال بعد تحقق مضمون مدخولها بخلاف ما كان
قبل ذلك وهذه المخالفة حاصلة على هذا التفسير من غير احتياج الى حمل الاية
الاولى على الحكاية فان الحكم المغيا بالبعثة هو بقاء الجميع على الكفر الذي كانوا
عليه وعدم انفكاكهم عنه فاذا تفرقوا بعد البعثة بان امن بعضهم او تردد
في دينه فقد تحقق مقتضى كلمة حتى من غير لزوم التناقض بين الايتين لله دره
ما اوجز كلامه واخفى رموزه واشاراته او عن وعدهم اي ما تفرقوا عن
وعدهم بان الرسول الموعود اذا بعث يجتمعون على تصديقه واتباع دينه بسبب
ان اخلفوا الوعد واصروا على الكفر القديم قوله فيكون كقوله تعالى وكانوا من
قبل الاية تفريع على الوجه الثاني ووجه المشابهة بين الايتين اشتراكهما
في كونهما مسوقتين لتوبيخ من كفر بمن صدقه وعظم قدره قبل فان
من استفتح ثم اي طلب الفتح والظفر على اعدائه بحرمته ومكانته
عند ربه بان يقول اللهم انصرنا عليهم بحرمة نبيك الذي وعدتنا بعثته

ثم

ثم انهم لما بعث كفروا به لا شك ان كفر بمن صدقه قبل افحش كفر وعدوا بانهم
اذا بعث يتفقون على تصديقه ثم كفروا حين بعثته عم قوله للدلالة على شناعة
حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك اولى يعني ان المقصود من قوله تعالى
وما تفرق الذين اوتوا الكتاب توبيخهم على التفرق وتعييرهم بذلك وانكار
لفعلهم واهل الكتاب اولى واحق بهذا التعيير والتوبيخ لانهم كانوا عالمين
به وبحقيته من الموجود من نعته وصفاته في كتبهم فلذلك خصهم بالذكر فان
جحود العالم اقبح واشنع من انكار الجاهل ومن ان تفرق المشركين بعيد من
النصيحة تفرق اهل الكتاب بطريق الاولى لانهم اذا تفرقوا مع علمهم كان
غير العالم بامره اولى بالتفرق قوله اي في كتبهم بما فيها ثم واحد من حرفي الجر
متعلق بامروا والوجه في تقدير كل واحد من الظرفين لا يظهر الا بنقل كلام
الامام بعبارته وهو قوله في قوله وما امروا وجهان احدهما ان يكون
المراد وما امروا في التورية والانجيل الا بالدين الحنيفي فيكون المراد انهم كانوا
مأمورين بذلك الا انه تعالى لما اتبعه بقوله وذلك دين القيمة علمنا ان ذلك
الحكم كما انه كان مشروعا في حقهم فهو مشروع في حقنا وثانيهما ان يكون
المراد وما امر اهل الكتاب على لسان محمد عم الا بهذه الاشياء وهذا اولى
لثلثة اوجه احدها ان الاية على هذا التقدير تفيد شرعا جديدا وحمل
كلام الله على ما يكون اكثر فائدة اولى وثانيها وهو ان ذكر محمد عم قد تقدم
ههنا وهو قوله حتى تأتيهم البينة وذكر سائر الانبياء عم لم يتقدم وثالثها
انه تعالى ختم الاية بقوله وذلك دين القيمة فحكم بان ما هو متعلق بهذه الاية
هو دين قيم فوجب ان يكون شرعا في حقنا سواء قلنا بانه شرع من قبلنا
او شرع جديد اختص به نبينا عم انتهى كلامه المتعلق بان المراد بالامر
هو الامر الوارد عليهم بالسنة انبيائهم والامر الوارد بلسان نبينا محمد
وعليهم الا ان المص اختار خلاف ما اختار الامام من الوجهين كما لا
يخفى من ضعف كل واحد من الوجوه الثلثة التي ذكرها لبيان اولوية ما اختاره
وقال الامام في قوله ليعبدوا الله ان هذه اللام لام الغرض والمعتزلة
لما اجروا الاية على ظاهرها فقد قالوا معنى الاية وما امروا بشيء الا لاجل
ان يعبدوا الله على هذه الصفة واهل السنة لما احالوا ان يكون

فعلى أن أفعال الله تعالى لغرض بناء على أن من فعل فعله لغرض فهو ناقص في ذاته
مستكمل بذلك الغرض تعالى الله عن ذلك لم يمكن لهم حمل هذه الآية على ظاهرها
فاضطروا إلى تأويلها بأن جعلوا اللام صلة وأضمروا بعدها أن الناصبة
والتقدير وما أمروا إلا أن يعبدوا أي بأن يعبدوا وعن ابن عباس وابن مسعود
أنه قرأ كذلك قال الفراء العرب تجعل اللام في موضع أن في الأمر والإرادة كثيرا
قال الله تعالى في الإرادة يريد الله ليبين لكم أي أن يبين ويريدون ليطفئوا
نور الله وقال في الأمر وأمرنا لنسلم أي أن نسلم معناه أن نسلم والمصنف خالفهم
أيضا في الالتجاء إلى التأويل المذكور وحمل الآية على ظاهرها حيث قدر قوله
بما فيه ليكون المعنى وما أمروا في كتبهم لشيء من الأمور إلا لأجل أن يعبدوا
الله بالإخلاص على أن يكون الاستثناء من أعم العام ولم يحملها على
معنى ما أمروا في شيء إلا بأن يعبدوا الله بالإخلاص حتى يكون المأمور مذكورا
صريحا لكونه خلاف الظاهر حيث استلزم أن تجعل اللام صلة وإضمار
أن الناصبة والباء الجارة قبلها وكل ذلك خلاف الظاهر ولدلالة الكلام على أنهم
إنما أمروا في كتبهم بما أمروا لأجل عبادة الله تعالى بالإخلاص ليكون إشارة إلى أن
الحكمة الأصلية في جميع ما يؤمرون به هي العبادة بالإخلاص ليكون تحريضا
لهم على تحصيل هذه الحكمة وتوبيخا لهم على تعكيس أمرهم فإنه اتفق
ما فهم من الحكمة وهذا القرآن المجيد على دين التوحيد وإخلاص العبادة فهو
لم يوجب الاجتماع على قبوله والتدين بدينه والتجنب عن نفي الفتنة
والتفرق عنه وهم قد عكسوا الأمر فتركوا طاعته وأثبتوا لحكم وأمره
على أن من اليهود من قال عزير ابن الله ومن النصارى من قال عيسى
هو الله ومنهم من قال هو ابنه ومنهم من قال ثالث ثلاثة وعامة اليهود
مشبهة والكل شرك مخالف للتوحيد ومناف لإخلاص العبادة لله تعالى
هذا يحتمل أن يكون الشرك من أوصاف أهل الكتاب وعطف قوله والمشركين
في أول السورة من قبيل عطف الصفة على الصفة مع اتحاد الذات فإن قيل
كيف يتأتى للمصنف حمل اللام على ظاهره وجعل فعل الله معللا بالغرض
وهو لا يقول به قلنا فعله تعالى وإن لم يكن معللا بالغرض إلا أنه مغيا بالحكم
والمصالح وكثيرا ما يستعمل لام الغرض في الحكم المترتبة على الفعل تشبيها

لها في ترتبها على الفعل بحسب الوجود قوله مخلصين حال من الفاعل في
ليعبدوا وكذا حنفاء حال أخرى على قول من جوز حالين من ذي حال واحد
ومن المنوي في مخلصين على قول من لم يجوز ذلك وفيه حض على كونهم مأمورين
بما في كتبهم في عبادة الله بالإخلاص حيث قدر وما أمروا إلا لأجل أن يعبدوا
الله أي لأن يتذللوا ويعظموه غاية التذلل والتعظيم ولا يطلبوا في امتثال
ما كلفوا به شيئا آخر سوى التذلل لربهم ومالكهم كثواب الجنة والخلاص
من النار ويرد على ما ذهب إليه أهل السنة من أن العبادة ما وجب
كونها مفضية إلى ثواب الجنة أي الفوز والنجاة عن عذاب النار بل لأجل أنك
عبد وهو رب فلو لم يحصل في الدين ثواب ولا عقاب البتة ثم أمرك بالعبادة
وجبت لمحض العبودية ومقتضى الربوبية والمالكية وفيه أيضا إشارة إلى
أن من عبد الله للثواب والعقاب فالمعبود في الحقيقة هو الثواب والعقاب
بينهما والحق واسطة وبئس ما قيل من أن العرفان للعرفان فقد قال بالثاني ومن آثر
العرفان لا للعرفان بل للمعروف فقد خاض في لجة الوصول والعبادة هي التذلل
ومنه طريق معبد أي مذلل ومن زعم أنها الطاعة فقد أخطأ لأن جماعة
عبدوا الملائكة والمسيح والأصنام وما أطاعوهم ولكن في الشرع صارت
اسما لطاعة لله أديت له على وجه التذلل والنهاية في التعظيم والعبادة
بهذا المعنى لا يستحقها إلا من يكون واحدا في صفاته الذاتية والفعلية فإن
من له مثل لم يمكن أن يصرف إليه نهاية التعظيم فثبت بما قلنا أنه لا بد في
كون الفعل عبادة من شيئين أحدهما غاية التعظيم ولذلك قالوا صلاة الصبي
ليست بعبادة لأنه لا يعرف عظمة الله فلا يكون فعله غاية التعظيم لأنه
غير مأمور به فإذا لم يكن فعل الصبي عبادة لفقد التعظيم ولا فعل اليهود
لفقدان الأمر فكيف يكون ركوعك أيها الناقص عبادة والحال أنه لا أمر
ولا تعظيم فيه وهذه النكتة متعلقة بالموعظة والإخلاص أن يأتي بالفعل
خالصا لداعية واحدة ولا يكون لغيرها من الدواعي تأثير في الدعاء إلى
ذلك الفعل فكأنه تعالى يقول عبدي لا تسع في إكثار الطاعة بل في إخلاصها
لأني ما بذلت كل مقدوري لك حتى أطلب منك كل مقدورك بل بذلت
البعض فأطلب البعض أطلب نصف مثقال من عشرة مثاقيل من

الذهب وثلاثة من الارضين لكن القدر الذي فعلتم لم ارد بفعله سواك هو
الذي خلق لكم ما في الارض جميعا فلا تربط عملك بسواي واجعل جميع ما
تفعله لاجلي وهو قوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وجعل
جميع ما يأتيه من الطاعة خالصا لربه ينافي ان يستثني شيئا منها لنفسه
كان يطلب به الجنة او النجاة من النار فانه لا بد من ذلك وكالمباح الذي
يوجد منه في الصلوة كالحكة والتنحنح فاما ذلك حظ استثناه لنفسه
فانه يخل بالاخلاص فكيف اذا استثنى شيئا منها لغيره مثل ان يرجو الرياء
والسمعة حتى قال الوالد في العبادة عبادة اخذ الاجر لغيره مثل ان يريد
في خشوع الصلوة لان الشيخ يراه لم يجز لانه ينافي الاخلاص وكذا لا يجوز
دفع الزكوة الى الوالدين والمولودين ولا الى العبيد ولا الاماء لان نفع الاخراج
فاذا كان طلب صلة الوالدين والاولاد متضمن الى نية اصل القربة منافيا
للاخلاص فكيف يبقى الاخلاص اذا انضم اليه طلب حظ نفس وقضاء
شهوتك قوله ما يلين عن العقائد الزائفة اشارة الى ان اصل الحنف
الميل والانقلاب والاحنف الذي تقلب احدى ابهامي رجليه على الاخرى
وعن ابن زيد الحنف انقلاب ظهر القدم حتى يصير بطنا فالاحنف هو
الذي يمشي على ظهر قدميه مما يلي الذي يلي خنصره وقال الامام
وقيل المراد من قوله حنفاء اي مستقيمين والحنف هو الاستقامة وانما
سمي مائل القدم احنف على سبيل التفاؤل كقولك للاعمى بصير وللمهلكة
مفازة انتهى والمصنف جمع في تفسير مفهوم الحنف معنى الميل والاستقامة
لان الميل عن العقائد الزائفة انما يكون بالاستقامة فيها قوله دين الملة
القيمة لا بد من هذا التقدير لانه اذا لم يجر على هذا لزم من غير اضافة
الموصوف الى صفته التي بمنزلة اضافة الشيء الى نفسه كما في نحو صلوة الاولى
ومسجد الجامع فان تقديرهما صلوة الساعة الاولى ومسجد الوقت
الجامع فحذف المضاف اليه واقيمت الصفة الى مقامه والملة والدين متحدان
بالذات متغايران بالاعتبار فان الشريعة المبلغة الى الامة بتبليغ الرسول
اياها من قبل الله تعالى تسمى ملة باعتبار انها تكتب وتملى ودينا باعتبار
انها تطاع فان الدين الطاعة يقال دان له اي اطاعه والدين ايضا العادة

وان يدل ايضا الجزاء المكافاة يقال دانه دينا اي جازاه والهمزة المقادير
الاعتبارية بينهما جاز اضافة احدهما الى الاخر وعن الراغب ان الدين
اعم من الاسلام لانه يستعمل في الحق والباطل والاسلام لا يستعمل الا في الحق
قال الله تعالى ان الدين عند الله الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه
انتهى وهو لا ينافي اتحاد الدين والملة بالذات فيتم ان يكون الملة ايضا اعم
من الاسلام والمراد من القيمة اما المستقيمة او القائمة قال الزجاج القيمة
المستقيمة التي لا عوج فيها تبين الحق من الباطل من قام يقوم اصله قيومة
فادغم كما في سيد وهو كقولهم قام الدليل على كذا اذا ظهر واستقام
وعن الخليل ان القيمة جمع القيم والقيم والقائم واحد ومجاز الاية وذلك دين
القائمين لله بالتوحيد وعن الراغب ان القيمة ههنا اسم للامة القائمة
بالقسط المشار اليه بقوله تعالى كنتم خير امة وقوله تعالى كونوا قوامين شهداء لله
من قولهم قام فلان بالامر يقوم به اذا اجراه على وجهه ومنه قيل للقائم
بامر القوم القيم وبعض اهل الاديان لما بالغوا في باب الاعمال من احكام
الاصول وهم اليهود والنصارى والمجوس فانهم ربما اتعبوا انفسهم في
الاعمال ولكنهم ما حصلوا الدين الحق بتحصيل الاعتقاد المطابق وبعضهم
حصلوا الاصول واهملوا الفروع وهم المرجئة الذين يقولون لا يضر المعصية
مع الايمان فان الله تعالى خطأ هم الفريقين في هذه الاية وبين انه لا بد من العلم
والاخلاص في قوله مخلصين ومن العمل في قوله ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة ثم
قال وذلك المجموع كله هو دين القيمة اي الملة المستقيمة المعتدلة فكما ان
مجموع الاعضاء بدن واحد كذلك هذا المجموع دين واحد ثم القيم من يقوم بمصالح
من يعجز عن اقامة مصالح نفسه فكانه سبحانه وتعالى يقول القائم بتحصيل
مصالحكم عاجلا واجلا هو هذا المجموع قوله يوم القيمة او في الحال يريد ان
المراد بنار جهنم اما حقيقة النار واما ما يؤدي اليها من العقائد الزائفة و
الاعمال الباطلة بطريق المجاز المرسل كاستقرارهم فيها على الاول يكون يوم
القيمة وعلى الثاني يكون في الدنيا وذكر كفروا بلفظ الفعل والمشركين بلفظ
اسم الفاعل تنبيها على ان اهل الكتاب ما كانوا كافرين من اول الامر لانهم
كانوا مصدقين بالتورية والانجيل ومقرين بمبعث محمد ثم انهم كفروا

بذلك بعد مبعثه ام بخلاف المشركين فانهم ولووا على عبادة الاوثان وانكار
الحشر والقيمة قوله واشتراك الفريقين في جنس العذاب جواب عما يقال
ان المشركين كانوا ينكرون الصانع وينكرون النبوة وينكرون القيمة واما اهل
الكتاب فانهم كانوا مقرين بكل هذه الاشياء الا انهم كانوا منكرين لنبوة محمد فكان
كفر اهل الكتاب اخف من كفر المشركين واذا كان كذلك فكيف يجوز التسوية
بين الفريقين في العذاب وجوابه ان الفريقين لما اشتركا في اعظم الجنايات
وهو الكفر استحقا اعظم العقوبات وهو الخلود في نار جهنم فانها نار في موضع
عميق مظلم هائل لا معرفة البتة بل هو جهنام اذا كان بعيد القعر ولما كفروا
طلب الرفعة صاروا الى اسفل السافلين واشتراكهما في هذا الجنس من العذاب
لا يوجب اشتراكهما في نوعه قوله وقرأ نافع البريئة بالهمزة على الاصل لانه
من برأ الله الخلق براء فهو بارئ اي الموجد والمخترع من العدم الى الوجود
وقرأ الباقون بغير همزة على التخفيف كالنبي وهي فعيلة بمعنى مفعولة والقراءة
بالهمزة فان كان هو القياس والاصل الا ان ترك الهمزة اجود من حيث ان
جمهور العرب قد استمروا على تخفيف الهمزة فيه وفي النبي فكانت القراءة بالهمزة
كالشيء المرفوض المتروك المخالف للاستعمال وقيل هي من البرى وهو التراب
لانها خلقت منه ورد جاء قراءة من قرأها بالهمزة تدل على فساد قول
من قال انها من البرى الذي هو التراب لانه لو كان كذلك لما جاز قراءتها
بالهمزة البتة وتوسيط ضمير الفصل في قوله اولئك هم شر البرية لافادة
الحصر اي شر البرية هم دون غيرهم وكيف لا وهم شر من السراق لانهم
سرقوا من كتاب الله نعوت محمد وشر من قطاع الطريق لانهم قطعوا
طريق الدين الحق على الخلق وشر من الجهال الاجلاف لان الكفر مع العلم
يكون كفر عناد فيكون اقبح من كفر الجهال وظهر منه ان وعيد العلماء السوء
اعظم من وعيد كل احد ومن تاب منهم واسلم خرج من الوعيد وقيل
لا يجوز ان يدخل في الاية من مضى من الكفار لانا نعلم ان فرعون كان شرا منهم واما الاية
الثالثة الدالة على ثواب المؤمنين فعامة فيمن تقدم وتأخر لانهم افضل
الامم قوله تعالى وعملوا الصالحات مقابلة الجمع بالجمع فيفهم منها انه لا يكلف الواحد
بجميع الصالحات بل لكل مكلف حظه فحظ الغني الاعطاء وحظ الفقير الاخذ

والصبر

والصبر القناعة قوله تعالى جزاؤهم مبتدأ وجنات عدن خبره وفي الكلام حذف
المضاف اي دخول جنات وعند ظرف للجزاء وخالدين حال والعامل في الحال
كلام هي مضمر يدل عليه جزاؤهم والتقدير يجزون بها خالدين ولا يجوز ان
يكون ذو الحال الضمير المجرور في جزاؤهم كما زعم مكي محتجا بان المصدر هنا
ليس في تقدير ان والفعل حتى يلزم ان لا يفرق بينه وبين ما يتعلق به فانه يمتنع
ان يفصل بينه وبين ما تعلق به اذا كان بمعنى ان فعل وان يفعل وليس الامر
كما ذكره لان الاضافة منه جعلت عاملة فلا بد من ان يكون في تقدير ان و
الفعل واذا كان كذلك يقع الفصل بين المصدر الذي هو جزاؤهم ومعموله
الذي هو خالدين بالخبر الذي هو جنات عدن وذلك لا يجوز عند جميع النحاة
وابدا ظرف زمان وهو تاكيد للخلود اي لا يموتون فيها ولا يخرجون منها قوله
فيه مبالغات اي في اعلاء قدرهم واجلال شانهم وتقديم مدحهم على
بيان مصيرهم ومآلهم مع ان الكلام مسوق لبيان مآل الفريقين وعاقبة
امرهم مبالغة في اعلاء شانهم وانما قلنا ان الكلام مسوق لبيان عاقبة
الفريقين لانه تعالى لما ذكر حال الكفار بقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب
والمشركين اولا ثم ذكر ثانيا حال المؤمنين بقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله
مخلصين ثم اعاد في اواخر السورة ذكر الفريقين فبدأ بذكر الكفار واخبر
انهم في نار جهنم واتبع هذا الاخبار ذمهم بانهم شر البرية علم من ذلك ان
الكلام مسوق لبيان عاقبة الفريقين فكان المناسب ان يقدم بيان
عاقبة المؤمنين على مدحهم بانهم خير البرية فلما عكس هذا الترتيب
احتيج الى طلب النكتة في ذلك وكانت المبالغة المذكورة صالحة لان تكون
نكتة فحكمنا بانها هي النكتة فيه وفي دلالة جعل الجنات الموصوفة جزاء لهم على
تلك المبالغة ظاهرة لان دلالة الجزاء تدل على جلالة شانهم من حيث انه
بما وصفوا به من الايمان والعمل الصالح والحكم على ذلك الجزاء بانه عند
ربهم يدل على علو قدره وعلو قدره يدل على علو قدر صاحبه قوله وجمع جنات
فانه يدل ان لكل مكلف جنات كما يدل عليه قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان
ثم قال ومن دونهما جنتان فذكر للواحد اربع جنات والسبب فيه انه بكى من
خوف الله تعالى وذلك البكاء انما نزل من اربعة اجفان اثنان دون الاثنين

فهم

لأن سعيهم بجنتين دون الجنتين الحاصلتين لمن خاف لسعيه بالبكاء بأربعة
أجفانه وقوله تعالى بالجمع في قوله جزاؤهم عند ربهم جنات وهو يقتضي
مقابلة الجمع بالجمع فيكون لكل مكلف جنة واحدة لكن أدنى تلك الجنات مثل
الدنيا بما فيها عشر مرات كذا روي مرفوعا ويدل عليه قوله تعالى وملكا كبيرا قوله
وتقييدها بالإضافة فإنه يفيد أن يكون المعنى جزاؤهم بساتين إقامة لا يخرجون
منها ولا يبغون عنها حولا فإن العدن بمعنى الإقامة يقال عدن بالمكان إذا أقام
قوله ووصف بما يزداد لها نعيما فإن نقصان البستان وعيبه قد يكون بانعدام
الماء فيه وقد يكون بكثرة الماء فيه بحيث يغرق البستان فيه ثم إن الماء الجاري
أزيد لطفا وشرفا من الراكد فالله تعالى نفى النقصان بانعدام الماء عنها بأن
وصفها بأنها ذوات الماء ثم وصفها بما يزداد لها نعيما بأن جعل ماءها
جاريا ونفى نقصانها بكثرة الماء بقوله من تحتها واللام في الأنهار
للتعريف فيكون منصرفا إلى الأنهار المذكورة في القرآن نهر الماء ونهر اللبن و
نهر العسل ونهر الخمر وفي توصيفها بالجري بعد جعل الجنات الموصوفة
جزاء إشارة إلى مدحهم بالمواظبة على الطاعة فإنه تعالى يقول طاعتكم كانت
جارية ما دمت حيا على ما قال واعبد ربك حتى يأتيك اليقين فلذلك جعلت
أنهاركم جارية إلى الأبد ولعل المصنف أراد بالوصف في قوله ووصفا بما يزداد
نعيما الوصف المعنوي الذي هو أعم من الوصف النحوي لئلا يخرج كون المعانى
تلك الجنات بالنسبة إليهم دار الخلود عن الوجوه الدالة على المبالغة في ثبوت
الخلود في الجنة خير من الجنة كما أن رضاء الله في الجنة خير من الجنة ولما كان الخلود في م
المكلف مخلوقا من جسد وروح وأنه اجتهد بهما في طاعة ربه اقتضت
الحكمة أن يجزيه بما يتنعم ويستريح كل واحد منهما فجنة الجسد هي الجنة
الموصوفة وجنة الروح هو رضاء الرب فلذلك استأنف بيان حصوله
للمكلف في دار الكرامة بقوله رضي الله عنهم   إضافة الزلزال إلى
الأرض لما دلت على اختصاصها بها وتعرف سببها ولم يتبين أن ذلك
المعين المخصوص بها أي اضطراب هو بينه أو لأن الاضطراب الذي قدره تع
للأرض عند أحوال النفخة فإنه سبق في علم الله تعالى وقضائه أن تحرك
الأرض تحركا شديدا عند النفخة الأولى لفناء الدنيا وعند النفخة الثانية

مطلب سورة الزلزال

لبعث

لبعث الموتى أحياء من الأرض كما يخرج الولد من بطن أمه فقوله زلزالها مثل
قولك لأعطينك عطاءك أي إعطاء قدرتي في حبسي أن أعطيك إياه وثمة
ثان بأن تعريف الإضافة في زلزالها لإفادة العموم والاستغراق كتعريف
اللام في جموع الإنسان ينحصر في المصدر المضاف إذا لم يقصد به
العهد يفيد العموم فمعنى زلزالها جميع ما يمكن في حقها من الزلزال وجميع
ما يحتمله المحل من خصوصيات الاضطراب وثمة ثالث بأن تعريف الإضافة
فيه للإشارة إلى المعهود وهو المقدور اللائق بها في الحكمة وهو الزلزال الشديد
الذي يستحقه ويقتضيه كونها في غاية عظمها بالقياس إلى جبالها وتلالها
وتطير ما عليها كالهباء المنبث حتى تمد وتتسع لأهل الموقف من الجن والإنس
وصفوف الملائكة مع عظم جرمها وصلابتها فإنها لا تصير إلى هذه الغاية
إلا بزلزال شديد يصيرها كذلك فكان ما سواه ليس زلزالا بالنسبة إليها أي
نحو قولك أكرم التقي إكرامه وأهن الفاسق إهانته تريد ما يستحقانه
ويليق بهما من الإكرام والإهانة والزلزال بالكسر مصدر وبالفتح اسم بمعنى
المصدر وفعلال بالفتح لا يوجد إلا في المضاعف كالصلصال والقلقال وقد
تفتح فاء فعلال إذا كان بها ظلم وقسطال وهو الغبار وليس من المضاعف
وأما الخزعال فلغة ضعيفة واللغة الفصيحة فيه قعربش بالراء وهو الحجر
الصلب وأما بهرام وبسطام فعجميان قوله الدفائن والأموات فمن قال
المراد بهذه الزلزلة الأولى استدل بقوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها
الرادفة فإن المراد بالرجفة فيه ما يكون عند النفخة الأولى فهو حمل الأثقال
على الكنوز المدفونة في الأرض ومن قال المراد من الزلزلة الثانية حمل الأثقال
على الأموات وعلى القولين شبه ما في جوف الأرض من الدفائن والأموات بالبيت
وأثقالها فعبر عنهم بالأثقال مجازا روي عن عبيدة والأخفش أنه إذا
كان الميت في بطن الأرض فهو ثقل لها وإذا كان فوقها فهو ثقل عليها
وقيل للجن والإنس ثقلان لأن الأرض تثقل بهم إذا كانوا في بطنها ويثقلون
عليها إذا كانوا فوقها وقيل أثقال الأرض أسرارها فيومئذ يكشف الأسرار أسرار
ولذلك قال يومئذ تحدث أخبارها فتشهد لك أو عليك قوله لما بهرهم
من الأمر الفظيع الهائل يعني إشارة إلى أن الاستفهام ما لها للتفخيم

والثبور فان كل من رأى تلك الزلزلة الهائلة سواء كان ممن آمن بالبعث
والقيامة او كفروا انكروا يجوز ان يقول هذا القول بما يغلبهم من الهول وفرط
التحير حين ما غشيتهم واخذتهم زلزلة الساعة بغتة الا ان المؤمن يقول
بعد ما تدارك الامر ورجع اليه عقله وفكره ما وعد الرحمن وصدق المرسلون
واما الكافر فانه ظل الى ما شاء الله وحشر الى النار كيف الحال فراحتي للحيوة و
احبتي للموت وبهذا ظهر ضعف استدلال من خص هذا القول بالكافرين بان
المؤمن يعلم مالها فلا يجزع ولا يضطرب بل يتيقن بانها مقدمة البعث
الذي وعده الرحمن لان هذا التيقن لا ينافي الدهشة في اول الوهلة وما
لها مبتدأ وخبر وهي كلمة تعجب اي شيء زلزلت هذه الزلزلة الشديدة
ولفظت ما في جوفها من الاثقال يقولها تعجبا لما يراه من العجائب التي
لم يسمع بها الاذان ولا ينطق بها اللسان تحدث المخلوقات اشارة الى ان المفعول
الاول لتحدث محذوف وهو الخلق واخبارها مفعوله الثاني لان الاهم
لما كان ذكر تحديثها الاخبار لا ذكر الخلق قصد على المفعول الثاني وانما قلنا
ان الاهم ذلك لانه لما سأل عما لاجله زلزالها واخراجها كان المقام مقام
ان يبين حال الارض وتحدثها بان السبب الذي جرى على هذه الزلزلة
والاخراج ما هو ويكفي في هذا البيان ذكر الاخبار التي حدثت الارض بها ولا
حاجة الى ذكر الخلق لان الارض لكونها جمادا لا فهم لها ولا تمييز لها لم يمكن
ان يكون تحديثها بلسان الحال المتوقف على الحيوة والعقل بل ذلك ليس
الا بلسان الحال فان الارض لما بطلت حالتها الاولى واضمحل جميع ما
عليها بسبب الزلزلة دل ذلك على ان الدنيا قد انقضت والاخرة قد
اقبلت والمحاسبة والجزاء قد ادركت وقتها فلذلك وقف هذه
الزلزلة والاخراج وهذه الدلالة اقيمت مقام التحديث نفسه عنها به
وقال الجمهور ان الله يجعل الارض حيوانا عاقلا ناطقا وتعرفه
جميع ما عمل عليها ثم تشهد لمن اطاع وعلى من عصى روي عن ابي هريرة
انه قرأ هذه الاية فقال اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله
اعلم قال فان اخبارها ان تشهد على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها
تقول عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا فهذه اخبارها وقال مقاتل تخبر بما عمل

القدر

عليها

ا تقول م

عليها للمؤمن وحد الله على وصلى عليها وصام وحج وزكى وتقول للكافر كفر واشرك وسرق
وزنى عليّ وذلك الكافر انه سيق الى النار واذا عطف على قوله يومئذ ذكر انتصب
اذا وجهين الاول انها منصوبة بجوابها وهو تحدث ويومئذ بدل منها
فالعامل فيه هو العامل فيها والثاني انها منصوبة بمضمر نحو اذكر اذا زلزلت
او اذا زلزلت يظهر جميع احوال الخلق فيجازى كل واحد بما يستحقه ويدل
على هذا المحذوف ما بعد قوله يومئذ الى اخر السورة ثم يكون انتصاب يومئذ
بتحدث ويكون ظرفا لا بدلا لانه لا بد من ظرف اخر ولا يجوز ان يكون العامل
في اذا نفس زلزلت كما ذهب اليه مكي قياسا لها على من وما في نحو من
يضرب اضرب وما تفعل افعل لان ما بعدهما يعمل فيهما لانهما يكونان بمعنى اي ام
وانما قلت انه لا يجوز في اذا لان اذا مضاف الى الفعل الذي بعده والمضاف
مع المضاف اليه كالشيء الواحد فكما لا يجوز ان يعمل بعض الكلمة في بعض كذلك
لا يجوز ان يعمل المضاف اليه في المضاف وليس كذلك ادوات الشرط مع الفعل
لانها ليست مضافة الى الفعل فاعرف الفرق بينهما قوله تحدث بسبب ايحاء
ربك لها بان احدث فيها ما دلت على الاخبار اشارة الى ان الباء في بان
ربك اوحى لها سببية متعلقة بتحدث وان المعنى ايحاء الله الارض تسخيرها
وتذليلها بان جعلها على التحديث طائعة او كارهة ثم ان كان تحديثها بلسان
الحال فطريق تسخيرها على التحديث هو ان احدث فيها احوالا دالة على
الاخبار فمعنى تحديث الارض دلالة ما عليها من الاحوال الحادثة ومعنى
الايحاء احداث تلك الاحوال الدالة فيها وان كان تحديثها بلسان المقال يكون
طريق الايحاء والتسخير ايجادها وانطاقها بها وهو التحديث قوله او
بان حدثت كذا وبكذا اجرى على فعل كيف يكون بدلا من اخبارها وهو
مفعول التحديث عدى اليه الفعل بلا واسطة حرف فقوله بان ربك اوحى
بدلا منه كان هو المتعلق بالمفعولية وقد عدى اليه الفعل بواسطة الباء فاجاب
عنه بان كل واحد من الاستعمالين يصح فعدى الى البدل بواسطة الحرف
جريا على كل واحد من الاستعمالين مكانه قيل تحدث اخبارها تحدث ان ربك
اوحى لها او تحدث باخبارها بان ربك اوحى لها وعلى هذا الوجه كان النظم
ان يقال يومئذ تحدث خبرها بالافراد لان ما بعده لما كان بدلا عنه لزم

يكون الخبر الذي حدثت في الارض به هو ايحاء الرب تعالى وهو خبر واحد لا اخبار كثيرة
الا ان ايحاء الله تعالى اياها وان كان في نفسه خبرا واحدا لكنه لتضمنه معاني كثيرة
وفوائد عظيمة تنزل منزلة اخبار كثيرة فعبر عنه بلفظ الجمع وقد ورد ان
يقال ان فعل الايحاء يتعدى بالى كما في قوله تعالى واوحى ربك الى النحل فلم عدي في الآية
باللام ولم يقل اوحى اليها اجاب عنه اولا بانه معنى اوحى لها اوحى اليها كما في قوله
وشدها بالراسيات الثبت اوحى لها القرار فاستقرت وثانيا بان اللام
اصوم على معناها اي فعلت ذلك لاجلها حتى تتوسل الارض بذلك الى التشفي من
العصاة فقوله اوحى لها في ذلك تشفي من العصاة بيان لوجه كون الايحاء لاجل
الارض قوله من مخارجهم متعلق بقوله تعالى يصدر بمعنى ينصرف ويرجع فان الصدر
ضد الورود فالوارد الجائي والصادر المنصرف والمعنى فيرد ورود القبور
ودفنوا فيها ثم صدروا عنها الى موقف الحساب ليروا اعمالهم في كتبهم او يروا
جزاء اعمالهم متفرقين بحسب مراتبهم فان بعضهم يذهب به الى الموقف
راكبا مع الثياب الحسنة وبياض الوجه والمنادي ينادي بين يديه هذا ولي الله
واخرون يذهبون بهم بالذلة وسواد الوجه حفاة مع السلاسل والاغلال
والمنادي ينادي بين يديه هذا عدو الله وقيل معنى اشتاتا ان لا فرق مع
شكله اليهودي مع اليهودي والنصراني مع النصراني قوله ولعل حسنة الكافر
وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثران في نقص الثواب والعقاب جواب عما يقال
ان حسنات الكافر محبطة بكفره وسيئات المؤمن مغفورة اما ابتداء واما بسبب
اجتناب الكبائر فما معنى الجزاء بمثقال الذرة من الخير والشر وحاصل الجواب
الاول ان حسنات الكافر وان كانت محبطة بمعنى انه لا يستحق بها ثوابا الا
ان ذلك لا ينافي ان يرى جزاء تلك الحسنات بان ينقص من عقاب كفره بمقدار
تلك الحسنات وكذا سيئات المؤمن وان كانت مغفورة من حيث انه لا يعذب
بها الا ان ذلك لا ينافي ان يرى جزاءها بان ينقص به ثواب ايمانه وصالح
اعماله بمقدار تلك السيئات واحباط تلك الحسنات والسيئات لا يكون
قادحا في عموم هذه الآية وحاصل الجواب الاخير ظ واجيب عنه ايضا
بان معنى الآية فمن يعمل مثقال ذرة من خير وهو كافر فانه يرى ثواب ذلك في
الدنيا حتى يلقى الآخرة وليس له فيها خير ومن يعمل مثقال ذرة من شر وهو

مؤمن

مؤمن فانه يرى عقوبة ذلك في الدنيا في نفسه واهله وعياله وماله حتى يلقى الآخرة
وليس له فيها شيء وقال ابن عباس ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا او شرا
الا اراه الله تعالى اياه فاما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته واما
الكافر فيرد حسناته ويعذبه بسيئاته والذرة النملة الصغيرة وقال الكلبي
الذرة اصغر النمل وقال ابن عباس رضي الله عنهما اذا وضعت يدك على الارض ثم رفعتها
فكل واحد مما لزق بها من التراب ذرة على الوجهين مثقال ذرة يعني زنة
ذرة وقرأ هشام باسكان الهاء يره في الموضعين وصلا ووقفا وباقي السبعة
يقرؤنها باشباع ضمة الهاء اي موصولة بالواو وصلا وسكونها وقفا كـ
الكناية وهذه الآية نزلت ترغيبا في الخير لو كان قليلا فانه يوشك ان يكثر
وتحذيرا من الشر والذنب وان كان قليلا فانه يوشك ان يكون كثيرا ولهذا قال عم
اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة والله اعلم

مطلب سورة العاديات

قوله وهي جمع عادية وهي الجارية بسرعة من العدو وهو المشي بسرعة
والياء منقلبة عن الواو لكسرة ما قبلها نحو الغازية من الغزو والضبح
صوت يسمع من افواه الافراس واجوافها اذا عدون وهو صوت غير
الصهيل والحمحمة وذكر في انتصاب ضبحا ثلاثة اوجه الاول انه مؤكد لفعله المحذوف
اي تضبح ضبحا على تاويل العاديات بالجماعة او يضبحن جريا على لفظها وهذا
الفعل المقدر في موضع النصب على انه حال من العاديات والثاني انه مصدر مؤكد
للعاديات لان الشرط في المفعول المطلق الاتحاد في المعنى لا في اللفظ
والاتحاد في المعنى حاصل هنا لان الضبح لكونه من لوازم العدو صار مدلولا
التزاميا له فكان قوله والعاديات في معنى والضابحات فصح انتصاب ضبحا به على انه
مفعول مطلق والثالث انه حال من المنوي في والعاديات فقوله والعاديات ضبحا
اي ضابحة في العدو على ارادة الجماعة او ضابحات على اللفظ فقوله ضبحا من باب
رجل عدل وكذا الكلام في انتصاب قدحا فانه يجوز ان يكون مصدرا مؤكدا لفعله
المحذوف اي يقدحن قدحا والقدح الصك والضرب فان الخيل توري النار بحوافرها و
سنابكهن الحجارة فيخرج منها نار ويجوز ان يكون مصدرا للموريات لان الايراء في معنى
القدح اي يورين على الحجارة ويجوز ان يكون حالا من المنوي في الموريات
بان يكون المصدر بمعنى الفاعل اي قادحات وانتصاب صبحا على الظرف وقد ات اليم

بقوله اي وقت يغير اهلها في الغدو اشارة الى ان اسناد الاغارة الى الخيل مجاز
والمراد اربابها لانهم هم المغيرون لا الخيل ومعنى الاغارة في اللغة الاسراع يقال
اغار اذا اسرع وانما قالوا يغيرون في الغدو صباحا لانهم في الليل يكونون في
الظلمة فلا يبصرون شيئا واما النهار فالناس يكونون كالمستعدين للمدافعة
والمحاربة واما هذا الوقت فالناس يكونون فيه في الغفلة وعدم الاستعداد
قوله فاثرن به معطوف على ما قبله من الفعل الذي اسم الفاعل على معناه لان المعنى
واللاتي عدون فاورين فاغرن فاثرن واصله اثورن نقلت حركة الواو
الى الثاء قبلها وقلبت الواو الفا فصار اثارن فحذفت لاجتماع الساكنين فبقي
اثرن بوزن افلن يقال ثار الغبار اذا هاج واثرته اذا هيجته قوله غبارا
او صياحا قال الامام في النقع قولان احدهما انه هو الغبار وقيل ماخوذ
من نقع الصوت اذا ارتفع فالغبار سمي نقعا لارتفاعه وقيل من النقع في الماء
فكان صاحب الغبار غاص فيه كما يغوص الرجل في الماء والثاني ان النقع الصياح
من قوله عم ما لم يكن نقع ولا لقلقة اي فهيجن في الاغارة عليهم صياح النوائح
وارتفاع اصواتهن واختار المصنف ان ضمير به راجع الى الزمان الذي وقعت
الاغارة فيه وهو الصبح فيكون الباء بمعنى في وقيل انه يرجع الى المكان الذي وقعت
الاغارة فيه وذلك المكان وان لم يسبق ذكره صريحا الا ان قوله فالمغيرات صبحا
يدل عليه لان الاغارة لا بد لها من موضع فالباء ايضا للظرفية وقيل انه راجع
الى العدو المذكور بقوله والعاديات اي واثرن بالعدو نقعا فالباء للسببية قوله
في ضمير فوسطن به احتمال رجوعه الى النقع لقربه ذكرا على ان الباء متعلقا
بمحذوف منصوب على الحالية من المنوي في قوله فوسطن روي عن مقاتل ان
رسول الله عم بعث سرية الى حي من كنانة واستعمل عليهم المنذر بن عمرو احد
النقباء فمكث ما شاء الله ان يمكث ولم يأته خبرها فقال المنافقون قتلوا جميعا
فاخبر الله تع عنها بقوله تع والعاديات ضبحا ويعني بذلك سلامتهم وانهم
توسطوا في وقت الصبح جماعة الاعداء فاغاروا عليهم فظفروا عليهم فغنموا
سالمين وان المنافقين في ذلك كاذبون في قولهم انهم قتلوا جميعا وان جعلت الالف
واللام في والعاديات للعهد كان المقسم به خيل تلك السرية وان جعلتها
للجنس كان ذلك قسما بكل خيل عدت في سبيل الله واتصفت بالصفات المذكورة

وعلى

وعلى التقديرين فهي مستحقة لان يقسم بها لاتصافها بتلك الصفات الشريفة
قوله اثر كمالهن اعتبر اظهار لشرفهن اللازم لجعلهن مقسما بها فان
الاقسام انما يكون بما فيه شرف وكمال وعدوهن هنا مسارعتهن الى الارتقاء الى
درجات الكمالات الروحانية وضبحهن ما طرأ عليهن من التعب بسبب
اجتهادهن ومباشرة اسباب ذلك الارتقاء وقوله اذا ظهر لهن ظرف
لقوله والمغيرات على الهوى اي والمباعدات للرسوم البشرية والعادات الطبيعية
وقت الطلوع عليهم صبح العرفان وتجلى لهم انوار هذه صفة الجلال
والجمال قوله تع لربه متعلق بكنود قدم للفواصل اي انه لكنود لنعمة ربه عن
الواحدي ان اصل الكنود منع الحق والخير والكنود الذي يمنع ما عليه والارض
الكنود هي التي لا تنبت شيئا ثم للمفسرين عبارات في تفسيره قال ابن
عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة الكنود الكفور قالوا
ومنه سمي الرجل المشهور بكندة لانه كند اباه ففارقه وعن الكلبي ان الكنود
بلسان كندة العاصي لسيده وبلسان بني مالك البخيل وبلسان تميم الكفور وروى
ابو امامة عن النبي عم ان الكنود الذي يمنع رفده ويأكل وحده ويضرب
عبده واعلم ان معنى الكنود لا يخرج عن ان يكون كفرا او فسقا وكيفما كان
فلا يمكن حمله على كل الناس فلا بد من صرفه الى كافر معين على ما روي انها
نزلت في قرط بن عبد الله وقيل نزلت في حباب وكان رجلا بخيلا وكان من بخله
انه كان لا يخبز الا اذا نام الناس فاذا انتبهوا اطفأ ناره لئلا ينتفع
بها احد وكان في عصر حاتم الطائي المشهور بالسخاء واجتمع معهما
في عصرهما ثالث يقال له الشعيب وكان مشهورا بالطمع حتى اذا رأى
انسانا يحك عنقه يظن انه ينزع قميصه ليدفعه اليه ويؤيده قوله تع
افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور فانه لا يليق الا بالكافر المنكر لذلك الامر
وان حملناه على الكل يكون المعنى ان طبع الانسان كالمجبول على ذلك الا اذا عصمه
الله تع بلطفه وتوفيقه من ذلك قوله لظهور اثره عليه اشارة الى انه ليس
المراد حقيقة الشهادة لان قوله لشهيد ذكر مطلقا اي غير مقيد بزمان
فيدل على انه شهيد في عموم الاوقات وليس كذلك بل المراد انه شهد على
نفسه بالكنود لانه امر لا يمكنه ان يجحده وينكره فصار بذلك كانه شهد

اي التطلع

على نفسه ويتوب لك على نفسه في الآخرة ويعترف بذنوبه قوله او ان الله تعالى على ان
يكون من ضمائر الله تعالى وذكره بناء على ان الاصل في الضمائر ان يرجع الى اقرب ما ذكره
ما يصح ان يرجع اليه والاقرب في هذه الآية هو لفظ ربه فيكون الآية وعيدا وزجرا
له عن المعاصي من حيث انه تعالى يحصي عليه اعماله وفي الاول هي تاكيد لكونه كنودا
لنعمة ربه ويؤيد الاول ورجوع ضمائره الى الانسان ان ضمير قوله وانه لحب الخير لشديد
بعده راجع الى الانسان فناسب ان يرجع ضمائره التي قبلها الى الانسان ايضا ليحصل
حسن الانتظام ويحترز عن تفكيك الضمائر قوله جمع محصلا في الصحف
كائنة في متعلقه يجيء بقرينة ما في الكشاف فانه قال ومعنى حصل جمع في الصحف اي
اظهر محصلا مجموعا واصل التحصيل اخراج الشيء المستور باخذ المقصود منه
واخذه كاخراج اللب من القشر واخراج الذهب من حجر المعدن والبر
من التبن والدهن من اللبن ومن الورد وحكى والجمع الاظهار من لوازمه
قوله او ميز كما في الكشاف وقيل ميز بين خيره وشره ومنه قيل للمنخل المحصل اي
آلة التحصيل ويمكن التوفيق عن النخالة فانه لا بد من التمييز بين الواجب
والمندوب والمباح والمكروه والمحظور فان لكل واحد حكما على حدة
فتمييز البعض عن البعض وتخصيص كل واحد منها بحكمه الذي يخصه هو
التحصيل قوله وتخصيصه لان الاصل جوارح يعني قد لم خص اعمال القلوب
بالذكر في قوله تعالى وحصل ما في الصدور واهمل ذكر اعمال الجوارح قوله تابعة
لاعمال القلب فانه لولا البواعث والارادة في القلوب لما حصل افعال الجوارح
ولذلك جعل الله تعالى القلوب اصلا في المدح والذم حيث قال وجلت قلوبهم
وقال آثم قلبه والعامل في الظرف وهو قوله تعالى اذا بعثر لا يخلو من ان يكون
علم او يعلم او الخبير او مدلول قوله ان ربهم بهم يومئذ لخبير لا يجوز ان يعمل
فيه يعلم كما زعم قوم لان الانسان لا يراد منه العلم في ذلك الوقت وانما يراد منه
ذلك في الدنيا فلا بد ان يؤول النظم على وجه يفيد معنى قوله افلا يعلم الانسان
الآن ان الله تعالى عالم به اي بجميع ما عمله سرا وجهرا من خير وشر فيجازيه على
حسب ذلك ولا بعثر كما زعم آخرون لهذا الوجه ولان بعثر مضاف اليه اذا
والمضاف اليه لا يعمل في المضاف لانه بمنزلة ان يعمل بعض الكلمة في بعضه ولا
خبير لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها واذا كان كذلك ثبت ان العامل فيه مدلول

قوله ان ربهم بهم يومئذ لخبير اي افلا يعلم الانسان في الدنيا ان الله مجازيه اذا بعثر
او فلا يعلم علم الله اياه اذا بعثر فيكون هذا المدلول الذي قدر عاملا في اذا
سادا مسد مفعولي يعلم ويمكن ان ينصب قوله يعلم قال ان العامل في اذا هو
يعلم بان ما ذكر من الانسان لا يراد منه العلم في ذلك الوقت انما يرد اذا كان
ضمير يعلم راجعا الى الانسان وذلك غير لازم لجواز ان يرجع الى الله تعالى ويكون
مفعولا يعلم محذوفين والتقدير افلا يعلمهم الله تعالى عاملين بما عملوا اذا
بعثر على ان يكون العلم كناية عن المجازاة والمعنى فلا يجازيهم اذا بعثر و
يكون قوله ان ربهم بهم يومئذ لخبير تحقيقا وتقريرا لذلك المعنى وتصريحا بالوعيد
والتهديد وهذا معنى صحيح لاعتبار فيه وقوله يومئذ معمول لقوله لخبير و
حيلولة اللام بينهما لا تمنع من ان يعمل فيما قبلها لان حكم هذه اللام وحقها
ان يكون في اول الكلام كان ولكنها اخرت لاجل دخول ان على المبتدا حتى لا
يجتمع حرفا تاكيد فان قيل كيف صح ان يكون يومئذ ظرف الخبير مع انه تعالى
اختصاص علمه بهم بذلك اليوم والحال انه تعالى لم يزل عالما وينبغي ان يستقيم
جهرهما ابدا قلنا الكناية عن الجزاء وهو يقع يومئذ فاللام اختصاص
الجزاء بذلك اليوم والامر كذلك قوله فانما قال ما ثم قال بهم اشارة الى جواب
يقال عبر عن اهل القبور بما وهي في الاغلب لا تطلق الا على غير
العلم واطلقها تعالى على اولي العلم قليلا نادرا كما حكى ابو زيد سبحان ما سخركن لنا
وسبحان ما سبح الرعد بحمده وقال تعالى وما ملكت ايمانكم
والظاهر ان المثال الاول من قبيل ما استعمل فيه كلمة ما في صفات العالم
كما في قوله والسماء وما بناها فان المثال الثالث من قبيل قوله ام ليس
لك من الولاء الا ما اعتقت او اعتقوا عنك حيث عبر عن المعتق
بفتح التاء بلفظ ما وعن المعتق بكسر التاء بلفظ من الحاقا للرقيق الذي تعلق
العتق به بالبهائم من حيث انه محجور عن التصرف مثلها بخلاف المعتق بكسر التاء
فانه حي تميز على حالته الاصلية وهي الانسانية فعبر عنه بمن كذا افاده
الشريف الجرجاني في شرح الفرائض ثم انه تعالى عبر عن اهل القبور بصيغة العقلاء
حيث قال ان ربهم بهم ولم يقل ان ربها بها فما الحكمة في ذلك وجوابه انهم
ما داموا في القبور اموات وجمادات فعبر عنهم في تلك الحالة بما يعبر به

عن حد اولى العلم وانهم يوم القيمة اجلة عقلاء فصيرتهم بضمهم بمنزلة باعتبار
تلك الحالة تزينة للحالين حتى هي القرع الضرب بشدة واعتماد
ثم سميت الحادثة العظيمة من حوادث الدهر قارعة قال الله تعالى ولا يزال
الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة واتفقوا على ان القارعة اسم من
اسماء يوم القيمة ليجي بها اما لان الاجرام العلوية والسفلية تصطكان
اصطكاكا شديدا عند تخريب العالم بسبب تلك القرعة سمي يوم
القيمة بالقارعة او لانه تقع فيه الحالة التي تقرع الناس بالاهوال والافزاع
والسماء بالانشقاق والانفطار والشمس والقمر وسائر الكواكب بالانتثار
والجبال بالدك والنسف والارض بالزلزال والتبديل والخسف قال المص
في سورة الحاقة في تفسير قوله تعالى كذبت ثمود وعاد بالقارعة اي بالحالة
التي تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتثار قوله القارعة
مبتدأ وما مبتدأ ثان والقارعة خبره والجملة خبر المبتدأ الاول ووضعت
القارعة موضع الضمير العائد الى المبتدأ تفخيما لشأنها وافادة لزيادة
التهويل وتقدير الكلام القارعة اي شيء هي تعظيما لها وتفخيما حيث قال
وما ادريك اي اي شيء اعلمك ما القارعة فانها حادثة عظيمة وحالة
هائلة لا تحيط بها دراية دار وما الاولى مبتدأ وما الثانية مبتدأ ثان
والقارعة خبر المبتدأ الثاني والجملة في محل النصب على انها مفعول ثان
لادريك ومفعوله الاول الكاف وادريك مع ما في حيزه في محل الرفع على انه
خبر المبتدأ الاول فان قلت اذا اخبرت عن شيء بشيء فلا بد ان تفيد
علم زايدا وقوله وما ادريك يفيد كونك جاهلا فكيف يقول ان يكون
هو خبر المبتدأ قلت حصل لنا بهذا الخبر علم زايد لانا كنا نظن انها قارعة
كسائر القوارع وبهذا التخيير علمنا انها قارعة فاقت القوارع في الهول
والشدة والفراش جمع فراشة قال الزجاج هو الحيوان الذي يتهافت
في النار والمبثوث المفرق يقال بثه اذا فرقه شبه الله تعالى الخلق وقت
البعث في هذه الاية بالفراش المبثوث وفي الاية الاخرى بالجراد المنتشر
ووجه التشبيه بالجراد هو الكثرة والاضطراب وبالفراش المبثوث
اختلاف جهات حركاتهم فانهم اذا بعثوا فزعوا فيذهب كل واحد

مطلب تسمية القارعة

منهم

منهم الى جهة غير جهة الاخر كالفراش فانها اذا ثارت لا تتجه الى جهة واحدة بل
تختلف جهاتها وقيل الفراش غوغاء الجراد فان الجراد اذا صارت له اجنحة و
كادت تطير ولم تطر بعد فانه يسمى غوغاء وقد شبه الناس به عند البعث من
حيث انهم يموج بعضهم في بعض ويركب بعضهم بعضا من شدة الهول قوله و
انتصاب يوم بمضمر دلت عليه القارعة اي تقرع يوم يكون ويحتمل ان يكون مفعولا
لاذكر مضمرا وقيل القارعة مرفوع على انه خبر مبتدأ مضمر ويوم منصوب تقديره
ستاتي القارعة يوم يكون قوله كالصوف ذي الالوان فان الجبال مع كونها مختلفة
الالوان على ما قال ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود
اذا تفرقت اجزاؤها وازيلت التاليف والتركيب عنها تصير شبيهة بالعهن
وهو الصوف الملون بالوان مختلفة اذا جعل منفوشا متبدد الاجزاء وقال
الخليل النفش مدك الصوف حتى ينتشر ووجه الشبه هو اللون والتفرق جميعا
قوله بان ترجحت مقادير انواع حسناته اشارة الى ان الموازين جمع موزون
وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله تعالى وثقله رجحانه واضافة المقادير الى
الانواع من باب مقابلة الجمع بالجمع فتفيد انقسام الاحاد بالاحاد اي اذا ترجح
مقدار كل نوع من انواع اعماله الصالحة على مقدار ما يقابله ذلك النوع من
سيئاته يطيب عيشه قال المتكلمون ان نفس الحسنات والسيئات لا
يصح وزنها بل المراد ان الصحف المكتوب فيها الحسنات والسيئات توزن او تجعل
النور علامة الحسنات والظلمة علامة السيئات فيوزن النور والظلمة فايهما
يترجح عليها او يخف منها وقيل الموازين جمع ميزان وذكره بلفظ الجمع تعظيما
له وعن ابن عباس ان الميزان له لسان وكفتان يوزن به اعمال المكلفين
فيؤتى بحسنات المطيع في احسن صورة فترجح فالجنة له ويؤتى بسيئات
الكافر في اقبح صورة فتخف وزنه فيدخل النار وكيف لا يثقل ميزان حسنات
المطيع وانها في الدنيا كانت اثقل شيء على النفس وحق الميزان لا يوضع فيه
الا الحسنات ان يثقل وكذا المعاصي واتباع الباطل كانت اخف شيء على النفس
في الدنيا والميزان الذي لا يوضع فيه الا المعاصي والسيئات حق له ان يخف
قال مقاتل انما كان كذلك لان الحق ثقيل والباطل خفيف قوله فامه اي ب
قيل للماوى ام على سبيل التشبيه لان الماوى يضم اهله الى نفسه كما يضم

الام

ولو ها الى نفسها قوله ذات حمي على صيغة الفاعل النسبة للحدوث مثل تامر ولابن
والحمي اشتداد الحرارة يقال حمي التنور بكسر الميم حميا اي اشتد حره والمعنى
ان سائر النيران بالنسبة اليها كانها ليست حامية وهذا القدر كاف في التنبيه
على قوة سخونتها نعوذ بالله من انواع عذابه وعما يؤدي اليها قولا وفعلا
وخلقا والله اعلم بحقيقة الحال
والتفاعل
يستعمل على احد ثلثة اوجه الاول مفاعلة الاثنين فصاعدا والثاني التكلف في
اظهار ما ليس فيه نحو تعاميت عنه اذا تكلف العمى عنه ونحوه
التغافل والتمارض والثالث ان يستعمل بمعنى الثلاثي نحو تباعدت عنه الامر اي
بعدت عنه ولفظ التكاثر في هذه الآية يحتمل الوجهين الاولين فيحتمل ان يراد
مكاثرة الاثنين مالا او عددا بان يقول كل واحد منهما لصاحبه انا اكثر منك
مالا واعز نفرا ويحتمل تكلف الكثرة فان الحريص على الدنيا يتكلف جمع عمره
بتكثير ماله وكذا الحريص على الجاه وسائر طرق الهوى وتعريف التكاثر ليس
للاستغراق لان التكاثر والتفاخر في السعادات الحقيقية غير مذموم شرعا
اذا كان على طريق الاعتراف بنعم الله تعالى عليه وقصد الشكر لها وتشويقا
لغيره للاقتداء به كما في قوله واما بنعمة ربك فحدث ومن ذلك ما روي من
تفاخر العباس بان السقاية بيده وتفاخر شيبة بان المفتاح بيده الى
ان قال علي رض وانا قطعت خرطوم الكفر مثله فاسلم فشق ذلك عليهم
فنزل قوله تعالى اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله
واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله اي في الثواب
فتعين ان تعريف التكاثر قوله للعهد والمعهود هو التكاثر في الامور
الدنياوية والسعادات النفسانية فان اجناس السعادات ثلثة الاولى
السعادات النفسانية التي تطوف بالبدن من خارج وهي قسمان احدهما
ضروري وهو المال والجاه والآخر غير ضروري وهو الاقرباء والاعوان
وهذا الذي عددناه في المرتبة الثالثة افرادها كلها لاجل البدن بدليل انه اذا
تألم عضو من اعضائه فانه يجعل المال والجاه فداء له فان السعادات البدنية
تكون اصلا بالنسبة اليها وهي انما تقصد لاجله والسعادات البدنية ايضا
انما يقصدها العقلاء للسعادات النفسانية فان الشخص ما لم يكن

صح

صحيح البدن لم يتفرغ لاكتساب السعادات النفسانية الباقية التي هي اصل السعادات
اذا عرفت هذا فنقول العاقل ينبغي ان يكون سعيه في تقديم الاهم على المهم
والتفاخر بالمال والجاه والاقرباء والاعوان تفاخر باخس المراتب من
اسباب السعادة والاشتغال به والسعي في تكثيره يمنع الانسان من تحصيل السعادات
النفسانية كالعلم والعمل فيكون ذلك ترجيحا لاخس مراتب السعادة على
اشرفها وذلك عكس الواجب وضد الحق فلهذا السبب ذمهم الله تعالى
بقوله تعالى الهاكم التكاثر اي شغلكم التكاثر بكل ما يكون من الدنيا ولذاتها وشهواتها
عن السعادات النفسانية المؤدية الى السعادة الابدية فان اصل الالهاء
الصرف الى اللهو والعبث والتكاثر اذا صرف العبد الى اللهو يكون العبد
منصرفا اليه ومعلوم ان الانصراف الى الشيء يقتضي الاعراض عن غيره فتفسير
الهاكم عن كذا بشغلكم تفسير له بما يلزم اصل معناه الا انه صار حقيقة عرفية
بالغلبة قوله اذا استوعبتم عدد الاحياء اشارة الى ان قوله تعالى حتى زرتم المقابر كناية
عن معنى حتى انتقلتم من ذكر الاحياء عند تفاخركم بالعدد الى ذكر الاموات
والنكتة في هذه الكناية التهكم بهم لان زيارة القبور شرعت لتذكير الموت
وترك الدنيا والاعراض عن المباهاة بها وهؤلاء عكسوا الامر حيث جعلوا
زيارة القبور وسيلة الى المباهاة بالدنيا وكثرتها فعلى هذا يكون المراد
بالتكاثر في الآية التكاثر في العدد والكثرة واورد ما روي في سبب نزول هذه
السورة من ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا وادعى كل واحد منهما انهم
اكثر عددا تأييدا لكون المراد التكاثر في العدد قوله فكثرهم بنو عبد مناف
اي غلبوهم بالكثرة من قولهم كاثرناهم فكثرناهم اي غلبناهم بالكثرة على
ما ذكر في باب المغالبة انهم اذا ارادوا الاخبار بالغلبة في الفعل نقلوا الافعال
اللازمة من باب فعل بضم العين الى باب نصر ويذكرونه بعد فاعل مسندا
الى الغالب فيه نحو كارمني زيد فكرمته اي غلبته في الكرم فغلبتم فيه و
مثله كاثرناهم وقول بني سهم ان البغي اهلكنا اي بغي الاعداء والقتال معهم
اهلكنا فعدوا مجموع احيائنا وامواتنا مع مجموع احيائكم فلم ترضوا حتى
انتقلتم الى ذكر الاموات مفتخرين بهم فكانه تعالى يتعجب منهم انفسهم ويقول هب
انكم اكثر منهم عددا فماذا ينفع ذلك بل الذي يشغلكم تحصيل الكمالات

الثانية وقيل المراد بالتكاثر التكاثر بالمال واستدل عليه بما روي انه عليه السلام
يقرأ هذه الآية الهيكم التكاثر ويقول بعدها يقول ابن آدم مالي مالي و
هل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت ولبست فابليت او تصدقت
فامضيت فعلى هذا يكون قوله حتى زرتم المقابر بمعنى متم فانه كثيرا ما يعبر عن
الموت بزيارة فيقال لمن مات زار قبره فمعنى الآية الهيكم حرصكم على تكثير اموا لكم
عن طاعة ربكم حتى اتاكم الموت وانتم على ذلك الله اعلم قوله واغا حذف
الملهى عنه ضمير عنه راجع الى الالف واللام في الملهى والمعنى انما حذف الذي
الهي عنه وعلل الحذف بعلتين الاولى تعظيم الملهى عنه وهو ما يعنيهم
من امر الدين فان عظمة الشيء تكون باعتبار عدم ذكره كما ان في النفس
المفعول عنه عظمة الفاعل يخوفهم الخارجي اذ تقله الامر وانه المبالغة
والتعميم لان ما حقه ان يشتغلوا به فانه لم يذكر الملهى عنه ليذهب الوهم فيه
كل مذهب فيدخل فيه جميع ما يحتمله المقام مثل الهيكم التكاثر عن ذكر الله تعالى
وعن الواجب والمندوب مما يتعلق بالقلب كالعلم والتفكر والاعتبار او بالجوارح ح
كانواع الطاعات حتى عن التدبر في امر القيامة والاستعداد لها قبل الموت
ان نظرت الى قبل هذه الآية وعن التدبر في امر القبر واهواله ان نظرنا الى
ما بعد الآية فالمعنى الهيكم التكاثر عما يسعدكم في القبر وينجيكم من شدائده
فنسيتم امره حتى زرتموه اذ عاينتم ما وراءه كما قال الحسن لا يغرنك كثرة
من ترى حولك فانك تموت وحدك وتبعث وحدك وتحاسب وحدك
قال الله تعالى ويأتينا فردا ولقد جئتمونا فرادى وتركتم ما خولناكم وراء ظهو ركم
وهذا يمنعكم عن التكاثر فلذلك رد الله تعالى على الذين الهاهم التكاثر بالعدد
والاموال والاولاد وردعهم بقوله كلا اي ليس الامر كما يتوهم هؤلاء من ان
نصر الانسان وسعادته بكثرة اعوانه وقبائله وامواله واولاده فكلمة كلا
ردع عن الاشتغال بما لا يعنيه وفي الردع عنه تنبيه على الخطاء الذي
يدل عليه ما بعد كلا قوله تكرير للتأكيد اي لتأكيد الردع والانذار فهو ردع
بعد ردع ووعيد بعد وعيد الا ان الثاني لما كان اشد من الاول وابلغ منه
جيء بينهما بكلمة ثم قوله او الاول عند الموت في وقت ما يبشر به المحتضر من
جنة او نار او في القبر حين يسئل منكر ونكير بقولهما من ربك وما دينك

ومن

ومن نبيك والثاني عند النشور حين ينادي المنادي شقي فلان شقاوة لا
سعادة بعدها وحين يقال وامتازوا اليوم ايها المجرمون ففي هذا لا يكون
التكرير للتأكيد لحصول التغاير بينهما بتغاير زمان العلمين ومتعلقيهما فانه يلحق
في كل واحد من الزمانين نوع آخر من العذاب واعادة كلمة الزجر والردع
من حيث انها عقبت في كل موضع بشيء ما عقب به في الموضع الآخر اذ قال
لا تعلمون كذا فانكم تستحقون به من العذاب كذا لا تعلمون كذا فانكم تستحقون جبوه
به ضربا آخر من العذاب والزجر المعلل يتعدد باعتبار تعدد علته ويكون
كلمة ثم جيء بها من المهلة لبعد ما بين الموت والنشور وكذا ما بين
القبر والنشور وفي قوله سوف تعلمون خطاء رأيكم وقوله اي لا تعلمون ما بين
ايديكم من رؤية الجحيم وغيرها من الاهوال اشارة الى ان تعلمون في المواضع
الثلثة بمعنى تعرفون حيث قدر له مفعولا واحدا ولم يقدر له واحد بالجعل
المفعول نفس العلم لا بيان متعلقه لم يكن بعيدا قوله علم الامر اليقين
اشارة الى ان اليقين صفة موصوف محذوف فيكون اليقين بمعنى المتيقن به
والنصب على نزع الخافض واتفق المفسرون على ان جواب لو محذوف واختلفوا
في تقديره فقيل تقديره لو تعلمون علم اليقين لما الهاكم التفاخر والتكاثر وقيل لو
علمتم ماذا يجب عليكم لتمسكتم به وقيل لو علمتم لاي امر خلقتم لاشتغلتم به
فحذف الجواب للتفخيم اي لتفخيم التهويل فانه اذا حذف الجواب يذهب الوهم
كل مذهب فيكون التهويل اعظم بناء على ان كل واحد من تلك المذاهب
المختلفة مما يجب ان يصرف المكلف ما في وسعه من الاهتمام اليه وان يحصله
مع انه لم يلتفت الى شيء من ذلك ولم يحصله قط بحكم احد ما كونه جواب لو و
بحثه وما يكون جوابه يجب كونه غير حاصل لعدم حصول الاول ولا شك ان من
ترك واجبات كثيرة عظمت جنايته فيعظم خوفه هذا على تقدير ان يكون
الجواب غير متعين عند المخاطب بل ذهب ذهنه بسبب الحذف الى مذاهب
محتملة واما اذا كان متعينا عنده وان كان محذوفا فالحذف حينئذ يكون
لتفخيم ذلك المحذوف من حيث ان عدم ذكره يفيد له ابهاما
فيكون حذفه بمنزلة ذكره منكرا ولو ذكر منكرا لفهم منه التفخيم فكذا اذا
كان مفهوما من الكلام على وجه الابهام قوله ولا يجوز ان يكون قوله لترون

الجحيم جواب لانه لا يحصل لهم هذه الرؤية لانه ما كان جواب لو اذا كان مثبتا يدل على
بل الكلام على انتفائه وان كان منفيا يدل على ثبوته بناء على ما اشتهر من ان
لو يفيد امتناع الثاني لامتناع الاول وقوله لترون الجحيم مثبت فلو جعل جوابا
لكان المعنى انكم لا ترونها لكونكم جاهلين وهو غير صحيح فان قيل المراد من هذه
الرؤية رؤيتها بالقلب في الدنيا وهذه الرؤية لا تحصل لهم في الدنيا فصح ان
يكون جواب لو على معنى لو تعلمون اليوم في الدنيا ما بين ايديكم علم الامر المتيقن
لترون الجحيم بعيون قلوبكم ثم لترونها عين اليقين عند معاينتها بعين
الراس قلنا فعل الرؤية اذا تعلق بالاعيان المرئية يكون الظاهر ان يراد به رؤية
العين لا رؤية القلب وترك الظاهر خلاف الاصل ومما يدل على ان قوله لترون
الجحيم لا يصح ان يكون جواب لو عطف ثم لتسألن يومئذ عن النعيم عطف عليه وهو
اخبار عن امر كائن لا محالة ولا يخفى ان عطف ما هو كائن لا محالة على ما لا يتحقق ولا
يوجد قبيح في النظم **قوله** بل هو جواب قسم محذوف فاللام في لترون لام جواب
القسم والقسم لتأكيد الوعيد وافادة ان ما اوعدهم في قوله تعالى سوف تعلمون
مما لا ريب فيه وابهم ما وعدهم في ذلك القول تهويلا للوعيد بكونه مبهما محتملا
لامور متعددة ثم اوضح ذلك بقوله لترون الجحيم وذكر في فائدة التكرير ثلثة
اوجه الاول انه لتأكيد الوعيد والثاني ان كيف تقتضي كون تلك الرؤية اشد اثرا
اي انكم لو علمتم ولا تكم لما رأيتموه ولكنكم تحملون على رؤيتها شئتم او ابيتم
والثالث ان الرؤية الاولى من البعيد فانها تبرز للغاوين فيرونها وهم في
الموقف كما قال الله تعالى وبرزت الجحيم للغاوين والرؤية الثانية اذا صاروا الى
شفيرها وعاينوا نفس الحفرة وما فيها من الحيوانات المؤذية وكيفية
السقوط فيها والتي كانت من البعيد رؤيتها ببعض خواصها واحوالها
مثل رؤية لهيبها ودخانها ولا شك ان الرؤية الثانية اجلى واكشف فلذلك
خصت بانها نفس اليقين حيث قيل ثم لترونها عين اليقين وان لك
ان المراد بالرؤية الاولى رؤية القلب وهي المعرفة وبالثانية رؤية العين
وهذه المعرفة لا تختص بمن اصر على كفره بل هي
الهاكم التكاثر بالتكاثر عن النظر في امور دينهم واحوال معادهم الا عند الموت
وفي القبر وعند البعث الى ان عاينوها لكونها محققة الوقوع في تلك الاوقات

يعني ثان

١٢٠

من ان يكون لترون الجحيم بمعنى لتعرفن فيها جواب قوله لو تعلمون كما مر واما اذا
معناه لتعرفنها في الدنيا ولا يمكن ان يقال هذه المعرفة متحققة الوقوع فلا يجوز
ان يكون لترون الجحيم بهذا المعنى جواب لو واما قلت انه لا يمكن ان يقال ذلك
لان الكلام فيمن الهاهم التكاثر عن النظر في امر الدين فلا يكون معرفة البعث
والمجازاة بالجنة والجحيم حاصلة لهم فلا يمكن ان يقال معرفة الجحيم في الدنيا
محققة الوقوع بالنسبة اليهم حتى يتفرع عليه عدم جواز كونه جواب لو فظهر
بهذا ان تعليل المص عدم جواز ذلك بكون رؤية الجحيم محققة الوقوع مبني على
ان يكون الرؤية بمعنى الابصار لا بمعنى المعرفة **قوله** اي الرؤية التي هي نفس اليقين
اشارة الى انتصاب عين على انه صفة مصدر لترونها اي لترونها رؤية هي
عين اليقين ولعله جعل الرؤية التي هي سبب اليقين نفس اليقين مبالغة
وقيل انتصب عين اليقين على انه مصدر من غير لفظ الفعل محمول على المعنى لان
رأى بمعنى عاين **قوله** والخطاب مخصوص بكل من الهاه دنياه عن دينه مثل
كفار مكة الذين نزلت هذه السورة في حقهم ومن شاركهم في هذا الوصف
ملحق بهم سواء كان من فسقة المؤمنين او الكفرة فيسألون يوم القيمة
عن شكر ما كانوا فيه من الخير والنعمة ولم يشكروا رب النعم حيث اتبعوا
شهوات انفسهم واتخذوا اهواءها الههم ثم يعذبون على ترك الشكر حتى
يظهر لهم ان الذي ظنوه سبب السعادة لهم هو الذي كان من اعظم اسباب
الشقاوة لهم في الاخرة ويلزمهم ان يكون النعيم مخصوصا بما يشغله عن طاعة
الله والاشتغال بشكره والذي يدل على هذا التخصيص امران الاول القرينة
فان ما سبق من الخطاب كان للملهاة دنياه فكذا هذا والثاني النصوص و
منها ما روي ان ابا بكر رض لما نزلت هذه السورة قال يا رسول الله ارأيت
اكلة اكلتها معك في بيت ابي الهيثم الانصاري من خبز شعير ولحم
عناق وبسر قد ذنب وماء عذب اتخاف ان يكون من النعيم الذي يسأل عنه
فقال عم انما ذلك للكفار ثم قرأ وهل نجازي الا الكفور هكذا رواه الامام
وهو يدل على ان السورة مدنية والاكثرون على انها مكية وروى ابو الليث
هكذا ان ابا بكر سأل رسول الله عم عن اكلة اكلها معه في بيت ابي الهيثم
فقال يا رسول الله اخاف عليك ان يكون هذا من النعيم الذي يسأل عنه

فقال عم انما ذلك للكفار ثم قال في الثالث ان يسأل الله تع العبد عنها يوم القيمة
ما يوارى به عورته وما يقيم به صلبه وما يكنه بستره من الحر والقر وهو سؤال
بعد ذلك من النعيم قوله وتحريره ان الخطاب عام للكافر والمؤمن من الصالح
والفاسق والنعيم عام لكل نعمة فالاظهر انه عن شكر ما انعم الله عليه
ام كفر لما روي عنه عم ان اول ما يسأل عنه العبد يوم القيمة من النعيم
ان يقال له الم نصحح جسمك ونرويك من الماء البارد وروي ايضا لا تزول
قدما عبد حتى يسأل عن اربع عن عمره فيما افناه وعن ماله من اين اكتسبه
وفيم انفقه وعن شبابه فيما ابلاه وماذا عمل بها وقيل اعظم النعم
سوغ الاشياء ما ياكله ويشربه ويسهل عليه اذا خرج وقيل النعم صحة
الابدان والانتفاع بما في الحواس فيسأل الله تع العبد فيما استعملها
وهو اعلم بذلك منهم ونحو ذلك قوله تع ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك
كان عنه مسؤلا فان النفس الانسانية في مبدأ الخلقة خالية عن العلوم
والمعارف فالله تع اعطاها هذه الحواس ليستفيد بها العلوم ان فقد اعطاها ها
السمع لتسمع مواعظ الله والبصر لتبصر دلائل الله والفؤاد ليتفكر عظمة
الله فسأل في اي امر استعملها فظهر ان الخطاب عام للكافر والمؤمن لكن
الكافر يسأل توبيخا لانه ترك الشكر ويسأل المؤمن تشريفا لانه شكر واطاع
وفي التيسير ان كلمة ثم في قوله ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم للترتيب في الاخبار
لا في الوجود فان السؤال بانك اشكرت ام كفرت في تلك النعم يكون في موقف
الحشر قبل دخول النار وقيل هو بعد دخولها يسأل الكافر فيها سؤال
توبيخ كقوله تع كلما القي فيها فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير وقوله تع
ما سلككم في سقر فيسأل الكافر فيها ليضطر الى الاعتراف بالتقصير
في شكرها وبقصر همته على استيفاء اللذات الفانية كاكل الطعام
الشهية ولبس اللباس البهية وركوب المركب السنية وسكون المساكن
العالية مشتغلا بانواع اللهو والطرب وبما نهاه عن تحلية النفس بالفضائل
العلمية والعملية وقائلا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير فيقال
لهم قد استوفيتم ما ادخرتم من الحظوظ ونسيتم لقاء يومكم هذا
فيكم الله حتى يفنيكم في عذاب الهون   اقسم الله بصلوة

مطلب سورة العصر

العصر لفضلها فانه كثيرا يطلق العصر ويراد به صلوة مقاتل اذن للعطار لصلوة
العصر وصليت العصر اي صلوته ودليل فضلها قوله عم الصلوة الوسطى صلوة
العصر فثبت به انها افضل الصلوات لان تخصيص الصلوة الوسطى بعد قوله
حافظوا على الصلوات تنصيص على فضلها وقوله عم من فاتته صلوة
العصر فكانما وتر اهله وماله اي فهو كمن صار موتورا بان قتل اهله واصيب
ماله فلم يدرك يوم قتله وضمان ماله الجوهري الموتور الذي قتل له قتيل فلم
يدرك بدمه وروي ان امرأة تصيح في سكك المدينة وتقول دلوني على النبي عم
فراها رسول الله عم فسألها ماذا حدث قالت يا رسول الله ان زوجي
غاب عني فزنيت فجاءني ولد من الزنا فالقيت الولد في دن من الخل
مات ثم بعت ذلك الخل فهل لي من توبة فقال عم اما الزنا فعليك الرجم بسببه
واما القتل فجزاؤه جهنم واما بيع الخل فقد ارتكبت به الكبيرة لكن
ظننت انك تركت صلوة العصر في هذا الحديث اشارة الى تفخيم امر
هذه الصلوة لان اسواق العرب انما تقوم وقت العصر لانه وقت ارتفاع
الحرارة بسبب انبساط الحيطان على الارض فكان بذلك وقت تجارتهم
وكسبهم والاشتغال بتحصيل اسباب معاشهم فكان اداء صلوة العصر اشق
على المكلفين وادائها اكثر وقد ثبت ان افضل الاعمال اشقها وقوله عم من
حلف بعد صلوة العصر كاذبا لا يكلمه الله ولا ينظر اليه يوم القيمة ولا يزكيه
او بعض النبوة وهو زمان بعثته عم الى انقراض منه في اخر الزمان
واصح ما ذهب الى هذا القول بقوله عم انما مثلكم ومثل من كان قبلكم من
الامم مثل رجل استاجر اجراء فقال من يعمل من الفجر الى الظهر بقيراط
فعملت اليهود ثم قال من يعمل من الظهر الى العصر بقيراط فعملت النصارى
ثم قال من يعمل من العصر الى المغرب بقيراطين فعملتم انتم فغضب اليهود و
النصارى وقالوا نحن اكثر عملا واقل اجرا فقال الله تع وهل نقصت
من اجركم شيئا قالوا لا قال فهذا فضلي اوتيه من اشاء فكنتم اقل عملا و
اكثر اجرا فهذا الخبر دل على ان العصر هو الزمان المختص به وامته فلهذا
اقسم الله تع ايذانا بشرفه فاذا كان الزمان الذي هو كالظرف لها وجريان
شرعه ودينهم بهذه المثابة من الشرف فقس عليه شرف نفس المظروف

في رواية البخاري رحمه الله عن سالم بن عبد الله عن ابيه انه سمع رسول الله عم يقول
انما بقاؤكم فيمن سلف قبلكم من الامم كما بين صلوة العصر الى غروب الشمس اوتي
اهل التورية التورية فعملوا بها حتى اذا انتصف النهار ثم عجزوا فاعطوا قيراطا
قيراطا ثم اوتي اهل الانجيل الانجيل فعملوا الى صلوة العصر ثم عجزوا فاعطوا
قيراطا قيراطا ثم اوتينا القرآن فعملنا الى غروب الشمس فاعطينا قيراطين
قيراطين فقال اهل الكتابين اي ربنا اعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين
واعطيتنا قيراطا قيراطا ونحن كنا اكثر عملا قال الله تعالى هل ظلمتكم من
اجركم من شيء قالوا لا قال فهو فضلي اوتيه من اشاء قوله او بالدهر و
استعمال لفظ العصر في مطلق الزمان وهو الدهر كثير شايع ويجوز ان يقسم
لما فيه من انواع العجايب بحسب اختلاف فصوله وتعاقب ليله ونهاره
واختصاص كل واحد منها بحكم يختص به انتظاما لاحوال المخلوقات وفيه ما
هو اعجب من كل عجيب وهو ان العقل لا يقدر ان يحكم عليه لا بالوجود ولا بالعدم
اما انه لا يقدر على ان يحكم بعدمه لانه يطرد عليه القسمة الى السنين و
الشهور والايام والساعات ويحكم عليه بالزيادة والنقصان والمطابقة
كونه ماضيا ومستقبلا فكيف يكون معدوما واما انه لا يقدر على ان يحكم
بانه موجود فلان هذه الامور لا يطرد على الزمان الحاضر لانه غير قابل للقسمة
والماضي والمستقبل معدومان فيكون ما يتركب منهما معدوما ايضا فكيف
يمكن الحكم عليه بالوجود ولان بقية عمر المرء لا قيمة له فلو ضيعت الف سنة
ثم تبت في اللحظة الاخيرة من العمر بقيت في الجنة ابد الاباد فظهر لك ان اشرف
الاشياء حيوتك وتلك اللحظة فيكان الدهر والزمان من جملة اصول النعم فلذا
اقسم الله تعالى بهما نقلت كه بيشي شقيق بلخي بيرى آمد وكفت كه بسيار
معصيتها كرده ام اكنون آمده ام كه توبه كنم شقيق كفت دير آمدى وى كفت زود
آمده ام شقيق كفت جكونه بير كفت هركه بيش از مرك آيد زود آمده باشد
شقيق كفت زود آمدى ونيكو كفتى وهذه الرواية يؤيد ما ذكرنا ان اللحظة البا
اشرف الاشياء لمن تاب فيها قوله والتعريض بنفي ما يضاف اليه الخسران
بالجر عطف على الاشعار وقوله اي انه تعالى اقسم بالدهر لكونه والتعريض بنفي ما
ينسبونه اليه بمثل قولهم وما يهلكنا الا الدهر ووجه التعريض انه تعالى لما

اقسم به علم انه كساير مخلوقاته التي اقسم بها في السور المتقدمة مما يتعلق بخلقه
حكمة عظيمة ومصلحة مهمة وانه بمعزل عن ان ينسب اليه شيء من الحوادث
كما ظنه الدهرية والالهان شريكا له ومفوضا عنده فلذا يقسم به والخسر
والخسران بمعنى مثل الكفر والكفران ومعناه النقصان وذهاب راس
المال فان راس المال في حق جنس الانسان هو نفسه وعمره فهو في جميع
سعيه وصرف عمره في المطالب مهلك نفسه ومضيع عمره الا المؤمن العامل مر
فانه ما اهلك عمره وماله لانه اكتسب بهما سعادة الابد فربحوا في تجارتهم
حيث ظفروا بالشريف الباقي في مقابلة الجنس الفاني قوله والتعريف للجنس
بشهادة الاستثناء فانه تقرر ان صحة الاستثناء من جملة ادلة العموم و
الاستغراق والتنكير للتعظيم اي لفي خسر عظيم لا يعلم كنهه الا الله تعالى والذنب
يعظم اما لعظم من في حقه الذنب او لانه في مقابلة النعم العظيمة وكلا الوجهين
حاصلان في ذنب العبد في حق ربه فلا جرم كان ذلك الذنب في غاية العظم
قوله وهذا من عطف الخاص على العام اي ذكر التواصي بالامرين بعد ذكر
العمل الصالح مع ان العمل الصالح كما يتناول ما يتعلق بتكميل نفسه يتناول
ايضا ما يتعلق بتكميل غيره كالتواصي المذكور للمبالغة في فضله وشرفه بايذان
بانه امر مغاير للمعطوف عليه خارج عنه لو لا انه من غاية شرفه وذلك مثل
عطف جبرئيل على الملائكة لذلك وان خص العمل بما يتعلق بتكميل نفسه فقط
كما هو ظاهر ان يقصد به تكميل غيره لا يكون عطف وتواصوا من قبيل عطف الخاص
على العام بل يكون على ظاهره وهو عطف احد المتغايرين على الاخر وهو
الاظهر ولعله تعالى انما ذكر سبب الربح وهو الامور الاربعة الايمان والعمل الصالح و
التواصي بالحق والتواصي بالصبر فانه تعالى لما استثنى من اتصف بهذه الاربعة
عن الكون في خسر اشعر ذلك كون الاوصاف الاربعة علة للاستثناء المذكور
وسبب الربح من استثني وفي جانب الخسران اقتصر على ذكر الحكم وهو الخسر
ولم يذكر سببه فلا يتجه طلب الفرق بينهما تصريحا في بيان الفرق بان
المقام اهم الفوز بالسعادات الابدية وهو معرفة اسبابه لحصول الخسر و
معرفة اسبابه فانه لا يتعلق به قصد قاصد ما كثفي ببيان المقتضي ببيان
الفوز لم يتعرض بغير المقتضي مع ان التصريح المذكور يتضمن الاشعار باسباب

الخسران ما هي من حيث انه لما علق الفوز بهذه الاوصاف الاربعة تحول ذلك
انه عند انتفائها ينتفي الفوز بالمطلوب وهو الخسران كما روي عنه انه قال
الناس رجلان عالم ومتعلم وسائر الناس همج لا خير فيهم صح ثم بان من لا علم له
حتى يعمل بمقتضى علمه ثم لم يكن مشتغلا بتوصية غيره فهو همج ساقط عن درجة
الانسانية وهذا تصريح بما اشعر به سابق الكلام من ان في تعداد مسالب اهل
العيب والنقص ينافي مقتضى الكرم فلذلك لم يفصل اسباب الخسران وهذه
الاية فيها وعيد شديد من حيث دلالتها على ان الانسان لا ينجو من الخسران بتكميل
خاصة نفسه بل لا بد مع الاهتمام بشان غيره بنصيحته وامره بالمعروف ونهيه
عن المنكر وكرر التواصي ليتضمن الاول الدعوة الى الحق والثاني الثبات عليه
او الاول الامر بالمعروف والثاني النهي عن المنكر   في الصحاح اللمز
العيب واصله الاشارة بالعين ونحوها يقال لمزه يلمزه وقرئ بهما قوله تعالى
ومنهم من يلمزك في الصدقات ورجل لماز ولمزة اي عياب ثم قال والهمز مثل
اللمز والهامز والهماز العياب والهمزة مثله ثم قال لهزه بالرمح طعنه في
صدره ولهز الفصيل ضرع امه اذا ضربه براسه عند الرضاع قال الهزم
التكسر تقول تهزم السقاء اذا يبس فتكسر وهزمت الجيش هزما
وهزيمة فانهزموا انتهى كلامه وللمفسرين الفاظ في تفسيرهما قال ابن عباس
الهمزة المغتاب واللمزة وقيل الهمزة باليد واللمزة باللسان وقيل الهمزة بالمواجهة
واللمزة بظهر الغيب وقيل الهمزة ما يكون جهرا واللمزة سرا بالحاجب و
العين وقيل لابن عباس من الهمزة واللمزة قوله يهددهم الله بالويل فقال هم
المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للناس العيب وجميع
هذه الوجوه متقاربة راجعة الى اصل واحد وهو الطعن واظهار العيب
فذكر المص خلاصة هذه الوجوه فقوله تعالى لمزة بدل همزة والتاء فيهما
للمبالغة في الوصف كالتي في علامة وراوية ولذلك يقال رجل همزة وامراة همزة
وقد اطرد ابنية فعلة بضم الفاء وفتح العين لمبالغة الفاعل اي للمكثر
المعتاد لما اخذ الاشتقاق وان سكنت العين يكون لمبالغة المفعول
يقال رجل لعنة اذا كان يلعنه الناس وضحكة اذا كانوا يضحكون منه
بان يكون مسخرة لهم فالاول الذي يفعل بغيره والثاني هو الذي يفعل به غيره

سورة الهمزة

ولما

ولما بولغ في وصفهم بان عبر عنهم بصيغة فعلة بولغ في جزائهم ايضا وهو النبذ
في الحطمة فان الحطمة الكسر فلذلك عبر عن النار بصيغة فعلة ودل على ان ذلك
شانها وعادتها كما ان ذلك الوصف دابهم وعادتهم فجوزوا جزاء وفاقا
لاعمالهم وزاد وعيدهم بان توعد بكسر الاضلاع بكسرهم للاعراض بان
يعبر عن الجزاء بلفظ النبذ المنبئ عن الاستحقار والاستقلال في
مقابلة ظنهم بانفسهم انهم اهل الكرامة والكثرة ونظيره قوله تعالى فاخذناه
وجنوده فنبذناهم في اليم شبههم استحقارا لهم واستقلالا لعددهم
بحصيات اخذهن آخذ في كفه فطرحهن في البحر قوله ونزولها في الاخنس بن
شريق وكان يلمز الناس ويغتابهم وخاصة رسول الله ... وقال مقاتل نزلت
في الوليد بن المغيرة كان يغتاب النبي ... من ورائه ويطعن عليه في وجهه
وقال المحققون ان الوعيد الذي في هذه السورة عام لكل من يفعل هذا
الفعل كائنا من كان وذلك لان خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ و
قال قوم انه مختص باناس معينين كالاخنس والوليد وامية بن خلف
... عموم اللفظ لا ينافي ان يكون المراد منه شخصا معينا كما لو قال لك احد لا
ازورك فتقول له كل من لم يزرني لا ازوره تريد به من تخاطبه فقط لا كل
احد وتقرر في اصول الفقه انه يجوز تخصيص العام بقرينة العرف ونحوه و
لا يخفى انه لا حاجة الى هذا التكلف قوله بدل من كل او ... محله جر او
نصب باضمار اعني او مرفوع بتقدير هو وعلى التقادير فهو وصف معنى
... وصفه الله تعالى بهذا الوصف لانه يجري مجرى السبب للهمز واللمز من
حيث انه اعجب بنفسه بما جمع من المال وظن ان كثرة المال سبب لعز
المرء وفضله فلذلك استنقص غيره ولم يجعله وصفا نحويا لكل لانه
نكرة والنكرة وان تخصصت بالاضافة الى النكرة لا يصح توصيفها بالموصول
قوله وجعله عدة على ان يكون قوله وعدده ماخوذا من العدة و
الذخيرة المعدة لحوادث الدهر المال السلاح يقال اعددت الشيء
لكذا وعددته اذا جعلته عدة وذخيرة وقوله او عده مرة بعد اخرى
على ان يكون ماخوذا من العدد وهو الاحصاء ونقل الى بناء فعّل لتكثير
الفعل كما في جمع على قراءة التشديد فان جمع المخفف انما يدل على مجرد

صدور الجمع منه ولا يدل على تعدده وتنوعه وتكرره وأما جمع المشدد فإنه يدل
على كثرة الجمع وتعدده بأن جمع من هاهنا في أزمنة متعددة متطاولة قوله
ويؤيده أنه قرئ وعدده على أن يكون العدد اسما مضافا إلى ضمير المال بمعنى
مقدار المعدود وانتصابه بالعطف على قوله مالا فالمعنى الذي جمع مالا
وضبط عدده وإحصاءه على أن يكون جمع عدد المال عبارة عن ضبط
عدده وكناية عن كثرته وقيل وعدده بفك الإدغام فعل نصب به الضمير
المتصل بمعنى وعدده فيكون معطوفا على جمع وعلى تقديريه يؤيد قراءة التخفيف
أن عدده بالتشديد مأخوذ من العد بمعنى الإحصاء قوله تركه خالدا في
الدنيا وجه قوله تعالى يحسب أن ماله أخلده متضمن أوجه والمراد بالخلود في
جميع تلك الوجوه الخلود في جميع الدنيا والحياة حقيقة في الوجه الأول
واستعارة تمثيلية في الوجهين الأخيرين والظاهر أن قوله تعالى يحسب أن ماله
أخلده استئناف على الوجه الأول وجملة حالية من المنوي في جمع على الوجهين
الأخيرين ويجوز أن يكون جملة حالية على جميع التقادير وتقرير الوجه الأول
على تقدير أن يكون الجملة استئنافا أنه لما قيل جمع مالا وعدده فكأنه قيل
ما باله يجمع المال ويهتم به ويترك بسبب الاستعداد لما بعد الموت
فقيل إنه يوقن بأن الحياة والسلامة عن الأمراض والآفات تدور على
مراعاة الأسباب الظاهرة يحسب أن المال سبب خلوده في الدنيا حتى
أن نابت نائبة يتداركها بالمعالجات المناسبة لو فيها فاهتم بما يحسب
سببا وهو الخلود في الدنيا وتقرير المعنى على تقدير أن يكون الجملة حالية
قريب من هذا التقرير ووجه الاستعارة في الوجه الثاني أنه ليس ممن
يحسب الخلود حقيقة لكن شبه حاله في حب المال واستغراق همه بجمعه
وتكثيره ونسيانه الموت وما بعده من قوارع الآخرة بسبب حال
من يحسب أن ماله أخلده فأطلق في حقه هذا التركيب مجازا والوجه
الثالث قريب من الثاني إلا أن طريق التشبيه فيه أن يشبه حاله في أن
حب الدنيا طول أمله ومناه الآمال البعيدة وحمله على أن يعمل عمل من
لا يظن الموت بل يحسب الخلود بحال من يحسب أن ماله أخلده في الدنيا
فأطلق في حقه ما يطلق على من يحسب ذلك حقيقة والحالة المشبهة

في الوجهين هي الغفلة عن الموت وما بعده إلا أن تلك الغفلة في الوجه الثاني
ناشئة عن حب المال والحرص الشديد على جمعه وتكثيره وفي الوجه الثالث
ناشئة عن حب الدنيا واستغراق همه وأوقاته على استيفاء اللذات
الفانية قوله وفيه تعريض أي في تهديد من يحسب أن ماله أخلده بالويل
والهلاك إشارة إلى أن ما يخلد ينبغي للعاقل أن يكتسب عليه إلا أن غير المال
وهو العمل الصالح والسعي للآخرة فإنه هو الذي يخلد صاحبه في الدنيا
بالذكر الجميل وفي الآخرة في النعيم المقيم وإن قال أخلده ولم يقل يخلده لأن
المراد أن هذا الإنسان يحسب أن المال ضمن له الخلود وأعطاه الأمان
من الموت فكأنه حكم قد فرغ عنه ولذلك ذكره بلفظ الماضي قال الحسن
ما رأيت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه كالموت ونعم ما قال
قوله وما أي قدره لا يقدر أن يطلقه غيره يعني أن إضافة النار إليه تعالى
لتفخيمها والدلالة على أنها ليست كسائر النيران وتوصيفها بالموقدة يدل
على أن إيقادها مسند إلى الله تعالى وأنها قد أوقدت بأمره وقدرته فلا
تخمد أبدا وفي الحديث أوقدت عليها ألف سنة حتى احمرت ثم ألف سنة حتى
ابيضت ثم ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة عن علي ابن أبي
طالب رضه عجبا ممن يعصي الله على وجه الأرض والنار تسعر من تحته قوله
تعلو أوساط القلوب يقال طلع الجبل واطلع عليه إذا علاه والفؤاد وسط
القلب يعني أن تلك النار تحطم العظام وتأكل اللحوم فتدخل في أجواف
أهل الشهوات وتصل إلى صدورهم وتعلو على أفئدتهم وتستولي عليها
بأنها لا تحرقها إذ لو احترقت لماتت أصحابها وقال تعالى لا يموت فيها ولا يحيى
ومعنى أن النار تأكل أهلها حتى إذا اطلعت على أفئدتهم انتهت ثم
إن الله تعالى يعيد لحومهم وعظامهم مرة أخرى قوله مؤصدة أي مطبقة من
في سورة البلد أن أصدت الباب وأوصدته لغتان بمعنى أطبقته وأغلقته
وأن الأولى أفعل من المهموز الفاء مثل آمن والثاني أفعل بمعنى الأول من
معتل الفاء مثل أوصد يوصد وكونها مطبقة عليهم كونها بحيث لا فرجة
فيها حتى يخلص إليهم منها روح ويخفف عنهم كرب قوله عمد أي بفتحتين
والأجبل جمع جبل قوله أي موثقين في أعمدة إشارة إلى أن قوله في عمد

موضع نصب على الحال من الضمير المجرور بعلى والعمد جمع عمود للكثرة كأدم جمع
أديم والأعمدة جمعه للقلة والعمد بضمتين جمع عمود أيضا كرسول ورسل أو جمع
عماد ككتاب وكتب والمقاطر جمع مقطرة وهي خشبة فيها خروق توضع
فيها أرجل المحبوسين قوله تقطر فيها اللصوص أي يلقون على أحد قطريهم
يقال طعنه فقطره أي ألقاه على أحد قطريه وهي جانباه
فتقطر أي سقط اختلفوا في تاريخ عام الفيل فقيل أنه
قبل مولد النبي عم بأربعين سنة وقيل بثلث وعشرين سنة وقيل ولد
النبي عم بعد يوم الفيل بخمسين يوما والأكثرون على أنه في العام الذي
ولد فيه رسول الله عم فكان قبل بعثته بأربعين سنة وهو وإن لم
يشهد تلك الواقعة جواب عما قيل ما وجه قوله تعالى ألم تر مع أن أصل الرؤية
أن يكون ببصيرة وأن الاستفهام فيه للتقرير فكأن المعنى قد رأيت وشاهدت
وهو عم لم يشاهدها وحاصل الجواب أن المراد بالرؤية ههنا رؤية القلب وهي
العلم وعبر عنه بالرؤية لكونه علما ضروريا في القوة والجلاء للمشاهدة
والعيان وإن قلت إنه علم ضروري لأن طريق حصوله الخبر المتواتر وهو
يفيد علما ضروريا لا سيما قد تأيدت الأخبار المتواترة بمشاهدة آثار
تلك الواقعة روي عن ابن عباس رضه أنه رأى الحجارة التي أهلك الله تعالى بها
قوم أبرهة الأشرم عند أم هانئ نحو قفيز مخططة بخطوط حمر كالجزع
الظفاري وعن عائشة رضه رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين
يستطعمان وقد كان عبد المطلب جد النبي عم وأبو مسعود الثقفي يشهدان
فوق الجبل عسكر أبرهة حين رماهم الطير بالحجارة فهلكوا فقال عبد
المطلب لصاحبه … القوم بحيث لا يسمع لهم ركز فانحطا من الجبل فدخلا
العسكر فأخذا من نفائس من الذهب والجواهر فحفر كل واحد منهما
لنفسه حفرة وملأها من المال وكان ذلك سبب غناهما وهذا كلام
من آثار تلك الواقعة قد شاهدها رسول الله عم فحصل له بتلك علم
ضروري بها يوازي العيان فكأنه تعالى قال ألم تعلم بالخبر بالأخبار المتواترة
المتأيدة بمشاهدة الآثار علما ضروريا يوازي العيان … قوله
لأن التنكير والتكبير كأنها من وجوه الدلالة تقتضي أن الأشياء لها ذوات ولها

كيفية

كيفية باعتبار تدل على مدلولاتها وكلمة ما تدل على الأولى وكيف على الثاني والمقصود
في هذا المقام ليس توكيد نفس تلك الواقعة في هلاك الطائفة المذكورة
لأن هلاكهم لا يدل باعتبار نفسه على كمال علمه تعالى وقدرته وإنما يدل عليه
باعتبار ما فيه من وجوه الدلالة وكيفية الإهلاك فلذلك اختير ما يدل
على الكيفية على ما يدل على نفس الذات قوله فإنها من الإرهاصات
تعليل لكون إيقاع تلك الواقعة للدلالة على عظم بيته وشرف نبيه عم
والإرهاصات هي الأمور الخارقة للعادة التي جرت على يد نبي قبل بعثته و
قبل التحدي مأخوذ من الرهص بالكسر وهو الصف الأسفل من الحائط
فإنه يجوز في مذهبنا تقدم خوارق العادة على زمان البعثة تأسيسا
للنبوة ومقدمة لها كإظلال الغمام وتكلم الحجر والمدر له عم قبل دعوى
النبوة ومن هذا القبيل إهلاك من قصد تخريب الكعبة المعظمة حال
كونها موضع الإشراك بالله تعالى بعبادة غيره من الأوثان إذ فيه دلالة بعثة
من يعظم البيت ويطهره عن الرجس للأوثان ويدعو الناس إلى عبادة
الرحمن ويعظم شعائر الله بإخلاص الطاعة له ولو كره المشركون وهذا
البيت مولده ومسكنه عم إلى أن هاجر ثم باعث الله ومهبط ما يوحى
إليه وقبلته وقبلة أمته إلى يوم القيمة فحفظه عن أرجل الأعداء وأيديهم
يدل على عزته وشرفه فلدلالته على عزته وشرفه وقعت تلك الواقعة قبل
بعثته على وجه التأسيس والإرهاص والأشرم الشقيق الشرم أي شقه
وأبرهة سمي أشرم لأنه كان مشقوق … واسم النجاشي ملك الحبشة
وكان أصحمة قد بعث أرباط بعسكر من الحبشة إلى أرض اليمن فغلب عليها
واستقر فيها زمانا فنازعه رجل من الحبشة يقال له أبرهة بن الصباح
في أمر الحبشة فتفرقت الحبشة فرقتين فكانت فرقة مع أرباط وفرقة مع
أبرهة فكان الأمر على ذلك إلى أن قتل أبرهة أرباط واجتمعت الحبشة
لأبرهة وغلب على اليمن وأقره النجاشي على عمله ثم إن أبرهة رأى الناس
يتجهزون أيام المواسم إلى مكة ليحج بيت الله الحرام فبنى كنيسة بصنعاء
لم يبن لملك مثلها وسماها القليس وأراد أن يصرف إليها حاج العرب فسمع
به رجل من بني مالك ابن كنانة فخرج إليها فدخلها ليلا فقعد فيها فقضى حاجته

ولطخ بالعذرة قبلتها فبلغ ذلك ابرهة فقال من اجترأ على هذا فقيل صنع ذلك
رجل من العرب من اهل ذلك البيت سمع بالذي قلت فحلف ابرهة عند ذلك
ليهدمنه ومرض ابرهة فتساقطت انامله وما مات حتى انشق صدره فخرج
قلبه منه ولم يفلت الا وزيره ابو يكسوم فسار طائر يطير فوقه ولم يشعر
به حتى دخل على النجاشي فاخبره بما اصابهم فلما اتم كلامه رماه الطير
فسقط فمات فاراه الله تعالى النجاشي كيف هلاك اصحابه قوله وقرئ الم
تر بسكون الراء قيل هذا السكون نابه الشعر لا القران لما فيه من
اسقاط الالف والفتحة قبلها من ترى واثر الجازم انما هو سقوط الالف
وحده وكيف منصوب بقوله فعل لا بقوله تر لان كيف فيه معنى الاستفهام
فلا يعمل فيه ما قبله والكيد ارادة المضرة بالغير على الخفية والمراد به هنا
تعظيم الكعبة وتخريبها فان قيل سماه كيدا وامره كان ظاهرا فانه كان
يصرح انه انما يريد هدم البيت وتخريبه والجواب انه وان كان يظهر ان
مقصوده هدم البيت واظهر انتقاما ممن قعد في كنيسته الا ان الذي
كان يضمره في قلبه هو الحسد للعرب فكان اصل مقصوده من هدم البيت
ان ينصرف الشرف لهم بسبب الكعبة منهم ومن بلدهم الى نفسه والى بلدته
فكان هدمه كيدا في حق العرب قوله في تضييع وابطال يقال ضل اللبن في
الماء اذا ذهب وغاب قيل ارادوا ان يكيدوا قريشا بالسبي والقتل
والبيت بالتخريب والهدم فابطل الله تعالى كيدهم بان اهلكهم جميعا قوله
وارسل عطف على قوله الم يجعل لان الاستفهام فيه للتقرير فكان المعنى
قد جعل ذلك وارسل ابابيل صفة لطيرا اي طيرا جماعات متفرقة لانها
كانت افواجا فوجا بعد فوج وترميهم صفة اخرى لطيرا او حال منه
لانها خصصت بالصفة قوله والطير اسم جمع فيجوز تذكيره وتانيثه اما
تذكيره فلان الجمع مذكر واما تانيثه فلحمله على المعنى لانه بمعنى الجماعة
معرب سنك گل ذكر في بيان اخذ السجيل اربعة اوجه الاول انه كلمتان
بالفارسية جعلتها العرب كلمة واحدة وهي سجيل وكل السنج الحجر و
الگل الطين اي بحجر ترميهم بحجارة متحجرة من هذين الجنسين والثاني
انه من اسجل وهو الارسال الكبير اذ كان فيه ما رمي اسجلت الماء

سجلا فاسجل اي صببته بالدلو فانصب فعول من سجيل يعني ان تلك الحجارة
مما صبه الله عليهم من خزانة قهره والثالث انه من الاسجال بمعنى
الارسال يقال اسجلت البهيمة امهاتها اذا ارسلت وهذا اسجال
مرسل مطلق والمعنى انها مما ارسله الله عليهم والعذاب
يوصف بالارسال لقوله تعالى وارسل عليهم طيرا ابابيل
وقوله تعالى فارسلنا عليهم الطوفان والرابع انه ماخوذ
من السجل الذي هو الكتاب فكان السجيل اخذ منه وجعل علما للديوان
الذي كتب فيه عذاب الكفار كما ان السجين علم الديوان اعمالهم فكانت
تلك الحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون قوله من سجيل يعني مما
كتبه الله في ذلك الكتاب قوله كورق الزرع فسر العصف اولا بورق الزرع
الذي شأنه ان يقطع فيعصفه الرياح اي تذهب الى هنا وهنا وفسر الماكول
بانه الذي اكل فسد بانه وقع فيه الاكال شبههم به في فنائهم وذهابهم
بالكلية او من حيث انه حدث فيهم بسبب رميهم بتلك الحجارة منافذ و
شقوق كالزرع الذي اكله الدود او بانه الذي اكل حبه وبقي تبنه وعلى هذا
التفسير يكون المعنى كعصف ماكول الحب كما تقول زيد حسن يعني حسن وجهه
اجرى الحسن على زيد مع انه حال وجهه اعتمادا على افهام المعنى المراد شبههم
بزرع اكل حبه في ذهاب ارواحهم وبقاء اجسادهم ثم فسر العصف
ثانيا بالتبن لانه تعصف به الريح عند التذرية وتفرقه عن الحب وفسر الماكول
بالذي اكلته الدواب ثم القته روثا فيبس وتفرقت اجزاؤه شبه
تقطع اوصالهم بتفرق اجزاء الروث وفيه مبالغة حسنة وهي انه لم يكف
جعلهم اهون شيء في الزرع وهو التبن الذي لا يجدي طائلا حتى جعلهم رجيعا
الا انه عبر عن الرجيع بالماكول على الحكاية رعاية لحسن الادب واستهجانا لذكر
الروث كما كنى بالاكل في قوله تعالى كانا ياكلان الطعام عن نفس الاكل وما يلزمه
من البول والغائط لذلك روي انه تعالى لما رد الحبشة عن مكة بهذه الكيفية
عظمت العرب قريشا وقالوا هم اهل الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة دفع عدوهم
فكان ذلك نعمة عظيمة من الله والله اعلم اتفقوا على ان قريشا
ولد نضر بن كنانة واختلفوا في سبب تسميتهم قريشا فقيل سموا بتصغير

مطلب سورة لايلاف

سجلا

القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار وروى ان
معاوية سأل ابن عباس رضه لم سميت القريش قريشا فقال اسم دابة
في البحر تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى اي تشبيها لهم بها من حيث
ان اتصافهم بهذه الصفات والتصغير للتعظيم وقيل
سموا قريشا لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وحربهم
في البلاد ولم يكونوا اهل زرع ولا ضرع فهو مأخوذ
من القرش وهو الكسب يقال فلان يقرش لعياله اي يكسب فهو قارش
فقريش تصغير قارش والقياس ان يقال قويرش لكنه رخم وصغر
كقولهم حريث في حارث وقيل انهم متفرقون في غير الحرم فكان يجمعهم قصي
بن كلاب في الحرم حتى اتخذوه مسكنا فسموا قريشا لذلك اي لتقرشهم
اي لتجمعهم يقال تقرش القوم اي اجتمعوا وقرشتهم اي جمعتهم ولذلك سمي قصي
مجمعا قال شاعرهم ابوكم قصي كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فهر قال
علماء اهل اللغة الفت الشيء الفا والفته ايلافا بمعنى واحد اي لزمته و
دمت عليه وما تركته تقول العرب الفت كذا اي لزمته فعلى هذا يكون معنى
الاية لايلاف قريش هاتين الرحلتين وجمعهم بينهما ولزومهم اياهما وثباتهم
عليهما متصلا لا منقطعا بحيث اذا فرغوا من ذه اخذوا في ذه بالعكس و
انظر على هذا المعنى ان يكون اللام في قوله لايلاف متعلقا بما قبله والتقدير فجعلهم
كعصف مأكول لايلاف قريش اي اهلك الله اصحاب الفيل ليبقى قريش وما قد
الفوه من الرحلتين وذكر عطاء عن ابن عباس ان السبب في الفهم بالرحلتين
هو ان قريشا اذا اصاب واحد منهم مخمصة خرج هو وعياله الى موضع وضربوا
على انفسهم خباء حتى يموتوا وكانوا على ذلك الى ان جاء هاشم بن عبد مناف
وكان سيد قومه فقام خطيبا في قريش فقال انكم احدثتم حدثا تقلون
فيه وتذلون وانتم اهل حرم الله واشراف ولد آدم والناس لكم تبع قالوا
نحن تبع لك فليس عليك منا خلاف فجمع كل بني اب على الرحلتين في الشتاء
الى اليمن وفي الصيف الى الشام لان بلاد اليمن حامية وحارة وبلاد الشام
مرتفعة باردة ليتجروا فيما بدا لهم من التجارات فما ربح الغني قسمه بينه
وبين فقرائهم حتى كان فقيرهم كغنيهم فجاء الاسلام وهم على ذلك فلم يكن

في العرب بنو اب اكثر مالا ولا اعز من قريش وقال ذاك عن الخالطين فقيرهم بغنيهم
حتى يكون فقيرهم كالكافي فان قيل كيف فعل الله باصحاب الفيل سببا لدوام قريش
على ما الفوه من الرحلتين اجيب بان انتظام احوالهم كان منوطا بهاتين
الرحلتين وانهم انما كانوا يربحون في اسفارهم لان ملوك النواحي كانوا يعظمون
اهل مكة ويقولون هؤلاء جيران بيت الله وسكان حرمه وولاة الكعبة
حتى انهم يسمون اهل مكة اهل الله فكانوا لذلك آمنين في اسفارهم لا يختطفون كانوا
ولا يتعرض لهم في نفوسهم ولا في اموالهم فلو تم للحبشة ما عزموا عليه من هدم
الكعبة لزال عنهم هذا العز والشرف وانقطع تعظيم الملوك واحترامهم اياهم
ولصار سكان مكة كسكان سائر النواحي يتخطفون من الاجانب ويتعرض
لهم في نفوسهم واموالهم فلما اهلك الله تعالى اصحاب الفيل وجعل كيدهم في
تضليل ازداد وقع اهل مكة في القلوب وازداد تعظيم ملوك الاطراف فازدا دت
تلك المنافع والمتاجر فلهذا قال الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل لايلاف
رحلة الشتاء والصيف ويجوز ان يكون الايلاف تعدية الالف على ان يكون
الفت الشيء والفته بمعنى لزمته والزمته الله تعالى اي فعل باصحاب
ذلك لتؤلف قريشا رحلتيهم وتلزمهم اياها والالزام ضربان الزام بالتكليف
والامر والزام بالمودة والمؤانسة فاذا احب المرء شيئا لزمه ومنه و
الزمهم كلمة التقوى كما ان الالجاء ضربان احدهما لدفع الضرر كالهرب من السبع
والثاني لطلب النفع العظيم كمن يجد مالا عظيما ولا مانع من اخذه لا
عقلا ولا شرعا ولا حسا فانه كالملجأ الى الاخذ وكذا الدواعي التي تكون
دون الالجاء تارة يكون لدفع الضرر واخرى لجلب النفع وهو المراد في
قوله لايلاف قريش ايلافهم فان قيل كيف يجوز ان تتعلق هذه اللام بما
في السورة المتقدمة وحق كل سورة ان تكون مستقلة بنفسها ولا
تتعلق ما في احدى السورتين بما في الاخرى قلنا من ذهب الى كون
اللام متعلقة بما قبلها طائفتان احديهما قالوا بانهما ليستا سورتين
بل هي سورة واحدة احتجوا عليه بان ابي بن كعب جعلهما في مصحفه
سورة واحدة وبما روي ان عمر رض قرا في صلوة المغرب في الركعة الاولى والتين
وفي الثانية الم تر ولايلاف قريش معا من غير ان يفصل بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم

وما ذكرنا سابقا وتعلق اللام بما قبلها لا يرد على هذه الطائفة وهو قول
الطائفة الثانية وهم الاكثرون قالوا كل واحدة منهما سورة مفصلة عن
صاحبتها وتعلق اول هذه السورة بما قبلها لا ينافي ذلك لان القرآن
كله كالسورة الواحدة وكالآية الواحدة يصدق بعضه بعضا ويبين بعضها
معنى بعض وقولهم ان ابي لم يفصل بينهما معارض باطباق الكل على الفصل
بينهما وعلى هذا التقدير فهو ان يكون الايلاف تعدية الالف يجوز ان تتعلق
اللام بما بعده وهو قوله فليعبدوا كما اختاره المص فيكون الايلاف مصدرا
من المبني للمفعول مضافا الى مفعوله الاول واطلق عن الثاني حيث لم يقيد
بتعلقه به ثم جعل المقيد به بدلا عن ذلك المطلق تفخيما لامر الايلاف و
تذكيرا لعظيم المنة لكونه نعمة عظيمة قيل والاقرب ان يكون قوله لايلاف
قريش عاما يجمع كل المؤانسة والموافقة في السفر والحضر في جميع احوالهم
وقوله ايلافهم رحلة الشتاء والصيف عطف الخاص على العام عطفا
لم يعطف جبريل على الملائكة ووجه التعظيم كون تينك الرحلتين قوام
معاشهم ومدار انتظام احوالهم لانهم كانوا يسكنون بواد غير ذي
زرع وفائدة ترك واو العطف التنبيه على انه كل النعمة والاول اظهر قوله
والفاء لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه ولو كانت اللام متعلقة بقوله
فليعبدوا لزم توسط فاء التعقيب بين العامل ومعموله ولا وجه له واجيب
بان قوله فليعبدوا جزاء الشرط المحذوف فقدم عليه معموله والمعنى ما ذكره
وقدم قوله لايلاف قريش على عامله وعلى الفاء ليكون عوضا عن الشرط
المحذوف والرحلة بالكسر الارتحال وبالضم الجهة التي يرحل اليها واصل
الرحلة السير على الراحلة وهي الناقة القوية ثم استعمل في كل سير وارتحال
والايلاف والالف واحد وهو الايناس قوله فيمتارون اي يطلبون
الميرة وهو الطعام قوله او بمحذوف اي ان اللام غير متعلقة لا بما
قبلها ولا بما بعدها قال محيي السنة في تفسيره حاكيا عن الكسائي والاخفش
اللام في قوله لايلاف هي لام التعجب كانه يقول اعجبوا لايلاف قريش رحلة
الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت ثم امرهم بعبادته
بقوله فليعبدوا وهذا كما تقول لزيد واكرمنا اياه على وجه التعجب اي

اعجبوا

اعجبوا لذلك والعرب اذا جاءت بهذه اللام اكتفوا بها دليلا على التعجب من
اظهار الفعل التعجب انتهى ووجه التعجب انهم كل يوم يزدادون غيا وجهلا
وانغماسا في عبادة الاوثان والله تعالى يؤلف شملهم ويدفع الآفات عنهم و
ينظم اسباب معاشهم ولا شك ان غاية التعجب من عظيم حلم الله تعالى وكرمه
والظاهر على هذا الوجه ان يكون قوله فليعبدوا معطوفا على مقدر اي لينتهوا
عن هذا الكفر فليعبدوا والفاء للتعقيب كالتضمين والشرط و
هو ان يتعلق بمعنى البيت الذي قبله تعلقا لا يصح المعنى الا به وهذا كذلك لان
المعمول يتوقف تمامه على عامله وعلى متعلقه به قوله اي بالرحلتين اشارة
الى ان المراد بالجوع هو المجاعة الشديدة التي حملتهم على الرحلتين
بسببها لا المجاعة التي اصابتهم بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كذبوه وهي قوله
اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاشتد عليهم القحط واصابهم
الجهد حتى اكلوا الجيف والعظام المحرقة فقالوا يا محمد ادع الله تعالى فانا مؤمنون
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخصبت البلاد واخصب اهل مكة بعد القحط وهذا
الاطعام لم يحصل بالرحلتين بل بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن على بابه اي اطعمهم
من اجل جوع عظيم كانوا فيه قبل الرحلتين وقيل بمعنى بعد اي اطعمهم بعد الجوع
الذي اصابهم قال صاحب الكشاف الفرق بين عن ومن ان عن تقتضي حصول
جوع قد زال بالاطعام ومن تقتضي المنع من لحاق الجوع والمعنى على هذا اطعمهم
لئلا يلحقهم من جوع ولما امنهم فلم يلحقهم خوف فيكون من لابتداء الغاية والمعنى
اطعمهم في بدء جوعهم قبل ان اباهم وآمنهم في بدء خوفهم قبل اللحاق
والله اعلم استفهام معناه التعجب يعني ان هذا اللفظ وان كان
في صورة الاستفهام لكن الغرض منه المبالغة كقولك ارأيت فلانا ما
ذا ارتكب ولماذا عرض نفسه ثم قيل انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل خطاب
عام لكل عاقل ورأيت هنا يجوز ان يكون من رؤية البصر وبمعنى
العرفان فيتعدى الى مفعول واحد وهو الموصول فالمعنى ابصرت
المكذب او عرفته وان يكون بمعنى العلم فيكون بمعنى اخبرني فيتعدى الى اثنين
الاول الموصول والثاني محذوف قدره الزمخشري من هو وقدره القرطبي
امصيب هو ام مخطئ والمعنى ارأيت يا محمد هذا الذي يكذب بالدين بعد

مطلب سورة ارأيت الذي

ظهوره لا تأمل ووضوح بيانه ابفعل ذلك الا الغرض فكيف يليق بالعاقل جر
العقوبة الابدية الى نفسه من غير غرض ولا اجل الدنيا وكيف يليق بالعاقل
بيع الكثير بالقليل **قوله** سهلوا همزتها اي همزة هذه القراءة او همزة اي حذفها
يعني انه وقع حرف الاستفهام اولا ثم جعل ام حذف الهمزة سهلا
يسيرا مع ان حذفها مختص بالمضارع ونحو يرى وارى واما نحو ارايت
فلم يسمع من العرب ووجه التسهيل ان الماضي بسبب دخول حرف الاستفهام
عليه فشابه المضارع لانه في الطلب معنى الاستقبال فاخذ حكم المضارع
لذلك مع وقوع الهمزة في اوله فقوة وقوع همزة اخرى بعدها فسهل حذفها
في الاية اسهل من حذفها في البيت الذي ذكره الزمخشري وهو صاح هل
رايت اي سمعت براع رد في الضرع ما قرى في العلاب لان البيت وان كان
فيه حرف الاستفهام لكن تلك الحرف ليست بهمزة فلو لم يحذف فيه همزة
رايت لم يلزم الثقل الحاصل من اجتماع الهمزتين بخلاف الاية قوله صاح
اصله يا صاحبي فحذف حرف النداء ورخم المنادى فصار صاح قوله
ما قرى اي ما جمع يقال قريت الماء في الحوض اي جمعت والعلبة ما يحلب
فيه من جلد او خشب وجمعه علب وعلاب والذي يحتمل الجنس فيكون
عاما لكل من كان مكذبا بالدين **قوله** ان ابا جهل كان وصيا ليتيم فجاءه
عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه ولم يعبأ به فايس الصبي فقال
له اكابر قريش قل لمحمد يشفع لك وكان غرضهم الاستهزاء ولم يعرف
اليتيم فجاء الى النبي عم والتمس منه ذلك وهو عم ما كان يرد محتاجا
فذهب معه الى ابي جهل فقام ابو جهل ورحب به وبذل المال
لليتيم فعيرته قريش وقالوا اصبوت فقال لا والله ما صبوت ولكن
رايت عن يمينه وعن يساره حربة خفت ان لم اجبه يطعنها
في كان ابو سفيان ينحر جزورين في كل اسبوع فاتى يوم من
الايام قوم يتيما يسأله فحقه والدع الدفع بعنف وجفوة قال الله تع جفوه نحو
يوم يدعون الى نار جهنم دعا **قوله** ولا يحض اهله وغيرهم اشارة الى
ان مفعول يحض محذوف اي لا يحض نفسه ولا يامر غيره ولا بد مع
تقدير المفعول من تقدير المضاف اي لا يحض غيره على اطعام طعام

المسكين

المسكين من اجل بخله به واضافة الطعام الى المسكين للاشعار بان ذلك
حق المسكين فانه انما منع المسكين عما هو حقه وذلك نهاية البخل وقساوة
القلب وخساسة الطبع ولو كان مصدقا للحساب والجزاء لما اقدم على
ايذاء الضعيف ومنع المعروف فان دفع اليتيم الضعيف عن ماله وعن حق
نفسه ظلما وحطمه لا يقدم المرء عليه الا مع الغفلة عن الحساب والجزاء و
اما دفعه بترك المواساة معه واعانته بقضاء حوائجه الضرورية
وكذا عدم حث غيره على مواساة المحتاجين واطعام المساكين فانه
وان لم يكن في نفسه اثما وحراما لكنه يصلح علامة لعدم اعتقاده
بالجزاء وتكذيبه من حيث ان السبب في نحو ذلك كله هو التكذيب بالجزاء
انتفاع م وهذه المبالغة لما كانت متفرعا ومسببا بتكذيب الجزاء رتب
قوله تع فذلك الذي الخ على قوله يكذب بالفاء السببية للايذان بان دع
اليتيم وعدم حث غيره على معونة المحتاجين سببه التكذيب بالجزاء
وجعل الزمخشري قوله فذلك جواب شرط محذوف وجعل تقدير الكلام ان
طلبت علمه فذلك الذي الخ **قوله** يرون الناس اعمالهم بيان بمعنى المفاعلة
في هذه الفعل فانه مفاعلة من الاراءة والمراءاة يري الناس عمله
وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب به فان قيل ما الفرق بين عن صلوتهم وبين
في صلوتهم والجواب ان معنى عن انه يكون الالتفات رعاية في الصلوة طلب مرضاة
التقرب اليه وتذللا بين يديه ولكن يعتريه السهو في اثنائها بوسوسة
ب الشيطان او حديث النفس وذلك لا يكاد يخلو عنه احد ومعنى السهو عن
الصلوة عدم المبالاة بها والاعتناء بشانها فيخرجها عن وقتها او لا لك
وان شرع فيها في وقتها لا يريد بها مرضاة الله والتقرب اليه والامتثال
لامره فيخفض ويرتفع ولا يدري ما يفعل وذلك فعل المنافقين وهو شر من
ترك الصلوة لانه استهزاء بالدين فثبت ان السهو في الصلوة من افعال
المؤمنين لانه شرع فيها بنية صحيحة واعتقاد صادق والسهو عن الصلوة
من افعال الكافر فانه وان باشر صورة الصلوة بفعله لكنه ساه غافل
عن حقيقته لانعدام قصده ونيته **قوله** والسببية على معنى نزول الهمم
وجه السببية انه لما ذكر الكذب للجزاء باوصافه الذميمة التي ادت اليها

تكذيبهم بالدين تسبب عنه ذكره في هذا الوجه الوعيد عليهم بالويل والهلاك وان
انما ترتب على سببية ما قبلها من الاوصاف لاستحقاقهم بالويل ووضع الظاهر موضع
الضمير للدلالة على سببية ما بعدها من الاوصاف ايضا لاستحقاق المذكورين به
في ان تعليق الحكم على الوصف يشعر علية الوصف له فان قيل كيف جعل
المصلين وهو جمع قائما مقام الضمير الذي ولفظ الذي ليس بجمع قلنا معناه
الجمع لانه المراد به الجنس والفرق بين المرائي والمنافق ان المنافق يبطن
الكفر ويظهر الايمان والمرائي ان يظهر زيادة الخشوع واثار الصلاح
ليعتقد من يراه انه من اهل الصلاح وحقيقة الرياء طلب ما في الدنيا
بالعبادة ولا يكون المرائي مرائيا باظهار فرائض الله من نحو الصلوة و
الزكوة لان حق الاعلان من اجرائها من اعلام الدين وشعائر
الاسلام فيستحق تاركها الذم واللعن فيجب اظهارها نفيا للتهمة عن نفسه
قوله او يتعاورن في العادة اي يتداوله الناس بالعارية ويعين بعضهم بعضا
باعارتها واستعارتها وقوله اسم لما لا يمنع عادة ويسئل الفقير والغني
وينسب مانعه الى سوء الخلق ولؤم الطبيعة كالفاس والقدر والدلو
والمقدحة والغربال والقدوم ونحوها ويدخل فيه الملح والماء والنار فانه
روي ثلثة لا يحل منعهن الماء والنار والملح ومن ذلك ان يلتمس جارك ان
يخبز في تنورك او يضع متاعه عندك يوما او نصف يوم واصحاب هذا القول
قالوا الماعون فاعول من المعن وهو الشيء القليل وسميت الزكوة ماعونا
لانه يؤخذ من المال ربع العشر وهو قليل من كثير والمقصود من الاية على هذا
الزجر عن البخل بهذه الاشياء القليلة فان البخل بها نهاية الدناءة فقوم
مانعوا الزكوة لقوله تعالى الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل وقد مناع للخير
معتد اثيم ومن فسر الماعون بالزكوة كابي بكر وعلي وابن عباس وابن عمر
والحسن وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة وغيرهم رضوان الله عليهم
استدلوا بذكره عقيب الصلوة فانه يدل على ان المراد به هو الزكوة وبما
روي عنه في اخر السورة وقوله من قرا سورة ارايت غفر الله له ان
كان للزكوة مؤديا فانه يوهم ان الماعون هو الزكوة وقيل اصله معونة
والالف عوض عن الهاء
اصلانا

تمت سورة الماعون

انا

انا انما حذفت احدى النونات كراهة لاجتماع الامثال والانطاء الاعطاء
بلغة اهل اليمن قال اهل اللغة الكوثر فوعل من الكثرة كنوفل من النفل و
العرب تسمي كل شيء كثير العدد او كثير القدر والخطر كوثرا فهو بناء يفيد المبالغة لغة
في الكثرة والافراط فيه قيل لاعرابية رجع ابنها من السفر آب ابنك قالت
آب بكوثر اي بالعدد الكثير من الخير وهذا هو معنى الكوثر في اللغة وذهب
اكثر المفسرين الى ان الكوثر نهر في الجنة استدلالا بما روي عنه عليه السلام ولعله
انما سمي ذلك النهر كوثرا لكثرة ما فيها من المنافع على ما قال عليه السلام انه نهر
في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير قيل من جملة خيراته انه يتفجر منه انهار الجنة
كما روي عنه عليه السلام ما في الجنة بستان الا وفيه من الكوثر نهر وقيل انه حوض
في الجنة ووجه التوفيق بين هذا القول والقول الاول انه يحتمل ان ذلك
النهر ينصب في هذا الحوض ولعل الانهار التي تسيل من ذلك الحوض يكون
الحوض كالمنبع وقيل الكوثر الاولاد عليه السلام ودليله ان هذه السورة نزلت
ردا على من عابه بعدم الاولاد فالمعنى انه يعطيه نسلا يبقون على مر
الزمان فانظر كم قتل من اهل البيت ثم العالم ممتلئ منهم وقيل الكوثر اتباعه
واشياعه عليه السلام الى يوم القيمة ولا شك ان له من الاتباع ما لا يحصيهم الا الله تبع
روي انه عليه السلام قال دخلت الجنة مع الانبياء اذ ظهر لنا امة من الناس فننظرهم
بابصارنا ما منا نبي الا وهو يرجو ان تكون امته فاذا هم غر محجلون من
اثر الوضوء فاقول امتي ورب الكعبة فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يظهرون
مثل ما ظهر اولا فننظرهم بابصارنا ما من نبي الا وهو يرجو ان يكون
امته فاذا هم الغر المحجلون من اثر الوضوء فاقول امتي ورب الكعبة فيدخلون خلون
الجنة بغير حساب ثم يدخلون ثلثة امثال ما قد دخل فننظرهم فذكر كما في
المرة الاولى وان هذا ثم قال ليدخلن ثلث نفر من امتي قبل ان يدخلها
احد من الناس ولقد قال عليه السلام تناكحوا تكثروا فاني اباهي بكم الامم الى يوم
القيمة ولو بالسقط فاذا كان يباهي بمن لم يبلغ حد التكليف فكيف بمثل
هذا الجم الغفير فلا جرم حسن منه تعالى ان يذكر هذه النعمة الجسيمة
فقال انا اعطيناك الكوثر وقيل الكوثر علماء امته وهو لعمري الخير الكثير
لانهم كانبياء بني اسرائيل من حيث ان هؤلاء الانبياء كانوا يتبعون النصوص

المأخوذة من الوحي في وقائع الاحكام ونوازل الحوادث فلذلك على
امته يتبعون النص الالهي ويستنبطون منه الاحكام باجتهادهم ثم
تفضل من جانب بني الابناء ام من جهتهم ما روي انه يجاء يوم القيمة
الرسول والابناء ويتبعهم اممهم فرب نبي الرسول ومعه الرجل والرجلان
ورب نبي عالم منا على امته ومعه الالوف الكثيرة وقيل الكوثر القران
وفضائله لا تحصى ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده
من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله قل لو كان البحر مدادا لكلمات
ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا وقيل الكوثر هو
الاسلام وقيل هو الفضل الكثير الذي فيه وقيل العلم وقيل المقام المحمود
الذي هو الشفاعة وقيل الكوثر النبوة ولا شك انها الخير الكثير لانها
المنزلة التي هي ثانية الربوبية ولهذا قال من يطع الرسول فقد اطاع
الله وقيل المراد من الكوثر جميع نعم الله تعالى على محمد م وهو المنقول عن
ابن عباس لان لفظ الكوثر يتناول كل جميع النعم وليس حمله على البعض اولى
من حمله على الباقي فوجب حمله على الكل فيتناول خيرات الدين والاخرة
وخيرات الدنيا ما كانت واصلة اليه حين كان بمكة والخلف في كلام الله
تعالى فوجب في حكمة الله تعالى ان في ذلك في دار الدنيا حيث يصل اليه تلك
الخيرات فكانت الاية كالبشارة له والوعد بانهم لا يقدرون على ان يضروه
ويصلوا اليه كيدهم ومكرهم بل يصير امره كل يوم في القوة والازدياد
وعبر عما سيكون بصيغة الماضي لتحقق وقوعه ويجوز ان يكون صيغة
الماضي على حقيقتها بناء على ان الاسعاد والاشقاء والاغناء و
الافقار ليس امرا يحدث الان بل كان حاصلا في الازل بمحض الاختيار
والمشيئة من غير ان يكون شيء منها معللا بعلة اصلا فكانه تعالى يقول مثلا
اخترناك وفضلناك لا لاجل طاعتك وجدك وهيما مكنها والا
يحسن ان لا نعطيك الا بعد ما قدامك من الطاعة بل انا اخترناك بمجرد
الفضل والاحسان منا اليك من غير موجب يقتضيه ولا باعث يؤدي
اليه ويدل عليه قوله م قبل من قبل العلة ورد من رد العلة وكيف
لا يكون الامر كذلك وفعل الله تعالى صفته وما يكون من الطاعة وبذل الوجه

في

في تحصيل جهاته صفة وصفة الخلق لا تكون مؤثرة في صفة الخالق بل المؤثر في
صفاته انما هو صفة الخالق ولهذا قال من قال لا اعبد ربا يرضيه طاعتي
ويسخطه معصيتي بل ان رضاه وسخطه قديمان وطاعتي ومعصيتي محدثان
والمحدث لا يؤثر في القديم بل رضاه عن العبد في الازل هو الذي حمله على
طاعته فيما يستقبل وكذا سخطه بالعبد حمله على مخالفته وعصيانه ولا
حول ولا قوة الا بالله قوله شكرا لانعامه علة لقوله صل على الصلوة فان كثرة
الانعام توجب مداومة المنعم عليه على شكر المنعم فلما بين الله تعالى كثرة
انعامه عليه بقوله انا اعطيناك الكوثر فرع عليه قوله فصل فانه بمنزلة ان
يقال فاشكر لكون الصلوة جامعة لاقسام الشكر وهي ثلثة الاول الشكر
بالقلب وهو ان يعلم ان تلك النعم انما من غيره والثاني باللسان وهو ان يحمد
المنعم ويثني عليه والثالث الشكر بالجوارح وهو ان يخدمه ويتواضع له
والصلوة جامعة لهذه الاقسام قوله فالسورة كالمقابلة للسورة
المتقدمة مبني على ما ذكر من الامور الاربعة وهي قوله خلاف ما هي عليه
المرائي فيها وقوله خلافا لمن يدعهم ويمنع عنهم الماعون وبيان وجه
المقابلة ان الله تعالى وصف المنافقين في السورة المتقدمة باربعة امور اولها
البخل وهو المراد من قوله تعالى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين والثاني
ترك الصلوة وهو المراد من قوله تعالى الذين هم عن صلوتهم ساهون والثالث
الرياء في الصلوة وهو المراد من قوله تعالى الذين يراؤن والرابع منع الزكوة وهو
المراد من قوله تعالى ويمنعون الماعون وذكر في هذه السورة الكريمة في
مقابلة تلك الصفات الاربع صفات اربعة تقابل تلك الصفات الاربع
المتقدمة فذكر في مقابلة الذين هم عن صلوتهم ساهون قوله فصل اي دم
على الصلوة وذكر في مقابلة الذي يدع اليتيم ويمنع الماعون قوله وانحر اي
اذبح البدن التي هي خيار اللحوم وتصدق بلحومها على المحاويج فان
ترك خيار اللحوم يقابل البخل وصرفها الى المحاويج يقابل منع الماعون
وقول المصنف دم على الصلوة من غير تقييد الصلوة بالاضافة الى العدد و
نحوه اشارة الى ان المراد بها جنس الصلوة وانها خصت بالذكر لكونها
عماد الاعمال الدينية وقيل المراد بالصلوة صلوة العيد وبالنحر التصدق والمق

الامر بتأخير التضحية عن صلاة العيد لانهم كانوا يقدمون التضحية على الصلاة
فنزلت هذه الاية قال المحققون هذا القول ضعيف لان عطف النحر على غيره
بالواو لا يوجب الترتيب واقتران ذلك النحر بالصلاة لا يستدعي ان يحمل الصلاة
على ما يقع في يوم النحر فالاقرب هو القول الاول قوله ان من ابغضك البغض ضد الحب
فالمبغض ضد المحب وقوله من ابغضك اي من لا يحبك بل يبغضك لما لغة
لهم هو الابتر لبغضه لك فقوله لبغضه لك علة لكونه هو الابتر ومن التعليل
مستفاد من تعلق الحكم بالمشتق الذي هو شانئ وهو المبغض فانه يفيد علية
المأخذ هو البغض وفي الصحاح الشناءة بالفتح والمد مثل الشفاعة
البغض وقد شنئه شنأ وشنأ وشنآنا وشنانا بالتحريك
وشنانا بالسكون اي ابغضه والبتر في اللغة استيصال القطع وبترت الشيء
بترا بالكسر اي قطعته وبتر بالكسر بترا اي صار ابتر وهو مقطوع الذنب
ويقال للذي لا عقب له ويقال ايضا لمن انقطع عنه الخير قوله كانت
قريش يقولون لمن مات الذكور من اولاده ابتر فلما مات ابنه القاسم و
عبد الله بمكة وابراهيم بمدينة قالوا بتر وليس له من يقوم مقامه وروي
ان العاص بن وائل كان يقول ان محمدا ابتر لا ابن له يقوم مقامه بعده فاذا
مات انقطع ذكره واسترحتم منه فاخبره الله تعالى ان شانئك ومن عاداك
هم المبترون تولى سبحانه بنفسه اي بلا واسطة جوابهم وسمي شانئهم
على ما هو سنة الاحباب فان المحب اذا سمع من شتم حبيبه تولى بنفسه
جوابه فقال في مبغضك الذي نسب اليك ابتر هو المقطوع من خير الدنيا و
المنسي ذكره فيهما وان ذكر باللعن واما انت فكلما يولد الى يوم القيمة من المؤمنين
فهم اولادك واعقابك وذكرك مرفوع على المنابر وعلى لسان كل عالم وذاكر
الى اخر الدهر فثبت انه الابتر فاعلم ان هذه السورة مع كونها اقصر سورة
في القرآن فقد احتوت على معان لطيفة واساليب بديعة منها دلالة استهلال
السورة على عظمة المعطي من حيث انه عظيم رب السموات والارض الذي
لا ينقص شيء مما في خزائنه فدلت بكثرة نواله وافضاله والكوثر وان كان يحتمل
كثيرا فان اعطاءه كثير ومنها ايراده بصيغة الماضي مع ان العطايا الاخروية
واكثرها يكون في الدنيا لم يحصل بعد تحقيقا لوقوعه مع ان الاعطاء لا يستدعي

تمكن

تمكن الموهوب له من تصرف الموهوب وقت الهبة فان من قال لولده الصغير
لم يصح ان يقال انه اعطاه تلك الضيعة مع ان الصبي في تلك الحال لا يكون اهلا
للتصرف ومنها تأكيد الجملة بان الجاري مجرى القسم وكلام الصادق مصون
عن الكذب والخلف فكيف اذا بولغ في التأكيد فان تقديم الفاعل عليه يفيد التأكيد
ايضا لاشتمال الكلام به على تكرار الاسناد ومنها الاتيان بصيغة تدل على المبالغة لغة
والكثرة ومنها حذف الموصوف بالكوثر لان في حذفه من فرط الشياع والابهام
ما ليس في اثباته ومنها تعريفه بلام الاستغراق ومنها فاء التعقيب الدالة
على التسبب فان الانعام سبب للشكر والعبادة ومنها ما في قوله لربك من
التعريض لمن كانت صلاته ونحره لغير الله ومنها تخصيص الصلاة بالذكر
للاشارة الى انها عماد الاعمال الدينية وافضلها ثم اشار الى العبادة المالية
بذكر ما هو اسنى منها وهو النحر ومنها حذف متعلق النحر اكتفاء بذكره
في الصلاة اذ التقدير فصل لربك وانحر له ومنها مراعاة السجع فانها من
الصنايع البديعة الى غير ذلك مما لا يحصى ولا يقدر قوله يعني كفرة مخصوصين
قد علم الله انهم لا يؤمنون قالوا نعبد الهك سنة وتعبد الهتنا سنة يريد ان
الالف واللام في قوله تعالى الكافرون وان كانت للجنس بحسب الظاهر وقد
كان يجوز ان يكون صفة اي الا ان المقام للعهد فان تخصيص العام بحسب القرائن
شائع كثير كما تقول يا ايها الرجال ادخلوا الدار فانك لا تامر جميع الرجال
بل تامر الذين تشيرون اليهم باقبالك عليهم وقرينة الخصوص في الاية هي انه
لا يجوز ان يكون قوله تعالى لا اعبد ما تعبدون خطابا مع كل الكفرة لان فيهم
من يعبد الله كاليهود والنصارى فلا يجوز ان يقال لهم لا اعبد ما تعبدون
ولا يجوز ايضا ان يكون قوله ولا انتم عابدون ما اعبد خطابا مع الكل لان
من الكفار من آمن وصار بحيث يعبدون الله فبهذه القرينة علمنا ان
الخطاب للكفرة المخصوصين الذين سبق في علم الله تعالى موتهم على الكفر قوله
فان لا تدخل الا على المضارع بمعنى الاستقبال اذا دخلت على المضارع
يجب ان يكون ذلك المضارع بمعنى الاستقبال الا انها لا تدخل الا على المضارع
الموصوف فانها تدخل على غير المضارع كثيرا كقوله تعالى ما كان محمد وما هذا
بشرا واختلفوا في ان التكرير ههنا هل هو للتأكيد ام لا واذا لم يكن للتأكيد

مطلب سورة قل يا ايها

فباقي طرفي حصلت المغايرة فحينئذ يكون كل جملة للتأسيس مفيدة معنى على حدة فذهب
جماعة الى ان القرينة الثالثة وهي قوله ولا انا عابد ما عبدتم تأكيد للقرينة
الاولى وهي قوله لا اعبد ما تعبدون وان القرينة الرابعة وهي قوله ولا انتم
عابدون ما اعبد ومثله فباي آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين
ونحوهما وفائدة التأكيد ههنا قطع اطماع الكفار وتحقيق الاخبار بانهم
يموتون على الكفر وانهم لا يسلمون ابدا فان هؤلاء الكفار رجعوا الى رسول
الله م مرارا وقالوا نرجو ان يقع الصلح بيننا وبينك بان نعبد الهك و
تعبد الهتنا مدة فسكت عم في كلامهم ولم يجبهم احتياطا من انه لو نفا فهمهم
بالرد والتيئيس لتأذوا وحصلت النفرة عن الاسلام في قلوبهم فيه فوقع
في قلوبهم انه عم قد مال الى دينهم بعض الميل فلا جرم دعت الحاجة الى
التأكيد ابطالا لزعمهم الباطل فنزلت هذه السورة ونزل ايضا قوله تع قل
افغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون فانه وصفهم بالجهل لان اخص
الخبث وتيرة بالكفر لانه كالثمرة للجهل فلما نزلت هذه السورة وقرأها
على رؤسهم شتموه وايسوا منه هذا خلاصة المعنى على تقدير ان
يحمل التكرير على التأكيد وذهب آخرون الى ان كل جملة لافادة معنى على حدة
واختار المص حيث قدمه في الذكر على احتمال كونه للتأكيد وبين طريق
المغايرة ببيان ان كل قرينة مقيدة بزمان غير زمان القرينة الاخرى فحمل
القرينة الاولى على الاستقبال لشهادة كلمة لا الداخلة على المضارع وحمل
القرينة الثالثة على الحال والماضي فكان المعنى لا افعل في المستقبل ما
تطلبونه مني من عبادة الهتكم ولست في الحال او في الماضي بعابد ما
عبدتم من الاصنام وحمل القرينة الثانية وهي قوله ولا انتم عابدون ما
اعبد على الاستقبال بقرينة مقابلتها للقرينة الاولى المحمولة على الاستقبال
وحمل القرينة الرابعة وهي هذا التركيب بعينه على استغراق النفي وشموله
لجميع الازمنة بناء على ان الجملة الاسمية تفيد الدوام واذا دخلت عليها
حرف النفي تفيد دوام النفي ثم قال ويجوز ان يكون تأكيدا على طريقة
ابلغ اي يجوز ان يكون القرينة الثالثة تأكيدا للقرينة الاولى على طريقة ابلغ
لان القرينة الاولى لنفي الاستقبال والقرينة الثالثة تفيد دوام النفي في جميع
الازمنة

الازمنة لما مر آنفا فتفيد ما افادته الاولى مع زيادة فكانت تكريرا لها
على طريقة ابلغ وكذا القرينة الرابعة يجوز ان يكون تأكيدا للثانية على ابلغ وجه
لان الثانية حملت بقرينة المقابلة على نفي الاستقبال والرابعة محمولة على عموم
النفي فيكون ابلغ منها ويرد على تجويز ان يكون قوله ولا انا عابد محمولا على الحال
كما اشار اليه بقوله او فيما سلف ان عابد اسم وقد عمل في ما عبدتم فكيف
يصح ان يكون بمعنى الماضي والحال انه انما يعمل اذا كان بمعنى الحال او الاستقبال
الا ان يقال اعماله حال كونه بمعنى الماضي مبني على حمله على حكاية الحال الماضية
كما في قوله تع وكلبهم باسط ذراعيه وقوله والله مخرج ما كنتم تكتمون ونحوها
وهو انهم لم يكونوا موسومين قبل المبعث بعبادة الله تع وهذا الفرق
يقتضي ان يعبر عما عبدوه بلفظ الماضي وعن عبادته عم بما يدل على الحال
حيث لم يكن فيما مضى مشهورا بكونه عابدا لله تع وفي الفرق المذكور نظر
لانه عم لم يزل موحدا لله تع منزها له عن كل ما لا يليق بجلال ذاته متجنبا
عن اصنامهم يقف على مآثر ابراهيم ومناسكه ويحج البيت وهذه
كلها عبادة واي عبادة اعظم من توحيد الله تع وترك الاصنام وقد
سمى الله تع معرفته عبادة حيث قال وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون وقال المفسرون معناه الا ليعرفون فعبر عن المعرفة بالله تع
بالعبادة وقد ثبت في الاحاديث الصحيحة انه عم كان يتحنث قبل البعثة
في غار حراء وجوابه ان جميع ذلك مسلم الا ان المراد بالعبادة التي نفيت
عنه عم قبل البعثة هي اعمال الجوارح الواقعة على سبيل الامتثال لامر
الشارع فان العبادة قد تطلق على هذا المعنى والايمان والنية والاخلاص
شروط لصحة العبادة بهذا المعنى واياها اراد من قال فقيه واحد
اشد على الشيطان من الف عابد وقد اختلف في انه عم هل
كان متعبدا بالعبادة بهذا المعنى قبل نبوته اولا فذهب الامام الرازي وجماعة من
اصحاب الشافعي وابو الحسين البصري واتباعه الى انه عم لم يكن متعبدا بهذا
المعنى واجابوا عن الطواف والتحنث ونحوهما من المكارم بانها ليست
بعبادة بهذا المعنى لانها يجب ان تكون مسبوقة بامر الشارع ولم يرد بها
من قبله ولا امر قبل البعثة فاذا لم تكن تلك الافعال عبادة بهذا المعنى

لم يكن من متعبدا قبل البعثة لأن ما وقع منه من قبلها من قبيل الجري
على العادة المستمرة القديمة والمكارم الحسنة المقبولة من غير أن ينظر فيه
إلى كونه طاعة الله تعالى أديت على طريق الامتثال لأمر الشارع قال الإمام
في تفسير سورة البينة العبادة في الأصل هو التذلل ومن زعم أنها
طاعة فقد أخطأ لأن ما وقع من المشركين من عبادة الملائكة والمسيح
والأصنام عبادة وليست بطاعة لأنهم ما أطاعوهم لأن الطاعة
عبارة عن امتثال الأمر وهم ما أمروا المشركين بذلك ولكن في الشرع
صارت اسما لكل طاعة الله تعالى أديت على وجه التذلل ونهاية التعظيم فظهر
بهذا أنه لا بعد في كون الفعل عبارة من شيئين أحدهما غاية التعظيم ولذلك
قلنا إن صلوة الصبي ليست بعبادة وإن تضمن نهاية التعظيم
لأنه غير مأمور به انتهى معنى كلامه **قوله** وإنما قال ما دون من أي في القرينة
الرابعة وهي قوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد والمراد بما أعبد في الموضعين
هو الله وإن أصل ما أن لا يطلق على أولي العلم ما كلمة ما في قوله لا أعبد
ما تعبدون وفي قوله ولا أنا عابد ما عبدتم فإنها واقعة في موقعها لأن
المراد بها فيهما الأصنام وأجاب بجوابين الأول أن الله تعالى عبر عنه بلفظة
ما لأنه لا يراد به نفس ذاته تعالى بل أريد به الوصف وهو الحق ولما حمل في قوله
ما أعبد على الحق حمل في قوله ما عبدتم وما تعبدون على الباطل تحقيقا
للتقابل والثاني أنه لما عبر عن المعبودات الباطلة بما على الأصل عبر عن
المعبود بالحق أيضا به للمطابقة والمشاكلة فإن المقابلة تحسن ما لا يحسن
حال الانفراد ثم أشار إلى جواب ثالث بقوله وقيل مصدرية محصوله أنه إنما
يحتاج إلى الاعتذار بأحد الوجهين أن لو كانت موصولة وليست كذلك بل
هي مصدرية في المواضع أي لا أعبد عبادتكم أي مثل عبادتكم ولا بد من
هذا التقدير لأن الشخص لا يفعل نفس فعل غيره ولكن يفعل مثل فعله
وكذا الكلام في أخواتها **قوله** وقيل الأوليان بمعنى الذي فالمعنى لا أعبد الأصنام
ولا تعبدون الله تعالى والأخريان مصدريتان والمعنى ولا أنا عابد مثل عبادتكم
المبنية على الشك ولا أنتم عابدون مثل عبادتي المبنية على اليقين ف
انظر أن معنى القول بحمل هذه القرائن الأربع على التأسيس بيان الفائدة

بينهما

بينهما بهذا الوجه ولا دخل له في الجواب إذ لا تعرض فيه لوجه التعبير بما في
بعضها مما في القرينة وإنما أخره إلى هنا من حيث إنه لا تعلق له بهذا الموضع
أيضا فليس فيه إذن في الكفر ولا منع عن الجهاد ولا تعرض للفظ العبادة
بشيء كل منهما فإن قوله لكم دينكم بالله يشعر الإذن في الكفر وهو غير صحيح
لأنه ما بعث إلا للمنع عن الكفر فكيف يأذن فيه فلما قيل في قوله لكم دينكم
أنكم لا تتركونه أبدا لأن الله تعالى قد حكم أنكم تموتون عليه كان هذا الكلام
في ذلك لقوله ولا أنتم عابدون ما أعبد حيث كان بيانا لمحصل معناه
فهو بهذا المعنى لا يكون مشعرا بالإذن في الكفر ولو كان المراد به الإذن في الكفر
لكان ذلك منعا له عن الجهاد ولما كان مأمورا بأن يأذن لهم في البقاء
على الكفر يستلزم منعه عنه فلما لم يكن المراد به الإذن لم يكن فيه دلالة
على المنع من الجهاد وأيضا وإن فسر الدين بالحساب كان المعنى لكم حسابكم
ولي حسابي ولا يرجع إلى كل واحد منا من عمل صاحبه أثر البتة والدين وقد
يجيء بمعنى الدعاء كما في قوله ادعوا الله مخلصين له الدين ومعنى الآية على
هذا لكم دعاؤكم وما دعاء الكافرين إلا في ضلال وإن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم
ولي استجيب الذين آمنوا ادعوني أستجب لكم وفي الصحاح الدين بالكسر
العادة والشأن وقال الإمام وقيل الدين العادة والمعنى لكم عادتكم المأخوذة
من أسلافكم ومن الشياطين ولي عادتي المأخوذة من الملائكة ومن
الوحي ثم يبقى كل واحد منا على دينه حتى تلقون الشياطين والنار وألقى الملائكة
والجنة ولم أجد تفسير الدين بالعبادة ولعل ما في النسخ من طرق الناسخين
أظهرك إياك على أعدائك النصر الإعانة يقال
نصرت فلانا إذا أعنته على خصمه مطلوبه الذي كان متعلقا به وجعل الله تعالى
إياه ثم كناية عن إظهاره على أعدائه أي جعله إياه غالبا على أعدائه
يقال ظهرت فلانا كذا إذا غلبت عليه لأنه إذا نصر الله عبدا على أعدائه
بالضرورة يكون غالبا عليهم ولم يبق النصر على ظاهره لظهر الفرق بينه وبين
الفتح حتى يظهر وجه عطفه عليه مع أنه لو بقي على ظاهره لصح العطف
أيضا لأن النصر كالسبب للفتح ولا بعد في عطف المسبب على السبب فإن
قيل لا شك أن فتح مكة وسائر البلاد وقع ببعض الصحابة من المهاجرين

مطلب سورة نصر الله

والانصار في السبب في اضافة الفعل المصادر عنهم الى الله تعالى حيث قيل
نصر الله تعالى والجواب انه لهم مستندة الى ما في قلوبهم من الدواعي والصوارف
وتلك الدواعي والصوارف امور حادثة فلا بد لها من محدث وهو ليس
هو العبد والا لزم التسلسل فلا بد وان هو الله فيكون المبدأ الاول في
المؤثر الابعد هو الله تعالى ويكون الاقرب هو العبد فمن هذا الاعتبار صارت
النصرة المضافة الى الله تعالى وهذه الاضافة لتعظيم المضاف اي نصر لا يليق
الا بالله ولا يليق ان يفعله الا الله والمجيء حقيقة في الاعيان التي تتحرك بالمشي
المشي ومجيء في المعاني وانقضاء بعد اذا وقع نصر الله او حصل الا انه عبر
عن الوقوع والحصول بالمجيء للاشعار المذكور وتوضيحه ان الحوادث
الذي قدر في الازل وجودها فالله تعالى قدر لحدوث كل واحد منها اسبابا
معينة واوقاتا مقررة لا يحدث شيء منها الا اذا تحقق اسبابها وحضرة
اوقاتها فشبه كونها مربوطة معلقة بتلك الاوقات بكونها متوجهة اليها
بحيث تقرب منها شيئا فشيئا وشبه وقوعها عند حضور اوقاتها بمجيئها
اليها فاطلق اسم المجيء على ذلك الوقوع ثم اشتق منه لفظ جاء فهذه استعارة ره
تبعية ومثل هذا الكلام يقصد به تنبيه المخاطب على قرب مجيء ما استقر
الجنة اليه وتوصيته بما يتعلق بمجيئه تقول اذا جاء غائبك فاصنع به
كذا وكذا انما يقال للتنبيه والتوصية المذكورين فلذلك قال المص وقرب
النصر وقته وظهر من هذا التقرير ان هذه السورة نزلت قبل فتح مكة
عدة لرسول الله عم ان ينصره على اهل مكة وان يفتحها عليه فعلى ان كلمة اذا
ظرف لما يستقبل لا يقال انما قد وقع وجاء اذا وقع واذا جاء وقيل انها
نزلت بعد فتح مكة وانها فتحت في سنة ثمان ونزلت هذه السورة في سنة
عشر وروي انه عم عاش بعد نزول هذه السورة سبعين يوما ولذلك
سميت سورة التوديع وروي انه عم عاش بعد نزولها سنتين وصار
مستديما للتسبيح والاستغفار وعن عائشة رضي الله عنها انه عم كان بعد نزول
هذه السورة يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي وعن
ابن مسعود لما نزلت هذه السورة كان عم يكثر ان يقول سبحانك وبحمدك
اللهم اغفر لي انك انت التواب الغفور وقال مقاتل انه عم عاش بعد نزولها

حولا

الكلمة

حولا ونزل اليوم اكملت لكم دينكم فعاش بعده ثمانين يوما ثم نزلت اية الكلالة
فعاش بعدها خمسين يوما ثم نزل لقد جاءكم رسول من انفسكم فعاش
بعدها خمسة وثلثين يوما ثم نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فعاش
بعدها احد عشر يوما وفي رواية اخرى عاش بعدها سبعة ايام
والله اعلم بحقيقة الاحوال قال النحويون اذا منصوب بسبح والتقدير
فسبح بحمد ربك اذا جاء نصر الله فكأنه تعالى يقول جعلت الوقت ظرفا
لما تريده وهو النصر والفتح وكثرة الاتباع والاعوان ومرادك من هذه
الاشياء وبعثتك اليك فلا ترده الى فارغ بل اما مرادك من العبودية لتحقق
معنى تهادوا والحب بينكم قال اي شيء املاء ظرف هديتك وانا نقول
في المعنى ان لم تجد شيئا آخر فلا اقل من تحريك اللسان بالتسبيح والحمد و
الاستغفار فان تقل ذلك حصل معنى تهادوا فلاجرم حصلت
المحبة فانه عم حبيب الله واعلم ان صفة الحق منحصرة في قسمين سلبية
وثبوتية والسلوب متقدمة على الايجاب والتسبيح اشارة الى التعرض
للصفات السلبية لواجب الوجود وهي صفات الجلال والتحميد اشارة
الى الصفات الثبوتية لله تعالى وهي صفات الاكرام ولما امر بالاشتغال بوصف
واجب الوجود بصفاته السلبية والثبوتية ومعرفته بجميع صفات كماله امره
بعده بالاستغفار فيه رؤية قصور النفس وفيه رؤية وجود الحق وفيه
هو الاهم طلب ما اصلح والاكمل للنفس من حضرة وهاب العطايا وهذا الطريق
ايضا التنزل من المؤثر الى الاثر اشرف طرف السير بين فان لهم طريقين
في معرفتهم منهم من يقول ما رأيت شيئا الا ورأيت الله تعالى بعده ومنهم من
يقول ما رأيت شيئا الا ورأيت قبله ولا شك ان التنزل من المؤثر الى الاثر
احق مرتبة من الصعود من الاثر الى المؤثر لان الاستدلال بالاصل على
التبع اقوى من الاستدلال بالتبع على الاصل ولكون هذه الطريقة اشرف ف
الطريقين قدم الاشتغال بالخالق على الاشتغال بالنفس بالخلق فذكر
اولا من الخالق امرين احدهما التسبيح والثاني التحميد وذكر في المرتبة الثالثة
الاستغفار وهو حالة ممتزجة من الالتفات الى الخالق والى الخلق ووجه
الترتيب ما ذكرنا ✻ تعالى يدخلون في موضع النصب على انه حال

من الشمس ان جعلت رؤية بمعنى الابصار او العرفان وان جعلت بمعنى العلم كان
مفعولا ثانيا له وافواجا حال من الضمير في يدخلون والفوج الجماعة الكثيرة
روي عن الحسن انه قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة اقبلت العرب بعضها
على بعض فقالوا اما اذا ظفر باهل الحرم فليس لاحد به طاقة وقد كان
الله تعالى اجارهم من اصحاب الفيل ومن كل من ارادهم بسوء فلهم اخذوا
يدخلون في الاسلام افواجا من غير قتال وقال كانت تدخل فيه القبيلة باسرها
بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين واثنين جماعة كثيفة
الكثافة الغلظة وهو ضد الرقة والمراد بها ههنا الكثرة اي فوجا بعد
فوج فتعجب اي قل سبحان الله والحمد لله تعجبا مما اراك من عجيب انعامه
وهو الفتح على اهل الحرم فان هذه الكلمة يقال عند التعجب عادة
فتصح ان يفسر الامر بالتسبيح بالامر بالتعجب لذلك ولا سيما المقام مقام
تعجب ولعل الوجه في هذه الكلمة عند التعجب كما ورد في الاذكار والحكم
المجوبة سبحان الله وهو ان الانسان عند مشاهدة الامر العجيب الخارج
عن حد امثاله يستبعد وقوعه وينفعل نفسه منه كانه احتقر قدرة الله
فلذلك خطر على قلبه ان يقول من قدر عليه واوجده ثم تدارك انه في هذا
الزعم مخطئ فقال سبحان الله تنزيها لله تعالى عن العجز عن خلق امر عجيب
يستبعد وقوعه لتيقنه بانه تعالى على كل شيء قدير قوله او فسر تسمية التسبيح
من حيث انها لا تخلو عنه فانه جزؤها فالتسبيح مجاز مرسل فيها وحمل
اللفظ على المجاز لما وجب ان يستند الى قرينة تعينه ايد هذا بما روي
من انه عليه السلام صلى ثمان ركعات يوم فتح مكة واخر البيت ثم قال بعضهم
عني به صلوة الشكر فصلاها يوم الفتح ثمان ركعات وقال اخرون هو
صلوة الضحى وقال اخرون صلى ثمان ركعات اربعة للشكر واربعة للضحى
قد ورد لفظ التسبيح في القران بمعنى الصلوة حيث قال فسبحان الله
حين تمسون وحين تصبحون وقال وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس
قوله او فنزهه قيل لرسول الله عليه السلام ما المراد بالتسبيح في قوله فسبح بحمد
ربك فقال تنزيه الله تعالى من كل سوء فانه تعالى منزه في ذاته عن الامكان
وما يتفرع عليه وفي صفاته كالجهل والعجز عالم بكل المعلومات قادر على

كل المقدورات وصفاته منزهة عن التغيرات وفي افعاله فانه تعالى في افعاله لا
يكون لجلب نفع او دفع ضرر بل هو مستغن عن كل الموجودات ومستول عليها با لاعدام
والايجاد قوله او فاثن على الله تعالى بصفات الجلال الثناء اعم من التنزيه
لتناوله التوصيف بالصفة الثبوتية والسلبية الا انه خص الثناء بالتوصيف
بصفة الجلال وهي صفة يقتضي كمال الذات ولا يكون لها اثار في خلقه كالعز والغنى
والملك والتقدس والعلم ونحوها وصفات الاكرام صفة لها اثار في خلقه
مثل القدرة والارادة والتخليق والترزيق والاحياء والاماتة وامثالها و
جعل الحمد بمعنى الشكر لئلا يكون بمقابلة الفواضل للتعدية وصفة الاكرام لئلا يلزم
التقييد الخالي عن الفائدة ولا يكون محض المعنى فان فسر جنسا فانه قوله بحمد
ربك حال من المنصوب في فسبح اي سبحه حامدا له اي مقررا ان يحمده بعد
التسبيح فانه يقول لا ينافي الجمع بين لفظي التسبيح والتحميد في اللفظ جمعهما
نية كما انك يوم النحر تنشئ في صلوة العيد مقدرا تنحر بعده فيجتمع لك ثوابهما
فكذا الامر ههنا قوله هضما للنفس اشارة الى الحكمة الداعية الى امر النبي المعصوم
عن الذنب بالاستغفار وهضم النفس وكسرها بان بعدها قاصرة عن البلوغ
الى درجة الكمال في المعرفة والعبادة ويقول عليه السلام ما عرفناك حق معرفتك وما
عبدناك حق عبادتك ولما كان مراتب السير الى الله غير متناهية كان كل مرتبة
من مراتب العرفان فوقها مراتب اخرى وعلى حسب تفاوت مراتب العرفان
تفاوت مراتب العبادة من النوافل المتفرعة على معرفة عظمة المعبود فاذا
وصل العبد الى مرتبة في العبودية ثم تجاوزه عنه فبعد تجاوزه عنه يرى ذلك
المقام قاصرا فيستغفر الله منه وهذا القدر انما يحتاج اليه على تقدير ان يكون
معنى قوله واستغفره واستغفر الله لنفسك واما اذا قيل ان معناه استغفر الله
لذنب امتك فلا حظ لانه تعالى امره بالاستغفار لذنب امته في قوله واستغفر
لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وههنا لما كثرت الامة كثرت ذنوبهم فصار
الاستغفار لهم اوجب واهم قوله انه كان توابا لمن استغفر من خلق المكلفين يعني
ان كان ههنا للدلالة على استمرار ثبوت خبرها لفاعلها من خلق المكلفين
ومن كان شأنه هذا فلا يقبل استغفارك وتوبتك فلا يرد ان يقال ان
الافعال الناقصة انما تدل على زمان ثبوت خبرها لفاعلها فكانه يدل على

ان ذلك الشيء وقع في الماضي ويكون يدل على انه في الحال او المستقبل فالمفهوم من الاية
انه تعالى تواب غفار في الماضي كيف يكون علة للاستغفار في الحال او المستقبل ووجه
سقوط هذا الوهم على توجيه المص ظاهر ومعنى كونه تعالى توابا انه يكثر منه قبول
التوبة ويبالغ فيه وفيه ايماء الى انه يجب على العبد ان يكون مكثرا ومبالغا في الاتيان
بالتوبة تمت وانه نعي النبي كالمرثي والنعي خبر كالنعي عند حاضر الموت والنواعي
الناعي وهو الذي يأتي بخبر الموت يقال نعاه نعيا اي اخبر بالموت تمت ونعي
ذلك اي ونعي الوحي كون نزول هذه السورة نعيا له عم هو انها نزلت على
حصول النصر من عند الله وجعله اياه غالبا على اعدائه وعلى حصول الفتح
ودخول الناس في الدين افواجا وذلك يدل على تمام امر الدعوة وانقطاع
الاحتياج اليها بعد بلوغ امر الدين الى كماله وتمام امر الدعوة والتبليغ يوجب
الموت لانه لو بقي بعد ذلك مشتغلا بالتسبيح والحمد والاستغفار فارغا
عن امر الامة لكان كالمعزول عن الرسالة وانه غير جائز ولان الامر بالاستغفار
تنبيه على قرب الاجل لانه يقرب قرب الموت ودنا الرحيل فتأهب للامر ففيه
تنبيه على ان العاقل يجب ان يستكثر التوبة اذا قرب اجله ولهذا سميت
سورة التوديع لما فيها من الدلالة على توديع الدنيا ولا بأس في ان نذكر
قصة فتح مكة على وجه الاختصار روي انه لما كان صلح الحديبية وتحزب
رسول الله عم اغار بعض بني بكر في عهد قريش على خزاعة وكانوا في
عهد النبي عم فجاء سفير ذلك القوم واخبر رسول الله عم فعظم ذلك
عليهم ثم قال اما ان العارض ليخبرني ان الظفر يجيء من الله تعالى ثم قال لاصحابه
انظروا فان ابا سفيان يجيء ويلتمس ان يجدد العهد فلم يمض ساعة
ان جاء الرجل ملتمسا لذلك فلم يجبه الرسول عم ولا اكابر الصحابة فالتجأ
الى فاطمة فلم ينفعه ذلك رجع الى مكة آيسا وجهز رسول الله عم للمسير
الى مكة ثم يروى ان سارة مولاة بعض بني هاشم اتت المدينة فقال
لها اجئت مسلمة قالت لا لكنكم الموالي وبي حاجة فحث رسول الله
بني عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها فاتاها حاطب بعشرة
دنانير واستحملها كتابا الى اهل مكة نسخته واعلموا ان رسول الله عم
يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبرائيل بالخبر فبعث

رسول الله عم عليا وعمارا وجماعة وامرهم ان يأخذوا الكتاب والا فاضربوا
عنقها فلما ادركوها جحدت وحلفت فسل علي رض سيفه وقال والله ما
كذبنا فاخرجته من عقيصة شعرها واستحضر النبي عم حاطبا وقال
ما حملك عليه فقال والله ما كفرت منذ اسلمت ولا احببتهم منذ فارقتهم لكن
كنت غريبا في قريش وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون
اهاليهم فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذ عندهم يدا فقال عمر رض دعني اضرب
عنق هذا المنافق فقال عم وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على اهل
بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر ثم خرج رسول
الله عم وسار الى ان نزل بمر الظهران في عشرة الاف من المسلمين ولم
يتخلف من المهاجرين والانصار عنه احد فقال عباس ابن عبد المطلب
والله لئن دخل رسول الله مكة عنوة انه لهلاك قريش الى آخر الدهر
فركبت بغلة رسول الله عم وقال اخرج الى الاراك لعلي ارى حطابا او صاحب
لبن او داخلا يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله عم فيأتونه ويستأمنونه
قبل ان يدخلها عليهم عنوة قال العباس فخرجت واني لاجوف في الاراك
التمس ما خرجت له اذ سمعت صوت ابي سفيان وحكيم بن حزام و
بديل بن ورقاء وقد خرجوا يتجسسون الخبر فعرفت صوته فقلت يا ابا
حنظلة فعرف صوتي فقال ابو الفضل فقلت نعم قال مالك فداك ابي وامي قلت
ويحك يا ابا سفيان هذا والله رسول الله قد جاء بما لا قبل لكم به بعشرة
الاف من المسلمين قال وما الحيلة قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك
فاركب عجز هذه البغلة حتى اتي بك رسول الله عم فاستأمنه فردفني
فخرجت اركض به بغلة رسول الله عم فكلما مررت بنار من نيران المسلمين
قالوا هذا رسول الله حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رض فقال من هذا وقام
الي فلما رأى ابا سفيان على عجز الدابة قال ابو سفيان عدو الله الحمد لله الذي
امكن منك بغير عهد ولا عقد ثم اشتد نحو رسول الله وركضت البغلة
وسبقته بما يسبق به الدابة البطيئة الرجل البطيء فنزلت عن البغلة و
دخلت على رسول الله عم ودخل عليه عمر رض فقال يا رسول الله هذا ابو
سفيان قد امكن الله منه بغير عهد ولا عقد فدعني اضرب عنقه فقلت

يا رسول الله اذهب به الى قد اجرته فجرى بين العباس وعمر فيه بحث طويل
وقال رسول الله اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا اصبحت فأتني به قال
عباس فذهبت به الى رحلي فبات عندي فلما اصبح غدوت به الى رسول الله صلعم
فلما راه قال ويحك يا ابا سفيان الم يأن لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال
اظن انه لو كان معه اله غيره لقد اغنى عنا شيئا وقال يا ابا سفيان
الم يأن لك ان تعلم اني رسول الله فقال ان لي في هذه شيئا قال العباس
فقلت ويحك اسلم واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قبل
ان يضرب عنقك قال فشهد شهادة الحق واسلم قال العباس ابو سفيان الآن
لا هل مكة فقلت يا رسول الله ان ابا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعله
له شيئا قال نعم من دخل دار ابي سفيان فهو امن فقال ومن يسع داري
فقال ومن دخل المسجد فهو امن فقال ومن يسع المسجد فقال ومن
القى سلاحه ودخل مسكنه فهو امن فخرج ابو سفيان من عنده صلعم مسرعا
حتى اتى مكة فصرخ في المسجد باعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد
جاءكم بما لا قبل لكم به فقالوا فمه قال من دخل دار ابي سفيان فهو
امن قالوا ويحك وما تغني عنا دارك قال ومن دخل المسجد الحرام فهو
امن ومن دخل مسكنه واغلق عليه فهو امن فتفرق الناس الى دورهم
والى المسجد الحرام حتى جاء رسول الله صلعم ووقف على باب المسجد وقال لا اله الا
الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال
يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم فقالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم
فقال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم فلذلك سمي اهل مكة طلقاء وفي
ذلك دليل على قول المعوية استوى المولى والمعتق يعني اعتقناكم حين
مكنت الله تعالى من رقابكم ولم يقل اذهبوا فانتم عتقاء بل قال الطلقاء
لان المعتق لا يجوز ان يرد الى الرق والمطلقة يجوز ان تعاد الى رق النكاح
واهل مكة كانوا بعد على الكفر فكان يجوز ان يخونوا فيسترق منهم مرة اخرى
ولان الطلاق يختص النسوان وقد القوا السلاح واظهروا المسكنة
كالنسوان فلذلك شبههم بهن ووصفهم بما يوصف به النساء ثم اجتمع الناس
للبيعة على الاسلام فجلس لهم رسول الله صلعم على الصفا وعمر بن

الخطا

الخطاب اسفل منه ياخذ على الناس فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا
فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من
رمضان سنة ثمان واقام رسول الله بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة
يقصر الصلوة ثم خرج الى هوازن وثقيف فهذا قصة فتح مكة شرفها الله تعالى

مطلب سورة تبت

هلكت او خسرت فان التباب يستعمل بمعنى الهلاك
كما في قولهم شابة ام تابة يعني ام هالكة ومنه قوله تعالى وما كيد فرعون
الا في تباب اي في هلاك ويستعمل بمعنى الخسران ومنه قوله تعالى وما
زادوهم غير تتبيب اي غير تخسير بدليل انه قال في موضع اخر غير تخسير
واصل معناه هو الخسران المؤدي الى الهلاك قيل المراد بيدي ابي
لهب نفسه كما في قوله تعالى بما قدمت يداك اي نفسك ومنه المثل المضروب
عمن جنى على نفسه يداك اوكتا وفوك نفخ قيل مورده ان رجلا اراد
ان يعبر البحر على زق قد نفخ فيه وشد وكاءه فلم يحسن احكامه حتى
اذا توسط البحر خرجت منه الريح فكاد ان يغرق فاستغاث رجلا على
الشط وقد دنا بالقرب منه فاستغاث به فقال الرجل يداك اوكتا و
فوك نفخ فصار مثلا يضرب للجاني على نفسه وهذا التعبير يوافق كلام
يقولون اصابه يد الدهر ويد الزمان اي اصابه نفس ذلك فعلى هذا
يكون قوله تبت يدا ابي لهب دعاء عليه بهلاك نفسه قوله وقيل انهما
خصتا بالذكر لان المراد باليدين نفس الجارحتين المخصوصتين وان المقصود
من الدعاء عليه بهلاك يديه وخصت بالدعاء بهلاكهما لان القصة
ان ابا لهب رمى رسول الله صلعم حين انذره بعذاب الاخرة لانه قيل شلت يداه
كيف تصدان يرمي بهما مثل النبي المكرم صلعم وهو يدعوه لينجيه من شقاوة
الابد الى سعادة الدارين عن ابن عباس انه لما كان يكتم امره في اول المبعث
ويصلي في شعاب مكة ثلث سنين الى ان نزل وانذر عشيرتك الاقربين

سورة النصر

فصعد الصفا ونادى يا ال غالب فخرجت اليه ال غالب من المسجد
ثم نادى يا ال لوي فحضروا عنده ثم نادى يا ال مرة فاجتمعوا عنده
ثم نادى يا ال كلاب ثم نادى يا ال قصي فقال ابو لهب قد جمع عندك
قبائل قريش بطنا فاعندك فقال ان الله تعالى امرني ان انذر عشيرتك

الاقربين وانتم الاقربون اني لا املك لكم من الدنيا حظا ولا من الاخرة نصيبا الا
ان تقولوا لا اله الا الله فاشهد بها لكم عند ربكم فقال عند ذلك تبا لك
الهذا دعوتنا فاخذ حجرا ليرميه عليه فمنعه الله تعالى من ذلك حيث
لم يستطع ان يرميه وهو قوله وتب فنزلت السورة قوله وقيل المراد به دنياه
واخراه فاليدان على هذا مجاز مرسل من قبيل اطلاق اسم السبب على
المسبب كما اذا اريد بها النفس لانه يكون من قبيل اطلاق اسم الجزء
على الكل قوله ولانه لما كان من اصحاب النار كانت الكنية اوفق بحاله اي ادل
عليها من الاسم وذلك لان ابا لهب باعتبار معناه الاضافي في اصله ان يكون
كناية عن حاله وهو كونه جهنميا لان معناه باعتبار اضافته ملابس
اللهب كما ان معنى ابو الخير واخو الحرب كذلك باعتبار ملابس الخير و
الحرب واللهب الحقيقي لهب جهنم وهذا المعنى يلزمه انه جهنمي فتثبت هذه
الكنية باعتبار معناها الاصلي الاضافي في اصله كناية عن كونه جهنميا انتقالا
من الملزوم الى اللازم وانها اوفق وادل على حاله التي هي كونه جهنميا
فلذلك اختيرت الكنية على الاسم لان الاسم لا يدل على حاله والكنى وان كان
المراد بها المعاني العلمية وهي الذات المسمى بها لكنهم يعتبرون في الكنى المعاني
الاصلية ايضا ولهذا كانت الكنية اوفق بحاله اي ادل على كونه من اصحاب النار
وهذا معنى قول صاحب التلخيص تعريف المسند اليه بايراده علما قد يكون
لكونه كناية عن معنى يصلح له العلم فليرجع اليه قوله وذكر ابو لهب بالواو
مع ان الظاهر ابا لكونه مضافا اليه كما هو قراءة الجمهور قوله وصح القراءة
بالواو هو ان الشخص لما كان مشهورا بهذه الكنية صارت بمنزلة اسمه
العلم فلم يتغير منه شيء من الاحوال لان الاعلام لا تتغير كما يقال علي بن ابو
طالب ومعاوية ابن ابو سفيان لذلك قوله وتب اخبار بعد دعاء يعني
ان الجملة الاولى دعاء عليه بالهلاك كقوله قتل الانسان ما اكفره والثاني
بيان استحقاقه لان يدعى عليه بالهلاك فان حقيقة الدعاء شان
العاجز وهو الله تعالى منزه عنه والجملة الثانية اخبار عنه فقوله دعاء
وقوعه مطلوب على سبيل التفاؤل في مثل قوله وقد نفعوا له وياتي في
البيت يروى بالواو من عوى الكلب اذا صاح وبالدال من عدا في

المشي

١٣٩

المشي اذا اسرع ولعل المراد بها الكلاب الكلبة وهي التي ياخذها شبه الجنون
يسري مرضه الى من يعضه ووجه دلالته قراءة وقد تب على ان يكون الجملة
الثانية اخبارا بعد دعاء انه قولا بعد ظهور الدعاء فان قيل اذا دل الدليل
على ان المراد بالجملة الثانية الاخبار بعد الدعاء ينبغي ان يتعين ذلك
وينقطع احتمال ان يكون كل واحد منهما اخبارا ولكن يراد بالاول هلاك
عمله وبالثانية هلاك نفسه كما اشار اليه بعض الوجه في تجويز ذلك
الاحتمال قلت المراد بالدليل جوازه لا دليل تعينه بالمرادية بحيث لا يصح
ارادة غيره في قوله ويدل عليه اي على جوازه ولم يجعل الجملة الثانية تكرارا
للاولى لتكون تاكيدا لانه لو كان الامر كذلك لم يتخلل الفاصل بينهما والله اعلم
قوله والاول اخبار عما كسبت يداه اي اخبار بهلاك عمله وانه محروم عما
يترتب من المنافع عليه والثاني اخبار بهلاك نفسه فانه هالك ضايع
في الدنيا والاخرة وانما عبر عن عمله باليدين لان اكثر الاعمال انما تحصل
بمباشرة اليدين قوله لم يغن ماله عنه اي يجوز ان يكون ما نافية
[illegible] من العذاب الحق به وهذا يكون مفعول قوله اغنى محذوفا اي لم
يغن عنه ماله شيئا وهو استئناف جوابا عما كان يقول انه ان كان ما يقول
ابن اخي حقا فانا افتدي منه نفسي بمالي واولادي ويتوهم من صدقه و
ثم تحسيله وتهكما بما كان يتخيله من المال والبنين ويجوز ان يكون
للاستفهام الانكاري فيكون في موضع النصب باغنى اي شيء اغنى عنه
ماله حين نزل به التباب والبلاء فانه لا احد اكثر مالا من قارون وما
دفع عنه الموت والعذاب ولا اعظم ملكا من سليمان عم فهل دفع
ملكه عنه الموت ولم يصح في الاية ان المراد من الافعال فيما ذكر بعضهم
في عداوة الرسول صلعم فانه كان يعتقد انه يريد العلو وانه يخرجه من مكة
ويذله ويغلب عليه اعتمادا على كثرة امواله واولاده وقال بعضهم انها
لم تغن عنه في دفع النار ولذلك قال سيصلى نارا فانه تصريح بالهلاك
بحيث يظهر معه عدم اغناء المال وما كسب ويؤيد هذا المعنى ما روي
عنه من قوله ان ما يقول ابن اخي ان كان صدقا فانا افتدي منه
نفسي بمالي واولادي قوله وكسبه على ان ما [illegible] في وما كسب مصدرية

وقوله او مكسوبه يحتمل ان يكون موصولة او موصوفة اي والذي كسبه او شيء
كسبه والموصول وكذا الموصوف عبارة عن المكسوب فلذلك فسرها به
والكسب ايضا بمعنى المكسوب ثم انه يحتمل ان يكون المراد بماله رأس المال
اي نفعه ماله وبمكسوبه ما اكتسبه باصل ماله من النتائج والارباح والتابع
ويحتمل ان يكون المراد بماله ما في يده من المال مطلقا وبكسبه ما اكتسبه
من الاعمال او من ولده قال ابن عباس رض ما كسب ولده وقد ورد في الحديث
تسمية الولد كسبا في قوله عم ان اطيب ما ياكل الرجل من كسبه وان ولده
من كسبه وفي قوله عم وما لك لابيك قوله وقد فسر اسحاق هلكه وقال ان
ذلك بدعاء رسول الله عم دعا عليه لشدة عداوته روي عن عروة بن
الزبير ان عتبة بن ابي لهب وكان تحته بنت رسول الله عم اراد الذهاب في
الى الشام فقال لاتين محمدا فلاوذينه فاتاه فقال يا محمد اني كافر بالنجم
اذا هوى وبالذي دنى فتدلى ثم تفل في وجه رسول الله ورد عليه ابنته و
طلقها فقال عم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان ابو طالب حاضرا
عنده فوجم لها اي اشتد حزنه حتى امسك عن الكلام لاجل تلك الدعوة
وقال ما اغناك يا ابن اخي عن مثل هذه الدعوة فرجع عتبة الى ابيه
فاخبره ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من الدير
فقال ابو لهب لاصحابه اعينونا يا معشر قريش هذه الليلة فاني اخاف
على ابني دعوة محمد عم فجمعوا رحالهم واناخوها حولهم واحدقوا
بعتبة فسلط الله الاسد والقى السكينة على الابل فجعل الاسد يتخللهم
ويشم وجوههم حتى وجد عتبة وافترسه فقال حسان بن ثابت من
يرجع العام الى اهله فما اكيل السبع بالراجع قد كان لكم هذا عبرة للسيد
المتبوع والتابع فعلى هذه الرواية احتمل ان يكون قوله تبت يدا ابي لهب
اخبارا عن هلاك ولده عتبة وكون نزول هذه السورة متقدما على
هلاكهما لا ينافي كون الاخبار الواقع فيها بلفظ الماضي لان ذلك مبني على ان
ما هو معلوم تحقق ذلك قوله ومات ابو لهب بالعدسة الجوهري
العدسة بثرة تخرج بالانسان وربما قتلت قال الامام هذه الايات
تضمنت الاخبار عن الغيب من ثلثة اوجه احدها الاخبار عنه بالتباب

وقد

وقد كان كذلك وثانيها الاخبار عنه بعدم الانتفاع بماله وولده وقد كان
كذلك لانه مات على الكفر روى ابو رافع مولى رسول الله عم قال كنت غلاما
للعباس بن عبد المطلب وكان الاسلام دخل بيتنا فاسلم العباس واسلمت
ام الفضل وكان عباس يهاب القوم ويكتم اسلامه فكان ابو لهب تخلف
عن بدر فبعث مكانه العاص بن هشام ولم يتخلف رجل منهم الا بعث مكانه
رجلا فلما جاءه الخبر عن وقعة اهل بدر وجدنا في انفسنا قوة وكنت
رجلا ضعيفا وكنت اعمل القداح انحتها في حجرة زمزم فكنت جالسا (أنحتها)
وعندي ام الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر اذ اقبل ابو لهب
يجر رجليه فجلس على طنب الحجرة وكان ظهره الي فبينا هو جالس
اذ قال الناس هذا ابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب فقال له ابو لهب
كيف الخبر يا ابن اخي فقال لقينا القوم ومنحناهم اكتافنا يقتلوننا كيف
ارادوا وايم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق
بين السماء والارض فقال ابو رافع فرفعت طنب الحجرة ثم قلت اولئك و
الله الملائكة فاخذني وضربني على الارض ثم برك علي يضربني وكنت رجلا
ضعيفا فقامت ام الفضل فضربته على راسه وشجته وقالت تستضعفه (تستضعفه)
ان غاب سيده والله نحن مؤمنون منذ كنا وقد صدق فيما قال لنا نحن
ذليلا فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته و
قد تركه ابناه ليلتين او ثلثا لم يدفنوه حتى انتن في بيته وقريش تتقي (ولما انتن)
العدسة وعدوى كما تتقي الناس الطاعون ويقولون نخشى هذه القرحة
ثم دفنوه وتركوه فهذا معنى قوله ما اغنى عنه ماله وما كسب قوله وليس
هو يدل على انه لا يؤمن حتى يستدل به على وقوع التكليف بما لا يطاق بناء على
انه لا شك ان ابا لهب مكلف بان يؤمن بجميع ما جاء به عم من عند الله تعالى
ومن جملة ما جاء به من عنده تعالى قوله تعالى سيصلى نارا ذات لهب فهو مكلف
بان يؤمن بهذا القول ومضمونه ولو كان فيه ما يدل على انه لا يؤمن لكان
مكلفا بان يؤمن وهو المعنى تكليف بان لا يؤمن فيكون تكليفه بالايمان تكليفا
له بان يجمع بين النقيضين وليس ذلك في وسع العبد وطاقته فاذا كان
ابو لهب مكلفا بالايمان واستلزم ذلك تكليفا بما ليس في وسعه ثبت

بذلك وقوع التكليف بما لا يطاق مع ان العلماء اتفقوا على عدم وقوعه استدلالا
بقوله تع لا يكلف الله نفسا الا وسعها فانه يدل على عدم وقوع ذلك ولم يدل
على عدم جوازه والا لدل قوله تع انبئوني باسماء هؤلاء للتعجيز لا التكليف وقوله تع حكاية
عن المؤمنين ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به ليس المراد بالتحميل التكليف
بما لا يطاق غير واقع باتفاق العلماء على انهم اختلفوا في جوازه فمنعه
الحنفية والغزالي من الشافعية والمعتزلة وجوزه الاشعري ومن تابعه و
من اراد زيادة في هذه المسئلة فعليه مراجعة علم الكلام والمراد بما لا
يطاق اعم مما كان ممتنعا في نفسه كالجمع بين الضدين او ممكنا في نفسه
خارجا عن قدرة العبد كخلق الاجسام واما ما يمتنع بناء على ان الله تع
علم خلافه او اراد خلافه كايمان الكافر وطاعة الفاسق فلا نزاع في وقوع
التكليف به لكونه مقدورا للمكلف بالنظر الى نفسه قوله عطف على المستكن
في سيصلى اى سيصلى هو وامرأته وحسن العطف على الضمير المرفوع المتصل
من غير تأكيده بالمنفصل للفصل بالمفعول وصفته وطول الكلام بين المعطوفين
وام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان بن حرب عمة معاوية وكانت في غاية
العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعني الحطب في نار جهنم جواب عما يقال انها كانت
من بيت العز والسعة فكيف يقال انها حمالة للحطب واجاب عنه بثلثة
اوجه الاول انه ليس المراد بالحطب المتعارف بل المراد به ما حملته من
الاثام والاوزار بسبب معاداتها رسول الله صلى الله عليه وسلم وترغيب زوجها على
ايذائه عليه السلام فالحطب مستعار لتلك الاثام تشبيها بالحطب الحقيقي في ان
كل واحد منهما سبب لايقاد النار واشتعالها اما الاوزار فانها توقد
بها نار جهنم كما ان الحطب توقد به نار الدنيا والثاني ان الحطب مستعار
النميمة فانها توقد بها نار الخصومة والحرب كما ان الحطب توقد به نار
الدنيا والحرب يطلق عليه اسم النار قال تع كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها
الله وعلى التقديرين يكون قوله تع في جيدها حبل من مسد ترشيحا
للاستعارة والاستعارة المرشحة ما اقترن بها ما يلائم المستعار
منه وهو هنا الحطب الحقيقي ويلزمه ان يلقى حامله الحبل على جيدها
بان يجعله حزمة ويجعل على جيده بالحبل المسد على الجيد والثالث

ان الحطب على حقيقته الا انها لا تحمله لمصلحة بيتها حتى يقال انها من بيت
السعة فكيف تحطب بنفسها بل المراد انها لشدة عداوتها تحمل بنفسها
الشوك والحطب لاجل ان تلقيه بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم لتؤذي به
عند خروجه للصلوة وقرأ عاصم بالنصب على الشتم والذم اى اذم حمالة
الحطب ومن قرأه مرفوعا جعله نعتا لامرأته وجاز ذلك لان الاضافة معنوية
اذ الحمالة للمضي او خبر مبتدا محذوف اى هي حمالة قوله اى حبل مسد قال
الواحدي المسد في كلام العرب الفتل يقال مسد الحبل يمسده مسدا اذا
اجاد فتله ورجل ممسود اذا كان مجدول الخلق والمسد ما مسد اى فتل
من الحبال اى حبل مفتول من اى شيء كان ذلك الحبل مفتولا من جلود الابل و
الليف او الخوص او الحديد قوله او تصويرا لها بصورة الحطابة الظاهر ان هذا على
تقدير ان يكون الحطب على حقيقته لان التصوير المذكور انما يظهر على تقدير
ان تحمل حزمة الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون مع كونها من
بيت السعة والعز والمؤمنين تصويرها بصورة الحطابة تحقيرا لها وتعييرها ها
بذلك الفعل ايذاء لها ولزوجها حتى تنزجر عن مثله او بيان ان حالها
في نار جهنم يكون على نحو ما كانت عليها في الدنيا جزاء وفاقا لعملها فلا يزال
على ظهرها حزمة من حطب جهنم من شجرة الزقوم او نحوه وفي جيدها
سلسلة من النار كما انها في الدنيا على هذه الصورة قوله والظرف وهو
قوله في جيدها في موضع الحال من قوله وامرأته وقد مر انها معطوفة على
المستكن في سيصلى وخبرا عن الظرف لاعتماده على ذي الحال قوله او
الخبر وهو في موضع ان يكون وامرأته مبتدا وخبرا عن الظرف
ايضا لاعتماده على المبتدا الله اعلم الضمير الثاني او لما
سئل عنه يعني ان ضمير هو في قوله تع قل هو فيه وجهان الاول انه ضمير الشان
لانه موضع التفخيم وتفسير الشيء بعد ذكره مبهما يفيد ذلك فيكون مبتدا
والجملة الاسمية بعده خبره والخبر الجملة لما كان عبارة عن المبتدا متحدا
معه بالذات استغنى عن العايد وذلك في انه عايد الى المسؤل عنه المدلول
عليه بالسؤال الصادر منهم قبل نزول قال الضحاك ان المشركين ارسلوا
عامر بن الطفيل الى النبي صلى الله عليه وسلم شققت عصانا وسببت آلهتنا وخالفت

مطلب سورة الاخلاص

ودين ابائك فان كنت فقيرا اغنيناك وان كنت مجنونا داويناك وان هويت امراة زوجناكها
فقال لست بفقير ولا مجنون ولا هويت امراة انا رسول الله ادعوكم
من عبادة الاصنام الى عبادته فارسلوه ثانية وقالوا قل لنا بين جنس
معبودك اهو من ذهب ام فضة فانزل الله تع السورة فقالوا له ثلثمائة
وستون صنما لا يقوم بحوائجنا فكيف يقوم الواحد بحوائج الخلق فنزلت
والصافات صفا ان الهكم لواحد قوله واحد بدل او خبر ثان لا عراب لانه
على الوجه الثاني فانه هو حينئذ لا شك انه مبتدا وقوله الله خبر واما لفظ
احد فيحتمل ان يكون بدلا من قوله الله وان يكون خبرا بعد خبر والمشهور
عند النحاة ان النكرة الغير الموصوفة لا يكون بدلا من المعرفة حتى لا يكون
هو الانقص في الدلالة على الذات المرادة مقصودا بالنسبة وما هو الا لم
يهتم توطئة لذكره واحد نكرة غير موصوفة فجعله بدلا من لفظ الجلال
مخالف لهذه القاعدة الا ان هذه القاعدة لما لم تكن متفقا عليها فان
ابا علي جوز ابدال النكرة الغير الموصوفة من المعرفة فال المص الى مذهبه
وبنى كلامه عليه حيث جوز ابدال الاحد من لفظة الجلالة قوله يدل على مجامع
صفات الجلال اي الجميع منها في المجامع اسم فاعل من جامعه اي اجتمع
معه او جمعه فانه فاعل قد يجي بمعنى فعيل كذا فرد وعاقبت اللص و
كون الاحدية جامعة لجميع صفات الجلال وهي الصفات السلبية ان احدية
الشيء عبارة عن كونه واحدا في ذاته وصفاته وافعاله والوحدة في ذاته بان
لا يكون منقسما الى ابعاض واجزاء ولا عقلية والله تع يجب ان يكون كذلك
لانه لو كان مركبا في الخارج لكان كل واحد من اجزائه وكل واحد من اجزائه
غيره فيكون مفتقرا الى الغير فيكون ممكنا في نفسه هذا خلف فالممكن يمتنع ان يكون ممكنا
في نفسه ولو كان مركبا في العقل لكان مشاركا للغير في ماهيته ذاتي الغير
حتى يحتاج الى فصل يميزه عنه وذلك يستلزم امكان الواجب ايضا لان كل
ماهية يساويها سواه يقتضي الامكان فلو كانت تلك الماهية للواجب لزم امكانه
والوحدة في صفاته بان لا يكون له نظير ولا شبيه يضاهيه في شيء من صفته
والوحدة في افعاله بان لا يكون له شريك في شيء منها بان يكون مبدا ع
الممكنات متعددا وكل ذلك يستدعي الامكان وينافي الوجوب فثبت ان الاحدية

مستلزمة

١٤٢

مستلزمة لكونه ليس بمركب باحد انحاء التركيب اي تركيبا خارجيا ولا عقليا
ولكونه ليس بمتعدد بانحاء التعدد اي لا يطرء عليه التعدد لا بحسب صفاته
ولا بحسب افعاله والاحدية بهذا المعنى يستلزم كونه ليس بجسم لان كل جسم
مركب في ذاته من الاجزاء وكونه ليس بمتحيز لان كل متحيز ينقسم بحيث
ان يتميز منه شيء عن غيره وكونه بحيث لا يكون ماهيته معروضة للتعين بان
يكون غيره مشاركا له في الحقيقة الواجبية وخواصها المقتضية للالوهية
ومتميزا عنه بحسب التعين العارض لها لانه لو كان كذلك لكان كل واحد
منهما مركبا مما به المشاركة والممايزة وقد مر ان التركيب ينافي الوجوب لذاته
فثبت ان كونه احدا يستلزم كونه واحدا لا تعدد فيه بوجه ما وانما جامعة
لجميع الصفات السلبية واما كون لفظة الله دالا على جميع صفات الكمال
فلان الاله هو الذي يستحق العبادة لذاته وقد مر ان العبادة اسم لكل طاعة
لله تع ادبت على وجه التذلل ونهاية التعظيم فلا يستحقها الا من يكون
مستقلا في الايجاد والتربية بما يليق باحوال المخلوق من جسمانية وروحانية
وهذا الاستقلال لا يتصور الا ممن كان موصوفا بالقدرة التامة والارادة
النافذة والعلم المتعلق بجميع المعلومات من الكليات والجزئيات وغير ذلك
مما يتصف به صفات الكمال فاذا تقرر هذا ثبت ان الاخبار عنه سؤالهم بانه
الله احد مع وجازة اللفظة اتم بيان واكمل تعريف له بما هو في وسع البشر
اذ لا سبيل لهم الى معرفة كنه ذاته واما الذي في وسعهم معرفة صفاته الذاتية
والفعلية وصفاته السلبية وهذا الاخبار كاف في معرفته بهذا الوجه
لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد قوله ولعل ذلك اي ولعل وجه
الفرق بين السور الثلث حتى وقع الاتفاق على تصدير واحدة منها بقل
ووقع عدم التصدير في الثانية ووقع الخلاف فيها في الثالثة قوله فلا يناسب
ان يكون منه اي ان يكون كل واحد من المشاقة ومعاداة القوم المشاقة
المخالفة من الشقاق وهو الخلاف والموادعة كان كل من المخالفين
احد في شق وهو المناصبة من الجد والموادعة المتاركة وتقديره كل
من الفعلين الا على دينه ولفظ الموادعة فيما عندي في النسخ
معطوف بالواو والظاهر ان يعطف بكلمة او ويكون المعنى ان السورة من اولها

احداهم

الى آخرها ان متاركة بان يكون قوله لكم دينكم ولي دين متعلق بانت والواو لم
المقدر وهذا الوجه هو الذي اختاره في تفسير السورة لعدم استلزامه كون
الآية منسوخة باية القتال بخلاف الوجه الثاني فانه يستلزم ان يكون آخر السورة
منسوخا بها من حيث كونه دالا على الاذن بالكف واما الموادعة بان يكون
المقصود من السورة الموادعة المستفادة من قوله لكم دينكم ولي دين ويكون ما
قبله تمهيدا لها واذا عطف بالواو يكون المعنى ان السورة نظرا الى اولها و
موادعة نظرا الى آخرها وهذا الوجه المرجوح عند المصنف الوجهين الذين
ذكرهما في تفسير السورة وبناء الكلام على الوجه المرجوح لا وجه له ان يعطف
بكلمة او واما ان المتاركة والموادعة لا يناسب ان يقع كل واحد منهما من
عند نفسه عم من غير ان يكون مأمورا به من قبل الله تعالى فلانه عم ارسل
لدعوة الخلائق الى اتباعه واطاعته في جميع ما جاء به من عند الله فكيف
يليق به ان يقول لهم من عند نفسه انتم منه في شق وانا في
شق منكم لا ابرح اناديكم او ان يوادعهم ويتركهم وما يدينون ولانه كيف
يليق بالحكمة ان يحكم على احد ويقول له من عند نفسه انك ممن ختم الله على
قلبه فلا يؤمن ابدا اولا لعبد الله وانما يتاتى له ذلك اذا بين الله تعالى
ان الامر كذلك واعلمه او اخبره واما ان معاتبته عم ومثله فهو بهذا
التغليظ الشديد لا يناسب ان يقع منه عم الا من عند نفسه ولا ان
يؤمر بذلك من قبل الله تعالى فلانه عم لكونه من الرحمة الاب لان اب الرجل
وعمه شعبتان من اصل واحد كما قال عم عم الرجل صنو ابيه وكان
لانه في منصب الرسالة والدعوة الى الحق يجب عليه ان يكون متعطفا على
عامة قومه باللطف واللين كما قال تعالى لموسى وهارون فقولا له قولا لينا
وقوله لنبينا عم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاذا
وجبت مراعاة اللين مع عامة القوم فكيف بالعم لا سيما عمه وهو على
خلق عظيم ومبعوث رحمة للعالمين فلهذا السبب لم يقل قوله وانت
لئلا يكون مشتركا في الشتم والتغليظ وان شتم عمه بقوله تبت الخ
لهذا دعى ثم كأنه تعالى يقول اسكت انت وتخلق بما انزلت عليك فاذا
خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما فانا اشتم واجيبه عنك فانزل

قوله

قوله تبت يدا ابي لهب روي ان ابا بكر رضه كان يؤذيه واحد فيقول كنا نحضر
الرسول عم يوقع ذلك الشاتم ويزجره فلما شرع ابو بكر في الجواب سكت الرسول عم
فقال ابو بكر ما السبب في ذلك فقال انك لما كنت ساكتا كان الملك يجيب
عنك فلما شرعت في الجواب انصرف الملك وجاء الشيطان فظهر ان الاية
والحديث تنبيه من الله تعالى ورسوله عم انه من لا يشافه السفيه كان الله
ذابا عنه وناصرا له ومعينا قوله واما هذا فتوحيد يقول به تارة ويؤمر
بان يدعوا اليه اخرى يعني ان المقصود من هذه السورة لما كان توحيده تعالى
لم يلزم تصديرها بقل بل جاز فيها الامران وذلك لان غاية ما لزم في عدم
تصديرها به ان يكون عم معتقدا وتكلم به من عند نفسه ولا محذور
فيه فلذلك جاز فيها الامران الا ان تصديرها به اشهر واكثر لان الدعوة
الى التوحيد من المصالح المتعلقة بالنبوة بل هي اول المصالح التي امر عم
بالقيام عليها هذا مراده من قوله ويقول ذلك الخ ويرد على ظاهر كلامه
ان قوله يقول به تارة هو اللازم من عدم تصدير السورة بقل ويفهم
منه ان عدم التصدير يدل على وقوع الكلام من قبله عم ويفهم من قوله
وتب معاتبة على فلان سب ان يكون منه ان عدم التصدير يدل على
انه عم لا مدخل له في هذا الكلام وانما يتلوه على انه كلام الله المنزل اليه
وبينهما منافاة فليتأمل واختلف القراء في احد الله الصمد فقرأ الجمهور
بالتنوين وتحريكه بالكسر هكذا احد الله الصمد وهو القياس لانه لما
التقى الساكنان التنوين ولام التعريف في لفظة حرك اولهما بالكسر وعن
ابي عمرو احد الله بضم الدال من غير تنوين ووجه هذه القراءة ان التنوين
نون ساكنة والنون تشبه حروف اللين في انها حروف الزيادة فلما
شابهها اجريت مجراها فان حذفت لالتقاء الساكنين في نحو يقال
يرمي ويغزو القوم بحذف اللين لالتقاء الساكنين فكذا حذف
النون في احد الصمد لذلك ولهذا ايضا حذفت النون الساكنة في الفعل المجزوم
نحو لم يكن ينفعهم ايمانهم ولا تك في مرية وعن ابي عمرو احد الله الصمد
باسكان الدال وقطع همزة الوصل من غير سكت بها على اجراء الوصل
مجرى الوقف لاستمرار الوقف عليه في كثير من السنتهم وقرائهم

الحركة والتنوين وقد ادركت القراءة يفرق بينهما كذلك وصلا في السكون وقوله
هو الله احد ثلثة الفاظ كل واحد منها اشارة الى مقام من مقامات
السالكين الى الله تعالى فالمقام الاول مقام المقربين وهم الذين نظروا
الى ماهيات الاشيا وحقايقها من حيث هي هي فلا جرم ما راوا موجودا
سوى الله تعالى لان الحق هو الذي لذاته يجب وجوده واما عداه فممكن و
الممكن اذا نظر اليه من حيث هو كان معدوما فهؤلاء لم يروا موجودا
سوى الله تعالى الحق سبحانه وكلمة هو وان كانت للاشارة المطلقة ومفتقرة
في تعيين المراد بها الى سبق الذكر باحد الوجوه او الى ان يعقبها ما يفسر
الا انهم يشيرون بها الى الحق سبحانه ولا يفتقرون معها في تلك الاشارة الى
تميز الذات المرادة عن غيرها لان الافتقار الى المميز انما يحصل حيث وقع
الابهام بان يتعدد ما يصلح لان يشار اليه وقد بينا انهم ما شاهدوا
بعيون عقولهم الا الواحد فقط فلهذا السبب كان لفظة كافيا في حصول
العرفان التام لهؤلاء والمقام الثاني مقام اصحاب اليمين وهو دون
المقام الاول وذلك لانهم شاهدوا الحق موجودا وشاهدوا الخلق
ايضا موجودا فحصلت الكثرة في الموجودات فلا جرم لم يكن لفظ هو
كافيا في الاشارة الى الحق بل لا بد هنالك من مميز به يتميز الحق عن الخلق
فهؤلاء احتاجوا الى ان يقرنوا لفظة الله بلفظة هو فقيل لاجلهم هو الله
اسم للموجود الذي يفتقر اليه ما عداه ويستغني هو عن كل ما عداه
فتميز به الذات المرادة عما عداه والمقام الثالث مقام اصحاب الشمال
وهو اخس المقامات وهم الذين يجوزون ان يكون واجب الوجود
اكثر من واحد فقرن لفظة احد بما تقدم ردا على هؤلاء وابطالا
لمقالتهم فقيل هو الله احد قوله السيد المصمود اليه في الحوائج وهذا
التفسير نقله صاحب التيسير عن ابن عباس الا انه ليس فيه لفظ السيد
وهو المناسب لما نقل عن اهل اللغة ان الصمد فعل بمعنى المفعول كالنقض و
القبض بمعنى منقوض ومقبوض ماخوذ من صمده اذا قصده وهو
بالقصد ونحوه وروي عن ابن عباس انه لما نزلت هذه الاية قالوا ما
الصمد قال هو السيد الذي يصمد اليه في الحوائج ولا شك ان يقصد اليه

في جميع المهمات ويرفع اليه جميع الحاجات مستغنيا عن كل ما عداه وكاملا في جميع صفاته
وافعاله فهو غاية السيادة ونهاية رفعة الشان وعلو القدر فقوله السيد
تفسير الصمد وما بعده صفة كاشفة له قال السدي الصمد المقصود اليه في الرغايب
المستغاث به عند المصايب وقال ابو هريرة الصمد المستغني عن كل احد
والمحتاج اليه كل احد فقوله وهو الموصوف به على الاطلاق قال حجة الاسلام
الغزالي من جعله الله تعالى مقصد العباد في مهمات دينهم ودنياهم واجرى
على لسانه ويده حوايج خلقه فقد انعم عليه بحظ من هذا الوصف لكن
الصمد المطلق هو الذي يقصد اليه في جميع الحوايج وهو الله تعالى وقال صاحب
التيسير وقوع هذا الاسم على من يعظم من الاشراف هو على سبيل
الاستعارة لانه ليس لاحد من المخلوقين وان عظم شانه وعلت رتبته
الا هو موصوف بالنقص عاجز عن ابلاغ من يقصده غاية امله فالصمد
في الحقيقة من هو ملجا كل مستغيث بدفع نوازله ومن بيده ناصية كل من
خليقته قوله وتعريفه لعلمهم بصمديته فان العرب بل اكثر الخلق يعرف انه تعالى
هو الذي يقصد اليه في الحوايج فان جميع ما سواه مفتقر اليه كما قال الله تعالى
ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فلذا لم يحتج لفظ
الصمد الى ما يعرف احديته فانه لا يخطر ببال اكثر الخلق ان في الوجود ذاتا
لا تركيب ولا انقسام ولا تاليف فيه بوجه من الوجوه فضلا عن كونه
واحدا في صفاته بان لا يكون له نظير وشبيه وفي افعاله بان لا يكون له شريك
فيها وذلك لانهم لا يعرفون من الموجودات غير المحسوسات وكل محسوس
منقسم فتبين انهم لا يعرفون موجودا هو احد في ذاته لا انقسام له اصلا
فنكر لفظ احد لذلك قوله للاشعار وجه الاشعار ان قوله الله الصمد
جملة اسمية طرفاها معرفتان فيدل على انه لا صمد في الوجود سوى الله
فان مثل زيد الامير يفيد قصر الجنس على زيد وقصر الصمدية على
من اتصف بالالوهية ونفيها عن سواه يشعر بان من انتفت الصمدية
عنه لا يستحق الالوهية وهذا المعنى انما يحصل بكون اسم الله تعالى وجعل الصمد
خبرا عنه فانهم لما سالوا رسول الله عم ان يبين ان معبوده اي
جنس هو اجيبوا بان الله الذي يتفرد بالخلق والايجاد ومن صفاته

ان يكون موصوف بالصفات الاضافية كالعلم المحيط بجميع المعلومات والقدرة التامة
والارادة النافذة وغير ذلك من صفات الكمال ثم ابدل منه لفظ احد ليفيد انه
منزه عن جميع انحاء التركيب والتعدد وعما يستلزم احدهما كالجسمية والتحيز
وكونه حالا في المتحيز او محلا له ونحو ذلك ثم بين لهم ان الله هو الصمد اي
السيد المستغني عن جميع ما سواه القاضي لحوائج كل ذلك بمقتضى حكمته للاشارة
الى انه ليس له شريك في ملكه ولا ضد ولا ند فهو الواحد في ذاته وصفاته وافعاله
ليس كمثله شيء وهو السميع العليم البصير الرقيب هو الله احد الصمد من خبر
تكون اسم الله تعالى لكان كل واحد من قوله احد وقوله الصمد خبرا بعد خبر ويجوز
ان يجعل ضمير هو راجعا الى المسؤول عنه ويكون لفظة الله خبرا عنه وان
جعل قوله الله احد جملة مفسرة لضمير الشان وخبرا عنه في جعل الصمد خبرا
بعد خبر للجملة ويكون المعنى ان الشان انه تعالى متصف بالواقع بالاحدية والصمدية
وعلى كل تقدير يكون خاليا عن الاشعار المذكور واذا كرر مع عدم الاحتياج
اليه لابد ان يكون ذلك لا لنكتة والاشعار المذكور يصلح ان يكون نكتة تحمل
عليه **قوله** لانه كالنتيجة للاولى او الدليل عليها وجه الاول ان من علم الوحدة
في ذاته وصفاته وافعاله بانه تعالى مبدع الكل وحافظه ومدبره فلا جرم انه لا يصمد
في الحوائج الا اليه فكونه صمدا متفرعا على احديته ووجه الثاني ان من كان
ملجأ كل مستغيث لا جائز ان يكون في احتياج دون جنس الكمال منزها عن جميع وجوه
النقصان فوجب ان يكون احدا لانه لو جانس شيئا يكون من جنس صاحب
فتوالد منه بجانسها والحيوان لم يكن من نوع الفرس لكنه من جنسه
فان القوة المولدة يكون وسيلة الى توليدا لمباينة ونفي المجانسة يستلزم
نفي المماثلة على المص نفي كونه تعالى والدا بعلتين الاولى ان الولد لا بد وان يكون
من جنس والده بمصاحبته مع من يجانسه ولا والد ولا ولد ان نية ان الولادة
منبئة عن الاحتياج الى ما يعينه في حياته ويخلف عنه بعد وفاته فلا احتياج
ولا فناء ولا ولادة يتفرع عليهما وكلمة او في قوله او يخلف عنه لتقسيم احوال
الولد وقدم نفي كونه والدا على نفي كونه مولودا مع ان المولودية سابقة على
الوالدية فان انتحص الوالد او لا نم يكون والدا بناء على ان نفي كونه والدا اتم
بالنسبة الى نفي كونه مولودا من حيث ان الكفرة ادعوا ان له ولدا ولم يدع

احد

احدا انه والدا فان مشركي العرب قالوا الملائكة بنات الله وقالت اليهود عزير بن
الله وقالت النصارى المسيح بن الله فلهذا السبب بدأ بالاهم فقال لم يلد
ثم اتبعه بقوله ولم يولد تعليلا لقوله لم يلد لانه لما وقع الاتفاق على انه لم
يكن والدا لغيره ثبت انه لم يلد غيره **قوله** وتعرض الاقتصار على لفظ الماضي
وعدم التعرض بانه هل يلد في المستقبل ام لا مبني على ان المقصود من الآية تكذيبهم
في قولهم ولد الله فان الملائكة بنات الله وان فلان بن فلان ابن الله ومحصل
الجميع انه تعالى ولد في الزمان الماضي فلذلك رد عليهم وكذبهم بان قال لم يلد
في الماضي ولو كان المقصود بيان انه تعالى هل يصح ان يلد في احد الازمنة ام لا لم
يصح الاقتصار على لفظ الماضي وليس كذلك وذلك لانه لا يفتقر الى شيء ولا
يستخلف عدم نفي ان قوله ولم يولد تنزيه له تعالى عن النقصان اللازم من كونه
معلولا لغيره ومن كونه حادثا فان كل موجود لو حدث معلولا لوالده اي
ولم يكن احد يجانسه اشارة الى احد اسم لم يكن وكفوا خبره وله ظرف
لغو متعلق بكفوا لما فيه من معنى الفعل والظرف يكفيه رائحة الفعل اي لم يكن
احد شبيها له ويجوز ان يتعلق بيكن لانه فعل والمص اختار الاول في بيان
قوله وكان اصله ان يؤخر الظرف اي الظرف المعهود ههنا وهو له لانه صلة
اي لغو وفضلة لا يفتقر اليه الكلام في تمامه والظرف المستقر هو الذي يفتقر
تمام الكلام اليه بان يكون خبرا فيه كما في قولك ما كان فيها احد خير منك
فان الظرف فيه مستقر لانه خبر كان واللغو ما يكون تاما بدونه كما في قولك ما
كان احد خير منك فيها فان الظرف فيه لغو لان الكلام تام بدونه فان
قولك ما كان احد خير منك كلام تام لاستيفاء كان اسمه وخبره وله
في الآية ظرف لغو لان الكلام تم بدونه باسم كان وخبره والاصل في الكلام الفصيح
ان يؤخر الظرف اللغو عن طرفي الفعل مفعوله لانهما مقصودان بالنسبة
اليه وتقديم المقصود اولى وافصح فيكون تقديم اللغو فيما مخلا بالفصاحة
لكونه خلاف الاصل لكن يترك هذا الاصل اذا عرض للظرف اللغو ما يجعله مهما
بالنسبة الى الفاعل والمفعول وتقدم عليهما لكونه اهم منهما نظرا الى ذلك
العارض كما يقدم المفعول ونحوه على الفاعل اذا عرض له ما يجعله مهما
بالنسبة الى الفاعل فان المقصود من الآية ليس نفي ان يكون احد كفوا لشيء ما مطلقا

ان المقتضي كفوا بالنسبة اليه تعالى ومصب هذا المعنى ومركزه هو هذا الظرف
فكان لذلك اهم لتقديم واعتناه واحقه بالتقديم واحراه قوله ويجوز ان يكون
حالا معطوفا من حيث المعنى على قوله ولم يكن اصله ان يؤخر الظرف فانه
وله ظرف لغو فكان اصله ان يؤخر وتقدم الكلام على ان يكون الظرف حالا
من المنوي في كفوا انه لم يكن احد كفوا له فيكون له ظرف مستقرا في
مقام فاعله ويجوز ان يكون خبر يكن وكفوا حالا من احد لانه في الاصل
له صفة فلما تقدم عليه انتصب حالا لامتناع تقدم الصفة على الموصوف
وفيه ضمير يعود الى ذي الحال ان المراد منها نفي اقسام الامثال فان المقصود
من قوله لم يلد ان ينفي عنه تعالى القسم المخصوص من اقسام المثل وهو
الولد ومن قوله ولم يولد ان ينفي عنه القسم الاخر وهو الوالد ومن قوله و
لم يكن له كفوا احد ان ينفي عنه باقي الاقسام كالصاحبة والشركاء لحصر
بذلك تناسب تلك الجمل باعتبار المسند اليه لكون المسند اليه في كل واحد
من تلك الجمل قسما من اقسام المثل وتناسبها باعتبار المسند ظاهر لان المسند
فيها هو الانتفاء وبذلك يتحقق الجامع بين تلك الجمل فحالها التوسط
بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع وتوضيح المقام ان الجملتين اللتين لا محل
لهما من الاعراب ولم يكن للاولى حكم لم يقصد اعطاؤه للثانية قد يكون
بينهما كمال الاتصال بان يكون الثانية مؤكدة للاولى او بدلا منها او بيانا لها
وقد يكون بينهما كمال الانقطاع وذلك يكون بان يختلفا فيهما
خبرا وانشاء لفظا ومعنى او معنى فقط والثاني بان لا يكون الجامع بينهما واذا
انتفى الامران يتعين كمال الانقطاع واذا لم يكن بينهما كمال الاتصال ولا كمال
الانقطاع بان كان حالهما التوسط بين الكمالين بان لم يكن الجملة الثانية
مؤكدة للاولى ولا بدلا منها ولا بيانا لها وانتفت صورتين وانتفى
او بينهما جامع بان يكون مسند اليه في احد الجملتين هو المسند اليه في الاخرى
نحو يشعر زيد ويكتب او مماثلا له بان يكون اخوين او صديقين او
عدوين نحو زيد شاعر وعمرو كاتب وبان يكون المسند ايضا متناسبين
كالشعر والكتابة وكالاعطاء والمنع في قولك زيد يعطي ويمنع فانهما متناسبان
بالتضاد فحكم الجملتين العطف واذا لم يكن بين المسند اليهما تناسب نحو

خفي

خفي صفو وخاتم صفو او كانا متناسبين لكن لم يكن المسندان متناسبين
نحو زيد شاعر وعمرو طويل لم يحسن العطف وقرأ حمزة ويعقوب قرأة
العامة كفوا بضم الكاف والفاء وحمزة ساكن الفاء وابدل الهمزة
واوا في صنه واحدهما حفص واوا مطلقا وقد تقرر ان كل اسم على ثلثة
احرف اوله مضموم فانه يجوز في عينه الضم والاسكان الا في قوله وجعلوا له
من عباده جزءا قوله فان مقاصده محصورة في بيان العقايد و
الاحكام وقيل ان ما في القرآن علوم ثلثة علم المبدأ وعلم المعاد و [والقصص]
علم ما بينهما اعني الصراط المستقيم وهذه السورة الكريمة كافلة بعلم المبدأ
الذي ثلث ما تكفل به جميع القرآن فكانت بهذا الاعتبار معادلة لثلث القرآن
كما روي من قوله عم والذي نفسي بيده انها لتعدل ثلث القرآن ويعدلها
بجعله اعتبر المقصود بالذات منه وذلك اي لان امهات علوم القرآن فان المقصود بالذات
منه علم المبدأ وصفاته وما عداه راجع اليه عن سهل بن سعد جاء
رجل الى النبي عم وشكا اليه الفقر فقال اذا دخلت بيتك فسلم ان كان فيه
احد وان لم يكن فسلم على نفسك واقرأ قل هو الله مرة واحدة ففعل الرجل
ذلك فادر الله عليه رزقا حتى افاض على جيرانه روي عن الصحابة انه قال
كنا في تبوك فطلعت الشمس ولها ضياء وشعاع ما رأيتها على تلك
الحالة قبل ذلك فتعجب كنا من ذلك فنزل جبرائيل عم فقال له رسول الله عم
ما لي ارى الشمس اليوم طلعت بضياء وشعاع لم ارها طلعت به فيما مضى
من الايام فقال ذلك ان معاوية بن الليثي مات بالمدينة فبعث الله تعالى سبعين
الف ملك يصلون عليه فهل لك ان اقبض الارض فتصلي عليه قال نعم فصلى
عليه ثم رجع وروي انه قال فهل لك ان تصلي عليه فضرب بجناحه الارض
فازال الجبال فصار عم كانه مشرف عليه فصلى هو واصحابه عليه ثم قال عم
بلغ ما بلغ فقال جبرائيل بحب سورة الاخلاص ويكثر قراءته بالليل والنهار
وفي مشيه وقيامه وقعوده وروي انه عم دخل المسجد فسمع رجلا يدعو
ويقول اسئلك يا الله يا احد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له
كفوا احد عفوك كفوك ثلث مرات فقال عم غفر له ثلث مرات فان قيل
لم قال في هذه السورة لم يلد وفي سورة بني اسرائيل لم يتخذ ولدا اجيب

مطلب سورة الفلق

بان نصارى فرقتان منهم من قال عيسى ولد الله حقيقة ومنهم من قال اتخذه
ولدا تشريفا كما اتخذ ابراهيم خليلا تشريفا ففي الاية الاولى بقوله
لم يلد اشارة الى نفي الولدية الحقيقية فقوله لم يتخذ ولدا اشارة الى نفي القسم
الثاني والله اعلم الفلق بسكون اللام الشق يقال فلقت
الشيء فلقا فانفلق وتفلق اي شققته فانشق وتشقق والفرق التمييز
والتبيين قال الله تعالى وقرانا فرقناه اي بيناه والفرق بين الشيئين فيه
معنى الشق اذ به يصير كل منهما فرقة متميزة عن الاخرى والمصحح بان كل واحد
من لفظي الفلق والفرق بتحريك العين نعم بمعنى مفعول اي بمعنى المفلوق
عنه والمفروق عنه وذلك انما يتحقق بان يكون الشيء مستورا ومحجوبا
باخر ثم ينشق الحجاب ترتفع وجه المستور وزوال فيظهر ذلك المستور
وينكشف بسبب زواله وذلك الحجاب المنشق مفلوق والمحجوب المنكشف
بزواله مفلوق عنه ثم انظر ان يحمل المفلوق على عمومه فان الممكنات باسرها
اعيان ثابتة في علم الله تعالى مستورة تحت ظلمة العدم فان ظلمة العدم
غير متناهية وساترة بجميع الممكنات والله تعالى فلق تلك الظلمة بنور التكوين في
الايجاد فاظهرها في عالم من المكونات فكانت باسرها مفلوقا عنها كما انه
صارت مسلوخا عنها بسلخ ما عليها من الجلد وكجسم صار مفلوقا
عنه بازالة ما عليه من ظلمة الليل فظهر انه مفهوم المفلوق عنه عام لجميع
الممكنات الا انه مقول عليها بالتشكيك فانه اظهر واولى فيما يخرج من اصل
كالعيون من الارض والجبال قال تعالى وفجرنا الارض عيونا وان منها لما
يتفجر منه الانهار وكالامطار من السحاب وكالنبات من الحب
النوى والارض وكالاولاد من الارحام فان معنى المفلوق عنه اظهر
منها بالنسبة الى المخلوق على وجه الابداع قوله ويخص عرفا بالصبح هذا
الفرق مبني على ان يكون نور الصبح وضوء النهار اصلا بقابلها دفع
ظلمة الليل تستره تارة وتنفلق اخرى وهو عكس ما يدل عليه قوله تعالى و
اية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون فانه يدل على ظلمة الليل
اصل يغشاه ضوء النهار عند طلوع النير فتصير كالجلد لسيف نوبا شفقا
فابرازا فا ونسلخ عنها عند غروبه ويؤيد هذا المعنى تقديم الظلمات في قوله

وجعل

وجعل الظلمات ويشهد عليه العقل ايضا ولا خفاء لكل وجهة قوله وتخصيصه لما فيه
من تغير الحال جواب عما عسى ان يقال مقام الاستعاذة والاعتصام والامن
يقتضي تعظيم المستعاذ به ولا شك ان تعظيمه على تقدير تعميم الفلق لجميع الممكنات
اعظم واقوى منه على تقدير تخصيصه بالصبح فان المعنى على الاول قل يا
محمد اعوذ امتنع واعتصم واحترز برب جميع الممكنات ومكون جميع الكائنات ولا
يخفى ان الصبح احد الامور الداخلة في هذا العموم فيكون التعظيم فيه اتم فاجاب
التخصيص ومحصول الجواب ان التعميم وان كان له مناسبة بهذا المقام الا ان
التخصيص له وجه اخر يناسب مقام الاستعاذة ايضا فان المؤلف يريد
من الاستعاذة ان يغير حاله بان يخرج من ضيق الخوف والخشية الى فضاء
الامن واسعة ويتخلص عن حشية الهم والحزن بنيل الفرح والسرور
وتخصيص الصبح ادل على المقصود لما فيه من تغير الظلمة وزوالها باشراق
نور الصبح وتبدل وحشة الليل وثقلته بسرور الصباح وخفته فان
الليل ثقلة يكون الانسان فيه كالمحموم على وضع وهو الخنب الذي يقطع القصب
المحموم عليه فاذا طلع الصبح يتبدل ذلك بالخفة والسرور ولهذا يجد
كل مريض ومحموم خفة في وقت السحر وكان يوسف عليه السلام الى في
الجب وجلست ركبته وجعت شديدا فبات ليلته ساهرا فلما قرب طلوع
الصبح نزل جبرائيل عليه السلام باذن الله يسليه ويأمره بان يدعو ربه فقال
جبرائيل ادع انت وانا امن فدعا جبرائيل عليه السلام وامن يوسف عليه السلام فكشف الله
ما كان من الضر فلما وقت يوسف عليه السلام قال لجبرائيل عليه السلام وانا ادعو ايضا و
تؤمن انت فسال يوسف ربه ان يكشف الضر عن جميع اهل البلاء في
ذلك الوقت فلاجرم ما من مريض الا ويجد نوع خفة في اخر الليل وروى
انه دعاءه في الجب كان هذا يا عدتي في شدتي ويا مونسي في وحشتي و
يا راحم في غربتي ويا كاشف كربتي ويا مجيب دعوتي والهي واله ابائي
ابراهيم واسحق ويعقوب ارحم صغر سني وضعف ركني وقلة حيلتي
يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام وفي وقت الصبح ايضا تحاكي اختلاف
احوال الناس وقت خروجهم يوم القيمة من حيث ان الخلق في الليل كالاموات
والدور كالقبور ثم منهم من يخرج من داره مفلسا عريانا لا يلتفت اليه

ومنهم من كان مربوبا في جوف الحبس ومنهم من صار ملكا مطاعا فتقدم اليه
المراكب وتقوم الناس بين يديه فكذا الحال في يوم القيمة بعض مفلس مخرج
الثواب عار عن لباس التقوى ومنهم من عليه من حقوق الله تعالى وحقوق
عباده ما لا طاقة له بتحمله بجزاء الملك الجبار ومنهم من كان عبدا مطيعا
لربه في الدنيا فصار ملكا مطاعا في العقبى يقدم اليه البراق لما انتهى وقت
الصبح على هذا التفسير والبدل فانه كان لما اختلف احوال الناس وتغير
في قاعة القيمة كان تخصيص الفلق به مناسبا لمقام الاستعاذة بان
قد تغير الحال المولد عليه بالصبح بقدرته ان يرفع عن المستعيذ كل ما يخافه
ويحذر منه قوله ولفظ رب ههنا اوقع اي اليق وانسب وقوعا حقا
على ما يقال ما السبب في انه تعالى حين امر بالاستعاذة عند افتتاح قراءة
القرآن قال فاستعذ بالله وقال في موضع آخر وقل رب اعوذ بك من
همزات الشياطين وقال ههنا اعوذ برب الفلق فعبر عن المستعاذ به باسم
الرب لا باسم الله تعالى مع ان الاسم الله هو اشرف الاسماء فلم يقل اعوذ
بالله بل قال اعوذ برب الفلق واجاب عنه بان الشر المستعاذ به في هذه
السورة هو الشر المضاف الى عالم الخلق وهو عالم المحسوسات الاجسام
هو الجسمانيات وانما سمي عالم الاجسام والجسمانيات بعالم الخلق لان الخلق
هو التقدير والمقدرات من لواحق الجسم وشرور عالم الخلق مضار بدنية
والاستعاذة عن المضار البدنية تناسب ذلك ان يعبر عن المستعاذ
عنها باسم الرب فكانه جعل تربية الله له فيما تقدم وسيلة الى تربيته له
فيما يأتي من الزمان او كان العبد يقول التربية والاحسان داء لك القديم
فلا تهملني وما في قوله تعالى من شر ما خلق يجوز ان يكون موصولة وعائدها
محذوف اي من شر كل ما خلقه مما يكون له شر وان يكون مصدرية اي
من شر خلقه اي مخلوقه تسمية للمفعول بالمصدر وقسم الشرور المضافة
الى عالم الخلق الى الاختيارية والطبيعية وقسم الاختيارية الى ما لا يتعدى
اثره الى فاعله بل يلزمه كالكفر وسائر الذنوب اللازمة والى ما يتعدى اثره
الى غيره كالظلم سواء تعلق بالمال او بالبدن او بالعرض ويدخل فيه افتراس
السباع وعضها والكلب ولدغ الحيات والعقارب والله اعلم قوله ليل عظيم

ظلامه

ظلامه بغيبة الشفق حتى يعم الارض ظلمه قال الجوهري الغسق اول ظلمة الليل وقد
غسق الليل يغسق غسوقا اي اظلم والغاسق الليل اذا غاب الشفق وكل
شيء اسود فقد غسق وغسق الجرح غسقا اي سال منه ماء اصفر و
الغاسق اسم فاعل وسمي الليل غاسقا لانصباب ظلامه على الارض وقال الزجاج
الغاسق في اللغة هو البارد وسمي الليل غاسقا لانه ابرد من النهار والوقوب
هو الدخول في شيء آخر بحيث يغيب عن العين يقال وقب يقب وقوبا
اذا دخل قوله وتخصيصه اي مع هذا داخل تحت عالم الخلق وقد استفيد
من شره اولا ووجه التخصيص الاشارة الى تفخيم شره لكثرته وعسر دفعه
فيه واما كثرته فلان السباع تخرج في الليل من آجامها والهوام من اماكنها
وكذا السراق واهل التلصص وسائر من قصده الفضة ينتشرون فيه
وعن عكرمة ان عقارب الجن تنتشر في تلك الساعة واما عسر دفعه فيما
يقع فيه من الشر فلان ظلمة الليل يستر القاصد بالسوء فيأخذ من
قصده على غرة من غفلة منه فلا يتمكن من دفعه بنفسه ولا بالاستغاثة
بغيره لان الغوث يقل فيه ولذلك لو شهر على انسان بالليل سلاحا فقتله المشهور
عليه لا يلزمه قصاص ولو كان نهارا يلزمه لانه يوجد فيه الغوث قوله وقيل
المراد به اي بالغاسق اذا وقب وهو القمر وسمي به لانه يكسف فيغسق اي
يذهب ضوؤه ويسود ووقوبه دخوله في ذلك الاسوداد والكسوف ودليله
ما روي انه عليه السلام اخذ بيد عائشة رضي فاشار الى القمر فقال استعيذي بالله
من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب قال الامام وعندي فيه وجه آخر في تسمية
القمر غاسقا وجه آخر وهو انه صح ان القمر في جرمه غير مستنير هو مظلم فهذا
هو المراد من كونه غاسقا واما وقوبه فهو المحاق والمحاق نوره في آخر
الشهر والمنجمون يقولون انه في آخر الشهر يكون منحوسا قليل القوة لانه
لا يزال ينقص نوره الا وينزاد بسبب ذلك نحوسته ولذلك لا يشتغل
السحرة الذي يورث التمريض الا في ذلك الوقت وهذا مناسب نزول السورة
فانها نزلت لاجل انهم سحروا النبي عليه السلام لاجل التمريض واذ في قوله تعالى اذا وقب
منصوب باعوذ اي اعوذ بالله من كذا في وقت كذا والنفث النفخ مع ريق
وقيل انه النفخ فقط اي بلا ريق منه قوله عليه السلام ان روح القدس نفث

روحي

ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها الجوهري النفث شبيه بالنفخ وهو
اقل منه وله النفخ ثم التفل ثم النفث ثم النفخ وتخصيص النفث من بين
طرق السحر ومقدماته والسحر بالجملة يفتن الناس به ينبغي ان يتعوذ
من شر مطلق السحر في تخصيص النساء اللاتي تعقدن عقدا
وينفثن عليها ومحصول الجواب ان هاتين السورتين نزلتا لان يستشفي
بها رسول الله صلعم بهما من شر السحر الكائن بالنفث في العقد فلذلك
خص ذلك بالذكر روي ان غلاما من اليهود كان يخدم رسول الله عم
فاقترحت اليهود منه فلم يزالوا به حتى اخذ لهم مشاطة رأس رسول الله
وعدة اسنان من مشطه واعطاها اليهود فسحروه فيها وكان الذي
تولى ذلك رجل منهم يقال له لبيد بن اعصم ثم دسها في بئر لبني زريق يقال
لها ذروان فمرض النبي عم وانتثر شعر رأسه ولبث فيه ستة اشهر
يحور ولا يدري ما عراه فبينا هو نائم اذ اتاه ملكان فقعد احدهما
عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه
ما بال الرجل قال طب قال وما طب قال سحر قال ومن سحره قال لبيد بن
اعصم اليهودي قال وبم طبه قال بمشط ومشاطة قال واين هو قال في
جف طلعة تحت راعوفة في بئر ذروان والجف وعاء الطلع والراعوفة حجر
في اسفل البئر يترك هنالك اذا حفرت البئر يجلس عليه من ينزح البئر اذا
ارادوا تنقيتها زمانا فانتبه النبي عم مذعورا وقال يا عائشة اما
شعرت ان الله تعالى اخبرني بدائي ثم بعث رسول الله عم عليا والزبير وعمار
ياسر فنزحوا ماء تلك البئر كانه نقاعة الحناء ثم رفعوا الصخرة فاخرجوا
الجف فاذا فيه مشاطة رأسه واسنان من مشطه ووتر معقد فيه
احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فانزل الله تعالى هاتين السورتين فجعل عم
كلما يقرأ اية انحلت عقدة ووجد عم بعض خفة حتى انحلت العقدة
الاخيرة فقام عم كانما انشط من عقال وجعل جبرائيل يقول بسم الله
ارقيك من كل شيء يؤذيك من حاسد وعين والله يشفيك والمعتزلة
انكروا صحة هذه الرواية وتأثير السحر فيه عم وقالوا كيف يمكن القول
بصحتها والله تعالى يقول والله يعصمك من الناس وقال ولا يفلح الساحر حيث
اتى

اتى ولان تجويزه يفضي الى القدح في النبوة ولان الكفار كانوا يعيرونه بانه مسحور
فلو وقعت هذه الواقعة لكان الكفار صادقين في تلك الدعوى ولحصل فيه عم
ذلك العيب ومعلوم ان ذلك غير جائز وقال اهل السنة هذه القصة قد صحت
عند جمهور اهل النقل وصحتها لا تستلزم صدق الكفرة في قولهم انه مسحور
وذلك لانهم كانوا يريدون بكونه مسحورا انه مجنون ازيل عقله بسبب السحر فلذلك
تركوا دينه اتباعه فاما ان يكون مسحورا بالم يجده في بدنه فذلك مما لا ينكره
وبالجملة فالله تعالى ما كان يسلط عليه لا شيطانا ولا انسيا ولا جنيا يؤذيه
فيما يتعلق بنبوته وعقله واما الاضرار به من حيث بشريته وبدنه فلا بعد
فيه وتأثير السحر فيه عم لم يكن من حيث انه نبي وانما كان في بدنه من حيث انه
انسان وبشر فانه عم يعرض له من حيث بشريته ما يعرض لسائر البشر من
الصحة والمرض والموت والاكل والشرب ودفع الفضلات وتأثير السحر فيه عم
من حيث بشريته لا يقدح في نبوته وانما يكون قادحا فيها لو وجد للسحر تأثير
في امر يرجع الى النبوة ولم يوجد ذلك كيف والله تعالى عصمه عن ان يضره احد
فيما يرجع اليها كما لم يقدح كسر ثناياه يوم احد فيما ضمن الله تعالى من
عصمته في قوله والله يعصمك من الناس وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال العزائم
الرجال بالحرف هذا النفاثات هي جنس النساء اللاتي شانهن ان يغلبن
في الرجال وقولهم على آرائهم وعزائمهم التي تصمموا على امضائها لا مطلق
النفوس النساء وشرهن غلبتهن على الرجال الضابطين لامرهم المحترزين
تعتدل ينبغي في سيرتهم الاخذين بالجد والاستبصار في جميع احوالهم فغلبتهن
عليهم بانواع المكر والحيلة فان كيدهن عظيم ويؤيد هذا التفسير قوله عم
يا معشر النساء تصدقن فاني اريتكن اكثر اهل النار فقلن ولم يا رسول الله
قال تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين اذهب
للب الحازم من احديكن والحازم الضابط لامره المتصرف في سيرته شبهت
عزائم الرجال وارادتهم بعقد الحبال فاطلق عليها اسم العقد وشبه ابطال
تلك العزائم بالحيل بحل عقد الحبال بنفث الريق عليها لسهولة
فمعنى الاية ان النساء تجر استقرار عزائمهم في قلوب الرجال بتصرفهن فيهم
ويحولنهم من رأي الى رأي ومن عزيمة الى عزيمة اخرى فامر الله تعالى رسوله
لم

بالتعوذ من شرهن فلذلك قال الامام الاجل محمد بن ادريس الشافعي ان آد
شياطين خلقن لنا نعوذ بالله من شر الشياطين وقيل في جوابه ان النساء
رياحين خلقن لكم وكلكم تشتهي شم الرياحين قوله وافرادها بالتعريف جواب
ما يقال لم عرف النفاثات ونكر غاسق وحاسد مع اشتراك الجميع في كونه
مستعاذا منه وجوابه ان كل نفاثة شريرة فعرف النفاثات تعريف الاستغراق
ليفيد الاستعاذة من جميع احادها وليس كل غاسق وحاسد شريرا فنكر
قوله لانه مع سروره تعليل لاختصاص ضرر الحسد بالحاسد بعد عمله بمقتضى
حسده اي لاغتمام الحاسد وحزنه بسرور المحسود بنعمته روي عن علي ابن ابي
طالب رض لله در الحسد ما اعدله بقتل الحاسد قبل ان يقتل المحسود وتخصيصه لانه
العمدة في اضرار الانسان بل الحيوان غيره ذكر المص تخصيص كل واحد من الغاسق
والنفاثات والحاسد بالذكر مع ان الشرور المضاف اليها مندرجة تحت شر عالم
الخلق لانها اما من قبيل الاجسام والجسمانيات وجها مستقلا مناسبا ونوع توضيح
الوجه المذكور لتخصيص الحسد بالذكر لما ان معظم الاسباب الحاملة للحيوان في
اضرار غيره فانه يضر غيره غالبا بسبب طمعه في نعمته واستكثارها برؤيتها عنده
كان الحسد بهذا كان كل السبب لشر الحيوان وضرره فلذلك لم يكتف باندراجه
تحت عالم الخلق بل خصه بالذكر استعاذة من شره لخصوصه ويجوز ان يراد بالغاسق
ما يخلو عن النور وما يضاهيه كالقوى فسر الغاسق اولا بالليل المظلم اذا دخل ظلامه
في ضوء النهار وشرها كثير وثانيا بالقمر اذا دخل في الكسوف ثم فسر النفاثات اولا
بالسواحر وثانيا بجنس النساء اللاتي يبطلن عزائم الرجال ثم فسر الحاسد بالانسان
المتصف بالحسد اذا عمل بمقتضى حسده واشار ههنا الى تفسير كل واحد من
هذه الاوصاف الثلثة بتفسير اخر ففسر الغاسق بما يخلو عن حقيقة النور
وعما يضاهيها كالقوى النفسانية والحيوانية فانها تشبه النور في كونها سببا لظهور
الاشياء كالنور فان القوة النفسانية النباتية تزيد بها النبات في الطول والعرض والعمق
وكذا القوى الحيوانية وهي الحواس الظاهرة والباطنة والشهوة والغضب فان
كل واحدة منها سبب لظهور ما يخصها الا ان من الحيوانات بهذا النور من الات
والجمادات العنصرية خالية عن حقيقة النور وعما يضاهيه من القوى النفسانية
وهي المرادة بالغاسق وشرورها ما يترتب عليها بحسب طبايعها من المضار

فقوله

للمصنف

فقوله كالقوى تمثيل لما يضاهيه والمراد بما يخلو عن النور وما يضاهيه وهو الجمادات
وفسر النفاثات بالنباتات على سبيل الاستعارة التصريحية بالتشبيه تزايدها
في اقطارها الثلثة بحسب قوتها الغاذية النامية بما ينفث في العقد الثلثة
فكانها النفاثات قواها فان القوة الغاذية النامية هي التي تزيد بها طول النبات
وعرضه وعمقه وشرها ايضا ما يترتب على طبايعها من المضار وفسر الحاسد
بالحيوان بناء على كونه كناية عنه بناء على ان الحيوانية لازمة للحاسد ومبنى هذه التفاسير
ان الاشياء لا ينضر من الاجسام الفلكية وانما يتضرر عن الاجسام العنصرية و
هي اما جماد او نبات او حيوان فامر الله بالاستعاذة عن كل واحد منها بما يلائم
حره فانه انما يضر غيره غالبا طمعا في ما عنده جواب عما يرد من تخصيص الحاسد
بالحيوان فانه يفهم من التعبير عن الحيوان بلفظ الحاسد في مقام الامر بالاستعاذة
من شر الحيوان ان منشأ شر الحيوان منحصر في وصف حسده وليس كذلك
وتقرير الجواب ان باقي الاوصاف الذميمة والاخلاق الردية وان جاز ان يكون
منشأ الحيوان وحاملا له على اضرار غيره الا ان غالب ما يحمله على الاضرار هو
الحسد لانه كالاصل لها وما سواه فلذلك عبر عن هذا المعنى اصل الشر
اللفظ المشتق المشعر بعليته لما خذه واختلفوا في انه هل يجوز الاستعانة
بالرقى والتعويذات ام لا منهم من قال انه يجوز واحتج عليه بما روي ان رسول
الله عم اشتكى فرقاه جبرائيل عم فقال بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك و
الله يشفيك وبما روي انه عم قال من دخل على مريض لم يحضر اجله
فقال اسأل الله العظيم رب العرش العظيم ان يشفيك سبع مرات شفي
وبما روي عن علي رض ان رسول الله عم كان اذا دخل على مريض قال اذهب
البأس رب الناس واشف انت الشافي لا شافي الا انت وبما روي ان عثمان ابن
ابي العاص الثقفي قال قدمت على رسول الله عم وبي وجع قد كاد يبطلني فقال
رسول الله عم اجعل يدك اليمنى عليه وقل بسم الله اعوذ بعزة الله وقدرته من
شر ما اجد سبع مرات ففعلت ذلك فشفاني الله تع وبما روي انه عم اذا سافر
فنزل منزلا يقول يا ارض ربي وربك الله اعوذ بالله من شرك وشر ما فيك
وشر ما خلق وشر ما يدب عليك واعوذ بالله من اسد واسود وحية و
عقرب ومن شر ساكني البلد ووالد وما ولد وبما روي ان عايشة قالت كان

رسول الله عم اذا اشتكى نفث على نفسه حين قرأ قل هو الله احد والمعوذتين ... ومسح بهما ... سلمة ... روي عن جابر انه قال نهى رسول الله عم عن الرقى ... واجيب عنه بانه يحتمل ان يكون النهي عن الرقى المجهولة التي لا يعرف حقائقها واما ما كان له اصل موثوق به فلا نهي عنه كذا في التفسير الكبير سورة الفلق
قوله اعوذ وقرئ بحذف الهمزة ونقل حركتها ... قوله الجر ... الاستعاذة ... جواب عما يقال لم اضيف لفظ الرب والملك والاله الى الناس خاصة وهو رب العالمين وملكهم واله الكل ... ولم يضف الى ... المتعوذ منه ... تقرير الجواب ... السورة ... المستعاذ منه في هذه السورة هو الوسواس ... بالقلب ... بين ... والنفس ... بالوسوسة وهو ان ...

باضافة كل واحد من لفظ الرب والملك والاله اليه بخلاف سورة الفلق فان شر
المستعاذ منه فيها شر عالم الخلق فانه الفاسق والنفاثات والحاسد من جملة العالم
المخلوق وشر عالم الخلق ظاهر بدنية لا يتعدى الى القلب فلا يختص بالانسان بل يعم
ما له جسم وبدن فلذلك اضيف لفظ الرب فيها الى ما يعم الانسان وغيره وهو الفلق
فهو من ادرج في السورة المتقدمة بان يستعيذ من مضار البدنية وفي هذه السورة
من المضار القلبية الا انه ادرج نفسه الكريمة فيما تقدم في جملة من يتضرر بشر
عالم الخلق حيث لم يقل اعوذ بربي انه المناسب لاستعاذة العبد الى ضره المسلم
وحده وتوجه الامر بالعوذ اليه بخصوصه من حيث ان ما ينبغي للمربوب الذي
يخاف من ان يصيبه مكروه ان يستعيذ بربه بان يضيف ربوبيته الى نفسه و
يقول يا ربي اعوذ بك من كذا لكن عدل من هذا الطريق في السورتين بان
اضيف الرب في الاولى الى الفلق وفي الثانية الى الناس رعاية لجانب الشر
المستعاذ منه واشارة الى انه في الاولى يعم الانسان وغيره وفي الثانية يختص بالناس
ولا يخص واحدا منهم بل يعمهم ولو اعتبر كل واحدة من صفة الربوبية والملكية
والالهية من حيث كونها صفة البارئ تعالى لكان المناسب تعميم الاضافة بان يقال
رب العالمين وملكهم والههم ولو اعتبر خصوصية المستعيذ لكان المناسب
تخصيصها بان يقال ربي وملكي والهي لكن اعتبر حال الشر المستعاذ منه وعمومه
في السورة الاولى لغير الانسان وخصوصه في الثانية بالناس وعدم اختصاصه بفرد منهم
بجعل الاضافة على حسب ذلك فانه قيل في السورة الاولى اعوذ من شر ما يضر
بالابدان والاجسام بربها وفي الثانية اعوذ من شر الوسواس الى الناس بربهم
قوله فان الرب قد لا يكون ملكا يعني ان المقصود من عطف بيان ايضاح متبوعه
اما بتعيينه او بتقليل اشتراكه ورب الناس باضافته فيه ابهام وشيوع لانه
قد يكون ملكهم وقد لا يكون كما يقال رب الدار ورب المتاع وقال تعالى اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله فلذلك بينه واوضحه بقوله ملك
الناس ايضا قد يكون الها وقد لا يكون فبينه بقوله اله الناس وهو نهاية البيان
وغاية التوضيح لان الاله مفردا مضافا لا يجوز اطلاقه على غيره تعالى قوله وفي
هذا النظم دلالة على انه حقيق بالاعاذة وجه الدلالة انه لما كان رب
الناس بان كان مولى نعمهم الظاهرة والباطنة وملكهم الغالب عليهم المتصرف

قوله [illegible] الملك هو الذي يفتقر اليه [illegible]

فيهم

الربوبية ثم بصفة الملكية ثم بصفة الالوهية كما يتدرج في الاستفادة
المعتادة فمن هو الوسيلة البعيدة في حصول الامر ثم بالمتوسطة
بالقربية تنزيلا للصفات المختلفة منزلة الذوات قوله اشعارا بعظم
الآفة علة للتدرج بعد اعتبار كونه معللا بقوله تنزيلا فافهم قوله وتكرير
الناس يعني ان لفظ الناس المذكور ثانيا وثالثا موضوع في موضع الضمير
لان تبيين الاول بعطف البيان لانه لا يحتاج اليه ويؤديه في موضع
الاحتياج الى الايضاح والاظهار دون الاضمار الاسم وضع في الاظهار
والفائدة الثانية ان في اظهار الاسم اشعارا بشرف الانسان ووجه الاشعار
انه تعالى لم يكتف بالنسبة صفة ربوبيته وملكيته والهيته الى ضمير الانسان
بل صرح باسم الانسان في كل واحدة منها فلولا ان الناس اشرف مخلوق لما
ختم كتابه بهذا الاسلوب قوله الى الوسوسة اشارة الى ان الوسواس اسم
بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة والوسواس بالكسر مصدر كالزلزال
وسمي الشيطان باسم الوسوسة للمبالغة في اتصافه بها نحو رجل عدل
اي مبالغ في العدل حتى صار كانه عين العدل فكذا الشيطان مبالغ في الوسوسة
حتى صار كانه عين الوسوسة ويجوز ان يحمل الكلام على تقدير المضاف اي
من شر ذي الوسواس والخناس صيغة مبالغة من الخنوس وهو الرجوع
والتأخير هو الاختفاء لقوله تعالى فلا اقسم بالخنس يعني النجوم لاختفائها
عن ظهورها والخناس مجرور على انه صفة للوسواس والوسوسة والخنس
صفتان للشيطان على حسب حالتي الانسان كما في الخبر ان الشيطان جاثم
على قلب ابن ادم فاذا غفل وسوس واذا ذكر الله خنس اي تأخر وولى
قيل الخناس له رأس كرأس الحية يضعه على ثمرة القلب يمنيه ويحدثه
بكلام خفي يصل مفهومه الى القلب من غير ان يسمع صوته والوسوسة الدعوة
الى الشر عن خفية واصل الوسوسة الصوت الخفي وسميت دعوة شيطان
الجن والانس الى الشر بالوسوسة لان شياطين الجن تدعو الى المعصية و
تزيينها باخفاء ضررها اما بان يلقى في قلب العبد سعة رحمة الله تعالى وعفوه
او بان يخيل اليه ان في المعصية تتوب بعد ما قضيت شهوتك منها او
لانهم يدعونه الى المعصية بكلام خفي يفهمه القلب من غير ان يسمع صوته

وكذا شياطين الانس توعوا لها باخفاء جهتهم كونها شرا وارادة
المنافع والمصالح من شرائها واظهار انه ناصح له في ذلك وفي
الحقيقة يريد المكر والخيانة او يجعله مغرورا بان يذكر له سعة العفو و
الرحمة وامكان التوبة بعد ذهب شرتها **قوله** وذلك كالقوة الوهمية
تشبه الشيطان من حيث انه يوافق الانسان في المعاصي والشهوات واذا
الامر الى الطاعة لله تعالى خنس واعرض عنه واخذ في المكر والحيلة
حتى يصرفه عنها **قوله** بيان للوسواس او للذي فيكون قوله والناس عطف
التقدير بن عطف على الجنة فيكون الشيطان الموصوف بانه وسواس
خناس ضربان جني وانسي كما قال شياطين الانس والجن وكما قال ان
شياطين الجن قد يوسوس تارة ويخنس اخرى فشيطان الانس يكون
كذلك وذلك لانه يلقي اليه الاباطيل ويرى نفسه في صورة الناصح المشفق فان
زجره السامع خنس وترك الوسوسة وان قبل السامع كلامه بالغ فيه **قوله**
او متعلق بيوسوس فيكون من الابتداء لغاية اي يوسوس في صدورهم
من جهة الجن يضرون وينفعون ومن جهة الناس بان يلقي اليهم مثلا ان
المنجمين والكهان يعلمون الغيب **قوله** على ان المراد به ما يعم الثقلين فكذلك
بين بالجنة والناس واستبعد من عموم الناس بالثقلين بان الجن قد سمي
رجالا في موضع ونفرا في موضع آخر وقوما في ثالث قال تعالى وانه كان رجال من الانس
يعوذون برجال من الجن واذ صرفنا اليك نفرا من الجن ويا قومنا اجيبوا
داعي الله وهي من الالفاظ المستعملة فيبين بذلك ان اسم يعم الثقلين **قوله**
وفيه تعسف لانه كونه اسما واقعا على القبيلين يبعد في اللغة فان
اهل اللغة متفقون على ان الجن والانس اسمان يخص كل واحد منهما
بحقيقة على حدة مباينة للاخرى وان احدى الحقيقتين سمي جنا
لاجتنانه اي استتاره عن اعين الناس والاخرى ناسا لايناس ادراكها بالبصر
على ان الناس من الايناس وهو الابصار قال الله تعالى آنس من جانب
الطور نارا اي ابصر فكما لا يطلق اسم الجن على بني آدم لانتفاء وجه
تسمية الجن جنا فيهم فكذلك ينبغي ان لا يطلق اسم الناس على الجن
بناء على ان وجه تسمية الناس ناسا منتف في الجن واما اذا اريد

بالناس

الجن وقوله في صدور الناس الذي سمي جنيا يمكن تقسيمه الى الجن والانس لان
مفهوم الناس مشترك بينهما لان كل واحد منهما موصوف بانه حق الله تعالى
قوله تعالى ملك الناس لم يقرأ في المشهور هنا بالالف كما قرئ به في الفاتحة
لان معنى الملك هو الرب فيلزم التكرار هنا لا فاد المضاف اليه بخلاف
سورة الفاتحة فان ما اضيف اليه المالك فلا تكرار فيه واعلم ان في
هذه السورة لطيفة بالغة وهي ان المستعاذ به في الاولى مذكور بصفة
واحدة وهي انه رب الفلق والمستعاذ منه ثلثة انواع من الافات وهي
الغاسق والنفاثات والحاسد واما في هذه السورة فالمستعاذ به
مذكور بثلثة اوصاف وهي الرب والملك والاله والمستعاذ منه آفة واحدة
وهي الوسوسة ومن المعلوم ان المطلوب كلما كان اهم والرغبة فيه اتم
واكثر كان ثناء الطالب قبل طلبه اكثر واوفر فالمطلوب في السورة
المتقدمة هو سلامة البدن من الآفات المذكورة وفي هذه السورة
سلامة الدين من وسوسة الشيطان فظهر بهذا ان في النظم السورتين
الكريمتين تنبيها على ان سلامة الدين من وسوسة الشيطان وان كان
امرا واحدا الا انها اعظم ما دواهم ط وان سلامة البدن عن تلك
الافات وان كانت امورا متعددة ليست بتلك المثابة في الاهتمام
والمطلوب **اللهم** ثبت قلوبنا على دينك ونسئلك العفو و
العافية والمعافات الدائمة في الدين والدنيا والآخرة بفضلك و
رحمتك يا ارحم الراحمين امين يا خير المسئولين والحمد لله رب
العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين

تم تم تم

١٥٣

١٠

هذا كتا سعد چلبي

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

سورة النبأ ويسمى سورة عم يتساءلون قوله مكية بالاتفاق قوله و
آيها اربعون او احدى واربعون والاختلاف في قريب بسم الله الرحمن الرحيم
قوله بحذف الالف لما مر اى في اول الصف الطيبي قال الجرجاني ما الاستفهامية
تحذف الفها تفرقة بينه وبين كونها خبرية وقيل حذف الالف بحرف الجر ليؤذن
بشدة الاتصال وقيل حذفت لكثرة الدوران قلت اختصاص الاستفهامية
بحذف الالف دون الخبرية مع ان التفرقة تحصل ايضا يحتاج الى سبب آخر مثل
كثرة الدوران في الاستفهامية فيكون احق بالتخفيف فلا يستقل الاول وجها
وكذلك الحذف بحرف الجر لا يناسب في الاستفهامية دون الخبرية يحتاج الى
ملاحظة قصد التفرقة وكثرة الدوران كليهما او الثاني منهما ويجوز ان يقال
لما كان للاستفهامية تقدم فانه يستفهم عن الشيء ثم يخبر عنه وقع التصرف
فيه لتقدمه فلا يحتاج الى ملاحظة كثرة الدوران وفيه ما فيه ويجوز
الايذان بشدة الاتصال لانه يبرز بالحرف في صورة المفرد مثل لم وبم وعم
قوله ومعنى هذا الاستفهام اه يعني لا يمكن حمل الاستفهام على حقيقته لان الله
لا يخفى عليه خافية قوله كانه لفخامته اه اشارة الى انه استعارة شبه الشيء
المفخم بالشيء الذي خفي جنسه فيستفهم عنه في انقطاع قرينه والتهويل تنظيره
ثم استعمل ما وضع للمشبه به في المشبه قوله كانوا يتساءلون عنه البعث اه
تعيين البعث بكونه متساءلا دون امر النبوة والقرآن على ما قيل لاقتضاء
قوله تعالى الم نجعل الارض الآية ذلك فانه من ادلة البعث كما قال المصنف
يتداعونهم اه وقرئت مثله في المؤثر ونقل عن الزمخشري اذا كان المتكلم
مفردا تقول دعوته واذا كان جماعة تقول تداعيت ونظيره رميته وتراميت
ورايت الهلال وترآيته ولا يكون هذا التفاعل من الجانبين قوله
راعوا الثاني يكون قوله امام فوضعوه موضع فعلوا اذا كان الف عن فيه كثيرة [?]
قوله والناس عطف على قوله لاهل مكة يعني المسلمين والكافرين جميعا و
الكاف في كانوا يجعلون ما يتساءلون عنه اما المسلم فليزداد خشية واما
الكافر فليزداد استهزاء قوله بيانا لشان المفخم كما في الكشاف يريد انه
ليس صلة يتساءلون لاستيفائه صلته وهو عنه بل هو صلة محذوف

على طريقة الاستئناف للبيان وليس بدلا عن الاول لا يصح فان معنى الاول عن
النبأ العظيم ام عن غيره والبدل لا يطابقه بعد الاستفهام لكونه لا ذلك قيل [?]
وفيه بحث فان ما قاله انما يسلم اذا اريد بالاستفهام حقيقته وليس كذلك
على ما نبهت فالمعنى عن شان المفخم يتساءلون ويصح الابدال ويحصل
المطابقة ثم لا نسلم عدم حصول المطابقة اذا بعد الاستفهام قوله ويؤكده [?]
عليه قراءة يعقوب والبزي ايضا وجه الدلالة ان هاء السكت للوقف في
تمام الكلام قوله بجزم النبي والشك فيه ان كان الضمير لاهل مكة فانهم كانوا
مختلفين كذلك قوله او بالاقرار والانكار ان كان الضمير للناس قوله وثم
للاشعار لان الثاني اكد لا اول فيها اشارة منه في التراخي في الرتبة قوله على تقدير
قول لهم ستعلمون وجوز في التفسير الكبير ان يكون من الالتفات قوله او موتا
اى كالموت قوله لانه احد التوفيين اشارة الى وجه الشبه قال الله تعالى الله
يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها اى ويتوفى التي لم
تمت في منامها قوله وقت معاش تتقلبون اه فيطابق قوله وجعلنا
نومكم سباتا على التفسير الاول للسبات وقوله وقت معاش ينتظم احتمالي
كون معاشا في النظم اسم زمان ومصدرا ميميا باضمار المضاف واما في
[illegible] فهو منصوب للمصدرية قوله او حيوة اه يطابق تفسير السبات بالموت
[illegible] رعاية الفظة لمراعاة مطابقة وجعلنا النهار على الوجهين
قوله وجعلنا الليل لباسا مستطرد في البين لذكر النوم في القرينة
الاولى قوله اى شارفت ان تعصرها الرياح [illegible] الهمزة للحينونة ونو
جعلت لصيرورة الفاعل ذا المأخذ نحو الحم واظفر وابسر واعصر
اى صار ذا لحم وظفر وبسر وعصر لها اه وجها خصوصا اذا فسرت
المعصرات بالرياح قوله او من الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب فان قيل
لم لم يجعل الهمزة للتعدية قلت لان الرياح عاصرة لا معصرة قوله او الرياح
ذوات الاعاصير فانه افعل للنسبة والاعصار الريح تثير السحاب ذكره
صاحب القاموس ونسبة الانزال الى المعصرات ح من باب بنو فلان قتلوا زيدا
اذا كان القاتل واحدا منهم ويجوز ان يعتبر التجريد وفي التفسير الكبير
عن الازهري انه يجوز ان يكون المعصرات هي السحاب ذوات الاعاصير

فان السحاب اذا اعصرتها الاعاصير لابد ان ينزل المطر منها انتهى وهذا
اظهر قوله وتوا خلافهم جمع خلف وهو حلمة ضرع الناقة او هو لك قوله
كالضرع للناقة قوله ويؤيده اي يؤيد تفسيرها بالرياح فانها الكاملة في البينة
الالية اشتهروا في الرياح قوله يقال ثجه وثج بنفسه يعني انه مشترك بين اللازم
والمتعدي وهو في النظم من اللازم كما اشار اليه المص ويجوز ان يجعل من المتعدي
على ما اختاره الزجاج حيث فسره بالصباب فانه يثج نفسها وتفسير
المص لا ينافيه ايضا اذ لا منع ان يكون بيانا لحاصل المعنى قوله وفي الحديث الخ
استشهاد لمجيئه متعديا واللزوم لشيوعه متفرع عن البيان وقرئ
ثجاجا بالحاء المهملة آخرا قوله ما يقتات به وما يعتلف ينبغي ان لا يجعل
نشر الحب والنبات لان الانسان يقتات بالنبات ايضا ولعله للاشارة
الى ذلك خص البيان بما يعتلف قوله جمع لف وهذا قول اكثر اهل اللغة وفي
الكشاف ولا واحد لها كالاوزاع والاخياف قوله وعيش مغدق اي ناعم
والغدق الماء الكثير وقد ذكر قوله او لفيف قاله الكسائي قوله او لفاء الخ
في الكشاف زعم ابن قتيبة انه لفاء ولف ثم الفاف وما اظنه واجدا له
نظيرا من نحو خضر واخضر وحمر واحمر وعلى هذا فقال المص ثبت الفرض
في انقسم فانه لم يثبت مجيء اخضر واحمر جمعا لخضراء وحمراء وجمع الجمع لا
يقاس فلم يسمع من العرب مجيء الفاف جمع لف لا يجعل جمعا له ولا يفيد كونه
على زنة فعل اذ لا يتم الامر بالمصحح قوله او ملتفة بحذف الزوائد واعترض عليه
بانه لا نظير له فان حذف الزوائد بابه التصغير في المصادر دون الجمع واجيب بان
اللواقح والطوائح بمعنى الملقحات والمطيحات فليس منه ان ثالثه صاحب
الكشف قوله او في حكم اي قضائه وارادته الازلية قوله يوقت به الدنيا الخ
تحديده قوله روي انه سأل عنه الحديث قال ابن العراقي رواه الثعلبي وابن
مردويه في تفسيرهما من حديث محمد بن زهير عن محمد بن المهتدي عن
حنظلة السدوسي عن ابيه عن البراء بن عازب عن معاذ وفي ترجمة محمد
زهير في لسان الميزان الشيخ متهم انه فاء الوضع قوله ثم فسرهم بالقتات
بضم القاف جمع قتات وهو النمام قوله وشققت السماء رد ذلك بان المفهوم
من التنقيح غير المفهوم من الشق فانه يكون للابواب فيجوز ان يكون للسماء ابواب

اي في قوله [illegible] بالمعنى [illegible]

[illegible] رسول الله [illegible]

يفتح

١٥٥

يفتح تلك الابواب يوم القيمة ويحصل الانشقاق والانفطار ايضا لكن اختصاص
الفتح بالباب انما يسلم اذا نسب اليه واما اذا نسب الى الجملة فلا قوله اذ ترى الخ
اشارة الى وجه النسب على التعليل قوله لقيام الساعة يعني يكون جهنم مرصادا
للطاغين فانه قيد لذلك لاقامة الجزاء قوله للطاغين يجوز ان يكون صفة
لمرصادا او حالا من مآبا وان يتعلق بنفس مرصادا او بنفس مآبا ويجوز
تعلقه بكليهما والظاهر من صنيع المص الثالث والرابع قوله ابلغ لان فعلا يدل على
الثبات بخلاف فاعل كحذر وحاذر ومثله مستثنى من قولهم زيادة الحرف
لزيادة المعنى قوله وانه ان اي وان وجد ما يدل على خروجهم او ما يقتضي
تناهي تلك الاحقاب قوله فلا يعارض المنطوق اه منه قوله تع يريدون ان
يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم قوله ولو
جعل قوله لا يذوقون الآية حالا وكذا لو جعل صفة لاحقابا ولا يجب ابراز
الضمير اذا كان الواقع صفة جارية على غير من هي له فعلا بالاتفاق وانما الخلاف في
اسم الفاعل فذهب البصرية يوجبونه فيه والكوفيون يخالفونهم وقد جوز
الزمخشري والمص كون اسم الفاعل صفة جارية على غير من هي له بدون ابراز
الضمير في سورة الانشقاق فتذكر قوله او نصب احقابا بلابثين وقوله لا يذوقون عليك
[illegible] الفصاحة القرآنية ولذا عده مرجوحا وفي كلام المص ايضا اشارة
الى ترجيح الوجه الاول حيث بنى بيان المعنى عليه فانه لا يذوقون على الثاني
[illegible] قوله والمراد بالبرد ما يروحهم فلا يلزم ان لا يعذبوا بالزمهرير
قوله او النوم على لغة هذيل ومنه قولهم منع البرد البرد قوله وهو مستثنى
من البرد بناء على هذا الوجه واما اذا فسر بما يسيل من صديدهم
فلا يبعد [illegible] من الشراب قوله او وفاقا عطف على ذا وفاق والمصدر
للمجازاة [illegible] قوله وقرئ وفاقا بكسر الواو وتشديد الفاء قوله
[illegible] كذا بكسر العين [illegible] ونقت امرك [illegible] كرب صار
[illegible] قوله بيان لما وافقه هذا الجزاء ووجهه والله تع اعلم ان الكفار
[illegible] مانيتهم الاستمرار على الكفر [illegible] قوله فانهم لا يرجون حسابا
اذ معناه فانهم مستمرون على عدم توقع الحساب فوافقه عدم تناهي العذاب
واللبث فيه احقابا بعد احقاب وانما قال انهم مبدلين التصديق [illegible]

[illegible marginal notes]

بوقع النفس ويثلج به الصدر بالتكذيب الذي هو ضده جوزوا بالجيم والفاء
بدل ما يحصل للمؤمنين في بروحهم من برد الجنة وشرابها ولما كان المقصود
الموافقة في التعبير فقط أخليت الجملة التي بعد ذلك (؟) الاستعارة قوله
مطرد شائع في كلام الفصحاء وفي الكشاف لا يقولون غيره وفي ظاهره نظر
قوله لقوله أي الأعشى قوله وإنما أقيم مقام التكذيب إشارة إلى أنه منصوب بكذبوا
لا بفعله المقدر وذا بين كتب التقويم إذ الصحيح التقدير بدونه قوله أي المكاذبة
عطف على الكذب قوله أو كان من باب القيم عطف على كان نوعا عند المحدثين قوله
وعلى المعنيين بمعنى الكذب والمكاذبة قوله ويؤيده أي يؤيد أن يكونها لا قوله
وهو جمع كاذب فإن فعالا من أبنية التكسير في الأكثر قوله فيكون صفة للمصدر
أي المصدر بكونه قوله مفرطا كونه أبلغ التكذيب معنى الإيقاع والإحداث
نسبة إفراط الكذب إليه مجازية لأن المراد الحاصل بالمصدر يكون على الحقيقة
إذ الخبر يتصف بالصدق والكذب قوله مصدر لأحصينا وينتظم أحصينا وكونه
كتابا في موضع إحصاء وكونه أحصينا في موضع كتبنا وكذا التعليل وقد تقدم
أن مثله يجوز أن يكون من الاحتباك حذف فعل الثاني بقرينة الأول ومفعول
الأول بقرينة الثاني قوله والجملة اعتراض لتوكيد كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات بأنها
محفوظة للمجازاة قوله بدل أن جعل مفازا مصدرا ميميا قوله أو بعضه
إن جعل مكانا فإن قلت فأين العائد قلت محذوف أي فيه لكن تقديرها
جعل بدل اشتمال لا يخلو عن تكلف ويجوز أن يجعل بدل الكل على الادعاء ونصبا بكذا
أعني قوله فلكت ثديهن أي استدارت ثديهن جمع ثدي قوله وأدهق الحوض
الأنسب دهق فإن دهاقا ليس من باب الإفعال وإن دهق وأدهق بمعنى واحد
قوله إذ لا يكذب إنه متعلق بقوله لا يسمعون قوله بمقتضى وعده إشارة إلى دفع ما
عسى يتوهم من المنافاة بين الجزائية والعطائية لاقتضاء الأول الاستحقاق
دون الثاني قوله وهو منتصب به إنه قال الزمخشري ومنع نصبه المص لما تقرر في النحو
أن المفعول المطلق لا يعمل لأنه لا ينحل بحرف مصدري وفعل كذا قيل ولك أن تقول
هذا إذا كان الفعل أن صح المفعول المطلق مذكورا أما إذا حذف لازما
كان الحذف أو جائزا ففيه خلاف هل هو العامل أو الفعل هو العامل وما نحن فيه
منه فإن جزاء مصدر مؤكد كما قال غاية أختار إعمال المصدر وتعين وجه

التمريض مرجوحة إعمال المصدر قال الرضي الأولى أن يقال العمل للفعل على كل حال
وفيه تأمل قوله مما أحسبه الذي ليس المراد أنه مصدر أحسب حتى يرد أن
المصدر لا يشتق من الفعل وأن مصدر أفعل لا يجيء على فعال بل يبين المناسبة
بينهما وتلازمهما في المعنى قوله أو على حسب أعمالهم بفتح السين وسكونها
أي على قدره وما وعد الله تعالى من المضاعفة وأخر في القدر قوله وقرئ
حسابا بفتح الحاء وتشديد السين قوله صفة له قال شيخنا رحمه الله سعدي
بأن المضاف إلى المعرف باللام لا يوصف بالمعرف بها قلت مذهب سيبويه والجمهور
جوازه قال الرضي المضاف إلى ذي اللام يوصف بذي اللام والمضاف إليه وكذا
المضاف إلى الموصول هذا كله على مذهب سيبويه الذي عليه الجمهور انتهى وكفى
بهم قدوة قوله إلا في قراءة ابن عامر آه هكذا في أكثر النسخ وفيه نظر فإنه
لا منع في قراءتهم أيضا عن جعله صفة ووقع في بعضها بالجر صفة له في قراءة ابن
عامر وعاصم ويعقوب وبالرفع في قراءة أبي عمرو وفيه أيضا نظر إذ لا وجه في
خصوص القراءة بالرفع بأبي فإن الحجازيين يقرءونه بالرفع أيضا قال ابن
الجزري في النشر اختلفوا في رب السموات والأرض فقرأ يعقوب وابن عامر
والكوفيون بخفض الباء والباقون برفعها واختلفوا في الرحمن فقرأ ابن عامر
ويعقوب وعاصم بخفض النون وقرأ الباقون برفعها قوله أي لا يملكون
خطابا بخطابه [illegible] أنه جعل من صلة خطابا قدم عليه فانقلب بيانا قال صاحب
الكشاف يقال خاطبت زيدا وخاطبت من زيد كما يقال بعت زيدا وبعت
منه زيدا وفيه أن تعدية الخطاب بمن يحتاج إلى النقل من أئمة اللغة ولا إشكال
وأجاب أن البيع لا يتعدى بمن إلا بواسطة إلا أن المبيع لا المشتري فلا يصح لما
قدمه عليه أيضا بل ينبغي أن يجعل منه صلة يملكون أي لا يملكون من الله تعالى في
ذلك اليوم الذي لا ملك لأحد دونه خطابا بأي اعتراض ولا منع في أمر المص
عطف الجر عليه وترك التفصيل فيه لما رأى أن دفع التنافي أظهر بين
الآيتين أهم منه قوله فإن هؤلاء الذين هم أفضل الخلائق آه ليس المراد
بالأفضلية الأكثرية ثوابا حتى يخالف لما عرف من مذهب أهل السنة بل كثرة
المناسبة مع الله تعالى في النزاهة وقلة الوسائط على ما يشير إليه عطف قوله
وأقربهم عطفا تفسيريا والدلالة عادية فإن الأقربين من الملوك من

خدمهم يكون تسلطهم عليهم اكثر من العدد عنهم وان قلت وظائف العبادة
اكثر وعوائدهم اوفر قوله والشفاعة لمن ارتضى يعني المسلمين فكلام مرتضى
قال الله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه
قوله او جنسها اي جنس الارواح وفيه نظر لانه ياول بذوات الارواح قوله
وقيل هو الكافر قال صاحب الكشاف ولم يرتضه المص لان المطابق لما سبق من
وصف يوم الفصل بما اشتمل على حال الفريقين والمناسب للقول فمن شاء
اتخذ الى ربه مآبا هو العموم ولا دلالة في قوله انا انذرناكم على اختصاص المرء
بالكافر وحينئذ قوله وما موصولة منصوبة بينظر والعائد محذوف اي قدمته
قوله او استفهامية منصوبة بقدمت معلقة لينظر سورة النازعات
وتسمى الساهرة والطامة مكية بالاتفاق قوله وآيها خمس او ست واربعون
بسم الله الرحمن الرحيم قوله هذه صفات ملائكة الموت يعني ان الواوات
لعطف الصفات قوله فانهم ينزعون اي يقلعون قوله اي اغراقا في النزع ينتظم
احتمال كونه الغرق اسما للاغراق وان يكون مصدرا لغرق بحذف الزوائد
قوله فانهم ينزعونها من اقاصي الابدان فيه ان هذا لا يختص بالكفار الا
ان يراد انهم ينزعونها منهم معكوسا او يقال النزع يختص بالكفار وما
في المؤمنين نشط لا نزع وهذا اوجه قوله او نفوسا عطف على ارواح الكفار
وغرقها غرقا على هذا الوجه هو المفعول به مصدرا اريد به معنى الصفة
المشبهة سبح الغواص فيه ان الغواص يغوص اذا اراد اخراج شيء من
البحر واطلاق السبح على الغوص غير متعارف قوله فيسبقون اي يصلون
بسرعة قوله او الاوليان اي النازعات والناشطات والسابقات لغيرهم فيكون
عطف السابحات من عطف الذوات بخلاف السابقات والمدبرات قوله وهو
الاظهر في نظمهم قوله فانها تنزع اي تجري في القاموس يقال نزع الفرس
سننا اي جرى طلقا قوله كاختلاف الفصول المنوط بحركة الشمس قوله
وتقدير الازمنة وظهور مواقيت العبادات المنوطة بحركة الشمس
كمواقيت الصلوات وتقدير السنة الشمسية وبحركة القمر كمواقيت الصوم
والحج والزكوة وتقدير السنة القمرية والاشهر قوله سمى الاولى نزعا فانه
الجري بجامع الفرس والجواري المنشآت بخلاف النشط قوله فانها تنزع

١٥٧

عن الابدان اي تكف الراغب نزع الشيء جذبه عن مقره والنزع عن الشيء الكف عنه
قوله او حال سلوكها عطف على حال المفارقة قوله فيسبح في مراتب الارتقاء
اشارة الى ان الواو في قوله والسابحات على هذا الوجه لتفويض الترتيب الى الذهن
السامع قوله او بايديهم فهو صحة اسناد النشط وما بعده من الصفات الى
الايدي كلام الا ان يقال انه مجاز للملابسة قوله اقسم الله بها على قيام الساعة
اي ليقومن الساعة قوله وهو منصوب به اي بالجواب المحذوف قوله ترجف الاجرام
عندها فاسناد الرجف الى الواقعة يكون مجازيا ولو فسر الرجف في هذا
الوجه بالتحريك لكان وجها قال في القاموس رجف حرك وتحرك واضطرب
شديدا قوله والجملة في موضع الحال انظر انها حال مقدرة ويجوز الاستئناف
ايضا وبذلك تبين ان ما في الكشاف فيه قوله فان قلت كيف جعلت يوم ترجف ظرفا
للمضمر الذي هو لتبعثن ولا يبعثون عند النفخة الاولى قلت المعنى لتبعثن في
الوقت الواسع الذي يقع فيه النفختان وهم يبعثون في بعض ذلك الوقت
الواسع وهو وقت النفخة الاولى ودل على ذلك ان قوله تتبعها الرادفة جعل
حالا عن الراجفة منظور فيه اذ الحالية غير متعينة وعلى تسليم تعينها فالحال
يجب مقارنتها لذي الحال وحدوث الرادفة بعد انقضاء الراجفة لا يفيد كون
الايام كيوم واحد لم يتفاوتا فلهذا ان يجعلها مقدرة فلا دلالة على
ما ذكره فتأمل قوله وهي صفة القلوب ولا مانع عن جعلها خبرا فالتنكير
قلوب للتنويع قوله ولذلك اي ولكون المراد انها ذليلة من الخوف اضيفها
على القلوب يقولون الاية قوله على النسبة او على الاسناد المجازي او تشبيه القابل
بالفاعل اي تعلق الحفر بكل منهما فاطلق اسم احدهما على الاخر للمشابهة قوله
يقال حفرت اسنانه حفرا اي تأكلت في اسناخها اي اصولها قوله اذا كنا
نصب بمحذوف تقديره ابنعث ونرد اذا كنا قوله وهي ابلغ والاول اشبه برؤس
الآي ولذا اختاره المص مع ان الثاني قراءة الاكثر قوله او خاسر صاحبها
على الاسناد المجازي او حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه قوله متعلق
بمحذوف لكونه تعليلا له قوله اليس قد اتاك اشارة الى ان هل بمعنى قد والهمزة
مقدرة قبلها كما اشار اليه في سورة الانسان والاستفهام للتقرير وزاد ليس لانه
اظهر دلالة على ذلك لا لانه مقدر في النظم قوله فانه هو اعظم منهم يعني فرعون

قوله لما في النداء من معنى القول اشارة الى ان ان تفسيرية ويجوز ان يكون مصدرية
اى بان اذهب قوله هل لك ميل وقد يقال قوله هل لك تجاوز عن اجذبك وادعوك
والقرينة هي القرينة وهي الى رة قوله بالتشديد الزاء لادغام التاء التي فيهما
لما بينهما من قرب المخرج قوله واهديك الى ربك وتقديم التزكية لتقدم التخلية
على التحلية قوله وارشدك الى معرفته اشارة الى ان في النظم مضافا مضمرا و
يجوز ان يكون اشارة الى ان الهداية الى معرفته هداية اليه سبحانه لانها وجود
له في الذهن فتأمل قوله اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة يجوز ان يكون تعليلا للعطف
بالفاء او لاضمار المعرفة قوله وهذا تفصيل قوله هل اتاك الآية قوله وهي قلب
العصا حية والصغرى على هذا اعجزه ما معجزاته اهم قوله فان ذلك المقدم بمعنى
على الاول ينبغي ان يكون هو المراد على ما يقتضيه الفاء التعقيبية قوله والاصح
يعني بالنسبة الى اليد البيضاء على الخصوص فانها كانت في التبع لانه كان تبعها
بيده ... فالاصح هو الاحق للوصف بالكبرى
دون ما هو في التبع وان كان هو ايضا باعتبار كونه الجزء الاول معقبا قوله في
مجموع معجزاته والفاء للتعقيب ايضا باعتبار الجزء معقب او الكبرى والصغرى
مع معجزات الانبياء المتقدمة او اسم التفضيل للزيادة المطلقة قوله وعصى الله
ويجوز ان يريد وعصى موسى ... فيما امره الا ان ما ذكره المص اوضح في ذلك
وتسبيح حاله قوله عن الطاعة وكلمة ثم على هذا على معناها من التراخي الزماني
اذ السعي في ابطال امره يقتضي مهلة قوله او ادبر عطف على المعنى في ان قوله اي
ادبر عن الطاعة لكن يأتي في كلمة ثم عن الحمل على هذا المعنى الا ان يقال انها للدلالة
على استبعاد الادبار مرغوبا ... مع ادعائه الالهية قوله او منادى
عطف على الضمير المستتر في ... لوجود الفصل قوله اخذا منكلا اشارة الى
ان النكال بمعنى التنكيل كالسلام والكلام بمعنى التسليم والتكليم وانه بمعنى اسم
الفاعل صفة لمصدر اخذه وان الاضافة بمعنى في قوله لمن راى اى لمن راى اخذه
في الدنيا او سمعه اى سمع اخذه في الدنيا او في الاخرة وكلمة او في كلام المص
لمنع الخلو قوله او على كلمة الاخرة على التغليب وفيه اشارة الى ان الاضافة ح
من اضافة المسبب الى السبب قوله وهو قوله ذكر ضمير الكلمة باعتبار الخبر قوله او
للتكثير يعني يكون انتصابا على المفعول له قوله فيهما اى في الدارين قوله اولهما

اى الكلمتين قوله ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا اى نصبا على المصدرية مؤكدا لمضمون اخذه
الله ويجوز ان يكون نصب باخذ على تأويل بنكل بالاخذ او بان يكون حالا باخذ نكالا قوله
اصعب خلقا الصعوبة بالنسبة الى المخاطبين وتعارفهم قوله ثم بين كيف خلقها
على هذا يوقف عند قوله ام السماء وام متصلة قوله ثم بين الاشارة الى وجه ترك
العطف قوله اى جعل الذاهب في العلو مقدارا ذلك اذا اخذ من اسفله الى
اعلاه سمي سمكا واذا اخذ من اعلاه الى اسفله سمي عمقا قوله اظلم اى جعله
مظلما ذاهب النور من ظلم كسمع قوله اذا اظلم اى صار مظلما قوله وانما اضاف
في الكشاف اضيف الليل والشمس الى السماء لان الليل ظلها واعترض عليه بان الليل
ظل الارض لا ظل السماء واجيب بانه باعتبار ما راى ان ظلها فيه او لعل ان
في الاضافة لملابسة فانه حدوثه بسبب حركة السماء على ما قال المص قوله
وابرز ضوء شمسها اشارة الى ان الكلام على اضمار المضاف قوله ورعيها الرعي
بالكسر هو الكلأ وبالفتح مصدر والمراد هنا ما يأكل الناس والانعام فاستعير
الرعي له بناء استعارة المرسن الانف كما استعير الرتع في قوله نرتع ونلعب الطبيعي
ويجوز ان يكون استعارة معنوية لان الكلام مع منكري الحشر الذين يتها العا ترون
الراحلون في زمرة البهائم المشغولون في قربها في تمتعكم بالدنيا وذهولكم عن الاخرى
في ان قلت كون الكلام معهم لا يقتضي اختصاص المرعى لهم بل هو يتهم وغيرهم
على ما هو الحق لمقام الاستدلال والالزام فلا يتم ما ذكره قلت بل قوله متاعا
لهم لا يقتضي الاختصاص لهم قلت امر قوله وهو في الاصل لموضع الرعي فانه شايع
الاستعمال فيه وان كان لا حاجة الى ان يكون مصدرا بمعنى المفعول ايضا مستعارا قوله
لانها حال باضمار قد او على الوجهين لا يثبت كون متقدما على ما خلق الجبال
لوقوعها على ما في حم السجدة في الوجه الاول يقتضي تقدم خلق الجبال فانه
قد لتقريب الماضي من الحال على ما عرف قوله تمتيعا لكم اشارة الى ان المتاع بمعنى
التمتيع وهو يحتمل النصب على المصدرية بفعله المقدر وعلى المفعول له والاول اولى
لان الخطاب لمنكري الحشر والمقام الاصح هو التمتيع المؤمنين فلا يلزم جعل تمتيع
الاخرين في الغرض قوله يعلو على سائر الدواهي وعلى هذا فوصفها بالكبرى يكون
للتأكيد او للفرق يعلو على الخلائق ويغلبهم كان تخصيصا قوله هي الكبرى الطامات
الاظهر تبويب الطامة بالدواهي فان الطامة مفسرة بما يطم على سائر الدواهي

ف نحو قوله والساعة بسائقها او فيكون اذا ظرفا لمجيء تلك اسماعه باعث اشتماله
عليها قوله في صحفهم يجوز ان يكون الضمير للانبياء وان يكون لما سبق فان يقال كتب الاعمال
وصحيفة الاعمال قوله ووقت انت ضميرا سبق باعتبار المعنى فان عبارة
عن اعمال قوله وما موصولة او ما علم في هذا بمعنى عن قوله او ما بعده يجوز
ان يكون عطف على محذوف فيكون الجواب هو التفصير نفسه على ما اثره الزمخشري
وان يكون عطف على يوم يتذكر فالتفصيل بين الجواب وهو نفس [illegible] من قوله
من التفصير اي للاثبات قوله هي الماوى واللام فيه سادة ظاهره اختيار مذهب
الكوفيين فانهم يقولون في مثله ان الالف واللام عوض عن الضمير المضاف واما اهل
البصرة فمذهبهم ان الاصل هي الماوى له وحذف العايد للعلم بان الطاغي هو صاحب
الماوى قوله للعلم بان صاحب الماوى وفيه انه لا دلالة في ذلك على ما ادعاه فانه
لو نكر الماوى لكان هذا العلم بحاله وليست اللام عهدية لعدم سبق الذكر قوله
مقامه بين يدي ربه وفيه وجوه اخر تقدمت في [illegible] الرحمن ولعل ما ذكره من
الوجه انسب هنا في ذكره المص قوله ومستقرها عطف تفسير [illegible]
وكلاهما اسم زمان وكذلك قوله ويستفهم عطف تفسيري لما قبله قوله اي ما
انت من ذكرها لهم اه ظاهره انه منع عن ذكر القيمة نفسها لهم وفيه ما
لا يخفى لهم مع انه لا بد [illegible] تفسير ذكرها فان قلت فليحمل قوله
تبيين وقتها [illegible] عطف تفسيري لوقتها قلت يأباه قوله فان ذكرها لا يزيدهم
الا غيا [illegible] المراد ذكر وقتها لان قوله [illegible] استاثر الله تعالى بعلمه
ويجوز ان يقال قصد المص الاشارة الى وجه اخر لتفسير ذكرها ولا امتناع
في المنع اذ [illegible] ذكرها يزيدهم غيا [illegible] من قوله فذكر ان نفعت الذكرى
وعليه يرد ظاهر قوله انما انت منذر من يخشيها فتأمل قوله وقيل انه اه مرتضيه
لكونها اخراجا للنظم عن الظاهر [illegible] قوله وقيل انه متصل اه والمعنى انهم يسئلونك
في اي مرتبة انت من علمها والذكرى [illegible] العلم وفيه [illegible] ولذلك مرتضيه
قوله وهو [illegible] تعيين الوقت فان [illegible] لم يعين الوقت [illegible]
كل حين يكون الابهام ادخل في الاخافة والانذار [illegible] المص ينتظم احتمال
ان يكون القصر قصر الموصوف على الصفة كما اثره الزمخشري اي ما انت الا منذر
لا معلم وذكر صلة المنذر لكونها ذات مدخل في القصر وان يكون من قصر الصفة على

[illegible] الوقت ولم يعين [illegible]

للموصوف

106

الموصوف على ما اشير اليه في المفتاح اي ما انت منذر الا من يخشيها ولا عام الا في
فانها المجرد التخفيف لا يتفاوت بها المعنى قوله على الاصل قال ابو حيان الاصل الاف في
فانها هي الاصل في الامر في الاسماء والفا على لها للشبه سورة عبس وتسمى
الصاخة قوله مكية بالاجماع قوله واياتها اثنتان واربعون وفي البصري احدى واربعون
بسم الله الرحمن الرحيم قوله روي ان ابن ام مكتوم الخ فان ام مكتوم ام ابيه
وهو وهم فقد نص ابن عبد البر وغيره انها امه واسمها عاتكة قوله يدعوهم
الى الاسلام حال او استئناف قوله ولم يعلم تشاغله بالقوم وهو وقع التفسير
الكبير انه لصحة سمعه كان يسمع مخاطبة رسول الله صلعم معهم ويعرف بذلك
غير شدة اهتمامه بشأنهم [illegible] ولا يمكن انه [illegible] الابصار في العلم بالشيء
قوله وان جاءه علة لتولى او عبس اي منتصب على العلية باحدهما او لا
فهو في المعنى علة لهما متعلق بهما قوله على اختلاف المذهبين يعني المذهب
البصري والكوفي في اختيار اعمال المؤخر او المقدم في باب التنازع قوله يعني الا ان
جاءه الاعمى اه ففي هذا يوقف على تولى ثم يبتدأ والاستفهام للانكار قوله
وذكر الاعمى للاشعار بعذره اه دفعا لما عسى يختلج بالبال انه كان قرا يستحق
التاديب والزجر لاقدامه على قطع كلامه [illegible] وايذائه قوله والدلالة على انه احق
بالرافة اه فان قلت هذه الدلالة وسيلة الى زيادة الانكار فالوجه ان يحيرهما
الوجيز هاهنا ولكن فقلت انها كما يجوز ان يجعل وسيلة اليها يجوز ان يجعل
لمحو العتب على الرافة والشفقة وعليه نبه المص قوله او لزيادة الانكار
[illegible] ان اصل الانكار [illegible] المقام واسناد الفعلين الى ضمير
الغيبة مع ان مقتضى الظاهر [illegible] ضمير الخطاب [illegible] فيه دلالة على انه مثل
لا ينبغي ان يصدر من المخاطب مثله فكانه [illegible] وللتولي غيره هذا والحق
نهه [illegible] في عبس وتولى اجلالا له [illegible] ولطفا به ان يخاطبه لما في المشافهة
بالخطاب ما لا يخفى قوله كانه قال تولى لكونه اعمى يعني انه لا يليق بخلقه العظيم
قوله الالتفات اه فان فيه دلالة على زيادة الانكار كمن يشكو الى الناس جانيا
جنى عليه ثم يقبل على الجاني اذا حمي في الشكاية مواجها له بالتوبيخ وهذا يجوز ان
يكون الخطاب للاعمى [illegible] قوله اي واي شيء يجعلك داريا
بحاله [illegible] مفعولا على ما اختاره بعضهم منهم الزمخشري فيه

الا ذكرا عنده ويكون لعله يزكى ابتداء كلام واختار ابو حيان تسليط يدريك
على جملة الترجي اي لا يدري ما هو مترجى منه من تزكيه او تذكره قوله وفيه ايماء
وجه الايماء في غاية الخفاء قوله اي يتطهر بما يتلقف الخ لا ولا اشارة الى التخلية
عن الآثام واشارة الى التحلية بشعائر الاسلام ولهذا دخلت كلمة الترديد
قوله اي انك اشارة الى ان الترجي على هذا الوجه للرسول ص قوله فما يدريك الخ
ما طمعت فيه الخ وفيه ان الفعل وقع على لعله يزكى فيكون المعنى وما يدريك
انه يتوقع منه التزكي ويرجى فلعله من قبيل التمني المستحيل وانظر ان العلة
والحض سلكا مسلك المبالغة فجعلاه كناية عن تحقق المطموع ووجوده
ثم قوله جواب للقسم تشبيها له بليت قوله فانت له تصدى اي دون
الاعمى قوله بالادغام يعني بادغام التاء في الصاد قوله اي تعرض وتدع قال
ابو حيان يقال تصدى الرجل وصديته اذا جعلته يستشرف منه فانه لا يتحقق
قوله واما من جاءك يسعى الاية الظاهر ان النظم من الاحتباك ذكر الغنى اولا دليلا لم
على الفقر ثانيا والمجيء والخشية ثانيا للدلالة على ضدهما اولا قوله تلهى عنه
كرضي قوله ولعل ذكر التصدي والتلهي يعني على هذا الاسلوب وهو تقديمهما
على الموصوفين مع تقديم الضمير المسند اليه في المقامين المفيد للتقوي
بل الاختصاص كما اشار اليه بقوله لا ينبغي له ذلك الضمير المجرور لمثله والاشارة
الى ما ذكر من اهتمام قلبه وتلهيه قوله وعظة ومثله عطف تفسير
لما قبله قوله والضمائر للقرآن او العتاب والاولى ان يجعل الضمائر للايات او
السورة او المعاتبة وجعل التذكير في الثاني باعتبار القرآن او العتاب او لكون
المصدر بتأويل ان مع الفعل حتى لا يلزم ارتكاب التأويل بعد ظهور الاحتياج
البعد الظاهر الخ فان الضمير الثاني للتذكير لكونها في معنى الذكر والوعظ
لا لمرجع الضمير الاول قوله منتسخة من اللوح قيل المراد بها اللوح المحفوظ لكن كونه
صحفا غير ... وقيل صحف الانبياء لقوله ان هذا لفي الصحف الاولى او
صحف الملائكة المنتسخة من اللوح وقيل صحف المسلمين فيكون اخبارا
عن الغيب اذ لم يكن القرآن مثبتا في الصحف زمان كونه بمكة قال
ابو حيان قوله صفة لتذكرة او خبر ثان وعلى الوجهين فقوله فمن شاء ذكره
اعتراض والفاء لا يمنع عنه كما نقل عن الزمخشري ونقل الفرعي صحيح فافهم

صح

١٦٧

صحح في البحر جواز كونه فاسئلوا اهل الذكر اعتراضا قوله يستخرجون الكتب الخ على
الوجه الاول قوله او الوحي على الوجه الثاني قوله او سفراء عطف على كتبة قوله يسفرون
بالوحي الخ على الاول قوله او الامة عطف على رسله يعني على الوجه الثاني دون ... او
متعطفين على المؤمنين الخ فكرام على هذا الوجه من الكرم وعلى الاول من
الكرامة قوله وهو يعني قوله قتل الانسان ما اكفره قوله يدل على سخط عظيم يعني باعتبار
جزئه الاول وهو الدعاء بما يليق بحقيقته لامتناع حقيقته من الله تعالى سبحانه لانه منزه
العجز فالمراد به اظهار السخط قوله وعلى الذم اي باعتبار جزئه الثاني قوله بيان
لما انعم عليه يعني شروع في بيانه قوله خصوصا تيسر المنعم عليه وهو الانسان فانه اريد
به الجنس كما يدل عليه تفسيره قوله لما يقضي ما امره وانما اريد الخصوص لا التخصيص
اضافي بالنسبة الى الحيوانات اذ لا اقبار فيها قوله فهيأه الخ او فقدره وعلى
الوجهين فالفاء للتفصيل فان التقدير يتضمن على المعنيين قوله ونصب
السبيل الخ فالباء في يسره للسبيل قوله ولذلك عقبه بقوله ثم اماته وتعقيب
بالنعم دون الاصناف مع ان مقتضى الظاهر الاصناف قوله لان السبيل ... بالنعم
على التقسير للسبيل قوله ولذلك عقبه بقوله ثم اماته فان الموت وصلة الى
المقصود على الاول فتخصيص هذه النعم بالذكر لانه يتضمن الاشارة الى ان
الانسان في مبدأ امره ماء مهين وانه خرج من مخرج البول مرتين وفي منتهاه
جيفة قذرة يطرح من البين ويستر من العين فمن كان في هذه المرتبة
من الدناءة فانه وصف لم يكن ان يليق به الاتصاف بالكفران والاتسام
بسمة الطغيان والتكبر على القادر المنان والله اعلم قوله وصلة في
الجملة اي في بعض افراد هذا الجنس وهم المؤمنون قوله والامر بالقبر في الصحاح
اقبره اي امر بان يقبر والقبر الدفن قوله غير معين وغير مخبر وقت
الموت فانا نجزم بان احدا من ابناء الزمان لا يبقى الى مائة وخمسين سنة
مثلا وليس لاحد مثل هذا الجزم في النشور قوله عما هو عليه يعني في الاستمرار
على الكفران قوله وقرأ الكوفيون بالفتح وبالفتح قرأ رويس اي ضم وصلا و
اما في الابتداء فهو يقرأ بالكسر ذكره ابن الجزري في النشر قوله بدل الاشتمال
فانه لكونه من اسباب تكون الطعام ... المنعم عليه وحذف العائد محذوف
والتقدير صببنا له ويجوز ان يجعل بدل الكل على الادعاء قوله واستمر

الشق الانف على الوجه الثاني قوله اسناد الفعل الى السبب فيه بحث فان الشق على
بمعنى الاحداث وبمعنى الهيئة الحاصلة بالاحداث ولا شك ان المحدث لتلك الهيئة
في الارض هو الله تعالى دون العبد فلا مانع من قيام معنى الشق به سبحانه كقيام
الاحياء والاماتة ولا عن جعل الاسناد حقيقة واما الخوف والطمع فانهما
كيفيتان يستحيل قيامهما بالذات المقدسة فلا يقاس الشق عليهما فتامل قوله
مستعار من وصف الركاب استعارة معنوية على الوجه الاول واستعارة المرسن
للانف على الثاني قلت من قوله ثوب للتشبيه اى تهيأ قوله فاذا جاءت الصاخة
جوابه اذا ما دل عليه قوله يوم يفر المرء الاية على تقدير ما سبق في ان رجعت او ذلك
عليه لكل امرئ منهم الاية اشتغل كل واحد بنفسه او ما دل عليه قوله وجوه يومئذ
الاتية اى انقسموا قسمين قوله وصفت بها مجازا وقد جعل الصاخة بمعنى
المصمة على الاسناد المجازي فان المصم حقيقة هو المسمع سورة التكوير
وتسمى سورة اذا الشمس كورت قوله مكية بلا خلاف قوله واياتها تسع وعشرون
وفي التيسير ثمان وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم قوله بمعنى رفعت مطوية قوله
لفت يعنى ان تكويرها كناية عن رفعها اذ لا مانع عن ارادة المعنى الحقيقي ايضا
وكون الشمس كرة مصمتة بعد تسليم صحته لا يمنع عنها فيجوز ان يحدث الله تعالى
فيها قابلية التكوير بان يصيرها منبسطة ثم تكورها ان الله على كل شيء قدير
قوله لان الثوب اشارة الى بيان العلاقة المصححة للارادة الكنائية فهي ان
الثوب اذا اريد رفعه عن مكانه وستره يجعله في صندوق او نحوه لف
وطوى فكان بين اللف والرفع علاقة اللزوم قوله او لف ضوئها عطف على
قوله رفعت فيكون اسناد كورت الى ضمير الشمس مجازيا او بتقدير المضاف
قوله فذلك انبساطه فاللف على هذا مجاز عن الاعدام اذ لا مانع لا ارادة
المعنى الحقيقي لان الضوء لكونه من الاعراض لا يتصور فيه اللف وفي الكشاف وهي
عبارة عن ازالتها والذهاب بها لانها ما دامت باقية كان ضياؤها منبسطا
غير ملفوف وفيه نظر فان الله تعالى وعد ان يطمس نورها مع بقائها
قوله او القيت عن فلكها عطف على لفت قوله وارتفاع الشمس بفعل يفسره
بعدها اى لا هذا مذهب البصريين واما الكوفيون ووافقهم الاخفش فيرون
نعوتها وامثالها على الابتداء لان التقدير خلاف الاصل قوله فان يعنى المجاز

في مدح عمر بن معمر التيمي اوله اذا الكرام ابتدروا الباع بدروا تقضي البازى اذا البازى
كسر والباع يستعمل في الكرم يقول اذا الكرام ابتدروا نيل المكارم بدرتهم اى
اسرع اليهم كانقضاض البازى على الحبارى وحرب بالكسر جمع خرب
محركة وهو ذكر الحبارى قوله عن وجه الارض لحد فعف عنه قوله او في الجو بمعنى
كثيفة السحاب قال الله تعالى وهي تمر مر السحاب قوله جمع عشراء كنفاس ونفساء
نفسة وفي القاموس وليس فعلاء يجمع على فعال غير نفساء وعشراء قوله
او السحاب وفي التفسير الكبير هذا وان كان مجازا الا انه اشبه سائرها
قبله فان قلت ما وجه شبهها بالجبال قلت من حيث ان السحاب ينعقد في
الاكثر على رؤوسها ثم في تمر يومئذ مر السحاب هذا وانت خبير بان المعنى الحقيقي
اشبه بما بعده قوله وقرئ بالتخفيف الاظهر انه عدى بالحرف ثم حذف واوصل
الفعل بنفسه وهذه القراءة رواها مضعف الزمخشري في اللوامح فيه هو وهم
انما هو عطلت بفتحتين بمعنى تعطلت لان التشديد فيه للتعدية يقال منه
عطلته الشيء واعطلته فتعطل بنفسه ثم قال فلعل هذه القراءة عن ابن كثير لغة
استعملها بمعنى فعلت وافعلت ثم ردت الى الباب هذا ما في المعنى الخفر
وانما ذكره المص تكميلا قوله اذا انجفت السنة بالناس اى استأصلتهم قوله
من التسجير بمعنى على الوجهين قوله وقرأ ابن كثير وابو عمرو وروح بالتخفيف
وكذا روى رويس بعض الاداء رواية الى الطيب عنه قوله او كلم منهما عطف على المستتر
في قوله للفصل قوله تبكيت لوائدها جواب عما يقال ما معنى سؤال الموءودة عن
ذنبها الذي قتلت به وهلا سئل الوائد عن موجب قتله لها ووجه التبكيت
ان الصبي اذا سئل بمحضر الجاني ونسب اليه الجناية دون الجاني كان ذلك
بعثا للجاني على التفكر في حال نفسه وحال المجني عليه فيعثر على براءة ساحته
وعلى انه هو المستحق للعقاب فينحجم قال الطيبي وهذا نوع من الاستدراج
الواقع على طريق التعريض انتهى يعني انه ابلغ فلذلك اختير على التصريح هذا وقد
احتج الزمخشري بالاية على ان اطفال المشركين لا يعذبون وعلى ان التعذيب
لا يستحق الا بالذنب قائلا اذا بكت الله الكافر ببراءة الموءودة من الذنب
فما اقبح به وهو الذي لا يظلم مثقال ذرة ان يكر عليها بعد هذا التبكيت
فيفعل بها ما تنسى عنده فعل المبكت من العذاب السرمد انتهى وهذا

استدلال بدلالة النص وفحوى الخطاب لا استدلال على حرمة شتم الأبوين وضربهما بقوله
ولا تقل لهما أف وليس مبنيا على قاعدة التحسين والتقبيح والجواب منع الدلالة
فإنه يقال تعالى لو نجا الخلق ولا يستقبح منه ما يستقبح منهم لا يرى أن
الذي يخلد في النار ويستحق قائله اللوم والعقاب في الكشاف بعد تسليم
قاعدة التحسين والتقبيح إشارة الآية إلى أن ما يفهم على القتل لم يكن الذنب
لا إلى أن الذنب أعني ما يستحق به الموؤدة العذاب معدوم من كل وجه وفيه
فإنها غير مكلفة فكيف يمكنك عليها الذنب قوله وقتلت على الإخبار عنها
يعني على القراءتين ونحوه ما خوطبت به حين سئلت لم قتلت أو بكلام منها
حين سألت فيم قتلت قوله أو لم في النشر المفيد قوله أو شدد التاء
يختص بالمعنى الثاني قوله وشدده نافع وابن عامر في رواية ابن ذكوان عنه قوله وحفص
وأبو بكر أيضا في رواية العليمي قوله سعرت منها من ذكر أن ابن عامر على التفسير
الأول والحضرت وعلى الثالث أيضا إذا ربيت الأمانة في الوب عند النفخ الأولى قوله
ونفس في معنى العموم فلذا اطراد لقولهم النكرة في سياق الإثبات لا تعم وقد يقال
تنكير نفس للتقليل الادعائي والقصد إلى استقلال الكثير في مقام الكبرياء قوله
كقولهم تمرة خير من جرادة وفي شرح المفتاح النكير في تمرة للإفراد الشخصي
والعموم مستفاد من ... وكل نسبة الخير إلى أفراد الجنس قوله والذي أي يكون
السيارات خاصة دون ما يثير الثوابت قوله أقبل ظلامه وهذا المعنى أنسب لمقابلة
المقابلة مع قرينة قوله أو أدبر كان أقبل الصبح يكون بإدبار الليل قوله عسعس
الليل وسعسع إذا أدبر لأنه سبب ذكره في سياق كونه من الأضداد والأظهر ...
عليه قوله عبر أي بالتنفس عن إقبال روح ونسيم بني على الاستعارة ...
الشبه تفريج القلب ثم اشتق منه الفعل والظاهر من تقرير المصنف جعل ...
الاستعارة كناية عن الإضاءة قوله كريم أي عزيز على الله سبحانه أو معطيا ...
المؤمنين لكن تقدم في الصورة السابقة قوله ذي قوة على حمل الوحي قوله عند
الله ذي مكانة لم يظهر في ذكره نكتة التعلق بهذا الوصف والأولى أنه ... في
الكشاف أن تخصيصه للدلالة على عظم منزلة جبرائيل ... مكانة بين منزلة من يلازم
السلطان عند سرير الملك ومن مرتبته من يلازم عند الوضوء قوله عظمى الأمانة
لأنه ثم هنا للتراخي الرتبي قوله وما صاحبكم بمجنون وهذا القول إشارة إلى أنهم

اعرف بحاله فإنه كان بين أظهرهم في مدة متطاولة وتوجه بو اعقله فوجدوه
أكمل الخلائق في العقل والقوة بالأمين المصدقين قوله إذ المقصود نفي قولهم إنما يعلمه بشر
المستدل أن يقول فيما يكفي في إفادة هذا المقصود إنه لقول رسول كريم ومراتب
كريم في الزيادة على ما سبق له الكلام من البليغ بعد لكنه وفضلا الإنزال لما الكلام
على المستدل الأخص لا الأعم إن يقال في الجواب الكلام مسوق لحقية المنزل دلالة
على صدق ما ذكر فيه من أهوال القيامة على ما يدل عليه الفاء السببية في قوله فلا
أقسم ولا شك أن ذلك يقتضي وصف الآتي به فلذلك بولغ فيه دون من وصف من
أنزل عليه فلذلك اقتصر فيه على نفي ما بهتوه قوله افترى على الله كذبا أم به جنة
الأظهر أن يتلو بدله بعد الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون قوله بمطلع الشمس الأعلى
يعني من ناحية المشرق وإلا على صفة مطلع قوله بمتهم إشارة إلى أن الظنين فعيل
بمعنى المفعول واختير قراءة الظاء وفاقا لأبي عبيد لأن نفي الحقوق أولى من نفي
البخل بقوله وقرأه نافع وعاصم وحمزة وابن عامر بالضاد وفي النشر وكذلك
في جميع المصاحف ونقل السخاوي في شرح العقيلة عن أبي عبيد أن الظاء ليس
بخلاف الكتاب لأن الظاء والضاد لا يختلف خطهما في المصاحف إلا بزيادة رأس
إحداهما على الأخرى فهذا قد تشابه في خط المصاحف وتداني قال السخاوي
وصدق أبو عبيد فإن الخط القديم على ما وصف السخاوي وفيه نظر فإن الهام جميع
كتاب المصاحف الذين نقلوها عن المصحف القديم فإنهم اتفقوا على
رسمها ضادا ولما قال صاحب النشر فإن قيل كيف يصح قوله إنه كذلك في جميع المصاحف
وقد جاء أنه في مصحف عبد الله بن مسعود رضه بالظاء قلت مراده المصاحف
العثمانية أو لرب النص قوله والضاد من أصل مخارج الحروف فإن قيل وإن وضع المصلي
أحدهما في مكان الآخر قلت قال في المحيط البرهاني إذا قرأ بالظاء مكان الضاد
أو على العكس فالقياس أن تفسد صلوته وهو قول عامة المشايخ واستحسن
مشايخنا وقالوا بعدم الفساد للضرورة في حق العامة خصوصا العجم ونقل
في الفتاوى الخانية عن الخلوصية ولو قرأ بالظاء مكان الضاد أو بالضاد مكان
الظاء تفسد صلوته عند أبي حنيفة ومحمد وعند عامة المشايخ كأبي مطيع البلخي
ومحمد بن سلمة لا تفسد صلوته قوله ذكير ... التخصيص بمن يريد التخصيص
القدر ولا خير القولان بيان من الأقوال المذكورة في أول الفاتحة سورة الانفطار

وتسمى سورة الانفطار قوله مكية بالاتفاق قوله آيها تسع عشرة بلا خلاف بسم الله
الرحمن الرحيم قوله تشققت متفرقة كما تتساقط اللآلي اذا انقطع السلك قوله
فتح بعضها الى بعض الا دلالة في النظم على خصوصية هذا المعنى ولعل ذلك
التعبير مستند الى الاثر قوله قلب ترابها واخرج موتاها وبخالف ما سيجي
في العاديات فان البعثرة تجي بمعنى الاستخراج ايضا قوله وقيل انه مركب اه اشير
هذا في الكشاف وفي التفسير الكبير ورده ابو حيان بان الراء ليست من حروف
الزيادة بل هما مادتان مختلفتان وان اتفقا من حيث المعنى ونظيره دمث ودمثر
وفيه ان التركيب غير الزيادة فلا يتم ما نعم عدم كون الراء من حروف الزيادة
ولعل وجه تمريض المصنف ان التركيب خلاف الاصل لا يصار اليه اذا امكن عنه
منه وهذا قوله من عمل او صدقة وقد سبق من المصنف اشارة الى تفسيره بوجه آخر في
سورة القيمة فتذكر قوله من سنة او تركه الاول في مقابلة الاول والثاني في مقابلة
الثاني ووقع في بعض النسخ السيئة بدل السنة والاولى هي الاولى وصحفه بعضهم
التركة بالترك المضاف الى الضمير لا وجه له قوله وجراك على عصيانه اشارة وقيل
الانسان يعم الابرار والفجار لا خصوص له بالكفار لوقوعه بين المحسن ومعصيته وانما
قوله بل تكذبون بالدين فاما من قبيل بنو فلان قتلوا زيدا اذ القاتل واحد
منهم واما انه ترشيح لقوة اغترارهم كما قال صاحب الكشف نعم لا يناسب قوله
المصنف اضرب الى بيان ما هو السبب الاصلي في اغترارهم فتامل قوله وذكر الكريم
للمبالغة في المنع عن الاغترار لدلالته على ان الكريم لا يصلح سببا للاغترار فانه
لم يصلح هو ان يكون من اسبابه فان شيئا يصلح لذلك وعلى هذا فقوله لتحقيق
الكريم اه تعليل لما يفهم من سياق الكلام من عدم صلاحية الكريم للجرأة على
الاغترار قوله والاشعار عطف على قوله للمبالغة وفي بعض النسخ وعن الاشعار
لما به يغتره الشيطان والاولى هو الوجه قوله والدالة على ان كثرة كرم يغني المعلومة
عما بعده من الصفة الكاشفة قوله ليستدل بها على الجرأة حطا عنه شكر النعم قوله مبينة
من التبيين قوله منبهة على ان من قدر على ذلك اي ما ذكرنا من الخلق والتسوية والتعديل
قوله بما يستقر هنا انت خبير بانه عبارة عن القوة قوله اي عدل بعض اعضائك
ببعض الوجها والتوجيه قراءة الكوفيين ونظيره ما مر في اول الانعام ولقد سبق
من جعل الاول للتوجيه قراءة التشديد اي ركبك في اي صورة ما شاء هنا

ينتظم

ينتظم احتمال تعلق الظرف بركبك في تضمنه معنى الوضع وتعلقه بالمحذوف على الحالية
اي ركبك حاصلا في اي صورة والمعنى ركبك في صورة معينة متميزة فان اي سؤال
عن المتميز قوله وقيل شرطية اي ان شاء ان يركبك في غير صورتك التي انت عليها
ركبك والتمريض لكون لفظ البعد قوله والظرف صلة عدلك بنى على الوجه الثاني اذ لا
يجوز تعلقه بركبك لان معمول ما بعد حرف الشرط لا يتقدم عليه قوله والمراد
بالدين الجزاء فانه يجي بهذا المعنى قوله او الاسلام لان الدين عند الله الاسلام
وهو ههنا كناية عن التصديق بالثواب والعقاب على ما اشير اليه في الكشاف فلا يرد
ان ما بعده يعين ارادة معنى الجزاء فافهم قوله تحقيق لما يكذبون به سواء كان
حالا او استئنافا قوله وتعظيم الكتبة بكونهم كراما اي بيان كونهم كراما وفيه
اشارة الى ان التعظيم في وصفهم بكونهم اعزاء على الله تبولا بالكتابة والحفظ على
ما يفعلونه في الكشاف قوله عند الله اشارة الى ان معنى العطف لا يلائم هذا المقام
بخلافه في سورة عبس قوله يصلونها حال من ضمير في الخبر او استئناف قوله
او لتعقيبه وما هم عنها بغائبين اشارة الى ان غائبين من حكاية الحال
الماضية والتمريض لانه خلاف الاصل ولا ملجئ الى ارتكابه الظاهر والواو على
للعطف فيقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه اي انهم الآن ليسوا
غائبين عن الجحيم قلت ان بعض الفجار في زمرة الاحياء بعد وبعضهم لم
يخلق كذلك وعذاب القبر انما هو بعد الموت وقول العلامة في ذلك بناء على حمله
عليه عند البعض والظاهر ان الواو للحال والجملة على الوجه الاول حال مفردة وعلى
الثاني منتقلة اي كم حصر صدور والله اعلم وكذا امره بحيث لا يدركه دراية
دار اشارة الى ان الخطاب للكل من غير تخصيص الرائي قوله والامر يومئذ لله قال صاحب
الكشف الظاهر ان الامر واحد الاوامر بقوله لمن الملك اليوم فان الامر شان الملك
المطاع وفيه تحقيق قوله لا تملك نفس لنفس شيئا لدلالته على ان الكل مسوسون
مقهورون مشغولون بحال انفسهم مقهورون بعبوديتهم لسطوات الربوبية
ليت لو اجري الامر على واحد الامور يكون اعم واشمل وما ذكره من التحقيق والمزية
باق على حاله ولا نزاع في جواز كون الامر واحد الاوامر انما النزاع في ظهوره
سورة المطففين قوله بالاتفاق وقيل مكية الا ست آيات من اولها وفي الكشاف
وبعض نسخ هذا الكتاب مختلف فيها وقال ابو حيان هذه السورة مكية في

قوله ابن مسعود ومقاتل مدنية في قول الحسن وعكرمة ومقاتل ايضا وقال ابن عباس
وقتادة مدنية الا من ان الذين اجرموا الى اخرها فهو مكي ثمان ايات قوله وهي ست
وثلاثون اية بالاتفاق لبسم الله الرحمن الرحيم قوله لانه ما يبخس طفيف تعليل لتسمية
البخس بالتطفيف والظاهر ان بناء التفعيل للتكثير لان البخس لما كان من عادتهم
كانوا يكثرون التطفيف ويجوز ان يكون للتعدية قوله روي ان اهل المدينة الخ قال
ابو علي بن العلاء رواه النسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه من
حديث ابن عباس والرواية بظاهرها تدل على نزول هذه الاية بالمدينة قوله وفي الحديث
خمس بخمس رواه الحاكم في مستدركه من حديث بريدة ومن حديث عبد الله
بن عمر رواه الطبراني من حديث ابن عباس قوله واما ابو علي بن عمر الخ اشارة
الى ما قاله الفراء ان من وعلى يتعاقبان هنا فاذا قال اكتلت منك فهو كقولك
استوفيت منك واذا قال اكتلت عليك فهو كقولك اخذت ما عليك قوله او كالوا
بمكان مرتبة عليهم عطف على قوله لما لهم وفيه اشارة الى ان تعدية الاتي بعلى
لتضمين معنى التحامل فانهم كانوا يحركون المكيال ويحتالون في الملء قوله فحذف
الجار الاظهر تقديم على يخسرون او تقديم يخسرون على قوله اي كالوا قوله
كقوله ولقد جنيتك اكموا وعساقلا ولقد نهيتك عن بنات الاوبر
الاكمؤ جمع كمء والعساقل فيه ضرب منها والعطف فيه عطف جنس لاختلاف الملونة
فيه اصله عساقيل واحدها عسقول كعصفور فحذف الياء للضرورة وفيه
بحث بواحد عسقل في قانون الادب العسقول نوع من الكماة فيقيس
فيجمع على فعالل كعقرب وعقارب وعسكر وعساكر وبنات الاوبر ضرب
من الكماة ردي قوله فانه يخرج الكلام الخ فيه بحث فانه في جعله تاكيدا للضمير
توهم المجازية بتفخيم حالهم بعدما حصلت الدلالة على اختصاصهم بالاجر
والدفع لان مفعول الفعلين وهو الناس محذوف للعلم به ولدلالة المقام كما اذا
كان التقدير كالوا مكيلهم فان المراد كالوا مكيلهم للناس حيث دل على انهم يخسرون
ذلك الفعل الخسيس بانفسهم دون خدمهم واتباعهم قوله وسيتبين في
اثبات الالف بعد الواو الخ وما اجاب به في الكشاف ان خط المصحف لم يراع في كثير
منه حد المصطلح عليه في علم الخط فرات المصنف الى دفع ذلك وكلامه فيه
وقوله رايت في الكتب الخطوطة باثبات الالف المتقين من هذه الالف مرفوع

مخالف للمعروف من قياس علم الخط قوله وفيه انكار وتعجيب يعني ان الهمزة الداخلة
على لا النافية للانكار والتعجيب قال ابو البقاء الا ليست للتنبيه لان ما بعد
حرف التنبيه مثبت وهنا منفي قوله وفي هذا الانكار والتعجيب وذكر الظن الخ الظن
دل كلمة الظن على التحقير واسم الاشارة على التبعيد ووصف القيامة بيوم عظيم
ثم ابداله بقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين على استعظام ما يستحقرون
وان الحكمة اقتضت ان لا يهمل ذرة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال
ذرة شرا يره وفي تخصيص رب العالمين من بين سائر الصفات اشعار بالمالكية
والتربية فلا يمتنع عليه الظالم القوي ولا يترك حق المظلوم الضعيف قوله وقيام
الناس عطف على التعظيم قوله مبالغات في المنع عن التطفيف وامر المنع حصر
بقوله ويل للمطففين قوله حذف المضاف يعني على حذف المضاف واقامة المضاف
اليه مقامه وعلى الوجهين لا يتوجه السؤال بلزوم حصر الكتاب في الكتاب اذ ليس
فيه الالزام قوله لانه مطروح الخ فالسجن اما بمعنى المسجون او من اطلاق
اسم الجزء على الكل قوله وقيل هو اسم المكان لما ورد في الحديث ان عليين مكان
في السماء قوله خصصته تخصيص على ان يكون المراد بالحق هو المعهود الذهني قوله ردع عن
هذا القول ولا يبعد ان يكون ردعا عن مجموع التكذيب والقول قوله ما كانوا يكسبون يجوز
ان يكون ما مصدرية او موصولة والعائد محذوف قوله رد لما قالوه فان كلمة بل لاضراب
وابطال ما قالوه قوله وبيان لما ادى بهم ما موصولة والباء مزيدة قوله بان غلب
متعلق ببيان قوله بالانهماك فيه اي اللجج في العصيان قوله حتى صار ذلك الات
كالصدا فيه قوله على قلوبهم الخ فان حب الشيء يعمي ويصم قوله فان كثرة الافعال الخ تعليل
لقوله غلب اي فلذلك صار كثرة المعاصي سببا لحصول ملكة الحب قوله كما قال عليه السلام
يعني المراد مما ذكر في الحديث حصول تلك الملكة ولما كان الذنب نكتة سوداء
حصر ما حصل منه سوادا وظلمة لانهما يمنعان عن الادراك قوله جعله تمثيلا لان
كنايه اذ لا يمكن ارادة المعنى الحقيقي على زعمهم قوله ليبحلونه الخ فانه كان اشارة الى ان
في رسم الفا عن هذا معنى الاستقبال قوله تكرير لان ويعني المذكور بكلا ان كتاب الفجار
بيانه اي مقطع يعني عن النعم ختام الشيء وخاتمته اخره فانه فيه ختم بالمسك اي
ما لا يبقى منه حصر به كذا ذكره صاحب الكشف قوله علم لعين بعينها قوله فانه منعقد
انما يمنع الصرف للعلمية والتانيث وانه كان مجازيا وجواب ان ذهب بها مذهب

الظهر ونحوه فيكون كواسط وذوات قوله اولى الى الحارثة سورة الانشقاق ويسمى
سورة انشقت وفي ترتيب هذه السور الثلث نكتة تقدم في انفطرت التعريف
بالحفظة الكاتبين وفي المطففين التعريف بمستقر الكتب وذكر في هذه
السورة ايتاءها في القيمة عند العرض قوله مكية وهي خمس وعشرون آية ولا
نعرف في ذلك خلافا بسم الله الرحمن الرحيم قوله بالغمام روى ذلك عن ابن عباس
وقال الفراء والزجاج وغيرهما تنشق لهول القيمة لقوله وانشقت السماء فهي يومئذ
واهية وفيه بحث اذ لا منع من ان يكون ذلك ايضا بالغمام قوله تنشق من المجرة يعني
المجرة قوله وانقادت لتدبيره قوله ثم عطف تفسيري لما قبله قوله انقياد المطواع اه
اشارة الى ان قوله اذنت لربها استعارة تمثيلية قوله بسطت فالمد بمعنى
البسط ايضا قوله ما في جوفها من الكنوز قال ابو حيان وضعف هذا بان ذلك
يكون وقت خروج الدجال لا يوم القيمة وفيه انه لو سلم ان ذلك يكون وقت خروج
الدجال فيوم القيمة وقت متسع يجوز اعتباره من وقت خروجه ولو مجازا وقد
مر مثله مرارا قوله والقاء والتخلي الاظهر والتخلي قوله وتقديره لاقى الانسان
كدحه اي جزاء كدحه او كدحه نفسه او الكتاب نوع وجود للمكدوح على ان الظاهر ان
ما بعده تفصيل لما قبله ظهور ثم لا منع من جعل ضمير ملاقيه للرب تعالى انتهى
قوله او لملاقيه يعني بتقدير المبتدأ مؤنثا او هو قوله ويا ايها الانسان انك
كادح الى ربك اعتراض يعني على الوجه الاخير قوله اي يؤتى كتابه اشارة الى ان
اوتي بمعنى يؤتى والتعبير بصيغة الماضي للتحقق في كلامه اشارة الى دفع التدافع
المتوهم بين ما في هذه السورة وسورة الحاقة حيث لم يذكر فيها الظهر
بان يقال عصاة المؤمنين من اي قسم هذين قلت من الاول لان آيات الله في
لا انفصال فيجوز ان قوله فسوف يحاسب حسابا يسيرا من وصف العفو عن
البعض وقد يقال كما ان عصاة المؤمنين يعطى عند خروجهم من النار ان
قال ابو حيان الظاهر ان الانسان انقسم الى هذين القسمين ولم يتعرض
للعصاة الذين يدخلهم النار قوله فلا اقسم بالشفق ايا خير كلا من تلك
الاشياء التي اقسم بها محولا من حال الى حال انسب المقسم عليها قوله وهي
الحمرة وهو مذهب ابي هريرة وعمر بن عبد العزيز وروى اسد بن عمرو ان ابا حنيفة
رجع عنه قوله سمي به يعني على الاول من المعنيين ثم من اسم لمعنى البياض الذي

قوله

قوله من الشفقة وهي رقة القلب وفي الكشاف ومنه الشفقة ولا مخالفة اذ المراد
من العبارتين بيان الاشتقاق الكبير فيجوز جعل كل منهما مشتقا منه قوله
وما جمعه ظاهره انه اشارة الى ان ما موصولة قوله يقال وسقه فاتسق واستوسق
يعني ان الافعال كما مطاوع لوسق ونظيره اتسع واستوسع قوله متوسقات
اي مجتمعات وكلمة او للتنويع او لان قلوص حقا يقال القلاص جمع قلوص وهي
الناقة الشابة والحقاق جمع حق جمع حقة وهي التي طعنت في الرابعة قوله
او طرده عطف على جمعه يعني ان الوسق كما يجيء بمعنى الجمع يجيء بمعنى طرد قوله من
الوسيقة الابل المسروقة قوله حالا بعد حال بيان لحاصل المعنى والافصح عن
معناه المشهور وهو المجاوزة قوله وهو مطابق لغيره اي مطلق قوله فقيل الحال
المطابق يعني غير مخصص الوصف بها قوله او مراتب عطف على احوالا قوله وهي الموت اه
القيمة المراتب المتقدمة والمتأخرة وجعل الموت مراتب لاستجماعه اياها
قوله واهوالها عطف تفسيري لمواطن القيمة قوله او هي يعني مواطن القيمة او الامور
المذكورة من الموت والمواطن قوله وما قبلها يعني الدواهي المتواردة على الانسان
الى الموت او الى المواطن عما قبل الموت وما بعده في القبر قوله على خطاب الانسان باعتبار
اللفظ يعني وفي قراءة غيرهم من السبعة على خطابه باعتبار المعنى لان المراد الجنس
قوله بكسر الباء قوله واحتج به ابو ح ذكر ضمير الآية بتأويل القرآن
او النظم سورة البروج مكية وآيها اثنتان وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم قوله
يعني البروج الاثني عشر التي في الفلك الاعلى فالمراد بالسماء فلك الافلاك لكنه
المفهوم من الشرع اطلاق العرش عليه دون السماء وتجوز ان يراد الفلك
الاقرب الثامن لانه كقوله ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح قوله شبهت يعني
بروج السماء ومقصوده الاشارة الى ان اطلاق البروج عليها استعارة تحقيقية
وهذا هو المراد بقوله صاحب الكشاف في معنى التشبيه لا ما قال الطيبي ان المراد تشبيه
السماء بسور المدينة فانه ذو ابراج قوله سميت اي تلك الكواكب العظام
واما البروج الاثني عشر فليس لها ظهور حيث لا يدرك حسا وكذا المنازل
وكواكب لا تدرك ايضا بالنسبة الى عموم الناس على الوجه الذي عرفت منازل قوله
فان النوازل يخرج منها فسميت بروجا لشبهها بالقصور حيث تخرج
منها او لكونها مظهر النوازل جعلت ظاهرة على النسبة المجازية كما في قولهم

الاذان ... انا عن بعد كما في قوله عن قريب

على الظهر قوله اى المبالغة فى الكثرة كما فى قوله علمت نفس ما احضرت ولعل تاخيرها هنا
الوجه مع تقديمه فى الكلام لعموم غيبته فى بعض الوجوه الآتية الظهور ان لا كثرة فى
ان هذا اذا اريد النبى ام او الخلائق قوله على تقدير لقد قتل وقد على هذا الوجه
خبر لا دعاء ولا يحتاج الى تقدير قد اذ يجوز ان يكون كقوله حلفت لها
بالله حلفة فاجر لناموا فما ان من حديث ولا صالى قوله فان السورة
نزلت لتسلية المظهرية للوجه الثالث لان التثبيت فيه اظهر قوله روى مرفوعا انه
الطيبى هذا حديث طويل اخرجه الامام احمد ومسلم والترمذى عن صهيب
مع زيادات واختلاف يطوى ذكرها قوله فلما كبر بكسر الباء اى طعن فى السن
فاقتحمت اى رمت نفسها من غير روية قوله بدل الاشتمال لان الاخدود مشتمل على
النار والتقدير نار فيه او قيم المقام الضمير على اختلاف مذهبى البصرية والكوفية
قوله وكثرة ما يوقع فيها على ما يدل عليه التعريف الاستغراقى قوله استشهاد
على طريقة ولا عيب فيهم اى ما انكروه ليس منكرا فى الواقع وعلى حقيقة الانكار صح فى قوله
كما ان ما جعله الشاعر عيبا ليس عيبا ولا ينبغى ان يعد عيبا ولا يخفى ان الثابت
كون الاستثناء فى قول الشاعر مبنيا على الادعاء بخلاف ما فى النظم فانهم
انكروا الايمان حقيقة قوله عزيز غالب اه تصرف فى عبارة الكشاف فى تحيرت
موزونا وفى قوله يخشى تامر فان الحمد لا يجب ان يكون فى مقابلة النعمة الا انه
يلاحظ قرينة المقام قوله العذاب الزائد فى الاحراق اى الزائد على عذاب
سائرهم هو جهنم فظهرت المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه التى تقتضيها
العطف وقال صاحب الكشف الوجه ان عذاب جهنم وعذاب الحريق واحد لما
عما يدل على ان المعذبين عن رحمته جرا وعلى ان العذاب هو محض الحريق
وهو الحريق البالغ وكونه عذابا قوله وبعذاب الحريق ما روى اه فانه خصه
لمراعاة الفواصل او لان الاول اثر فقدم للاهتمام الذى يقتضيه المقام
قوله ذلك الفوز الكبير للاشارة الى حصول الجنة وقيل المراد اه قال صاحب
الكشف ورده ابو حيان بان فى الاية ثم لم يتوبوا واولئك المحرقون لم يقلعوا اه
واحدا منهم تاب وفيه نظر قوله ان البطش اخذ بعنف فاذا وصف
بالشدة فقد تضاعف وتفاخم قوله يبدئ الخلق ويعيده اى للمجازاة
فهو ابعاد لهم ويجوز ان يكون تعليلا باقتداره على الابداء والاعادة

على شدة بطشه فانه من كان كذلك كان قادرا على الاطلاق وكان بطشه شديدا
لاقتداره العظيم وفيه تامل قوله او يبدئ البطش بالكفرة فى الدنيا اه ويجوز
والله اعلم ان يكون كقوله كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها اى يبدئ
الخلق البطش او العذاب فى الاخرة ثم يعيده فيها قوله لمن تاب كان
المناسب ان يذهب الحوان لمن شاء لكن داعى قضية المقام قوله المحب لمن
اطاعه جعل الودود بمعنى الفاعل وقد يجعل بمعنى المفعول اى الذى يوده عباده
الصالحون ولما كان ابا عن مرام المقام تركه المص قوله وقيل المراد بالعرش
الملك يعنى على المجاز قوله فانه واجب الوجود فيكون عظيما فى ذاته قوله تام القدرة
والحكمة فيكون عظيما فى صفاته قوله صفة لربك ولا يخفى عليك بعده قوله لا يمتنع
عليه مراده فيكون دليلا لاهل الحق على ان لا يتخلف شئ عن ارادته وفيه رد
على الزمخشرى قوله ابدلهما عن الجنود يعنى مع ان البدل غير مطابق هذا
للمبدل منه فى الجمعية قوله لان المراد بفرعون هو وقومه فيه من حذف المضاف اى
جنود فرعون وقومه وثمود وقال بعض المعربين يجوز ان يكون منصوبا باضمار اعنى
لانه لما لم يطابق ما قبله وجب قطعه وفيه انه يكون تفسيرا للجنود بعد
الابهام قوله لا يرعون عنه بدلا لكلمة فى قوله فانهم سمعوا قصتهم يعنى قصة
فرعون وثمود قوله وراءهم رسلا لهم او هلاكهم لانها كانت فى قدرهم
ولكنهم غفلوا عنه من تكذيبهم اشارة الى تنكير تكذيب للتعظيم قوله وهو الهوى يعنى
حقيقة قوله يعنى ما فوق السماء اه بعد اى على المجاز سورة الطارق قوله
وآيها سبع عشرة وفى النسخ عشرة بسم الله الرحمن الرحيم قوله وهو
فى الاصل لسالك الطريق لانه يطرق الطريق اى يضربه برجله والطرق فى الاصل
الضرب الا انه اخص لانه ضرب بوقع لطرق الحديد بالمطرقة وانما سمى الطريق طريقا
لانه مطروق هذا وقد نبهت من هذا التقرير ان ما ذكره المص باصالة معنى السالك
لطريق اصالته بالنسبة الى ما بعده من المعنى الآتى والا بدى والا فالاصل
ما حققته هو معنى الضرب بوقع قوله واختص عرفا بالآتى ليلا لان حكم الابواب
مغلقة فيه قوله لانه يثقب الظلام بفتح الظاء قوله او الافلاك بالنصب
عطف على الظلام قوله والمراد الجنس هو نوع الحسن قوله اى المعهود بالثقب
قاله ابن زيد والفراء فهو من باب ركب السلطان قوله وهو زحل وفى التفسير الكبير

وليس الطارق فى معنى سالك الطريق مطلقا بل هو الآتى ليلا منه

لانه يثقب بنوره سمك سبع سموات وقيل انه سمي زحل بالثاقب بمعنى المرتفع العالي
لانه ارفعها مكانا قوله عبر عنه اي عن النجم الثاقب على الوجهين قوله عليها
حافظ رقيب اي الملك الكاتب بدلالة قوله فلا يحمل على حافظ الا ما يشبه وان
لا يجوز ان يراد به الله تعالى او جنس الملك الحفظة قوله فان هي المخففة على
مذهب البصريين واما الكوفيون فيجعلون ان نافية واللام بمعنى الا وما مزيدة
على المذهبين قوله واللام الفاصلة يعني بين المخففة والنافية قوله على انها
بمعنى الا وهذه لغة مشهورة في هذيل وغيرهم يقول العرب اقسمت عليك لما
فعلت اي الا فعلت نقله ابو حيان عن الاخفش قوله فان نافية والخبر محذوف
نحو في نيته اي ما كل نفس موصوفة بصفة الا نفس عليها حافظ او ما كل نفس
كائنة في حال من الاحوال الا في تلك الحال فيتحد معنى القراءتين في المآل قوله والجملة
على الوجهين جواب للقسم فان كلا من المخففة والنافية يتلقى به القسم
قال الله تعالى تالله ان كدت لتردين ولئن زالتا ان امسكهما قوله وما زائدة على
وفق اختيار من المص لمذهب الخليل وسيبويه قوله وهو صب فيه دفع لما يتصور
ذلك من النطفة لظهور انها مصبوبة لا صابة فله بدل من التاويل وقد يجعل وفق معنى
مدفوق عكس قولهم سر كاتم وشعر عن الليث يجيء دافق بمعنى منصب قوله و
المراد الممتن في الآية اي والنطفة المترجم عنها بصيغة الافراد قوله لقوله
يخرج اه الظاهر ان الترائب مخصوصة بالمراة فيكون المراد الممتن في كلتي
الاختصاص ممنوع بظهوره جهله من تتبع كتب اللغة قوله ولو صح اشارة الى ان
ذلك ظن وتخمين وشك بغير يقين والصواب عدم ما نطق به الكتاب المبين الذي لا
ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قوله وشغب كثيرة اه قد منع ذلك وعد
التسليم يقال ان الشغب اعصاب الازواج قوله وهو ظرف لرجعه
رد ذلك بانه فيه فصل بين المصدر ومعموله باجنبي واجيب تارة بانه يتسع
في الظروف ما لم يتسع في غيرها وتارة بمنع الفصل بالاجنبي فان الفاصل اما تفسير
للمصدر العامل في الجار والمجرورات قيل لهذا اللازم المصدرية واما عامل ان سيلب
عنها قوله ترجع في كل دورة فان قيل الرجع مصدر رجع المتعدي لا مصدر
اللازم فلا يصح هذا التفسير قلت قد يجيء مصدر من اللازم ايضا قال ابن زيد
الرجع مصدر بمعنى رجوع الشمس والقمر والكواكب من حال الى حال ومن منزلة

٢١

١٦٧

الى منزلة وقت فيجوز ان يكون مصدر من المبني للمفعول فيكون قول المص ترجع
على بناء المفعول ويجوز ان يعبر عن الرجوع بالرجع للمزاوجة فان قلت سلمنا
امكان ذلك لكن ما المانع عن الحمل على المشهور من كونه مصدر المتعدي حتى يعدل
عنه قلت لعله لان نسبة الرجع المتعدي الى السماء مجازية فالفاعل حقيقة هو
الله تعالى ولانه خلاف سبب يحوجه لان يرجعه السماء هذا ولا يبعد ان يكون قول
المص يرجع في كل دورة من حذف المفعول للعلم به اي يرجع الكوكب قوله والتكرير
يعني تكرير المعنى مع تغيير اللفظ قوله لزيادة التسكين قيل لان في المخالفة اشعار
بالتفاوت لو كان من مجرد التكرار ولا يخفى عليك ما فيه من الخفاء ويجوز ان يقال
التكرير يدل على الاعتناء بالامهال وبين الافعال بين انه لا تدريج بعد ما اشعر به
التفعيل من التدريج ففهم زيادة التسكين سورة الاعلى وتسمى سورة سبح
قوله مكية على قول الجمهور وفي الاتقان وقيل انها مدنية لذكر صلوة العيد وزكوة
الفطر فيها قال ويرده ما اخرجه البخاري عن البراء بن عازب قال اول من قدم
علينا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وابن ام مكتوم فجعلا يقرئاننا
القرآن ثم جاء عمار وبلال وسعد ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم
فما رأيت اهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به فما جاء حتى قرأت سبح اسم ربك
الاعلى في سورة مثلها ثم ذكر صلوة العيد وصدقة الفطر فيه غير مسلم ولو سلم
فلا دلالة على مطلوبه وسيجيء تفصيله بسم الله الرحمن الرحيم قوله نزه اسمه عن
الالحاد فيه وهذا اولى مما في الكشاف سبح اسمه عز وعلا تنزيهه عما لا يصح
فيه من المعاني التي هي الالحاد في اسمائه لان الالحاد هو التفسير بهذه المعاني المعا
نفسه فتحقيقها والى نوع تاويل قوله بالتاويلات الزائغة نحو ان جعل الاعلى من العلو
في المكان قوله واطلاقه على غيره اه كان يسمي الصنم والوثن بالرب والاله قوله في
الحديث لما نزلت اه قال ابن العراقي رواه ابو داود وابن ماجه وابن حبان في
صحيحه من حديث عقبة بن عامر قلت وفي الحديث دلالة على ان لفظ الاسم
مقحم قوله فسوى خلقه الاظهر الانسب لقوله خلقك فسواك ان يقول فسواه
بتقدير المضاف قوله وبنم ما شاء يشعر بتخصيص مفعول خلق بالحيوانات
قوله لحلق البول في الطبع قوله والالهامات في الاختيارات قوله والذي اخرج المرعى
سبقها يتعلق به وان زعما قوله وقيل احوى حال من المرعى مرضه لبعده مع استقامة

جعله نعت الف مخلص فيما في اول الكهف فانه لا يمكن جعله نعت لعوجا
قوله او سنجعلك قارئا اه لعله اشارة الى ما روى عن جعفر الصادق
انه عم كان يقرأ من الكتاب وان كان لا يكتب ولا يا نعم قوله فلا تنسى اذ ليس المراد
حينئذ القرآن بل نفيه مطلقا واثبات قوة الحفظ قوله مع ان الاخبار به اى
بقوله سنقرئك فلا تنسى قوله وقيل نهي مرضه لانه خلاف الظاهر اذ ليس المراد
النهي عن النسيان نفسه لانه لا يدخل تحت الاختيار بل عن سببه فيلزم
ارتكاب المجاز بلا ضرورة داعية وانه خلاف قوله تعالى لا تحرك به لسانك الآيات
وايضا جعل الالف مزيدة للفاصلة لا يرتكب اذا امكن عنه مندوحة قوله او
نفى النسيان رأسا يرده الحديث ولا يلايمه قوله فلا تنسى الا ان يجعل الاستثناء
على التأكيد قوله وما يخفى اى الجهر هو المراد بقوله وما يخفى قوله فيعلم
ما فيه صلاحكم الظاهر انه تفريع على المعنى الاول ويحتمل ان يكون تفريعا على
المعنيين قوله او التدين هو الشريعة السمحة التى هى ايسر الشرائع قوله
ولهذه النكتة اى لكون القصد الى تضمين معنى الاعداد والتوفيق قوله بعد
ما استتب لك الامر فى قانون الادب الاستتباب راست شدن كار وقوله
مقصود المص الاشارة الى وجه تصدير الامر بالتذكير بالفاء التعقيبية وبيان
انها فى محزها قوله لعل هذه الشرطية اه جواب عن سؤال يقال كان رسول الله مأمورا
بالذكرى نفعت او لم تنفع الزاما للحجة فما معنى اشتراط النفع قوله او لذم المذكورين
كما تقول للواعظ عظ المكاسين ان سمعوا منك قاصدا بهذا الشرط
استبعاد ذلك وانه لن يكون قوله اوللاشعار اه الفرق بينه وبين الجوابين
الاولين ان الشرطية فى الاول قيد لا دامة التذكير وفى هذا لا حرا فلا مطلقه
فيعلم الماء حظه بجيعه بعد تكرير التذكير ويلزم منه ان لا يجب ابتداء على
رسول الله صلعم تذكير من يعلم باعلام الله تعالى انه لا يؤمن ولا ينتفع به كابى لهب
ونحوه وفيه نظر فانه كان واجب عليه صلعم لالزام الحجة عليهم كما سبقت اليه الاشارة
حتى لا يقولوا مثلا انا كنا عن هذا غافلين قوله ولذلك امر بالاعراض اه وفيه
ان هذا الاعراض بعد ما انذر وبلغ كما اشار اليه المص هنالك قوله وهو متناول
العارف والمتردد فى التفسير الكبير ان الناس فى امر المعاد على ثلثة اقسام منهم
من قطع بصحته ومنهم من جوز وجوده ولكنه غير قاطع فيه لا بالنفى ولا بالاثبات

ومنهم

ومنهم من اصر على انكاره والقسمان الاولان ينتفعون بالتذكير بخلاف الثالث قوله
الكافر اه فيه ان الاشقى قسيم لمن يخشى وقد جزم المص بتناوله المتردد دون الكفرة
وعلى هذا التفسير يتناول الاشقى ايضا هذا فتامل ثم رجعنا الى باب التفسير
للاشقى قوله فانه لم قال النار الكبرى فالسفلى هى هذه النار الدنيا قوله وما
فى الدركات الاسفل منها تفاوت التفسير الثانى قوله ثم لا يموت فيها يدل كلمة ثم لان
التردد بين الحيوة والموت افظع من الصلى فهو متراخ عنه فى مراتب الشدة قوله
من الزكاء متعلق بالمعنى الثانى والزكاء هو النماء قوله وتطهر للصلوة فانه حينئذ بان
الانسب ان يقدم ذكر هذا المعنى على المعنى الثالث كما فى الكشاف لاشتراكه مع الاول
فى كونه بمعنى التطهر قوله او اد الزكوة على انه تزكى تفعل من الزكوة كما ان تصدق من
الصدقة قوله ويجوز ان يراد اه فيستدل به على وجوب تكبيرة الافتتاح حيث
انيط به الفلاح وعلى انها ليست من الصلوة لان الصلوة عطفت عليها والجزء
لا يعطف عليه الكل وعلى ان الافتتاح جائز بكل اسم من اسمائه قوله او ادى الزكوة
فيه هذا مخالف لما جرت به العادة القرآنية من تقديم الصلوة على الزكوة حيثما
ذكرنا فان نقض بقوله تعالى فلا صدق ولا صلى قلت المحتمل لا ينقض به ولو سلم فلعل
الخ قوله بخصم مقام الترغيب قوله وقيل تزكى اه مرضه لان السورة مكية ولم
يكن بمكة عيد ولا صدقة فطر واجيب بانه لما كان فى علم الله تعالى ان ذلك سيكون
اثنى على من فعله وفيه الاخبار عن الغيب قوله فلا يفعلون ما يسعدهم اه اشارة
الى انه الاضراب عن قوله قد افلح من تزكى قوله على الالتفات المبالغة فى توجيه
العتب بتوجيه وعلى اضمار قل اسقاطا لهم عن حيز شرف الخطاب او اسقطه
قوله لكنه فى الجملة اى فى المجموع والمراد انه اكثر من وجه وهو اذا اعتبر بالنسبة الى
المجموع اذ ليس السعى للدنيا اكثر فى كل فرد لمكان النبيين والصديقين قوله فان
نعيمها ملذ بالذات تعليل لكونها خيرا يعنى بخلاف نعيم الدنيا فانه لا كل ملذ لو سلطه
دفع الم الجوع والشرب من حيث دفع الم العطش وعلى هذا وان لا يخلو عن
الشوائب كما لا يخفى قوله لانقطاع تعليل لكونها ابقى قوله الاشارة الى الاسوة يعنى
الى السورة بتمامها فانه بمعنى قوله سنقرئك الايات سورة الغاشية مكية
وهى ست وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم قوله يعنى يوم القيمة الاظهر ترك
ذكر اليوم قوله تعرف ما يتعب فيه الضمير المجرور للموصول قوله فى الوهج بفتح الهاء

هو القطب الرقيق وتكثيرها للفخر رديئة قوله والمهيمنة تركيبها وها هنا شرع في
ترتيب اللف قوله او علت ونصبت اه الخشوع في هذا التفسير في الاخرة و
هو متعلق بو مثر والعمل والنصب في الدنيا وانت خبير بما فيه من التعسر الذي
يأباه الفصاحة القرآنية قوله المبالغة لما فيه من الدلالة على التكثير قوله مت هي
في الحد قال في القاموس حمي الشمس والنار حَمْيًا وحُمِيًّا وحُمُوًّا اشتد حرها قوله
بلغت انا هاهنا دام رطب فاذا يبس سخا متم قوله ولعن طعام هؤلاء آه
دفع لما يترائ من المخالفة الظاهرة بينها وبين اية الحاقة ولا طعام الا من
غسلين ويمكن في قدرة الله تعالى انما يجعل الغسلين اذا انقص عن ابدان اهل
النار على هيئة الضريع فيكون طعامهم الغسلين الذي هو الضريع قوله والمراد
يعني على المجاز في الكشاف او اريد ان لا طعام لهم اصلا لان الضريع ليس
بطعام للبهائم فضلا عن الانس لان يقال ليس لفلان ظل الا الشمس يريد نفي الظل على التوكيد
يعني انها من باب التعليق بالمحال كقوله لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وعلى
هذا يحمل قوله ولا طعام الا من غسلين على هذا الباب ايضا فلا مخالفة ثم بقي المخالفة
بينها وبين قوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم ولعل المص اي ترك ذكره لذلك
قوله ذات بهجة على اه ناعمة من نعم الشيء بالضم نعومة قوله رضيت بعملها الطاهر
ترضى وفيه اشارة الى ان السعي بمعنى العمل قوله لغوا او كلمة ذات لغو يعني ان لاغية
اما مصدر كالعافية او للنسب صفة الكلمة او اسم فاعل صفة للنفس او وجه
اذا جعلت صفة الكلمة ان يكون من باب المجاز في الاسناد قوله جري ماؤها ويقطع
ام عدم الانقطاع اما من جعل جارية نعت لعين فيكون نظيرها فيها
واما من جعلها جارية لا استمرار بدلالة المقام قوله والتنكير للتعظيم وجعله
الزمخشري للتكثير في علمت نفس قوله جمع نمرقة بالفتح والضم والكسر بعضه في
القاموس النمرق والنمرقة مثلثة قوله جمع زربية قال الحلبي بفتح الزاء وكسرها
لغتان مشهورتان وفي القاموس الزرابي النمارق والبسط وكل ما بسط واتكئ عليه
الواحد زربي بالكسر والضم قوله بار ركبه للنحر بفتح الهاء مصدر قوله ناهضة بالجمع
بكسر الهاء وهو ما كان على الظهر والباء التعدية اي رافعة اياه ويجوز ان يكون
للملابسة والنهوض بمعنى القيام قوله طوال الاعناق لتنوء باوقارها جمع وقر
ناء بالحمل اذا نهض به متثاقلا وناء الحمل اذا اثقله يعني ان الحكمة في خلق طول

بفتح النون والراء وضمهما وبضم

اعناقها

اعناقها اقتدارها على النهوض بالاحمال الثقيلة فانه علم بالحس مع طول الاعناق
كالقرسطون يجعل فيه القاطر ويجعل في اقصاه مقدار يسير فيوازي ذلك الثقيل
باستعانة الطول فيه قوله ويحتمل العطش الى عشر في الصحاح العشر بالكسر ما
بين الوردين وهو ثمانية ايام لانها ترد اليوم العاشر وكذلك الاظماء كلها
بالكسر وليس لها اسم بعد العشر الا في العشرين فاذا وردت يوم العشرين قيل
ظمؤها عشران وهي ثمانية عشر يوما فاذا جاوزت العشرين فليس لها تسمية
قوله وحذف الراجع المنصوب والتقدير خلقتها ورفعتها قوله ولذلك اه اي لكون
المعنى ما ذكر قوله وعن الكسائي بالسين لم يظفر بهذه الرواية عن الكسائي في الكتب
المشهورة وانما هي رواية هشام عن ابن عامر في رواية عن قنبل وابن ذكوان
بخلف ذكره صاحب النشر قوله يعني لكن من تولى وكفر على ان من موصولة لا شرطية لمكان
الفاء ورفع الفعل قوله وقرئ انا او عدهم باسباب داء حو ... لانه ما في حيز
ما مر قوله بالقلب قوله فعالا من الاوب مثل كذب كذابا قوله قلبت واوه الاولى ياء
رده ابو حيان بانهم نصوا على ان الواو الموضوعة على الادغام لا تقلب الاولى ياء
وان انكسر ما قبلها ومثلوا بنفس اواب مصدر اوب مشددا وباخرواط مصدر
اخروط قوله فيها ديوانا قال ابو حيان هذا التخيير ليس بجيد لانهم لم ينطقوا
بها في الوضع مدغمة ويقولوا دوان ونولا الجمع على دواوين لم يعلم ان اصل هذه
الياء واو ونصوا على شذوذ ديوان فلا يقاس عليه غيره وقال الحلبي كونهم
لم ينطقوا بدوان لا يلزم منه رد هذا القول ونص النحاة على ان اصل ديوان
دوان وقيراط قراط بدليل الجمع على دواوين وقراريط وكونه شاذا لا يقدح لانه
لم يذكر مطلب عليه بل منظر به فليس ما ذكره ابو حيان لانه لا حاجة الى ارتكاب ما
يخالف الكتاب اذا امكن صحة وجه اذ يجوز ان يكون اصله فيعالا او فعوالا ولا
يلزم منه تنصيص النحاة على ان اصله دوان النطق به فقال ان اصلا قوله
ولم ينطق سورة الفجر مكية قال بسم الله الرحمن الرحيم قوله ابو حيان في قول
الجمهور وقال ابن ابي طلحة مدنية قوله واياتها تسع وعشرون وفي البيضاوي
اثنتان وثلاثون بسم الله الرحمن الرحيم قوله او فلقه اي عموده واضافته قوله
او يجعلونه على حذف المضاف او على المجاز بعلاقة الحلول قوله وتنكيرها يعني
الوجهين في ان الظ بحسب الظاهر ان تعريف باللام العهدية لانها ليال مشهورة

معلوم قوله العظيم لان المخصوصة بفضيلة ليست لغيرها قوله وقرئ وليال عشر
قرأه ابن عباس ثم ضبطه بعضهم وليال عشر بلام دون ياء وبعضهم وليالي عشر
بالياء كذا في البحر قوله على ان المراد بالعشر الايام وترك التاء في عشر مع ان المعدود
مذكر لانه اذا حذف المعدود جاز الوجهان فهو مثل قوله عليه السلام واتبعه بست من
شوال واختيار الترك للفواصل قوله والخالق عطف على الخلق قوله او بيومي النحر و
عرفة فالاول عاشر ايام ذي الحجة والثاني تاسعها قوله وقد روي مرفوعا
يعني الوجه الاخير روى احمد والبزار برجال الصحيح عن عياش بن عقبة وهو ثقة
عن جابر رض عن رسول الله صلعم العشر عشر الاضحى والشفع يوم الاضحى والوتر يوم عرفة
قوله او بغيرها الاعضاء والقلب والشفتين والثالث قوله مما رواه اظهر لا يناسب
الوحدة كما في النقيب يعني الاولين قوله او هو حرف الدين في الثالث قوله او مناسبته لما
قبلها الرابع قوله والذي متفقه كما في اثر الاسم بقوله او بغيرهما قوله وهي لغتان او وفي
العدد والفتح لغة قريش ومن والاها والكسر لغة تميم قوله لما في التعاقب او تعاقب
الليل والنهار وقوله من قوة الدلالة يشير الى ان اصل الدلالة حاصل بدونه من حفظ النعمة
فان الليل لما ... على الحركة وفيه استراحة وستر وبلاحظة النعمة في تحصيل
القوة وانه لهم الذي تسلخ منه النهار او يسري فيه عطف على قوله اذ يمضي على ...
فاسناد السري الى الليل مجازي كما في نهاره صائم قوله للاكتفاء بالكسرة وتخصيص
يسر بحذفها لهذه العلة مع ان الاصوات ... لا ... فعل الماضي مع ... لسقوط
طها في خط المصحف المجيد ولموافقة رؤوس الآي قوله وابو عمرو قال ابو حيان
بحذفه عنه ولم ينقل ابن الجزري الحذف عنه في يسر قوله وقرئ يسر اه ابو حيان
قرأ بها ابو الوتر بن الاعرابي وكذلك قرأ في الفجر والوتر بالتنوين كما في اللوم عادل
والعتاب البيت وهذا ذكره النحويون في القوافي المطلقة اذا لم يترنم الشاعر
وهو احد الوجهين للعرب اذا انشدوا ولم يترنموا والوجه الآخر الوقف فيقول
العتاب واصاب كما لهم اذا وقفوا على الكلم في الكلام لا في الشعر وهذا العربي
اجرى الفواصل مجرى القوافي قوله لذي عقل وقوله بضم النون لانه يقف وينهى قوله
اي بسبط ارم وعلى هذا فارم اسم ابيهم قوله ومنع صرفه اي على الوجوه الثلثة
قوله او الرفعة اي السيادة قوله والثبات اي الوقار والرزانة وثبات العز قوله
... يكون وجه ... لفظ قوله ثم واما عاد

فاهكذا

فاهكذا ابن ... عاينه قوله بالواو متعلقا ما بجابوا اي فيه واما الحجر وفيحيان
حالا ما من الفاعل او المفعول قوله ومضاربها يعني الخيام جمع مضروب قوله او ذم
منصوب وهذا الوجه رجحه صاحب الكشاف وحسنه قوله ما خلط بهم اشارة الى ان
السوط مصدر بمعنى اسم المفعول واختيار الصب لما فيه اشارة الى العذاب الوبيل
على الاستعارة وقال ابو حيان استعير السوط للعذاب لانه يقتضي من التكرار و
الترداد ما لا يقتضيه السيف ولا غيره قوله المكان الذي يترقب فيه الرصد ويجوز
ان يكون المرصاد صيغة مبالغة كالمطعان والمعوان كما تقدم في عم يتساءلون والباء
تجريدية قوله لانه فيرانه بالمرصاد ومن الاخرة متعلق بالنعليا اي اجلها قوله فلا يريد
الا السعي اي لا يطلب فلا يخالف مذهب الحق قوله اختبره اي عامله معاملة
المختبر قوله بالجاه والمال انظر انه نشر على ترتيب اللف ويجوز ان يكون كلا هما الكل
منهما قوله والظرف المتوسط في تقدير التأخير يعني ان الجملة الظرفية وان هذه
الفاء لا تمنع ان يعمل ما بعدها فيما قبلها قوله ليوازن قسيمه متعلق بقوله اذ التقدير
المقصور نظره اي على الدنيا حيث جعل الاكرام الانعام في الدنيا واكرامه كما ...
على ما عم من عادته قوله وسوء فكره فانه جعل ما ليس باهانة فان التقتير
... وتأدية التقتير الى كرامة الآخرة اهمل في حق الفقير المصابر لما
... الى ... كرامة الدنيا فلانه قد يسلم به من طمع الاعداء ويحسن فيه اعتقاد
الكبراء بمعنى ... الدنيا فيراجعونه ويلتمسون منه الدعاء قوله ولذلك اي لما ذكر من
قصور نظره وسوء فكره ذمه على قوليهما انا خير منهم وان كان قوله الاول
مطابقا لاكرمه ويجوز تعلق الذم بقوله الاول لصدوره على وجه المفاخرة في
... الدنيا وجوز صاحب الكشاف انصباب الذم الى قوله الثاني وما اشار
اليه المصنف اولى بالقبول اه قوله والاخلال به لا يكون اهانة لظهور ثبوت الواسطة
قوله وعن ابي عمرو مثله في النشر واما اكرمن واهانن فوافقه على اثبات الياء فيهما
وصلا نافع وابو جعفر في الحالين البزي واختلفوا عن ابي عمرو فذهب الجمهور عنه
الى التخيير وعن الداني والشاطبي على حذفهما ثم قال صاحب النشر والوجهان مشهوران
عن ابي عمرو والتخيير اكثر والحذف اشهر قوله بل فعلهم اسوء جعل الترك فعلا اما
على التغليب لان المراد من لا تكرمون ولا يحضون هو كف النفس عن الاكرام
الحض وفي كلامه اشارة الى ان الاضراب عن قولهم قوله بالمال الاظهر بالمال

قوله لا يحضون اهلهم اشارة الى ان مفعول يحضون محذوف لدلالة المقام عليه ويجوز ان
يكون من تنزيل المتعدي منزلة اللازم ويجوز ان يكون الحذف لقصد التعميم قوله وقرأ الكوفيون
ولا تحاضون بحذف احدى التائين اي لا يحض بعضهم بعضا قوله ذا لمّ على حذف
المضاف ويجوز ان يكون من باب رجل عدل قوله فانهم كانوا لا يورثون اه فيه بحث
فانه لا طريق لثبوت الحرمة الا الشرع والسورة مكية وآية الميراث مدنية فكيف
يوصف عدم توريثهم النساء والصبيان واكلهم المال بالحرمة ولا شرع عندهم
قوله دكا بعد دك الخ على كلا تفسيري المص هنا بمعنى الردع والهدم قوله
مثل ذلك اشارة الى ظهور آثار قدرته اه قوله كقوله وبرزت الجحيم يعني ان المجيء بها
عبارة عن اظهارها مع ثباتها في مكانها قوله وقد روي اه اشارة الى تفسير
آخر ان المجيء بها على حقيقته قوله يجرونها اسناد في قوله اي منفعة الذكرى اه
على تقدير المضاف وقوله جعل اللام للنفع ولا يبعد والله اعلم ان يكون حكاية الحال
الماضية الوقوعية اي وقد فات الرتب بينه وبين الذكرى بونا بعيدا قوله ويستدل به
على عدم وجوب قبول التوبة يعني عقلا على ما يزعمه المعتزلة قوله فان هذا التدارك
توبة ولا يلزم وجوب قبولها لا يفرق بين الدارين وقد يمنع كونه توبة مستندا بان الندم
الغصب على اعمالهم لا لقبحها والتوبة هو الندم على معصية من حيث هي معصية
قوله اي لحيوتي هذه ويجوز ان يكون المعنى قدمت عملا ينجي من العذاب في كوني
من الاحياء في التي لا يموت فيها ولا يحيى قوله او وقت حيوتي على ان اللام للتوقيت
قوله وليس في هذا النهي اه واهل الحق لا يسلبون الاختيار بالكلية قوله فان المحجوب
عن الشيء اه سند للمنع لكنه يجامع المقدمة الممنوعة في صاحب الكشف مع ان [illegible]
حال [illegible] كالفقي قوله اذ الامر كله له ظاهر ان هذا التفسير يقتضي الاطلاق في العمل
لا التقييد بالاضافة وان بين ظاهري الوجهين تنافيا قوله وقرأها الكسائي
ويعقوب على بناء المفعول اي لا يعذب مثل عذابه احد وظاهره يقتضي ان يكون
عذابه اشد من عذاب ابليس الا ان يقال المراد احد من هذا الجنس كعصاة
المؤمنين ويجوز ان يكون المعنى لا يحمل احد ما يستحقه من العذاب كقوله تعالى لا تزر وازرة
وزر اخرى قوله وهي التي اطمأنت اه اي سكنت وهذا المعنى انسب لمقابلة
المتذكرة موافق لقوله الا بذكر الله تطمئن القلوب قوله او الامنة اه وهذا
انسب لمقابلة المتحسر قوله بالموت متعلق بارجعي على التفسيرين قوله

وهو الهم

فان

١٧١

فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة اي ينطبع في كل واحد منها ما انطبع في كلها يكون
ذلك سببا لتكامل السعادة وتعاظم الابتهاج سورة البلد مكية ادعى الزمخشري فيه
الاجماع وفي الاتقان انها مدنية الا اربع آيات من اولها وقيل كلها مدنية وقوله بهذا البلد
يرد هذا القول قوله وآيها عشرون لم نقف فيه على خلاف في بسم الله الرحمن الرحيم
قوله وفيه دليل على جلالة قدر الرسول ثم اشارة الى قوله وانت حل الاية حال على هذا الوجه من
المقسم به بخلاف الوجهين الاخيرين فانه عليهما اعتراض بين المتعاطفين او القسم
والمقسم عليه ويجوز ان يكون في الوجه الثالث حالا مقدرة قوله اظهار المزيد فضله
البلد المحرم والبلد وفيه تعريض لاهل مكة بانهم يجلونهم يريدون ان يخرجوا منه من
بشرفه ويؤذونه قوله واشعار بان شرف المكان اه اي مطلق المكان لا مكة بخصوصها
فلا يخالف الوجه الاول ووجه الاشعار انه اذا ثبت ان البلد الذي شرف على البلاد
يكتسب شرفا زائدا بشرف الحال يعلم منه ان ما لا شرف فيه يحصل به اصل
الشرف قوله وفيه حرج اه فالحرج على هذا بمعنى الحلال والتعريض لان الجملة معترضة
لا الواو اعتراضية هذه في الظاهر وهذا هو وجه التعريض في الثالث مع ان فيه بعض
خفاء عن الف عن بمعنى الاستقبال قوله ذريته الا ان يريد بالوالد آدم قوله او محمد
اي ذريته ابراهيم صلوات الله عليه قوله وايثار ما اه هذه النكتة انسب
بالوجه الثالث واما على الاول فهو من وصف الكل بوصف البعض او التعجب لا
الذي يشترك فيه الكل كالنطق والبيان والصورة البديعة وغيرها قوله كما في قوله
والله اعلم بما وضعت اي باي شيء وضعت يعني موضوعا عجيبا الشان قوله
وحمله المكابدة اي من الكبد يعني التعب والمشقة او من الكبد يعني وجع الكبد
لا ولى او [illegible] الا الخفة قوله والضمير في ايحسب لبعضهم اي لبعض قريش قوله وكان
[illegible] اي [illegible] الا بعد منهم ومن المفسرين بقوتهم او للانسان اي المذكور
في النظم وعلى الوجوه الاول فالضمير للمذكور للعلم به بدلالة المقام ومن في
[illegible] من تهديد للانسان على الوجه تهديد للاشقياء منهم قوله اي في
ذلك الوقت يعني وقت الانتقام قوله او بعد ذلك ثم يعني لكن والتعبير عنه
[illegible] في حسابهم قوله يعني ان الله يراه الظاهر انه ورؤيته حين كان ينفق فيه
[illegible] العدم استمرار انفاقه وهذا ناظر الى الوجه الاول قوله او يجزيه ناظر الى
الثاني قوله فرند ذلك اه ما ذكره في المجازاة والمحاسبة او الرؤية في الوجدان

فيه دلالة على ان الحرم … الحلال الحلال لهم

اجلهم

فانه … يحسب ان … ترابا … في الارض … منه

بقوله ألم نجعل الآية من حيث ان قوله عليه قوله على ذلك ايضا قوله وغيرها اي النفي قوله
طريقي الخير والشر في التفسير الكبير فالآية كآية هل اتى على الانسان الى قوله فجعلناه
سميعا بصيرا فاهديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا قوله استعارها
لما فسرها به من الكلفة الى الاطعام وبذلك يندفع ما في التفسير الكبير من ان الاية
مما تقدم فيه محذوف لان العقبة لا يكون فك رقبة فالمراد وما ادريك ما اقتحام
العقبة فانه اذا اراد انها لا يكون اياه فقد لم يوجع احدا وان لا يكون ... عن
غيره ولا مانع عنه وكذا ما قاله ابو البقاء من ان فك رقبة تفسير سواء قرئ
بلفظ الفعل او بلفظ المصدر والعقبة عين فك وتفسيره بالفعل فانه من نوع ايضا
اذ لا مانع من جعل الفعل عين الادعاء فان قلت فالمراد من اقتحامها
تلبس كسب ذلك الفعل على مذهب الاعتراض وهذا جعل الفكر والاطعام
بمعنى الحاصل بالمصدر في غاية الظهور قوله لما ذكرنا متعلق بقوله استعارها
واشارة الى وجه الشبه قوله ولتعدد المراد بها اي بالعقبة قوله فانه بتقدير
لفقد منه من قوله سياق الكلام وهو انه لم يتعدد المراد بها لم يحسن ...
لا قال ابن هشام في مغني اللبيب اذا كان ما بعدها فعلا ماضيا لفظا او تقديرا
او جملة اسمية صدرها معرفة او نكرة لم يجز فيها وجب تكرارها ...
نفصل جعفر ان شئت قوله اذ اي تعليل لتعدد المراد قوله مفعلة اي مصادر
ميمية قوله وما ادريك ما العقبة يعني على قراءة هؤلاء قوله اعتراض بين البدل
والمبدل منه قوله واشتراط سائر الطاعات به اي اشتراط اعتبارها قوله
او بموجبات رحمته على حذف المضاف او ذكر المسبب وارادة السبب قوله اليمن
اي المباركين على انفسهم على ما تقدم في الواقعة قوله ولتكرير ذكر المؤمنين
نعم لا ولا دلالة على حضورهم عند الله تعالى في مقام كرامته وعلو رتبتهم وبعد
درجتهم بحذف ضمير الغيبة فانه يدل على سقوطهم عن شرف الحضور سورة
الشمس مكية وآيها خمس عشرة وفي التيسير ست عشرة بسم الله الرحمن الرحيم
قوله وهو الضحوة ارتفاع النهار اي بارتفاع الشمس قوله والضحى ...
وتخصيصه بالاقسام لانه وسط قوله او غروبها ليلة البدر ونحو هذا او ...
بالمقام فان الاقسام للاعظام وهذا الوقت وقت سلطان القمر وهو
في الدلالة على وجود الصانع وكمال قدرته اظهر ولا منافاة بما نقله الزمخشري

ذكر

ذكر هذا الوجه وسكت عن الاول مع ان اصله منقول عن قتادة والكلبي قوله او في
الاستنارة عطف على قوله تلا طلوعه قوله فانها تتجلى اذا انبسط النهار فيكون اسناد
التجلية الى النهار مجازا ولذلك سوى المص هذا الوجه بالوجوه الثلثة الاخر مع
انتفاء جريان ذكر المرجع لاشتراك الاربعة في لزوم ارتكاب خلاف الظ قوله
او الدنيا اي الافاق قوله وان لم يجر ذكرها اي ذكر الظلمة او الدنيا والارض قوله
والليل اذا يغشيها لمراعاة صيغة المضارع هنا على المضي للدلالة على انه لا يجري
عليه تعالى زمان فالمستقبل عنده تعالى كالماضي مع مراعاة الفواصل ولم يجئ غشاها
من التفعيل لانه يتعدى الى المفعولين قوله ولما كانت واوات العطف نوائب
ان ... الى دفع ما يورد هنا من ان تلك الواوات اما عاطفة فيلزم العطف على
معمولي عاملين مختلفين واما قسمية فيلزم تعدد القسم مع وحدة الجواب
وقد اتفق الخليل وسيبويه على منعه ووجه الدفع انا نختار الشق الاول ونمنع لزوم
المحذور لان هذه الواوات لما انيبت مناب الواو الاولى القسمية الجارة بنفسها
النائبة بنيابتها مناب فعل القسم جاز ان يعمل الجر والنصب كالاصل ولذلك
عدل الواوات عنه في القرآن واستشكل هذا بقوله تعالى والليل اذا عسعس والصبح
اذا تنفس فان فعل القسم مذكور فيه فلا يتمشى هذا العذر فيه والتحقيق ان
اذا من الظرف ليس فعل القسم اذ القسم بالزمان غير ... ولا ان
... هو معمول للمضاف المقدر نحو العظمة فان القسم بالشيء اعظام
... لانه اقسم الله تعالى بالشيء اعظام له ... عظمته
... وانه شرفه وقدره فيجوز التقييد باعتبار جزء المعنى المراد وايضا اذا
... الاقسام اعظام ما يلفه تقديره بمعنى العظمة فانه وجوز ان يكون اذا
منسلخا عن الظرفية ويكون منصوب المحل بدلا من مدخول الواو فاذا قيل والليل
وقت تسعسعه قوله من حيث استلزمت متعلق بقوله الثانية والمستثنى
... استلزمت للواو الاولى كالمجرور في معمول والمجرور ... لفعل القسم قوله
ربطت المجرورات والظروف اطلق صيغة الجمع على الاثنين لمقارنة المجرورات
... بالمقارنة يقتدي قوله بالمجرور والظرف المقدمين يعني القمر واذا قوله
... عطف على عاملين اي معمولي عاملين على حذف المضاف قوله لارادة معنى
الوصفية لانه ما يشار بها عن الوصف قوله ولذلك افرد ذكره اي ذكر بناها قوله

وجعل ما مصدرية بتجرد الفعل عن الف عن المؤنث لم في حواشي الكشاف فان قيل
المراد بالفعل الملهم وباخذ في النظم لزوم عطف الفعل على الاسم وقوله الا ان يضمر
لو في المجرور للاول وضمير فيه على ما اكثر النسخ للالهام بتاويل الكلمة وفيه ما لا يخفى
من البعد لا يعدا ان يكون مدلوه بالفعل الافعال الثلثة السابقة لان الجنس يشملها
ولا يجوز تجريد الفعل وان في مصدر الموصول مصدري عن الفاعل ثم فيه تفويت
النكتة المنوطة بجعلها موصولة وباخذ في النظم فوات تلاؤم المعنى بعطف الفعل
على الاسم المجرور وبقماله من التحرز من الاعراب والاخلال من بنى على التجريد فقوله
الا ان يضمر لو في المجرور بما فقوله والمراد نفس ادم وبقدره المذكوره عطف
قوله والتمكين من الاتيان بهما اي بكسبهما وعند المعتزلة بخلقهما قال صاحب
الكشاف جعلها فاعلة التزكية والتدسية ومتوليهما ورد بان الاسناد لا يجعله فاعل
التزكية والتدسية ليس شيئا لان الاسناد ويقتضي القيام لا الصدور وفيه بحث لان
الاسناد مثل هذه الافعال حقيقة يقتضي الايجاد قوله جواب القسم الطيبي وعلى
هذا فقوله كذبت ثمود بطغويها كلام تام برز على سبيل الاستطراد فقوله في
قد خاب من دسيها فان الطغيان اعظم انواع التدسية قوله وحذف اللام للطول
وفي التفسير الكبير لما طال الكلام صار طوله عوضا منها قوله لما ان دبرا اي بقوله قد افلح من
زكيها والمراد تكميل النفس بحسب قوتيها قوله اقسم عليه اي على هذا القول
قوله هو منتهى كمالات القوة العملية والنظرية ايضا فان الشكر على ما حقق يعم
الاعتقاد ولولا الاعتراف بكمال النعم منع ثلثة البيت مع ان لفظ الاستغراق
يعم الشكر الواجب ولا شك في تناوله للعلم بوجود الصانع ووحدانيته قوله
وقيل استطراد قاله الزمخشري قال صاحب الكشف جعل قد افلح جوابا
منقول عن الزجاج ونفاه المص للزوم حذف اللام وان جوزه في اول المؤمنون
ولانه لا يليق بالنظم المعجز ان يجعل او في الكمالين وهو التزكية لاختصاصه
بالقوة العملية المؤذن باقسام ويعرض عن اعلاه هي اعني التحلية بالعقائد
اليقينية التي هي لب الالباب ولو سلم عموم الاختصاص فهي مقدمة التحلية في
الباب واما حذف المقسم عليه فكثير لا سيما في الكتاب العزيز قلت
فسر العلامة التزكية بالانماء والاعلام بالتقوى لا بالتطهير حتى يتوهم الا
ختصاص بالعلمية والتقوى يشمل التحلي بالاعتقاد الصحيح ايضا كما مر في اول البقرة

ثم



ثم لا منع من جعل الاول كناية عن الثاني يكون افيد مع انه قد يتعلق القصد بالاول في
لا هل يدعو اليه ومقدمة التحلية هي التزكية بمعنى التطهير لا بمعنى الانماء والى بعض
هذا اشار المص في تفسير كلامه فتنبه قوله حذف اللام ايضا كثير في مثله وهو
اهون من حذف الجملة قوله او بما عمرت من عذابها ذي الطغوى الباء على الاول
للاستعانة وعلى الثاني صلة كما في قوله تعالى وكذب به قومك ثم يجوز ان يطلق الطغوى
على العذاب على الوصف بالمصدر للمبالغة قوله تفرقة بين الاسم والصفة حيث
ترك القلب في الصفة فقيل امرأة خزيا وصديا قوله فلا يخاف عقباها اي لا يتطرد
في بعض النسخ لا تزدودها اي لا تنحوها سورة والليل مكية وهو الاشهر
وقيل مدنية قال السدي نزلت في ابي الدحداح الانصاري رضي بسبب ما كان
يتعلق في المسجد صدقة وسبب النخلة التي اشتراها من المنافق بحائط
وعد له رسول الله عليه السلام الف نخلة في الجنة وذلك بسبب الايتام الذين
كانت النخلة تشرف على بيتهم فيسقط منها الثمر فياخذه الايتام فمنعهم المنافق فق
فجاء ابو الدحداح وقال يا رسول الله انا اشترى النخلة التي في الجنة بهذه
فكان في البحر وقيل فيها مكي ومدني قوله واياتها احدى وعشرون ولم يقف فيه على خلاف
بسم الله الرحمن الرحيم قوله والنهار اذا جليها اختلف في الفاصلين بالمضي و
الاستقبال لما ذكرنا في سورة السابقة قوله ظهر بزوال ظلمة الليل او جلا يردي
هذا المعنى على تقدير كون المغشي النهار او كل شيء وقوله او تبين بطلوع الشمس
تقدير م على كون المغشي الشمس وفيه نظر فان فاعل جلي هو ضمير النهار لا الشمس ولا
فلا شك ان الاختصاص للمعنى الاول بكون المغشي كما لا يخفى قوله والقادر الذي خلق
صنفي الذكر والانثى فان ما في النظم للحقيقة ويجوز ان يكون للاستغراق وفيه
اشارة الى وجه اختيار ما على من بالطريق الذي تقدم في سورة الشمس قوله
من كل نوع له توالد هذا القيد يخرج مثل البغل والبغلة والمقام مقام التعميم و
لذلك لم يقيد الزمخشري وان علو الجا بخلق خنثى او لمخلوق منهما قوله او ادم
وحواء على ان اللام للعهد قال الله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى قوله
وقيل ما مصدرية مرضه لما مر من لزوم تجريد الفعل عن الف عن وفوات النكتة
المنوطة بجعلها موصولة قوله ان سعيكم اشارة الى ان المصدر بمعنى الجمع لما
عرف ان المصدر المضاف من صيغ العموم ولذلك اخبر عنه بالجمع قوله جمع شتيت

في القاموس الثبت المُوَقَّفُ المُثَبَّتُ قوله والمعنى من اعطى الطاعة وذو الكف ف
يعني حقوق ماله وهو المتن للفظ اعطى والمقابلة بخل وقوله ومن يغني عنه ماله
قوله فسنهيئه والاداة من معنى التيسير التهيئة لم يبق حاجة الى ان يقال استعير
التيسير في العسرى على المشاكلة كما في قوله وجزاء سيئة سيئة مثلها قوله
للخلة التي تؤدي الى يسر [illegible] لما كانت اليسرى تانيث الايسر فسرها
بالخلة ثم اطلاق اليسرى على ما يؤدي الى اليسر يكون مجازا قوله تنقل من
الردى للمبالغة والردى هو الهلاك قوله وان علينا طريق الهدى يعني يحصل
الى من يسلكه قوله كقوله وعلى الله قصد السبيل على ثالث التفاسير المذكورة
فيه او الهوى الثبت في الوجهين الاولين فقط قوله او ثواب الهداية للمهتدين
كقوله تعالى وآتيناه في الدنيا اجره الاية قوله ولذلك اي لكون المراد الكافر قوله الشقي
والمص لي اشقى لان الكافر اشقى من الفاسق قوله ولا يخالف الاظهر [illegible] نفي الفاعل
قوله استثناء منقطع لان ابتغاء وجه ربه ليس من جنس نعمة تجزى والمعنى
على هذا لكنه فعل ذلك ابتغاء قوله او منصوب على محذوف لا على المذكور
لانه مثبت والتفريغ لا يكون الا من المنفي في قول الجمهور قوله ولذلك اي لكون
المراد به الصديق سورة الضحى مكية وآيها احدى عشرة لم تقف في الشروح [illegible]
على خلاف في بسم الله الرحمن الرحيم قوله وقت ارتفاع الشمس على المجاز بعلاقة
الحلول والظرفية اي على تقدير المضاف فعلى الاظهر الانسب لما في الشمس ان
يقول وقت ضوء الشمس حين اشرقت والقت شعاعها قوله وتخصيصه
يعني من بين اوقات النهار قوله اولان فيه كلم موسى ربه اه فكان لم يذكر اشرف
وما سنح هنا المقسم لاجله قوله او النهار عطف على وقت ارتفاع الشمس
قوله ويؤيده قوله ان يأتيهم اه وانه قوبل هنا بالليل قوله سكن اهله فاسناد
السكون الى الليل يكون مجازيا او من حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
قوله ما سجى النحو يعني الوجهين قوله باعتبار الشرف الذاتي اي الحالي لرضي
قوله ما قطعك قطع المودع اشارة الى ان في ودعك استعارة تبعية قوله
وقرئ بالتخفيف نقل عن ابن جني انه قراءة النبي عم وعروة ابن الزبير و
هو قليل الاستعمال فانهم استغنوا عن وذره ودعه بقوله ترك الطبع وانما
حسن هذه القراءة الموافقة بين الكلمتين [illegible] تركا وما قبلك ونظيره

ما جا

ما جاء في الحديث دعوا الحبشة ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم ففيهما في كلمة
الفقه بيانا ما زاد التحرج في الصدر وصفة الترجيح جبرا عنه قوله وهو جواب
القسم على القراءتين قوله تأخر عنه اياما في الكهف نصفه عشر وما قوله
فانها باقية خالصة اه لا يلزم هذا التعليل قوله لك [illegible] على الاختصاص وما
ذكره المص يشترك فيه الفريقان قوله فانه لما بين اه في دلالة قوله ما ودعك
ربك الاية على استمرار المواصلة بالوحي والكرامة خفاء الا ان يجعل كناية عنه
[illegible] في كلام الكشاف اشارة اليه قوله وعدك ما هو اولى ويجوز ان يكون للابتداء [illegible]
داخلا في المقسم عليه على ان يكون الله سبحانه اقسم على اربعة اشياء
اثنان منفيان واثنان مثبتان مؤكدان ويجوز ان يكون للابتداء ما مستانفا
مؤكدا باللام فالواو حينئذ فيه لا عاطفة وهذا هو الذي [illegible] من مساق
كلام المص قوله وللآخرة اه عطف على قوله فانها باقية على المعنى فانه قيل للدار
الآخرة خير لك من الدنيا فانها باقية اه قوله وعدت [illegible] اعطاء اي بعد هذه
العدة قوله ما كان في النفس تميم ما اعطاه لك في النفس اولى [illegible] في الكشاف من
التخصيص بالاجر بيانا لا يخفى قوله واللام للابتداء وفائدتها تأكيد مضمون الجملة على
ما الف [illegible] المص في قوله وجمعها مع سوف اه قوله دخل الخبر بعد حذف المبتدأ اه
يخالف لما سلف في الكلام على قوله تعالى ان هذان لساحران ان المؤكد باللام لا
يليق به الحذف وقال ابن الحاجب اللام في ذلك لام التوكيد واما قول بعضهم انها
لام القسم وان المبتدأ مقدر بعدها ففيه [illegible] احدها ان اللام مع المبتدأ
تحقق مع الفعل وان مع الاسم فكما لا يحذف الفعل والاسم ويبقيان بعد حذفهما كذلك اللام
بعد حذف الاسم ونقض ذلك بقوله [illegible] فرق في الطيبي لا باس بحذف المبتدأ
والفرق بين هذه اللام وان وقد انهما مؤثرتان في الجملة [illegible] مع التأكيد بخلاف
اللام لان مقتضاها ان يؤكد الجملة [illegible] وهو باق لان حذف المبتدأ وفيه امر
والثانية انه اذا قدر المبتدأ في نحو لسوف يقوم زيد يحصل التقدير لزيد سوف
يقوم زيد ولا يخفى ما فيه من الضعف ورد بان تكرار الظاهر انما يقبح اذا صرح بهما و
اجيب بان استقباحه ليس من جهة التكرار بل من حيث وقوع الظاهر موقع
في غير مقام التفخيم وهو ضعيف عند سيبويه والمحققين والثالثة انه يلزم ادخال
الحذف في اللام ودفع ان النحويين قدروا مبتدأ بعد الواو في نحو قمت و

اضكوا عيني وبعد الفاء في مثل ومن عاد فينتقم الله منه وبعد اللام كما لا
اقسم بيوم القيمة وكل ذلك بتقدير المبتدأ عند الجمهور فكذا هنا قيل هذا
الكلام يقتضي استواء المقدر والملفوظ في افادة المعنى الحق وليس كذلك فان
الجملة الاسمية في مثل ذلك يفيد تقوي الحكم دون الفعلية فلذا يتحدان واجيب
بان ذلك تدقيق بياني ونحن نتكلم على قوانين النحو قوله فانها لا تصاحبها قال
ابن هشام في مغني اللبيب هذا الحكم بل تارة تجب اللام ويمتنع النون وذلك
مع حرف التنفيس كالاية ومع فصل معمول الفعل بين اللام والفعل نحو ولئن متم
او قتلتم لالى الله تحشرون ومع كون الفعل للحال نحو لا اقسم وتارة يمتنعان
وذلك مع الفعل المنفي نحو تالله تفتؤ وتارة يجيبان وذلك فيما بقي نحو تالله
لاكيدن اصنامكم قوله يحسن فيما يستقبل تعرف المص في ابيات المشهورة
لقد احسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقي فاخرج عن الوزن هنا ما
بجانب المعنى فان ما بقي يستعمل فيما يستقبل بالنسبة الى ما تقدم والامر هنا
بالعكس قوله او المصادفة مبني على المجاز والا فحقيقة المصادفة لا يمكن في حقه
تع قوله عن علم الحكم والاحكام فالضلال على هذا المعنى فقدان ما يوصل الى المطلوب قيل
وجدك ضالا اي في قوم ضلال [illegible] الوجهين [illegible] الهداية من ذكر هنا
الضلال ليست لمرتبة قريبة في عظم النعمة قوله او حين نطمتك اي لا تقال كان
ضلال حين عند بمكة لا في الطريق لانه لا منافاة بينهما قوله فقيرا ذا عيال فيه
معنى الفقر المعتبر والاصل المقول فلا وجه للجمع بينهما لاختلاف المادة قوله [illegible]
لك من ربح التجارة في الكتاب او بما افاء عليك من الغنائم وفيه بحث فان
السورة مكية باتفاق واما الغنائم فما بعد الهجرة قوله فاما اليتيم فلا تقهر
قوبل الامتنانات الثلث بثلث تكاليف ولما قدم ما يقابل المقدم عقب بذكر
ما يقابل الاخير لمراعاة الفواصل ولان في تأخير ما يقابل الثانية ترقيا الى الاشرف
الاعلى لشمول النعم الدينية والدنيوية ولان التحلية بعد التخلية وتقديم الثاني في
ذكر الامتنانات على الثالث لان ابتداءه بعد زمان اليتيم ووقت [illegible]
فانه موافق للنظر الصحيح ولهذا لم يعبد صنما قط قوله وقيل المراد بالنعمة
مرضه لكونه تخصيصا بلا مخصص سورة الم نشرح ووقف [illegible]
سورة الشرح قوله مكية في الاتفاق وفي مدنية عند ابن عباس رض وايتها ثمان

بالاتفاق

بالاتفاق بسم الله الرحمن الرحيم قوله ولانه غائب حاضر اي حاضر مع الحق لاستقراره
في مقام مناجاته واي غائب عنهم ظاهرا لاشتغاله بدعوة الخلق او غائب عن
الخلق بالسر لاستقراره في مقام المناجاة حاضر عندهم في الظاهر مشتغل بدعوتهم
وتذكيرهم والجمع بينهما مما يضيق عنه الصدور قوله او بما يسر لك اي كلمة ما
هنا مصدرية وزيد او دعنا موصولة حيث بينت بقوله من الحكم والعائد محذوف
اي او دعناه قوله وقيل انه اشارة [illegible] لضعف الرواية والحديث ذكره البيهقي
قوله او يوم الميثاق قيل المراد ليلة المعراج ولا يخفى بعده قوله ولعله اشارة اي ولا منع
عن الحمل على ظاهره ان صحت الرواية لانه امر ممكن قوله انكار نفي الانشراح الاظهر
نفي الشرح قوله ولذلك عطف عليه ووضعنا ومثله الم نربك فينا وليدا ولبثت
قوله عنك الثقيل اي حملت قوله وهو ما تقدم عليه من فرطاته الضمير المرفوع [illegible]
ووضع على هذا عفانه وعلى الثالث في واثلث تعليم ما جهله وعلى الرابع تقوية
قلبه وتأنيسه وعلى الخامس تمهيد عذره بعد ما بلغ وبالغ وعلى السادس
كفاية الله تع بعضهم وهداية لبعضهم واثار النص ووضع الاخير هو التوفيق
للاهتداء والطاعة وانت خبير بانه لا عموم لها حيث لم يهتد بعضهم ولم يطع هذا
وقد يجعل قوله ووضعنا عنك وزرك كناية عن عصمته من الذنوب وتطهيره من
الادناس فيكون كقوله [illegible] عنك مشقة الزيارة لمن لم يصدر عنه زيارة
قط على سبيل المبالغة في انتفاء الزيارة منه قوله او حيرته اي في انه كيف يشكر ما
اعطاه الله تع من نعمه الجليلة التي لا يكاد يحصيها الحيوة والعقل والحواس وسائر
القوى الى ما لا نهاية فانه كان قبل الوحي لا يدرسها قوله واي رزق ولكن ما
تعلق بروحه قوله كضيق الصدر [illegible] الى ان كلمة ان التقديم
الملوح والفاء للتصريح بالسببية والمعنى فوضح الله صدرك ووضع وزرك لان
الله تع فضل لك العسر بيانه فان قلت كيف يتصور ترتب السبب على المسبب الفاء
مع ان الواقع ترتبه على السبب قلت من حيث ان ذكر المسبب يقتضي ذكر سببه كما
نبهت عليه انف قوله فلا تيأس [illegible] من لوازم العبارة [illegible] وذلك بطريق
الاشارة وهذا مما [illegible] في بيان كيفية تعلقه بما قبله من قوله
كان المشركون يعيرون رسول الله م والمؤمنين بالفقر والضيعة حتى سبق الى وهمهم
انهم رغبوا عن الاسلام لافتقار اهله واحتقارهم فذكره الفاء بما انعم به

عليه من جلاء الهم ثم قال فان مع العسر الخ اى لا يهولنك ما خولك ان فلا تيأس
من فضل الله فان مع العسر الذى انتم فيه يسرا انتهى فاتفق على هذا انه حكمه
لا على ما الوجه اليه المص واللام فيه عهدية وعلى ما قال المص لا يستقيم قوله فى
ضلال القوم وايرادهم فيه انهما كانا داخلين فى محتملات لفظ الوزر ومن ولانه
فافراده بالذكر يخالف الوجه قوله والمعنى لما فى ان مع ان الظاهر حيث الخ ان
ذكر كلمة المعية لاداة المصاحبة لان الضدان لا يجتمعان بل يتعاقبان وان
عكس لقصد المبالغة قوله واتصال به انصال المتقاربين يشير الى ان فيه استعارة
تبعية حيث جعل المشبه بالمتقاربين وادخل في جنس المتقاربين ادعاء قوله
قوله فان العسر معرف تعليل لاحتمال الاستيناف والعبرة قوله سواء كان اى التعريف
قوله للعهد اى على ما فسره الزمخشرى قوله او الجنس على ما اختاره المص قوله
من التبليغ ويجوز ان يقال المراد والله اعلم اذا فرغت من تلقى الوحى فانصب فى
تبليغه قوله وقيل اذا فرغت من الغزو لانه ضعيف لان السورة مكية فى قول الجمهور
والجهاد انما فرض بعد الهجرة قوله ولا تشتغل بغيره اشارة الى ان تقديم الجار للاختصاص
سورة والتين وفى الكشاف والتين والبحر وغيرها سورة التين بلا واو قوله
مختلف فيها فانها مكية فى قول الجمهور وقال ابن عباس وقتادة مدنية وابن الخ
قول الجمهور اشارة الى الحضور قوله وكيفما كان بالاتفاق بسم الله الرحمن الرحيم
قوله او البلدان قال كعب التين دمشق والزيتون بيت المقدس وقال شهر بن
حوشب التين الكوفة والزيتون الشام وفيه ان الكوفة بلدة اسلامية مصرت
سعد بن ابى وقاص فى ايام امير المؤمنين عمر بن الخطاب قوله اسمان للموضع
الذى فيه اى للموضع الذى حصر فيه الجبل على ان يكون ضمير الجبل مستترا فى الظرف
قال ابو حيان لم يختلف فى طور سينا انه جبل بالشام وهو الذى كلم الله موسى
عليه ومعنى سينين ذو الشجر وقال عكرمة حسن مبارك قوله اى الامن
من امن الرجل اذ لا يجىء الامين من امن بضم الميم بل يقال امين وامان كريم
وكرام واطلاق الامين عليه من باب النسب لحفظه من دخله كحفظ الامين
والامين بمعنى النسبة لا بمعنى المأمون قوله والمامون فيه يغنى عن الحذف فى
الايصال قوله يريد به الجنس بدلالة صحة الاستثناء قوله تعديل لصورته فى

في قوله هذا البلد الامين محله

يعني ان الظاهر ان مسألة الجن ... اذا ... ان التعليل ... الامين ... ان يكون ... سورة ... الجن ... اسم الفاعل ...

وتحبيب الله جزء قصيرا فيك انطوى العالم الاكبر قوله بان جعلناه من اهل النار
فيكون انحطاطا اسفل من الحالة من المقصود والمراد بالسافلين عصاة المؤمنين
والمراد التفضيل هنا بين المتنعم والمتفاوت قوله او الى اسفل السافلين نصب
بنزع الخافض قوله وهو النار اسفل السافلين هى الامكنة السافلة التى فوق النار نصا به
وجمعها جمع العقلاء لنزولها منزلتهم مع مراعاة الفواصل وما فى الكشاف
اولى لسلامته عن مثل هذا التكليف قوله وقيل رد الى ارذل العمر التعريف دليله الى
جعل الاستثناء منقطع قوله فيكون الا الذين منقطعا اذ ليس القصر فيه
الاخراج عن الحكم ان كان المستثنى من جنس المستثنى منه قوله وهو على الاول
يعنى قوله فلهم اجر على كون الاستثناء متصلا قوله حكم مرتب على الاستثناء
ولذلك صدر بالفاء قوله فاى شئ يكذبك يا محمد اى ينسبك الى الكذب بسبب
اثباتك الجزاء قوله وقيل ما يكذبك من رضيه لان التعميم انسب واولى بمقام
هو ان كونه ما يعنى من خلاف الظاهر لا يرتكب اليه بلا ضرورة داعية اليه قوله وقيل
الخطاب للانسان مرتضيه لان فيه ذكره اولا من المعنى القبيح منه وجه
عدم ارتكاب الالتفات قوله والمعنى فما الذين يجعلك وفى الكشاف اى فما الذى
يجعلك كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد ظهور هذا الدليل يعنى انك تكذب اذا
كذبت بالجزاء لان كل مكذب للحق فهو كاذب فاى شئ يضطرك الى ان يكون كاذبا
بسبب تكذيب الجزاء قوله على الالتفات يعنى من الغيبة الى الحضور قوله والمعنى
اليس الذى فعل ذلك الخ بناء الكلام على الوجه المرتضى وجوه تفسير اسفل
السافلين لظهور ان المراد بالرد هو الرد الى ارذل العمر فان الاستدلال يكون
بالمعلوم على المجهول وانظر ان احكم الحاكمين على هذا الوجه من الحكم لا من الحكمة
سورة العلق فالبقاعى وتسمى اقرأ قوله مكية بلا خلاف وانها الحق وانها
هى اول ما نزل من القرآن اخر لانقص وقيل قوله وايها تسع عشرة وفى التبيين
ثمان عشر لبسم الله الرحمن الرحيم قوله اى اقرأ القرآن وليس فيه تكليف ما لا
يطاق سواء دل الامر على الفور اولا لانه ما علم القرآن معه قوله مفتتحا باسمه
قيل فيكون حجة للشافعى فى جهره بالتسمية فى اول كل سورة وانت خبير بانه لا دلالة
فيه على الجهر ولو سلم فظاهر المقابلة يدل على انها ليست من القرآن ولا يقول به الشافعى
قوله او مستعينا به يجوز ان يكون الضمير المجرور راجعا الى ضمير اسم لئلا يلزم التفكيك

فيكون لفظ الاسم في النظم منحى ويجوز ان يكون للاسم قوله اي الذي له الخلق على ان
يكون خلق منزلا منزلة اللازم وبه يتم مرام المقام لدلالته على ان كل خلق مختص به
على ما عرف في علم البلاغة قوله او الذي خلق كل شيء فيكون من حذف المفعول للدلالة
على التعميم قوله ثم افرده يعني على الوجه الثاني في الوجهين لان الاول ايضا عموما
على ما نبهت عليه قوله واول على وجوب العبادة الظاهر انه اشارة الى ما تقدم
في اخر الذاريات من كون الانسان مخلوقا على صورة متوجهة الى العبادة مقلبة
لها قوله او الذي خلق الانسان تفسير ثالث لقوله الذي خلق يعني ان القصد الى تعلقه
بمفعول خاص وهو الانسان لكنه لم يذكر لقصد التفخيم بالابهام ثم التفسير قوله
جمعه يعني انه جمع علقة كتمر وتمرة قوله لان الانسان في معنى الجمع فيكون مما مقابلة
الجمع بالجمع قوله نزلت اولا ما يدل يعني اول هذه السورة قوله او الاول مطلق فهو له
قراءة للتعلم والتعليم ونفسه مخرج عن عهدة الامر قوله وان في التبليغ اي للتعليم
قوله او في الصلوة عطف على قوله للتبليغ قوله ولعله لما قيل اه وعلى هذا فقوله وربك
الاكرم حال وعلى الوجه الاول استيناف وعلى الثاني يحتملهما قوله فيكمل الاولى
على الف قوله وهو الكريم وحده اه اذ المكرم حقيقة هو الذي وما ينبغي
للفضل وعلى هذا لا فعل بالنظر الى ذاته لا لحقيقة او هو للزيادة المطلقة كما
في زيد الله اكرم قوله ومنتهاه يعني صيرورته عالما قوله ثم نبه على ما يدل
وهو قوله علم الانسان ما لم يعلم فان احرى طرق التعليم انزال الايات
والمنذر ومعرفته بصفاته التي لا يتوقف ثبوت الشرع عليها كالتوحيد قوله لدلالة
الكلام عليه قال في الكشف وذلك لان مفتتح السورة الى هذا المقطع يدل
على عظم منته على الانسان فاذا قيل كلا يكون ردعا للانسان الذي قابل تلك
النعم الجليلة بالكفران والطغيان وكذلك التعليل بقوله ان الانسان قوله ولذلك جاز
ان يكون فاعله او يعني لولا ان معنى رأى علم لامتنع الجمع بين الضميرين قال الحلبي المسئلة
فيها خلاف ذهب جماعة الى ان رأى البصرية يعطى حكم العلمية وجعل من ذلك
قول عائشة لقد رأيتنا مع رسول الله عم وما لنا طعام الا الاسودان
وانشد ولقد اراني للرماح دريئة قوله الخطاب للانسان على الالتفات والظاهر
انه لا مانع عن كونه لرسول الله عم والتهديد والتحذير بحصوله منه ايضا قوله
والرجعى مصدر كالبشرى والالف فيه للتأنيث قوله نزلت في ابي جهل قال ابن

عطية

١٧٧

عطية لم يختلف احد من المفسرين ان الناهي ابو جهل وان العبد المصلي محمد عم وفي
الكشاف وعن الحسن انه امية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلوة قوله مبالغة
في تقبيح النهي اه تنزيل على ترتيب اللف في العدول عن ينهاك الى ينهى عبدا
دلالة على ان النهي كان للعبد عن اقامة خدمة مولاه وما اقبح منه قوله لتعظيم
المدلول بالتنكير لدلالته على كمال العبودية في المنهي قوله وكذا الذي في قوله ارأيت الثاني
قال هنا في الكشف ارأيت الثالث مستقل لانه يقابل الاول للتقابل بين الشرطيتين في
كلام المصنف اشارة الى ان التقابل بينهما لا يمنع ان يكون الثالث تكريرا للتأكيد وان
يستقل لوقوعه على الشرطية الثانية وليس كذلك ثم لو استقل لعطف
على الاول والقول بانه ترشيح للكلام المبكت وتنبيه على حقيقة ان في ليس كذلك
قوله والشرطية مفعوله الثاني في ضمن مفعوله الاول فقد بقي ان يكون المفعول الثاني في
لا رأيت الاجملة استفهامية وهي هنا الجملة المذكورة بعد الثالثة قوله وكذا
عليه جواب الشرط الثاني يعني الجملة الاستفهامية وفيه ان النحاة نصوا على
وجوب ذكر الفاء في مثله قوله الواقع موقع القسم له وعلى هذا فالظاهر تصديرها
بالعاطف كما يدل عليه كلام المصنف في بيان المعنى الا ان يقال كونها للتأكيد
يستسهل تركه اذ لا مساغ لدخوله على المؤكد كما نقص ولا على ما بعده
للابهام وفيه ما فيه قوله والمعنى اخبرني اه فهو من قبيل الكلام المنصف وارخاء
العنان للتبكيت قوله وقيل المعنى اه والمخاطب على هذا الوجه والوجه الاول كل
من يصلح ان يكون مخاطبا عمد له مكة او الانسان كما في الى ربك الرجعى قال
في الكشف وهذا اظهر واولى لان النبي عم والكافر الذي ينهى عن الصلوة و
الكافر خارجا عن الخطاب في هذا الوجه وفيه بحث فان ذلك انما يلزم لو وجب
الخروج عن حاله وحصصه بعنوان كلي ثم جعله كلا بين وبين الموصوفين
ومعلوم انه يكفي عادة وفي تأديته لمرام المقام من التبكيت والالزام ثم لو صح
هذا التعليل لخرجا عن الخطاب في الوجه الثالث ايضا فلا يكون له صحة قوله و
قيل الخطاب في الثانية مع الكافر وفي الثالثة مع النبي عم وفي التفسير الكبير يجوز
ان يكون مع الكافر ايضا قوله انتهاه فيه الجملة الاستفهامية مفعولا لارأيت
لدلالة المقام عليها على هذا الوجه قوله في التعجب والتوبيخ يعني الوجهين الاخيرين
قوله ولم يتعرض حال قوله فانه نص على ذكر الصلوة اه يعني انه قصد الاكتفاء بذكر

لاشتماله على احرف الدعوة ايضا بخلاف الامر بالتقوى قوله وعامة احوالهم محصورة
وفي بعض النسخ احوال ولا وجه له يعني ان يكون عامة احوالهم محصورة فيهما
يدل على ان مفعول ينهى كلام هي وفيه تامل فان المتحقق منهم في حال الصلوة انما
هو الصلوة لا الدعوة قوله على حكم الوقف فانه يوقف على هذه النون بالالف تشبيها
لها بالتنوين قوله وانما جاز لوصفه قال ابو حيان وليس شرطا في ابدال النكرة
من المعرفة ان يوصف عند البصريين خلافا لمن شرط ذلك من غيرهم ونقل
الرضي عن ابي علي ان المناط في جواز ابدال النكرة من المعرفة هو الافادة لا النعت صف
وفيه من راد قوله على الاسناد المجازي للمبالغة كان الكافر بلغ في الكذب والخطاء
الى حيث ان الكذب والخطاء ظهرا من ناصيته قوله سندع الزبانية اجمعت
المصاحف العثمانية على حذف الواو ومن هذا فعل خطاء ولا موجب للحذف
من العربية لفظا ولعله للمشاكلة مع فليدع او للتنبيه بالاخفاء ان الدعاء
ابلغ منه قوله وهو في لفظ الزبانية قوله كعفرية في عفرية الديك وعفاريتهم كطواعية
شعرة القفا التي يردها الى يافوخه الهراش قوله على النسب اي على النسبة
الى الزبن فيقال للنسب كما قالوا امسي بكسر الهمزة سورة القدر مختلف فيها
قال ابو حيان مدنية في قول الاكثر وحكى الماوردي عكسه وذكر الواحدي انها
اول سورة نزلت بالمدينة وفي الاتقان فيها قولان والاكثر على انها انها
مكية ويستدل على كونها مدنية بما اورده الترمذي والحاكم عن الحسن بن علي
ان النبي صلى الله عليه وسلم اري بني امية على منبره فساءه ذلك فنزلت انا اعطيناك الكوثر
ونزلت انا انزلناه في ليلة القدر الحديث قال المزي هو حديث منكر قوله
وآيها خمس او ست بسم الله الرحمن الرحيم قوله فخمه باضماره
الصمير الى قوله وانزاله للقرآن قوله بالشاهد اي الشهرة بالشرف قوله
كما عظمه بان اسند انزاله اليه اي الى ذاته الجليلة المعبر عنها بصيغة العظمة
على طريقة الفصل الا انه اكتفى بذكره لا صريحا عن ذكر النبي وعظم الوقت عطف على
قوله اسند والعطف على فخمه وعظمه بعيد جدا بحال البم مع وضوح الوجه
الصحيح قوله وما ادريك ما ليلة القدر نقل عن سفيان بن عيينة ان ما
كان في القرآن وما ادريك فقد اعلمه وما كان وما يدريك فانه لم يعلم قوله
خير من الف شهر اي الف شهر ليس فيها ليلة القدر حتى لا يلزم تفضيل الشيء

على نفسه قوله وانزاله فيها بان ابتداه آه وبه يظهر وجه الترتيب بين السور حيث
قال ان اول سورة العلق اول ما نزل وعلى هذا ففي قوله انزلت تجوز قوله وقيل
المعنى انزلناه في فضلها على نحو قول عمر رض لقد خشيت ان ينزل في قرآن وقول
عائشة رض لانا احقر في نفسي من ان ينزل في قرآن وضمير انزلناه على هذا الوجه
للقدر ايضا فانه يطلق على القدر المشترك بين الكل والبعض والمراد السورة قوله
وهي في اوتار العشر الاخير لقوله صلى الله عليه وسلم التمسوها في العشر الاواخر في رمضان
فاطلبوها في كل وتر قوله ولعلها في السابعة منها لامارات واخبار تدل على ذلك
قوله والداعي الى اخفائها آه وذلك نظير اخفاء ساعة الاجابة في يوم الجمعة و
الصلوة الوسطى في الخمس واسم الاعظم في الاسماء قوله او لتقدير الامور فيها
يظهر تقديرها للملائكة بان يكتبها في اللوح المحفوظ والا فالتقدير نفسه ازلي
كما في التفسير الكبير وعلى هذا الوجه القدر بمعنى التقدير يقال قدر الله الشيء
قدرا بمعنى قدره قوله لقوله فيها يفرق آه على ان يكون المراد بالليلة المباركة القدر
قوله اما للتكثير لان العرب يذكر الالف في غاية الاشياء كلها قوله والروح فيها يجوز
ان يكون اسمية في موقع الحال من فاعل تنزل والضمير للملائكة ويجوز ان يكون
الروح معطوفا على الملائكة والضمير لليلة القدر وهذا هو الوجه قوله وتنزلهم الى
الارض مبتداء وخبر قوله او تقربهم الى المؤمنين عطف على قوله الى الارض والمراد
بتنزلهم على هذا الوجه اما تنزلهم عن مراتبهم العلية وهو الاشتغال بالله
والاستغراق في مطالعة جماله تعالى والتنزل الى الارض والمقابلة باعتبار كونه الاول
امر مقدر وهذا باعتبار انه امر كائن فهو تغيير في قراءة من كل امرئ
قوله اي من اجل كل امر وعلى هذا تعلق بتنزل وقد يعلق بسلام اما لان
الظرف يتسع فيه واما لان المتعلق محذوف والمذكور مفسر له والمعنى انها سلام
من كل امر مخوف وعلى هذا فتم الكلام عند قوله باذن ربهم ويوقف على سلام هي
قوله ما هي الا سلامة بتقدير الخبر لافادة القصر والسلام بمعنى السلامة
قوله اي لا يقدر الله فيها الا السلامة يعني لا يوجد قوله ويقضي يعني يتعلق قضاؤه قوله مطلع
مطلقا فقرر المضاف لكون الغاية من جنس المغياة قوله وقراءة الكسائي قال
ابو حيان وابو عمرو بخلاف عنه قوله سورة لم يكن قال البقاعي وتسمى و
المنفكين وفي البحر سورة البينة وفي بعض التفاسير سورة البرية قوله

مختلف فيها قال ابو حيان مكية في قول الجمهور وقال ابن الزبير وعطاء بن يسار مدنية
قال ابن عطية وفي كتاب النحاس مدنية وهو قول الجمهور وروى ابو صالح عن ابن عباس
انها مكية واختاره يحيى بن سلام وفي الاتقان قال ابن الفرس الاشهر انها مكية
قلت ويدل لمقابله ما اخرجه احمد عن ابي حبة البدري قال لما نزلت لم يكن الذين
قال جبريل يا رسول الله ان ربك يامرك ان تقرأها ابي الحديث وقد جزم ابن
بابن مدنيته واستدل به قوله واقيموا الصلاة وفي التبيين تسع بسم الله الرحمن الرحيم
فانهم كفرو بالالحاد فاليهود مشبهة والنصارى مثلثة ولكن سوى المصنف
ان الملكانية من النصارى على الاعتقاد الحق في شان عيسى عم والاظهر ما روى
ان المراد اهل الكتاب اليهود الذين في نواحي يثرب وقريظة وبنو قينقاع قوله ومن
للتبيين اي لا للتبعيض حتى لا يلزم ان لا يكون بعض المشركين كافرين قوله عما
كانوا عليه من دينهم او الوعد باتباع الحق وعلى هذين الوجهين يكون كل من هذا القول
وقوله وما تفرق الاية اخبارا فيما يقع بيان ما اختاره صاحب الكشاف من كون الاولى
حكاية لما قالوه قبل بعثته عم ولعل وجه ترك المصنف ذكره اشتماله على تكلف مستغنى
عنه وفي التفسير الكبير قال الواحدي في كتاب البسيط هذه الاية من اصعب ما في
القرآن نظما وتفسيرا قوله فانه وفي بهما كما ذكر من الرسول والقرآن قوله او معجزة
كاملة او المنع الخلو قوله الرسول مرفوع على انه مبتدا والتقدير الرسول معجزة
باخلاقه معنى ان مجموع الاخلاق الفاضلة الحاصلة فيه عم بالغ هذا الاعجاز
وقد قرر الجاحظ هذا المعنى ونحو الفراء في كتاب المنقذ قوله بدل من البينة
بدل الكل من الكل قوله بنفسه اذا اريد بها الرسول قوله او بتقدير مضاف عطف على
رسول او كتاب رسول اذا اريد القرآن قوله او مبتدا فيه انه على هذا يكون كلاما
منقطعا والاظهر ان يجعل خبر مبتدا اي هي او هو رسول قوله كان كالتالي لها
فيه ضمير استعارة بالكناية ونسبة التلاوة الى الصحف هي القراطيس مجازية
او هي مجاز عما فيها بعلاقة الحلول وفي قوله فيها استخدام حيث اريد بضميره
معناها الحقيقي قوله عما كانوا عليه ناظر الى الوجه الاول في تفسير منفكين قوله
بان امن متعلق بتفرق وكذا قوله بالاصرار او عن وعدهم ناظر الى الوجه الثاني فيه
فيكون القول بعد على هذا الوجه قوله للدلالة على شناعة حالهم اي حال من
استمر على الكفر منهم فانهم كانوا عالمين بحقيته لوجدانهم نعته في كتبهم

وجحود

قال بعض الاعلام ... حرف الانتباه ... الا من تفرقها ... واتت ... ان البينة ... الاصل

179

وجحود العالم اشنع قوله وانهم لما تفرقوا اي باستمرار بعضهم على الكفر جوابا ...
وهذا ما ذكره الزمخشري قوله الا ليعبدوا الله استثناء مفرغ من اعم عام
المفعول له قوله ولكنهم حرفوه عطف على مقدر اي ما امروا الا بها امروا ولكنهم قوله
دين الملة القيمة قدر الموصوف لئلا يلزم اضافة الشيء الى صفته فانها بمنزلة
اضافة الشيء الى نفسه وقد يقال القيمة هي الكتب التي جرى ذكرها والالف واللام
للعهد قوله لما بينهم ما يوجب ذلك فيه اشارة الى ان النسبة مجازية اي
المراد بمن رجحهم اسبابها المنصبة لهم على المجاز في المفرد او المعنى كالجاريين
فيها المذكورة السبب بها قوله وان نزلت الفريقين حال سواء قوله وقرأ نافع
وابن ذكوان ايضا قوله على الاصل اشارة الى ان البرية في قراءة الجمهور مخففة
من المهموز وقيل البرية بدون الهمزة مشتقة من البرا وهو التراب والمعنى
من براء بمعنى خلق قوله فيه مبالغات يعني خلودها ما قبله قوله وذكر الخير
الجزا فان قلت المقابلة بينهما متحققة والتفصيل انما هو بناء على البينة
ولهذا قال لو الباء في قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون للمقابلة لا السببية فاين
المبالغة قلت في اعلام ذلك واظهاره كما لا يخفى ايضا قوله لمن خشي الله من عباده
اي بينا فاخبار او استيناف دعاء وقد يجعل خبرا بعد خبر او
حالا بتقدير قد قوله فان الخشية ملاك الامر قال الله تعالى انما يخشى الله من
عباده العلماء قوله سورة الزلزلة مختلف فيها قال ابو حيان مكية في قول ابن
عباس وعطاء ومجاهد مدنية في قول قتادة ومقاتل وفي الاتقان يستدل
لكونها مدنية بما اخرجه ابن ابي حاتم عن ابي سعيد الخدري انه قال لما نزلت
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره الاية قلت يا رسول الله اني لراء الحديث وابو
سعيد لم يكن الا بالمدينة ولم يبلغ الا بعد احد قوله وايها تسع وفي التيسير ثمان
بسم الله الرحمن الرحيم قوله اضطرابها المقدر لها فانه جعل الزلزال مصدرا
من المبني للمفعول على ما هو الحق لتقدم زلزلت والاظهر بالمبني للفاعل على
معنى التحريك للاضطراب والحكمة قوله عند النفخة الاولى يتضمن الرد على الزمخشري
حيث جزم ان ذلك عند النفخة الثانية ولا موجب للجزم قوله او الممكن لها
استوفي الكشاف الى ان الاضافة على هذا الوجه استغراقية وفيه نظر الا ان
يراد الاستغراق العرفي وهو اسم الحكمة قال ابو حيان جعله الزمخشري

... عن سيبويه ان الاخرة لغة وظهرها ... لاهم ... العرب ... ذلك

فان قلت هل يجوز ان يكون استثناء في ... تعليلا قلت ... وقوله ذلك لمن خشي ربه فتامل

فان ما ... من الالف ... ناصح ... بوجه ... زمانه ...

وعلى الاول ... بعيد

مصدر وفي القاموس زلزله زلزلة وزلزالا مثلثه حركه قوله وليس في الابنية فعلال الا في
المضاعف اي ليس على الكثرة والغلبة الا فيه فلا ينتقض بخزعال وقسطال
وخزعال ذلك رابع لهما والقهقار لغة ضعيفة قوله واخرجت الارض اثقالها
الظاهر ان الاخراج متسبب عن الزلزال كما يتسبب عن زلزال البساط النفض
اخرج ما في بطنه وطيه وعصوبه من وسخ وتراب فاختار الواو على الفاء
للتفويض الى ذهن السامع قوله ما في جوفها من الموتى بناء على ان اذا زلزالها
عند النفخة الاولى فان اخراج الكنوز من اشراط الساعة قوله او الاموات اذا اريد
زلزال النفخة الثانية قوله جمع ثقل وهو متاع البيت قلت الثقل بمعنى المتاع
محركة وواحد الاثقال بمعنى كنوز الارض وموتاها انما هو الثقل بالكسر نص
عليه الجوهري وصاحب القاموس وغيرهما قوله لما يبهرهم اي يغلبهم يعني كل من
يحسنه من تلك الزلزلة من امن وكفر يقول هذا القول كفرا والدهشة وغاية
الحيرة قال الله تعالى وترى الناس سكارى قوله وقيل الاخر وبالانسان مرضه لانه
لا موجب للتخصيص وعلم المؤمنين ما لها بعد ما تاب اليه عقله ورجع اليه
فكره قوله تحدث الخلوات اشارة الى ان المفعول الاول محذوف لعدم تعلق الغرض
بذكره اذ الكلام مسوق لبيان تهويل اليوم وان الجماد استنطق فيه وليس في كلام
المص هنا تصريح بان قوله اخبارها مفعول به ثان حتى يرد عليه بان ابن
الحاجب ذكر ان حدث وانبأ ونبأ لا يتعدى الا الى مفعول واحد والاخر في نحو
حدثت زيدا خبرا او حديثا مفعول مطلق والاضافة لتبيين المفعول المطلق
مع ان ما ذكره ابن الحاجب عن مسئلة الصحة والتفصيل في شروح قوليه
ما لاجله ذكر الهم بواسطة من ضمير اخبارها قوله بنطق الله في التفسير الكبير
وهو قول الجمهور قوله وناصبها تحدث وهو جواب الشرط وهذا على القول بان
العامل في اذا الشرطية جوابها قوله او اضمر عطف على بدل قوله واذا منصوب
بمضمر هو تحدث القيامة او تحشرون ونحوه او اذكر فلا فاذا ليست
بشرط ولا ظرف قوله ويجوز ان يكون بدلا وترك المص ذكر جواز ان يكون المعنى
يومئذ تحدث بتحديث ان ربك اوحى لها اخبارها على ان تحديثها بان
ربك اوحى لها تحديث باخبارها الاحتياج الى ارتكاب تكلف في جعل الجار
ووجه الباء تجريدية قال ابو حيان بعد نقل ما ذكره الزمخشري وهو كلام فيه غث

ينزه

ينزه القرآن عنه قوله او يقال حدثته كذا وبكذا يعني جاز ابدال ان ربك الاية اذ ما بعد
منه فان الفعل يتعدى بنفسه وبواسطة الباء فجاز اجراء لها احدهما مجرى الاخر
وبهذا التقرير يندفع ما قاله ابو حيان انه اذا كان الفعل يتعدى تارة بحرف جر وتارة
بنفسه وحرف الجر ليس بزائد فلا يجوز في تابعه الا الموافقة في الاعراب فلا يجوز
استغفرت الذنب العظيم بجواز انك تقول من الذنب حيث ظهر ان لا مساس
لما قاله بمرام المقام قوله بمعنى اي يعني على الوجهين والعدول الى اللام للفواصل قوله
او على اصله اي الوجه الثاني بان يكون للتعليل والنفع قوله اذن لها في ذلك اي لا
نطاق لما على عليها قوله متمكنا رجعهم من السعد الى الموقف في الاولى ابتدائية
والثانية بيانية والى متعلقة بيصدر قوله جزاء اعمالهم لعل تقدير المضاف لان
نفس الاعمال لا يتعلق بها الرؤية البصرية قوله والعقاب نقيرا رواه حافظ
خففت الله عنه كرمه وورد مثله في ابي طالب وغيره قوله وقيل مرضه الله لانه ليس
المذهب الحق والمراد ان المحيط عمله والمغفور له مخصوصا من عموم الآيتين
لدلالة النصوص على الاحباط والمغفرة قوله او من الاولى وهذا هو ما الرضا
صفة الكشف في قوله لقوله اشتاتا يعني انه تفسير لقوله هذا وقيل المراد رؤية
الاعمال ما يجعل احسن ما نورانية او ظلمانية او برؤية كتبها او برؤية نفسها
وهو الحق فالمذهب الى تجويز رؤية كل شيء خالقا كان او مخلوقا او جوهرا او عرضا
لم يحتج الى هذه الاجوبة الثلاثة ويدل على صحة هذا الاحتمال ما رواه محيي السنة
بسنده عن ابن عباس انه ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا او شرا الا
اراه الله اياه فاما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته واما الكافر فيرد حسناته
تحسيرا ويعذب بسيئاته وفي بعض التفاسير الكافر يوقف على ما عمله من خير
على انه جوزي به في الدنيا وانه احبط لبناء على فساد الايمان فهو صورة بلا
معنى ليشتد ندمه ويقوى حزنه واسفه والمؤمن يراه ليشتد سروره به وفي
جانب الشر يراه المؤمن ويعلم انه قد غفر له ليكمل فرحه والكافر يراه ليشتد حزنه
وترحه والله اعلم قوله عن النبي من قرأ اذا زلزلت الحديث قال شيخنا رواه
الثعلبي بسند ضعيف لكن يشهد له ما رواه ابن ابي شيبة مرفوعا اذا زلزلت
تعدل ربع القرآن قوله سورة العاديات مختلف فيها قال ابو حيان مكية في
قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء مدنية في قول ابن عباس

والنسائي وقتادة وبه قال لكونها مدنية وذكر المص انه صلعم بعث خيلا فغبي
شهرا الحديث رواه الحاكم وغيره قوله وآيها احدى عشرة بلا خلاف بسم الله الرحمن الرحيم
قوله اقسم بخيل الغزاة لا بابل الحاج على ما قيل قوله تعدو اشارة الى ان ياء
العاديات مقلوبة عن الواو لكسر ما قبلها قوله وهو صوت انفاسها عند العدو
وفي الكشاف عن ابن عباس انه حكاه فقال اح اح قوله ونصبه بفعله المحذوف
الواقع حالا من العاديات وهو تضبح او يضبحن قوله فانها تدل بالالتزام على
الضابحات اي لا تفارقها فكانت كانها ملفوظ بها قوله فالتي تورى النار و
سمي تلك النار التي تخرج من الحوافر نار الحباحب قوله يقال قدح الزند فاورى
فالقدح يقدم على الايراء كذا في الصحاح حيث يتأخر ويتسبب عن العدو
قوله يغير اهلها يجوز ان يكون اشارة الى اضمار المضاف او الى المجاز في الاسناد
او في المفرد وهذا فيه بعد والاغارة الركض الشديد بلا ارادة القتل والنهب
قوله اي في وقته اشارة الى ان صبحا نصب على الظرفية قوله فاثرن به عطف على
صلة الموصول فانها في تاويل الفعل وان كان في صورة الاسم واصل اثرن اثورن
قوله فهيجن بذلك الوقت ويجوز ان يجعل الضمير لفعل الاغارة فالباء للسببية
او للملابسة وباغارة النقع لانهم يكونون حال الاغارة مختلفين يمينا وشمالا
واماما وخلفا بحسب الكر والفر في المحاولة اي المطاردة بين المحارب والمصاولة
مع المقابل المحارب فيثار الغبار الكثير او صياحا فالنقع يطلق على الصياح
ايضا وفيه ما روي ما لم يكن نقع ولا لقلقة في الكشاف او هيجن في المغار
عليهم صياحا قوله فتوسطن بذلك الوقت اشارة الى ان وسطن بمعنى توسطن
والباء على الوجه الاول ظرفية وعلى الثاني سببية وعلى الثالث تعدية وعلى
الرابع للملابسة وجمعا على الوجوه مفعول به قوله ملتبسات به اي بالنقع
الغبار قوله ويحتمل ان يكون المراد بالروايات مع لزوم ارتكاب المجاز الكثير
قوله فاثرن به اي بعثن الى داء الكنود فوسطن به اي بذلك الشوق قوله لربه
متعلق بكنود قدم عليه لافادة التخصيص ومراعاة الفواصل قوله
لظهور اثره عليه يعني ان الشهادة بلسان الحال لا بلسان المقال قوله او ان الله تع
على كنوده والاول اولى لاتساق الضمائر فانه محفوف بضميري الانسان ولذلك مرضه
الزمخشري ولعل المص نظر الى قرب الموضع على انه في نفسه اولى فليتأمل

قوله المال روي عن عكرمة الخير حيث ما وقع في القرآن هو المال وفيه نظر قوله اذا
بعثر اختلف في ناصب اذا فقيل بعثر اذ ليس مضافا اليه وهو قول المحققين
في غير اذا الشرطية وقيل ما دل عليه خبير اي اذا بعثر جوزوا وقيل يعلم
ورد بان المراد يعلم الآن واجيب بانه اذا على هذا الوجه اسم بمعنى الوقت وقع
مفعولا به ليس بشرط ولا ظرف وقيل محذوف وهو مفعول يعلم ماله اذا بعثر ولا
يجوز ان يعمل فيه خبير لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبله قوله او ميز في الكشاف ومنه قيل
للمنخل المحصل قوله وتخصيصه اي تخصيص ما في الصدور بمعنى اعمال القلب
لانه الاصل واعمال الجوارح تابعة لها فانها مسببة عن الاعمال القلبية كالميول
والارادات وغيرها واعتبر بالنية قوله وانما قال ما بمعنى في قوله ما في القبور مع
ان ما لغير العقلاء قوله ثم قال بهم وهو ضمير العقلاء قوله لاختلاف شانهم في
الحالين لحيث انهم في القبور جماد لا عقل ولا علم كذا في وقت الحشر قوله
سورة القارعة مكية وآيها عشر وفي البسملة احدى عشرة بسم الله
الرحمن الرحيم قوله سبق بيانه يعني اعرابا وتفسيرا قوله في كثرتهم فيه ان الفراش لا
يقيد بالكثرة بحيث يصلح ان يكون مشبها بها لاهل الحشر نعم ان الله يفسر بصغار
الجراد قوله وذلتهم قال الزمخشري وفي امثالهم اضعف من فراشة واذل واجهل
وينتصب يوم بمضمر دل عليه القارعة لا بالقارعة للزوم الفصل بين اجزاء الصلة
بالاجنبي وهو الخبر ولا بالادراي اذ لا يلتئم الظرف مع واحدة منهما قوله كالصوف
ذي الالوان مر بعض ما يتعلق به من القصص في المعارج قوله موازينه جمع موزون
في الكشاف وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله او جمع ميزان وثقلها رجحانها
قوله عيشة ... ولا الاعراف بغير ما يتعلق به الكلام قوله ذات رضا او مرضية
... يكون الهاء للنسب او بمعنى المفعول وعلى الثاني يذكرونها مثالا لا
لاسناد المجازي قوله فمأواه اشارة الى ان الام بمعنى المأوى على التشبيه
بها فالام مفزع الولد ومأواه وفيه تهكم قوله ... وفي القاموس حمي الشمس و
النار حميا وحموا اشتد حرها وعلى هذا لا حاجة الى جعلها للنسب
قوله سورة التكاثر اختلف فيها قال القرطبي مكية في قول جميع المفسرين وقال البخاري
انها مدنية وفي الاتقان الاشهر انها مكية ويدل لكونها مدنية وهو المختار ما
اخرجه ابن ابي حاتم عن ابي بريدة انها نزلت في قبيلتين من قبائل الانصار

تفاخروا الحديث واخرج البخاري عن ابي ابن كعب قال كنا نرى هذا من القرآن يعني
لو كان لابن ادم واد من ذهب حتى نزلت الهاكم التكاثر قوله وآيها ثمان بلا خلاف
بسم الله الرحمن الرحيم قوله شغلكم الراغب اللهو ما يشغل الانسان عما يعنيه ويهمه
يقال لهوت بكذا ولهوت عن كذا اي اشتغلت عنه بلهو ويعبر عن كل ما به استمتاع
باللهو قال الهاه عن كذا اي شغله عما هو اهم اذا استوعبتم عدد الاحياء ذكره
لتحقيق المعنى لانه مقرر في النظم قوله صرتم الى المقابر اي الى كونها قوله تكاثرتم
بالاموات فالغاية تدخل تحت المغيا في هذا الوجه بخلاف الوجه الثاني قوله عبارة
عن انتقالهم الى ذكر الموتى بزيارة القبور اي جعلت كناية عن ذلك في
تهكم بهم الطيبي انما كان تهكما لان زيارة القبور شرعت لتذكر الموت ورفض
حب الدنيا وترك المباهاة والتفاخر وهؤلاء عكسوا حيث جعلوا زيارة القبور
سببا لمزيد القسوة والاستغراق في حب الدنيا والتفاخر في الكثرة قوله تكاثرهم
اي غلبهم بالكثرة يقال كاثرته فكثرته اي غالبته في الكثرة فغلبته قوله فكثرهم
بنو سهم المراد فصيحة اي بنو سهم فكثرهم قوله وما بينهم اشارة الى ان
الذي الف هم في هذا الوجه لا بينهم اصلا بخلاف الوجه الثاني فان المليح فيهم
من جملة المتكاثرين المليح عنهم وكذلك عبر عنهم بصيغة الافعل قوله
للتعظيم فالحذف كالتنكير وقد يجعل ذريعة الى التعظيم لاشتراكهما في الابهام
قوله والمبالغة حيث يذهب النفس كل مذهب فيدخل فيه جميع ما يحتمله المقام
قوله او ان منهم وفرتم والتعبير بالمضي اما للتحقق او لان الخبر عمن يقدم من الخبر
عنهم لاتحاد طريقهم او التغليب قوله فيكون زيارة القبور عبارة عن الموت وفيه
اشارة الى انهم يبعثون ولهذا لما سمعها بعض الاعراب قال بعث القوم للقيامة
ورب الكعبة فان الزائر منصرف لا مقيم وروى ابن ابي الدنيا عن عمر بن عبد العزيز
انه قرأها ثم قال ما ارى المقابر الا زيارة ولابد لمن زارها ان يرجع الى بيته اما الى
الجنة او الى النار قوله ردع تنبيه في القصص للزجاج كلا ردع وتنبيه وذلك
نحو قولك كلا لمن قال لك شيئا تنكره نحو فلان يبغضك وشبهه اي ارتدع عن هذا
وتنبه على الخطاء فيه انتهى نعم ان ليس المراد ما فهم الطيبي قوله خطابا كم
قدر مفعولا واحدا لانه بمعنى يعلمون من العلم بمعنى المعرفة كذا في لو تعلمون قوله اذا
عاينتم ما وراءكم الوارد اما بمعنى القدام وهو الموافق للكشاف وللقول المصنف

لى

لو تعلمون ما بين ايديكم او بمعنى الخلف قوله ايضا وجه قوله وفيه دلالة على ان الثاني
ابلغ لان فيه تأكيدا خلا عنه الاول قوله او الاول عند الموت يعني هذا لا تكرير في
الانذار بخلاف الوجه قوله علم الامر اليقين يعني ان العلم مصدر اضيف الى مفعوله
وقد يجعل من اضافة العام الى الخاص بناء على ان اليقين اخص من العلم قوله
قوله حذف الجواب للتفخيم وقد نبهت على وجهه آنفا قوله لانه محقق الوقوع يعني
وجواب لو يجب ان يكون محقق اللاوقوع لانها للامتناع قوله اكده باليقين بالقسم
قوله ما انذرهم منه الضمير المجرور لما بعد ابهامه اي بعد ابهام ما انذرهم منه
بالحذف قوله او الاولى اذا رأتهم يعني هذا بناء على الفعل رفع عين اليقين وفي
التفسير الكبير قيل هذا التفسير ليس بصحيح لانه قال لترون ثم لتسألن والسؤال يكون
قبل النار ثم يحقق الاولى الاخبار فان قيل الحمل على التراخي في الاخبار بخلاف
الاصح قلت فيكون الحمل على التأكيد فان الاصح هو التأسيس قوله او المراد بالاولى
المعرفة والظاهر ان هذا هو مراد الزمخشري بقوله ويجوز ان يراد بالعلم الرؤية والابصار
اي بالرؤية في المقامين لان الابصار عطف تفسير للعلم ولان ابتداء كلام غير
مقابل للوجه السابق قوله اي الرؤية التي هي نفس اليقين يعني على الوجوه الثلاثة و
كلمة ثم اشارة الى ان انتصاب عين اليقين على انه صفة المصدر قوله الذي الهاكم
فانه تفسير هذا على الوجه المرضي في اول السورة قوله والخطاب مخصوص
لكل من الهاه دنياه عن شكره يعني ليس المراد سؤال التوبيخ عن كل واحد قوله
عنه النبي من قرأ الهاكم الحديث قال شيخنا موضوع الا آخره فرواه
الحاكم والبيهقي بلفظ الا يستطيع احدكم ان تقرأ الف آية في يوم لا يوم قالوا
ومن يستطيع ان يقرأ الف آية قال اما يستطيع احدكم ان يقرأ الهاكم التكاثر
سورة العصر روي عن الشافعي انها سورة لو لم تنزل الى الناس الا هي لكفتهم
وهو معنى قول غيره انها شملت جميع علوم القرآن قوله مكية قال القرطبي وقال
قتادة مدنية وروي عن ابن عباس وفي البحر مكية في قول ابن عباس وابن الزبير
والجمهور مدنية في قول قتادة ومجاهد ومقاتل وروي ان المصنف لم يقف على هذا
الاختلاف فجزم بانها مكية قوله وآيها ثلاث آيات بلا خلاف بسم الله الرحمن الرحيم
قوله اقسم بصلوة العصر لفضلها فانها الصلوة الوسطى عند الاكثرين وقد
ورد من فاتته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله ويجوز ان يكون القسم

قال صاحب الكشف ... منقول ... الى النفس ... انتهى ...

مبوت المصنف كما في والجن نفر خلق فيه ابو البشر آدم قوله او بعث النبوة الزكي
مقداره فيما مضى من الزمان مقدار وقت العصر الى النهار قوله لاشتماله على الاعا
جيب في السراء والضراء والصحة والسقم واللذة والالم والحيوة والموت والفقر
والغنى الى ما لا يكاد يحصى قوله والتعريض منكره من حيث ان الاقسام بالشي تعظيم
له وما يضاف اليه الخسران لا يعظم عادة قوله والتعريف اي في الانسان قوله
للجنس يعني الاستغراق بدلالة صحة الاستثناء قوله والتنكير يعني في خسر قوله
بالثابت وهو كما اثبت الشرع وحكم بصحته فلا يصح بوجه نفيه قوله وهذا يعني
عطف التواصي بالامر على عمل الصالحات قوله للمبالغة في تشريفه حيث جعل كانه فرد
من جنس آخر كما في عطف جبريل على الملائكة قوله الا ان يخص العمل بما يكون
مقصورا على كماله اي على كمال العامل والانسان يعني ان التواصي بالامر ليس مقصورا
على كماله بل هو لكمال الغير ايضا قوله اكتفاء ببيان المقصود وهو سبب الربح والخسران
ليس بحق قوله فان الابهام في الخسر كرم لانه ترك تعداد مثالبهم والاعراض عن
مواجهتهم به وفي التفسير الكبير انما لم يذكر سبب الخسران لان الخسران كما
يحصل بالفعل وهو الاقدام على المعصية يحصل بالترك وهو عدم الاقدام على
الطاعة اما الربح فلا يحصل الا بالفعل وفيه ان امتثال النهي بترك المنهي عنه
من اسباب الربح ايضا ولو سلم فلم لم يذكر الفعل والترك سورة الهمزة مكية قال
القرطبي بالاجماع قوله وآيها تسع بلا خلاف بسم الله الرحمن الرحيم قوله وقرئ همزة
ولمزة بالسكون وفي ادب الكاتب لابن قتيبة فعلة بسكون العين من
صفات المفعول وفعلة بفتح العين من صفة الفاعل يقال رجل همزة الذي
يهزأ به وهمزة لمن يهزأ بالناس وكذلك لعنة ولعنة ولمزة ولمزة وعلى هذا
التكثير قوله وهو المسخرة اي الهمزة بالسكون وانت خبير بان هذا القرآن
ناب عن نزولها في احد الوصفين لانهما كانا من اشراف قريش ولم يكونا
ممن يهزأ بهم ويشتم على السخرية قوله جمع مالا التنكير اما للتقليل فانه متاع
الدنيا قليل او للتعظيم قوله بدل من كل [illegible] ويجوز ان يكون في محل
الجر صفة لكل لانه معرفة [illegible] ذكر المصنف يعني الزمخشري في قوله وجاءت كل نفس معها
سائق وشهيد حيث قال معها سائق النصب على الحال من كل لتعرفه بالاضافة
الى ما هو في حكم المعرفة وفيه بحث فان الحال فيها سعة يكفي فيها كونه ذي الحال

نكرة

نكرة مخصصة بخلاف الصفة المعرفة اذ يشترط فيها ان يكون الموصوف اخص او مساويا
بالاضافة الى ما هو في حكم المعرفة لا يحصل ذلك وجوابه ان المعرف باللام اخص
من الموصوف وكذا المضاف الى المعرف وما اضيف اليه كل في حكمه على ما حقق
في قوله وبعدده اي بعده من العد لا من العدة قوله انه فرقه وعدده
في النكت فاي جمع المال وضبط عدده واحصاه اي جمع ماله وقوته الذي ينصرونه
من قولك فلان ذو عدد وعدد وقيل وعدده معناه وعده على فك الادغام
نحو ضننوا قوله على فك الادغام يدل بظاهره على انه جعله فعلا في هذه
القراءة والافعال السم لم يكن فيه ادغام حتى يفك وانت خبير بان الظاهر هو
الاسمية وكونه فعلا وجه متكلف غرضه الا ان يراد بفك الادغام معنى يتناول
تركه ابتداء ايضا قوله تركه خالدا في الدنيا اي ماكثا مكثا طويلا قوله او طول
امله عطف على اغفله وعلى الوجهين ففيه استعارة تمثيلية قوله فعمل عمل
من لا يظن الموت من مثل تشييد البنيان الموثق بالصخر والآجر وغرس الاشجار
وكري الانهار قوله وفيه تعريض اي في غير الوجه الاول فانه تقبيح للحلو و
بالدنيا وكذا فيه رد على [illegible] حيث جعل التعريض وجها مستقلا قوله
[illegible] اشارة الى انه حال من ضمير عليهم قوله مثل المقاطر جمع مقطرة و
هي الخشبة التي يجعل فيها ارجل اللصوص والشطار سورة الفيل مكية بالاجماع
قوله وآيها خمس بالاتفاق بسم الله الرحمن الرحيم قوله وهو وان لم يشاهد
[illegible] سؤال قوله فكأنه راه يعني قوله الم تر استعارة تبعية والظاهر انه لا منع عن
الحقيقة يعني الرؤية العلمية قوله لان المراد تذكير ما فيها وفي التفسير الكبير الاشياء
الذوات لها كيفيات والكيفيات هي التي يسميها المتكلمون وجه الدليل واستحقاق
المدح انما يحصل برؤية الكيفيات لا برؤية الذوات ولهذا قال اولم ينظروا الى السماء
فوقهم كيف بنيناها انتهى فان قيل كلمة ما تدل ايضا على الوصفية والتعجب كما
هو عما قريب قلت الكلام في ما الاستفهامية والموصولة فالاستفهامية
يسال بها عن الجنس قوله فانها من الارهاصات متعلق بالاخير والضمير المنصوب
له يعني [illegible] قوله اذ روي انه فان قيل اتخاذ السنة [illegible] لا منع عن كون الواقعة
لتعظيم الكعبة قلنا شرفها ايضا بشرف [illegible] الا يرى انه تعالى كيف قيد الاقسام
بالبلد بحلوله فيه ولقد وقع من القرامطة والحجاج ما وقع ولم يتجر

عذابهم ثم بين جانب السؤال قصة بوك الفيل في الحديث وقوله محبسها
حابس الفيل قوله الاشرم في القاموس الشرم قطع ما بين الارنبة ورجل
اشرم بين الشرم محركة اي مشروم الانف ومنه ابرهة الاشرم قوله
وسموها القليس على وزن القبيط وفي الكشف في هدمها حجر قوله فقعد
فيها اي قضى حاجته قوله فحنق بجيشه الباء للملابسة ويجوز ان يكون للتعدية
قوله وقيله اخبرني بكسر القاف وفتح الياء جمع قيل كقرد وقردة وفي الكشاف
وانه عشر فيلة محمود وثمانية او الف فيل وقيل كان وحده ولا يخفى عليك ان
القول الثالث في غاية ما يكون من البعد قوله وعباجيشه الجوهري عبيت الجيش
تعبية اذا هيأته في مواضعهم وقال ابو زيد عباته بالهمزة قوله هو الذي اسرع
قوله واصفنه المحصبة بفتح الميم وكسرها في الصحاح الكشف كسر الميم افصح قوله
بقع الحجر عبر عن الماضي بصيغة الحال لاستحضار تلك الصورة تلك الصورة
البديعة قوله وقرئ الم ترجرا في اظهار التا الجازم يعني انه يكفي في اظهار ثم
حذف اللام وحذف حركة الراء الجزم المذكور ولعل السر في تخصيص القراءة
هكذا لهذه العلة بهذا المقام هو الاسرار التي ذكرها بقوله من الدلالة على امر
الالوهية والنبوة كما فصله بخلاف غيره او الاشارة الى الحث في الاسراع با لرؤيته
الى ان امرهم على كثرتهم كان كلمح البصر لم يسرع الى تحرره لم يدركه حق
ادراكهم قوله وكيف نصب بفعل على المصدرية او الحالية قوله لا بترايا فيه معنى
الاستفهام وفيه انه قد انسلخ عنه معنى الاستفهام في هذا المقام فلا منع
عن اعمال ما قبله فيه نص عليه في مواضع من شرح المفتاح قوله كقاطع مع
وشماطيط في القاموس العباديد بلا واحد من لفظها الفرق من الناس والخيل
الذاهبون في كل وجه والاكام والطرق البعيدة وقوم شماطيط متفرقة و
ثوب شماطيط خلق متشقق وجاءت الخيل شماطيط متفرقة ارسالا قوله
وقرئ بالياء قراءة بها الامام ابو حنيفة قوله لانه اسم جمع يعني في القاموس يجوز
تذكيره وتانيثه نظرا الى جانبي اللفظ والمعنى قوله وقيل من السجل اي مشتق
من السجل قوله وهو الدلو الكبير في القاموس السجل الدلو العظيمة مملوءة مذكر
والدلو سجيل وسجلة ضخمة والمعنى صحارة كائنة على صب الله تع من خزانة
قدره قوله او الاسجال المعنى من مثل الشيء المرسل كما ذكره في هود قوله ومعناه

لانه هو المقصود الاول افاده ابن ... وقال الغنمي اي ... فعدد لك ... الا من ... اتعجبه حالا من القاضي مثلا

١٨٤

بمعنى على هذا الاخير قوله او لا كجبة عطف على قوله وقع يكون من حذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه والتشبيه باما لزهقا ارواحهم وبقاء اجسادهم او
لان الحجارة ما اتت في الراس فتخرق بما لها من الحرارة وشدة الوقع اجوافهم حتى
تخرج من ادبارهم قوله او كتبن عطف على قوله كورق قوله فراثته ولكنه جاء
على ما عليه اداب القران كقوله يأكلان الطعام يعني انه شبه بتبن وصار لهم
بقي اجزاء الروث نفيه اظهار تشويه حالهم وسوء مآلهم قوله
سورة قريش وفي البحر سورة لايلاف قريش وهكذا وقع في الحديث الذي
رواه المص في فضيلة السورة قوله مكية قال القرطبي وابو حيان مكية في قول
الجمهور ومدنية في قول الضحاك وابن اثال بن قلت ويشهد للقول الجمهور ان
الحضور قوله واربع اربع بالاتفاق بسم الله الرحمن الرحيم قوله رحلة الشتاء
نصب بايلافهم على انه مفعول به وافراد الرحلة مع انها متعددة اما لامن
الالتباس مع ... ولاسم الجنس للواحد والكثير قوله والحزور عطف على قوله
فليعبدوا قوله متى الحج اي لايلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم
عبادة الله ثم امرهم بالعبادة بعد واعلمهم انه تعالى اطعمهم وآمنهم قوله او
بما قبله وقد جعل متعلقا بعصف لهو جعلنا ذلك قوله كالتضمين في الشعر وهو ان
تعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح الا به قوله وقرئ لئالف في البحر وعن
عكرمة ليألف قريش وعنه ايضا لتألف على الامر اللام مكسورة وعنه
فتحها مع الامر وهي لغة وما في الكتاب بحمل الكل قوله وقريش ولد النضر وقيل
ولد فهر بن مالك النضر بن كنانة وما ذكره المص هو الاصح بل الصحيح قوله
منقول من تصغير قرش قال في القاموس قرشه يقرشه ويقرشه قطعه
وجمعه من ههنا وضم بعضه الى بعض ومنه قريش لتجمعهم الى الحرم او لانهم
يتقرشون البياعات فيشترونها او لان النضر بن كنانة اجتمع في ثوبه يوما فقالوا
تقرش او لانهم كانوا يفتشون الحاج فيسدون خلتها او سميت بمصغر
القرش وهو دابة بحرية تخافها دواب البحر كلها وسميت بقريش بن غالب بن
فهر وكان صاحب عيرهم وكانوا يقولون قدمت عير قريش وخرجت عير قريش والنسبة
قريشي وقرشي ثم ابدل المقدر بمعنى بالمفعول به قوله وقرأ ابن عامر الا في على
انه مصدر الف ثلاثيا كقولهم كتب كتابا او مصدر آلف رباعيا نحو قاتل قتالا

وهذا موهنا والزمخشري تبعا السمين ومن غريب ما اتفق في هذين الحرفين ان
القراء اتفقوا في سقوط الياء وثبوتها في الاول مع اتفاق المصاحف على اثباتها
خطا واتفقوا على اثبات الياء في الثاني مع اتفاق المصاحف على سقوطها فيه
خطا فهو اذ وليس على ان القراء يتبعون الاثر والرواية لا مجرد الخط ثم
الاظهر تقديم هذا القول على قوله وقرئ ليالف قوله من جوع فالتنوين من
هذا للتعليل اي لاجل الجوع قلت الجوع لا يجامع الاطعام والظاهر البدلية قوله
اي بالرحلتين وقيل بدعوة ابراهيم يجبى اليه ثمرات كل شيء قوله والجذام قاله
ابن عباس والضحاك سورة الماعون قال البقاعي وهي ارايت والدين و
التكذيب قوله مختلف فيها وفي البحر مكية في قول الجمهور مدنية في قول ابن عباس
وقتادة قوله قال هبة الله المفسر الضرير نزل نصفها بمكة في العاص بن
وائل ونصفها بالمدينة في عبد الله بن ابي المنافق وقال صاحب الاتقان وقيل
نزلت ثلث ايات من اولها بمكة والباقي بالمدينة قوله واية سبع وفي الاتقان
ست بسم الله الرحمن الرحيم ارايت قال السمين والحلبي لابي حيان في ارايت
هذه وجهان احدهما انها بصرية فتتعدى لواحد وهو الموصول كانه قال ابصرت
المكذب والثاني انها اخبارية فتتعدى لاثنين فقدره الحوفي اليس مستحقا
للعذاب والزمخشري من هو ويدل على ذلك قراءة عبد الله ارايتك بالكاف
والكاف لا تلحق البصرية انتهى قلت وفيها وجه آخر وهو ان يكون قلبية بمعنى
المعرفة كما ذكر الزمخشري ولا نعم ان ما قدره مفعول ثان لها بل كلام مستأنف
قال الرضي ارايت زيدا ما صنع بمعنى اخبرني منقول من رايت بمعنى ابصرت او عرفت
كانه قال ابصرته وشاهدت حالته العجيبة او عرفتها اخبرني عنها فلا يستعمل الا في
الاخبار عن حالة عجيبة ولا محل للجملة المتضمنة لمعنى الاستفهام لانها مستأنفة
لبيان الحال المستخبر عنها كانه قال المخاطب لما قلت ارايت عن اي شيء من
حاله تستخبر فقلت ما صنع وليست الجملة المذكورة مفعولا ثانيا لارايت كما ظن
بعضهم قوله ولعل تصديرها بحرف الاستفهام الطلبي اي اذا وقع اوله حرف
الاستفهام ثم تقررت همزة اخرى بعدها لخرجت وانت خبير بان النفي احتمالا
المذهبين والمشهور تصديرها بحرف الاستفهام مطلقا الابريقي الهما اشده
الزمخشري صاحب هل رايت او سمعت بداع ولعل الاولى انه لما شاء ...

المضارع

المضارع بدخول حرف الاستفهام لما في الطلب من معنى الاستقبال حتى ان يعامل
معاملته قوله والذي يحتمل الجنس يعني لفظ الذي قوله وهو ابو جهل او الوليد
اي ويدل ذلك في قوله فذلك الاية حال كون المراد منه احد هؤلاء المذكورين واما
اذا اريد به الجنس ايضا فلا تأييد لذلك ولعله انما قال يؤيد دون يدل لاحتمال
ان يقال انه من باب الرجل زيد في حصر الجنس في فرد ادعاء للمبالغة قوله او صيب
اسيت في قوله يتيما كمن مال او غنم حاله واسيتا في قوله فخر جزورا اسيت في
قوله اهله وغيرهم ... قوله لما استطعم في الفجر ان يجعل المفعول المحذوف اهله
وعلى حاله الفقراء الاولوية او فان الاهم اولى بالحض على المكارم قوله على طعام
المسكين اي على بذل طعامه ونزل العدول عن الاطعام الى الطعام فاضافته
الى المسكين دلالة على ان المساكين شركة وحق في مال الاغنياء قوله لعدم
اعتقاده بالجزاء اشارة الى جواب ما يقال قد لا يحض المرء لكثرة الاموال
ولا يعد ذلك افكيف يذم به ولعل الاولى ان يجعل ترك الحض كناية عن منع
المعروف عن المساكين ولا شبهة في كونه محل الذم والتوبيخ قوله ولذلك اي
لكون الامر كذلك رتب الجملة على يكذب بالفاء في الفاء للسببية لا الجزائية
لنفي الذم الفعلية عن ان ربت والذم الوارد من المكذب يحض به فالحض جعل
قوله فذلك عطفا على ما قبله عطف صفة على صفة قوله يرون الناس اعمالهم
وهكذا في الكشاف وفيه انه يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز اذ الفاء لما يتعلق
الرؤية البصرية الا ان يحمل على عموم المجاز او يجعل الاراءة من الرؤية بمعنى المعرفة
قوله والمعنى اذا كان عدم ... وعلى هذا يكون قوله فويل الاية كالاستطراد قوله
من ضعف الدين يعني ما ينبه تعليم مضمون النظم فانه اذا كان عدم مبالاة
المكذب مسببا من تكذيبه يكون عدم المبالاة من المكذب لضعف دينه و
رخاوة عقد يقينه وفيه تأمل قوله ولذلك اي ولكونها احق بالذم والتوبيخ
رتب على ترك الامور حصول الويل نسبة اهـ الى المشتق يفيد علية المأخذ
قوله او للسببية عطف على جزائية وفي اجراء الوجهين على كون قوله فذلك
عطف الصفة على الصفة رد على الزمخشري حيث الوجه الثاني به فاء قوله
على وضع الويل فيه ... فيتحد المصلين مع المكذب بينا ويكون المراد المنافقين ويؤيد
هذا قول من ذهب الى ان السورة مدنية نزلت ويجوز ان يراد بالمصلين المنافقين

الصلوة فلا يختص بالمنافقين قوله سورة الكوثر قال البقاعي وتسمى النحر قوله
مكية القرطبي في قول ابن عباس والكلبي ومقاتل ومدنية في قول الحسن ومجاهد
وعكرمة وقتادة وفي الاتقان الصواب انها مدنية ورجح النووي في شرح
مسلم لما اخرجه مسلم عن انس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا اذ اغفى
اغفاءة ثم رفع راسه متبسما فقال انزلت علي آنفا سورة فقرأ بسم الله
الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر حتى ختمها قوله وآيها ثلث بالاتفاق بسم الله
الرحمن الرحيم قوله وقرئ انطيناك في البحر هي قراءة مروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قوله الخير المفرط الكثير في الكشاف الكوثر فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة
وجعله المص موصوف المحذوف الخير لما روي عن ابن عباس وتبعه بعض
اسطر... ورد في تفسيره انه نهر الحديث وفي صحيح الترمذي انه نهر في
الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته اطيب من المسك
وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج وقال هذا حديث حسن صحيح
فان قلت اذا صح التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يجب ان يحمل عليه قلت الروايات
متعارضة في صحيح البخاري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال في الكوثر
هو الخير الكثير قيل لابن جبير فان الناس يزعمون انه نهر في الجنة فقال سعيد النهر
الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه الله اياه ووافق ابن عباس ومجاهد الائمة
ورأيت المفسرين لا يقولون ما يقول الا عن اتقان وقد اشار السيد الشهيد
الى وجه التلفيق بين حديث الترمذي في ذكره بطريق التفسير قوله وقيل
حوض فيه وجه تمريض تلك الاقوال كونها تخصيصا بلا مخصص يعتد به
قوله وانت تعلم ان العطف يدل على التخالف لكن الاقوال مع التردد في
تعينها وليس والاظهر بلفظ قوله فدم على الصلوة اول
الاصابة دامة المامور به لان المامور به موصوف باصل الفعل على ظاهره
يكون بتخصيص الى ... دائمة فيجب دوام الشكر ايضا قوله خالصا
لوجه الله بدلالة اللام الاختصاصية في قوله ... الساهي متعلق بقوله دم على
الصلوة وقوله المرائي ناظر الى قوله خالصا لوجه الله قوله شكرا لانعامه اشارة
الى وجه ترتيب الامر بدوام الصلوة على ما قبله بالفاء فان وجوب الشكر سبب
عن النعماء قوله فان الصلوة تعليل لقوله لان دوام الصلوة بالشكر وسمي الشكر

١٨٦

بالاقسام لا الاجزاء يطلق على القسم ومنه قولهم ... قوله
في حب راموا القرب اشارة الى وجه النحر المذكور قوله وقد فسرت الصلوة
بناء على كون السورة مدنية قوله ان مبغضك ظاهره انه جعل ان في
معنى الماضي ولعل الاولى ان يجعل للاستمرار ... من الصحابة من
بغضهم بغضا شر ... هداه الله ... احب الي من نفسه
قوله لبغضه لك اشارة الى ان نسبته الى المشتق تفيد علية الماخذ قوله
هو الابتر الضمير للفصل قيل المراد بالشانئ هو العاص بن وائل وفي نسخة
المحاكمة كنت اطالع ... ابو جهل قال لما مات ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرج ابو جهل الى اصحابه فقال ابتر محمد فانزل الله ان شانئك هو الابتر
وهذا غير صحيح فان ابا جهل لم يكن حيا حين توفي ابراهيم عليه التحية
والتسليم ولعل في النسخة نقصا او تحريفا قوله ينبغي ذريتك اشارة الى
ان الاولاد والبنات منا الذرية فقد جعل الله عيسى من ذريته في سورة
الانعام قوله سورة الكافرين وفي بعض التفاسير سورة الكافرون و
تسمى الاخلاص والمقشقشة وفي جمال القراء وتسمى ايضا سورة العبادة
قوله مكية القرطبي في قول ابن مسعود وعكرمة ومدنية في احد قولي ابن عباس
وقتادة بسم الله الرحمن الرحيم قوله قل يا ايها الكافرون قالوا خطاب لهم
بهذا الوصف الذي يستر ذلك في بلدهم وتحقير لهم وشكرهم ايذان
بانهم محروسون منهم ... اعلام النبوة وفي النفس بالجمع
الصحيح دالة على قلتهم وحقارتهم وذلتهم قوله قد علم الله منهم انهم لا يؤمنون
على ما مضمون السورة الكريمة ويجوز ان يكون العهد ... الذين كفروا
الى الكافرون للدلالة على ... استمرارهم على الكفر قوله تعبد الهتنا
سنة ونعبد ... الفعل ... الامر قوله اي فيما يستقبل متعلق بلا اعبد
قوله لان لا لا تدخل ... ان هذا ليس بصحيح بل ذلك غالب فيهما
لا متحتم وقد ذكر النحاة دخولها على المضارع يراد به الحال ... ما
على المضارع يراد به الاستقبال ولذلك لم يورد سيبويه ذلك باداة الحصر انما
قال ويكون لا نفي لقوله يفعل ولم يقع الفعل وقال واما ما فهو نفي لقوله
يفعل ولم يقع الفعل فذكر الغالب فيهما قلت الذكر في معرض التعريف ...

ولا يخفى ان الرد ... ينقضه ذكره وهو بالجملة الاستمرار وعليه قوله عليه السلام ... بالله ... صلى الله عليه وسلم ... ولهذا قال ...

اداة الحصر فالتعريف ينبغي ان يساوي المعرف فما نقل عن سيبويه يدل على خلاف
ما ادعاه ولو سلم فالمراد لا يدخل غالبا الا ما وقد مر نظيره في اول الزلزلة
او الحصر ادعائي لتنزيل النادر منزلة العدم مع ان قوله قد ذكر النحاة دخول
لا الخ منظور فيه فان النحاة الفوا المسئلة ابن مالك قال ابن هشام في مغني
اللبيب ويتخلص المضارع بها يعني بكلمة لا للاستقبال عند الاكثرين وخا لفهم
ابن مالك لصحة قولك جاء زيد لا يتكلم بالاتفاق على ان الجملة الحالية لا
يصدر بدليل الاستقبال ثم قال واذا نفت المضارع يعني كلمة ما تخلص عند
الجمهور للحال ورد عليهم ابن مالك بنحو قوله يكون لي ان ابدله واجيب بان
شرط كونه للحال انتفاء قرينة خلافه انتهى قلت وعلى هذا يجوز ان يجاب
عن الاول ايضا وقد يجاب عنه بان التقدير قوم يكون لي قصدان ابدله الخ فذ
انه لا يتوجه ما لزم الى من اختار مذهب الجمهور في الكلام قوله اي فيما يستقبل
متعلق بقوله عابدون والمراد ولا انتم عابدون عبادة يعتد بها اذ العبادة
مع الاشراك لا يكون في حيز الاعتداد قوله او فيما سلف واعترض
عليه ابو حيان وتبعه الدواني بان اسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضي لا يعمل الا على
مذهب الكسائي وهشام وهنا قد عمل في ما عبدتم وهذا لا يرد على المص
فانه جعله من الحكاية والطف لا يمنع من الاصحاب تجدد فالزمخشري حيث
اقتصر في تفسيره عليه وليس مذهبه مذهبهما لكن يجوز ان يجاب عنه
ايضا بانه منصوب بفعل مقدر على الاستئناف البياني او هو من باب باسط ذراعيه
في انه حكاية الحال قال الا انه ليس معناه ان يقدر نفسك كانك موجود في
ذلك الزمان او يقدر ذلك الزمان كانه موجود الان وفيه بحث فان الزمخشري
فسره بان معناها ان تقدر ان ذلك الفعل الماضي واقع حال التكلم وقال
انما يفعل هذا في الفعل الماضي المستغرب كانك تحضره للمخاطب وتصوره له
ليتعجب وهذا المعنى ليس بلازم الاستقامة هنا والجواب ان ترك عبادة ما
الفوه على عبادتهم وهو امر ولدوا وتربوا ونشأوا في بلدتهم مستغرب
مستعجب قوله اي وما عبدتم في وقت يعني العبادة المعتد بها على ما تقدم
قوله على طريقة ابلغ لعله من باب التغليب فان الابلغية انما هي في التاكيد
الاولى بحث عدل فيه عن الفعلية الى الاسمية قوله ليطابق تغيير المنفي قوله

لانهم

لانهم كانوا تغيير النفي قوله وهو لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله الخ فانه يقتضي
جعل العبادة صلة للموصول ثم الموسومية بشيء لا يقتضي عدم ذلك الشيء فلا يلزم
ان لا يكون صلى الله عليه وسلم عابدا الله تعالى قبل البعثة وفي الكشاف انه لم يكن يعبد الله قبل
المبعث واعترض عليه ابو حيان وغيره انه ليس بصحيح لانه لم يزل موحدا
الله تعالى منزها له عن كل ما لا يليق بجلاله مجتنبا لاصنامهم يحج بيت الله ويقف
بمشاعر ابراهيم عليه السلام وهذه عبادة واي عبادة اعظم من توحيد الله و
عيب اصنامهم والمعرفة بالله من اعظم العبادة وقد ثبت انه كان يتحنث في نبذ اصنامهم
في غار حراء والجواب ان المراد هي العبادات البدنية التي يعبد الله تعالى بها
بعد المبعث فانهم ما كانوا ينكرون ما هو عليه فيما مضى عبادة كانت او لا بل
كانوا يعظمونه ويلقبونه بالامين وانما كان المنكر عندهم ما كان عليه بعد النبوة
او المراد الموسومية بها قوله كانه قيل لا اعبد الباطل ولا تستعمل الكلمة ما في معبوده تهم
وان كان ما في غيره محتاجا الى التاويل وفي الايات وفي مقابلها استتبع ذوي بها
قوله او للمطابقة يعني المشاكلة قوله وقيل مصدرية فيكون انتصابها على انها مفعول
مطلق اي لا اعبد عبادتكم ولا انتم عابدون عبادتي قوله فليس فيه اذن في الكفر
بل اخبار عن الغيب وهو من اعلام النبوة قوله من قرأ سورة الكافرون
قال شيخنا موضوع الا الجملة الاولى رواها الترمذي في سورة النصر وفي
سورة التوديع لكن بحيث معه المص وسورة اذا جاء تمام ما في الحديث الذي رواه
المص في فضيلة السورة قوله مدنية قال ابو حيان نزلت منصرفه من غزوة
خيبر وعاش بعد نزولها سنتين وقال ابن عمر نزلت في اوسط ايام
التشريق بمنى في حجة الوداع وعاش بعدها ثمانين يوما او نحوها ثم وكان
القرطبي هي اخر سورة نزلت جمعا قاله ابن عباس والحديث في صحيح مسلم
ليس فيه دلالة على ما تأخر نزولها عن فتح مكة لكن قوله وآيها ثلاث اجماعا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله اذا جاء نصر الله العامل فيها اذا هو سبح ولا يمنع
الفاء عن العمل على قول الاكثرين وفعل الشرط وليس اذا مضافا اليه على مذهب
المحققين قوله اظهاره اياك فان النصر الظهور بمعنى الغلبة والمراد النصر المذكور في قوله
مثله وينصرك الله نصرا عزيزا قوله وفتح مكة على ان اللام للعهد وهو الفتح الذي
كانت تطمح اليه الابصار ولذلك سمي فتح الفتوح ووقع الوعد به في اول سورة الفتح

قوله وفيه الحمد حسن نصر الله على ان الاضافة واللام للاستغراق والتعريض لان الاصل في التعريف هو العهد لا ينبغي ان يجري على غيره اذا امكن قوله وانما عبر عن الحصول بالمجيء يعني على الوجهين قوله تجوزا على الاستعارة التبعية قوله متوجهة اي كالمتوجهة قوله فيقرب اي المقدرات منها اي من اوقاتها المعينة شيئا فشيئا اي قربا مدرجا بحسب الاستعدادات العادية والاسباب و الشرائط المقدرة قوله وقد قرب النصر يعني والفتح وكني عنه بذكر النصر قوله و رايت الناس يعني العرب واللام للعهد او لاستغراق العرفي قال ابو عمر وابن عبد الله البر لم يمت رسول الله صلعم وفي العرب رجل كافر بل دخل الكل في الاسلام بعد حنين منهم من قدم ومنهم من قدم وافده وقال ابن عطية والمراد والله اعلم العرب عبدة الاصنام واما نصارى بني تغلب فما اسلموا في حيوته صلعم ولكن اعطوا الجزية قوله و يدخلون حال على ان رايت بمعنى ابصرت وفي الكشاف او عرفت قال ابو حيان ولا نعلم رايت بمعنى عرفت فيحتاج في ذلك الى استثبات قوله فتعجب ظاهره ان التسبيح مجاز عن التعجب بعلاقة السببية فان من راى امرا عجيبا يقول سبحان الله قال صاحب الكشف قوله صاحب الكشاف فقل سبحان الله حمده دلالة على ان التعجب تجيب ثامرث كرتسبيح ان يوم به وليس الامر بمعنى الخبر وانت خبير بان ما ذكره ايضا الى جعل معنى الخبر بوجه آخر قوله او فصل عطف على تعجب فالتسبيح مجاز عن الصلوة بعلاقة الجزئية لانها تشتمل عليه في الاكثر قوله بصفات الجلال يعني صفات السلبية قوله على صفات الاكرام يعني صفات الثبوتية اي على آثارها او على تنزيلها منزلة الاوصاف الاختيارية لكفاية الذات المقدسة في الاتصاف بها فانه المحمود وعليه يجب ان يكون الحمد اختياريا قوله وتقديم التسبيح اي على الوجهين بل الوجه الاخير فانه يتم اظهر والنزول في الحمد لانه يكون بملاحظة آثار صفات الاكرام على ما نبهت آنفا ويفهم منه ترجيح المصنف ذلك الوجه في جعل صفات الكرام محمودا عليها والله اعلم قوله انه كان توابا يجوز ان يكون الاية من الاحتباك ذكر بالامر بالاستغفار على التعليل بانه كان غفارا وبالتعليل بانه كان توابا على الامر بالتوبة اي استغفره وتب قوله والاكثر ان السورة نزلت قبل فتح مكة وفي الكشاف بعد ما ثبت رابا انها نزلت قبله وروي انها

نزلت

[margin note, partly legible:] [illegible] الكشاف [illegible] لانها النص [illegible]

نزلت في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع وعلى هذه الرواية فكلمة اذا لكونها خارجة عن معنى الاستقبال فانها قد يجيء عنه كما قيل في قوله واذا راوا تجارة الاية نص على ذلك ابن هشام في مغني اللبيب قوله وانه نعي على ورد في خبر ونعي اي خبر الموت قوله لولا انه على تمام الدعوة اي قرب تمامها وكماله قوله اولان الامر بالاستغفار في التفسير الكبير كانه قال قرب الوقت ودنا الرحيل فتاهب للامر ونبه به على ان الفرد اذا قرب اجله ينبغي ان يستكثر من التوبة قوله ولهذا اي ولكونها نعي سورة تبت وتسمى سورة المسد قوله مكية في ايها خمس بالاتفاق بسم الله الرحمن الرحيم قوله والتباب خسران وبه فسر في التفسير الكبير قالوا مادة تب وبت تدور على القطع المؤدي في اغلب الاحوال الى الهلاك وقال ابن دريد التب المصدر والتباب الاسم قوله نفسه على انه ذكر اليد كناية عنها كما في شرح المفتاح قوله وقيل انما خصت قال صاحب الكشاف وعلى هذا فهو كناية في ذكر اليدين وكانت الجملة دعاء الاولى بهلاك يديه والثانية بهلاك نفسه والحديث رواه الشيخان قوله واخذ حجرا اي بيده قوله وقيل المراد دنياه مرضه لبعد معنى استعمال المعنى الظاهر قوله والكنية تكرمة ولا يعترض على ما قال ابو حيان ان الاسم اشرف من الكنية فعدل الى الانقص ولذلك ذكر الله الانبياء باسمائهم ولم يكن احدا منهم لانه انكار لما هو كالبديهي واما ذكر الله تعالى الانبياء فلعله لم فيه فان كلام صاحب الكشاف وغيره مقام العظمة والكبرياء قوله لاشتهاره بكنيته يعني ليست الكنية هنا للتكريم بل للتشهير بدعوة السوء وان يبقى سمة له قوله فان الكنية او لتوجيه له اي الكنية المعهودة قوله وليجانس اي ليوافق حاله كنيته قوله وقرئ ابو لهب كما يقال علي بن ابو طالب قوله وقرأه ابن كثير باسكان الهاء لهب واللهب واللهب لغتان كالنهر والنهر والشمع والشمع قال صاحب الكشاف وهو من تغيير العلم المذهب الكوفي ووافقه الجماعة في تحريك الهاء ذات لهب لمراعاة الفواصل قوله اخبار بعد دعاء يعني على التفسير المختار قوله جزاء الهاء من الف وياء يروى بالواو وبمعنى الهاب اذا صاح وبالدال المهملة عرضه في اذا اسرع قوله ويدل عليه قراءة وقد تب فانه كلمة قد لا تدخل على الدعاء قوله والاول اخبار عما كسبت يداه

اي من اعماله او ماله قوله ومحل ما النصب على انها مفعول مطلق او مفعول به
لاغنى اي اي اغناء اغنى او اي شيء اغنى قوله وكسبه او مكسوبه الاول على ان ما مصدرية
والثاني على انها موصولة وجوزوا ايضا ان يكون استفهاما اي واي شيء
كسب اي لم يكسب شيئا ولو صح هذا لجاز ان يجعل نافية ايضا وفيه تأمل
قوله تعالى لو وقع توهم التكرار يتوهم اتحاد المال والكسب قوله او ولده عتبة
قال الشيخ ابن حجر في اول سورة النجم ان عتبة ابن ابي لهب وكان تحته
ابنة رسول الله اراد الخروج الى الشام فقال لآتين محمدا فلأوذينه
فاتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم اذا هوى وبالذي دنى فتدلى ثم تفل في وجه
رسول الله ورد عليه ابنته وطلقها فقال رسول الله اللهم سلط
عليه كلبا من كلابك وكان ابو طالب حاضرا فوجم لها وقال ما كان اغناك
يا ابن اخي عن هذه الدعوة فرجع عتبة الى ابيه فاخبره ثم خرجوا الى
الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من الدير فقال ان هذه ارض
مسبعة فقال ابو لهب اعينوني يا معشر قريش هذه الليلة فاني اخاف
على ابني دعوة محمد فجمعوا جمالهم واناخوها حولهم واحدقوا بعتبة
فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله ابو نعيم في دلائل
النبوة من طريق محمد بن اسحق عن عثمان ابن عروة ورواه البيهقي في
الدلائل والطبراني من طريق سعيد عن قتادة مطولا نحوه ولكن قال عتبة
ورواه الحاكم والبيهقي في الدلائل ايضا من رواية نوفل ابن ابي عقرب عن ابيه
قال كان لهب ابن ابي لهب فذكره مختصرا وقال البيهقي هكذا قال عباس
ابن الفضل الازرق وليس بالقوي واهل المغازي يقولون عتبة او عتيبة
انتهى وقال الطيبي هذا الحديث موضوع رواه بعض الشيعة والذي
يجوز محمد بن احمد بن حماد المعروف بالدولابي في كتاب الذرية الطاهرة فان ابن عبد
البر وابن الاثير صاحبا الاستيعاب وجامع الاصول ذكرا ان عتبة بن
ابي لهب اسلم هو واخوه يوم فتح مكة وكانا قد هربا فبعث العباس
فاتي بهما واستبشر رسول الله ودعا لهما وشهدا معه حنينا والطائف
قلت وان لم يقف على رواية ابي نعيم فهو ثقة يعتمد على روايته فلا يبعد
ان يقع له او لبعض اتباعه وهم في تسمية عتبة وذكر التزوج ببنت ام

وقال

وقد صحت القصة عنه كذا يرد عليه حديث البيهقي والطبراني وغيرهما ويمكن ا
التوفيق بين ما قاله ابن عبد البر وابن الاثير وبين ما روى والله اعلم قوله وقد
احرقه العرق احاط قوله ومات ابو لهب بالعدسة وهي بثرة تخرج بالبدن
تشبه العدسة وهي من جنس الطاعون يتشاءم بها فان العرب كانت تعرفه
في الجاهلية فلم يسلم منه احد فقال لعدسة الزجر فهو معدوس كما يقال
طعن فهو مطعون اذا اصابه الطاعون قوله وترك ثلاثا اي لم يقربوه لاتقائهم
عدواها قوله فهو اخبار عن الغيب اي قوله وتب ما اغنى عنه الآية قوله وليس
فيه ما يدل على انه لا يؤمن حتى يصح استدلال الاشاعرة على وقوع التكليف بالمحال
فان النص يوافق النقيض في زمانه واحد خارج عن حيطة الامكان اي ليس في وسع
احد لكنه جوابا بالنص لا يتمشى اذا استدلوا بقوله ولا انتم عابدون ما اعبد في
قوله لكم دينكم على الوجه المختار في تفسير الآية يقال لا ولا انتم فيه على استغراق
الازمان الاستقبالية بل ليس نصا في الاستقبال بل الذين ارادوا بالكافرين عدد
متعين وخبر الواحد لا يفيد في امثال هذه المطالب وما ذكر في كتب الكلام من ان
التكليف انما هو بالايمان الاجمالي دون التفصيلي لا يجدي بعد ان خوطبوا بالتفصيل
وعلموه قوله وقرا عاصم بالنصب على الشتم قال الزمخشري ولقد اتى بجميل من
احب شتم ام جميل وجوزوا ايضا ان يكون النصب على الحالية واما على قراءة
الجماعة فيجوز ان يكون نعتا لامرأته لان الاضافة حقيقية اذا اريد المضي وان يكون
بيانا او بدلا لانها قربت من الجوامد بمحض الاضافة وان يكون خبر المبتدأ
مضمرا وهي حمالة كذا ذكر السمين وهذه الوجوه على تقدير ان يكون امرأته
عطفا على المستكن واما اذا جعلت مبتدأ فهي خبر قوله فانها كانت تحمل
الاوزار في دلالة على تحملها حطب جهنم خفاء فالظاهر الاكتفاء عن التعليل
والايمان بما ورد في التنزيل قوله او النميمة مبني على الاستعارة قوله فانها توقد
بين الناس قوله وهو ترشيح المجاز مبني على الوجه الثاني في تفسير الحطب
قوله او تصوير لها على الوجه الثالث فيه قوله او بيانا لحالها على الوجه الاول
قوله والظرف يعني قوله في جيدها قوله في موضع الحال من امرأته على ان يكون
عطفا على المستكن او من ضميرها في حمالة الحطب قوله او الخبر على ان يكون
مبتدأ وهذا تكرار لا يخفى قوله وحبل مرتفع به اي بالظرف لاعتماده على

على ان يكون امرأته
عطفا مستكن

او الظاهر ان مراده
بالاوزار معنى الاثام
لا الاحمال الثقيلة من
الشوك والحسك
ينبو نفسه وجه
تدبر

وفي الفائدة المترتبة تجوز ان يكون خبر مبتدأ مؤخر والظرف خبرا مقدما
او عنه حالا وخبر ثان سورة الاخلاص تسمى سورة المقشقشة اي المبرئة
من الشرك وسورة الاساس لاشتمالها على التوحيد الذي هو اساس الدين
وقل هو الله احد ولها اسامي اخر ذكرها صاحب التفسير الكبير قوله مختلف فيه
قال الامام النسفي في التيسير هذه السورة عند ابن عباس ومقاتل والواقدي
والكلبي وابي العالية مكية وقال قتادة هي مدنية وفي البحر مكية في قول عبد
الله والحسن وعكرمة وعطاء ومجاهد وقتادة مدنية في قول ابن عباس
والجمهور بن كعب وابي العالية والضحاك ولا يخفى عليك ما بين النقلين من المخالفة
الا ان يثبت عن ابن عباس وقتادة قولان قوله واياتها اربع وفي التيسير هي
خمس ايات وقيل اربع والاختلاف في قوله لم يلد بسم الله الرحمن الرحيم قوله لانها
هي هو الضمير الاول المنصوب للجملة والثاني المرفوع تاكيد له وانث للضمير يعني ان
الجملة الواقعة خبرا متحدة مع ضمير الشان فلا يمس الحاجة الى الرابط كما في
قولنا زيد ابوه منطلق ويجوز ان يكون الاول ضمير القصة والثاني والثالث
مبتدأ وخبر والجملة خبرا قوله او لما سئل عنه اي عن وصفه عطف على
قوله الشان قوله او راجع اشارة الى مصحح اعادة الضمير الى ما سئل عنه قوله واحد
بدل اي على الوجه الثاني وابدال النكرة المحضة من المعرفة يجوز عند حصول
الفائدة على ما ذهب اليه ابو علي وهو المختار ولا يبعد ان يكون الجلالة بدلا
من الضمير واحد الخبر قوله يدل على مجامع صفات الجلال المجامع جمع مجموعة
صفات الجلال هي صفات السلبية قوله كما دل الله لما حقق انه اسم للذات
مستجمع لجميع الصفات اي الصفات الثبوتية لا السلبية والا لم يكن له سبحانه
من تسمية بهذا الاسم قوله الواحد الحقيقي متعلق بقوله يدل وفيه اشارة
الى ان همزة احد مقلوبة عن الواو وليست باصلية لان ما همزته اصلية لا يستعمل
في الاثبات ولوات عموما فيه يكون مع لفظة كالبتة والقصر في اوائل احوال
متعلقات الفعل من شرح المفتاح والى ان المراد بالاحد هو الواحد الحقيقي لا الواحد
بالعدد لان المطلق ينصرف الى الكامل ولان صرفه الى الواحد بالعدد على الخبر
عن الفائدة اذ لا منكر له قوله عن انحاء التركيب يعني الخارجي والعقلي قوله
والتعدد بان يكون نفس تصوره مانعا من جملة على كثيرين قوله وما يستلزم

احد ما عطف على انحاء قوله كالجسمية والتحيز مثل ما بين التركيب والتشابه في
الحقيقة يستلزم الكثرة والتعدد بل التركيب انما جعل التعدد واخلاء في حقيقة
على ما ذهب اليه الفلاسفة قوله المقتضي للالوهية نعت للثلاثة الاخيرة
ويلزم منه ان يكون منزه الذات عن المشاركة في الالوهية ثم في كلامه اشارة
الى رد ما قاله ابو هاشم ان الوجوب والقدرة معللان بالالوهية قوله وقرئ
هو الله بلا قل وكذلك في المعوذتين ايضا قوله مشافهة الرسول اي الاحياء
كونه في شئ وهم في شئ اخر على الوجه المختار في تفسيره قوله وموافقة
اي متاركة لهم على الوجه الاخير المراد كما هو كذلك يجب ان يكون مثله
فيما ذكرنا يجب ان يكون منه لكنه اختصر وترك ذكر الكبرى فالنتيجة اعتمادا
على انفهامهما بقرينة المقام وسياق الكلام قوله فلا يناسب ان يكون
فيه تاثرات في لفظه قوله لانه على انها ليست منه بل من الله تعالى وايضا لانه
في النظم كما في الكافرون فلا يجب المواجهة حتى لا تثبت قوله واما على هذا في
والاضمار تعويض فيناسب ان يدعو بهما وان يوصف بمثلها قوله السيد
المصمود اليه ليس اشارة الى الحذف والايصال فان صمد يتعدى بنفسه
قوله الموصوف به الضمير المرفوع لله المجرور للصمد والوصف بمعنى الجمع يعني ان
الله هو المستحق لان يجري عليه الصمد قوله وتعريفه يعني مع تنكير احد قوله
لعلمهم بصمديته لكن يلزم منه خلو الخبر عن الفائدة الا ان يقال التعريف
لافادة القصر ولا حاجة اليه في الجملة الاولى فان مفهوم احد يحمي ما قصر
المص يغني عن ذلك مع انهم لا يعرفون احديته ولا يعترفون بها قوله لانها
كالنتيجة للاولى يعني من وجه قوله والدليل عليها يعني من وجه اخر فهي استئناف
او تاكيد قوله لانه لم يجانس وفيه اشارة الى ان قوله لم يلد كالنتيجة للجملتين
المتقدمتين ولذا اخلي عن العاطف قوله لامتناع الحاجة تعليل لعدم افتقاره
الى ما يعينه وقوله والفناء عليه لعدم افتقاره الى ما يخلف عنه قوله ولعله
الاقتصار على لفظ الماضي اي لا على لفظ المضارع مثل لن يلد ولا يلد قوله في
ذلك اي كونه غير مولود قوله ولا يسبقه عدم على ما هو المتعارف في المواليد
قوله او ليطابق يعني ان المراد استمرار نفي الولادة وانما لم يجئ لا لقصد
المطابقة والمشاكلة لما بعده قوله لانه صلة اي ظرف لغو متعلق بكفوا قوله

بحيث ان يكون حالا يكون مستقرا لا صلة قوله او خبرا وتعقبه ابو حيان بان
الظرف ليس تاما بل ناقص اذ لا شك لمن له ذهن صحيح انه لا ينعقد كلام منه
فيما لم يكن له احد فلا يصلح ان يكون خبرا واجيب بالمنع فالظرف الناقص
عبارة عما لم يكن في الاخبار به فائدة نحو في الدار زيد وليس النظم كذلك
اذ يفهم به ان الحادث ومن ساق المقال ان المراد لم يكن احد مكافئا له
قوله ويكون كفوا حالا من احد او من ضميره في الظرف الواقع خبرا قوله لانه نفي
اقسام الامثال فيكون المراد بقوله ولم يكن له كفوا احد نفي الوالد والولد
بقرينة المقابلة قوله فهي كجملة واحدة فالواو الجامعة للاشعار بعدم استقلال
كل واحدة منهما وقوله لهذا انظار بقوله منبه عليها اسم مفعول من التنبيه
قوله جاء في الحديث رواه البخاري قوله وعن النبي انه سمع رجلا
الحديث قال شيخنا رواه الترمذي والنسائي وغيرهما سورة الفلق
مختلف فيها والاصح مكية في قول الحسن وعطاء وعكرمة وجابر و
رواية كريب عن ابن عباس في رواية ابي صالح وقتادة وجماعة وقيل هي
الصحيح وقد صحح صاحب الاتقان المختار انها مدنية لانها نزلت في قصة سحر
لبيد بن الاعصم كما اخرجه البيهقي في الدلائل قوله وآيها خمس بالاتفاق
بسم الله الرحمن الرحيم قوله ما يفلق عنه اشارة الى انه من باب الحذف والايصال
وقد يفسر بالمخلوق كالارض والجبال والسحاب والعيون وجه الاول وهو
اختيار الاكثر لان معنى التربية فيه اظهر فانه كالمولود قوله وهو يعم جميع
الممكنات الصبح الفلق قوله فانه تعالى فلق اي شق وازال قوله ظلمة العدم بنور
الايجاد ومن باب الحسن الماء وانت خبير بان نسبة الفلق اليه ليست على
الحقيقة بل تخييل قوله اي يعم الممكنات الثابتة في علم الله تعالى قوله سيما ما يخرج
يعني ان عموم الفلق له ظهر لتحققه بنعت الحقيقة قوله ويخص عطف على
يعم قوله ولذلك اي لاختصاصه بالصبح عرفا فسر به هنا قوله وتخصيصه
اي تخصيص الصبح بالذكر على هذا التفسير قوله وتشبه وجه التشبيه
كالعطف التفسيري لتغير الحال قوله ومحاكاة فاتحة يوم القيامة في التفسير
الكبير خص الصبح بالذكر لانه انموذج من يوم القيامة لان الخلق كالاموات و
الدور كالقبور ثم منهم من يخرج من داره مفلسا عريانا لا يلتفت اليه و

٣

قوله الفلق الصبح [illegible] فالق الاصباح عن عمود الصبح [illegible] ظلمة الليل [illegible] هنا [illegible] عمود الصبح [illegible] للتضمين [illegible] منه

منهم

١٩١

منهم من كان هو يومئذ يتبجح في الجنة ومنهم من كان ملكا مطيعا فيقدم اليه المركب
ويقوم الناس بين يديه كذا في القيامة بعضهم مفلس عن الثواب عار عن لباس التقوى
ومنهم من عليه حقوق الله وحقوق عباده يجر الى الملك الجبار ومنهم من كان
عبدا مطيعا لربه في الدنيا فيصير ملكا مطاعا في العقبى يقدم اليه البراق ولا
يخفى انه لا يلائم مقام المقام فان القصد الى الاستعاذة لا الى الدلالة على يوم
القيامة ولا اشارة الى بيان احواله قوله او وفق من سائر اسمائه يعني اسمائه
التي يجوز اضافتها الى الفلق من نحو الخالق والموجد فلا يرد ان الاعاذة
رأفة ورحمة ايضا قوله لان الاعاذة من المضار تربية فان قلت الرب
اضيف هنا الى الفلق لا الى المستعيذ فما الدلالة على ما ذكر قلت الفلق
على التفسير الثاني يشمل المستعيذ ايضا وعلى التفسير الاول ففيه نوع من الاشارة
والايماء قوله خص عالم الخلق هو عالم الجسم والجسمانيات فان الخلق هو
التقدير والتقدير فيه قوله وشره اختياري لازم اي لا يتعدى الى الغير بل
يختص بمحله ولا يلزم من هذا التفسير ان يكون الشر اللازم مستعاذا منه
ليخالف ما سيأتي ان الاستعاذة في سورة الفلق من المضار البدنية لان
التقسيم ليس للمستعاذ منه ولا معنى للاستعاذة من شر لا يتعدى الى المستعيذ
وليس ذلك المراد بل ما سيأتي ان الاستعاذة فيها لا تختص بالاضرار العارضة
للنفوس البشرية بل يعم المضار البدنية قوله كالظلم مثال للاختياري المتعدي
فانه يتحقق الظلم بالمظلوم قوله والكفر مثال للاختياري اللازم لظهور انه
لا يتعدى الى غير ذلك من اتصف به واما قوله ثم ابواه يهودانه وينصرانه
الحديث فليس منه دلالة على تعدية الكفر بل هو من الابوين الى الولد على
تعدي اثره قوله وطبيعي كاحراق النار ظاهره لا يوافق لمذهب الحق فان
الاحراق ليس الا محض خلق الله تعالى قوله ليس اعظم ظلاما ونسبة الشر اليه
مجازية لملابسة الظرفية كما في نهاره صائم قوله يقال غسقت يجوز فتح
السين وكسرها على انه من باب ضرب او علم قوله وقيل السيلان عطف على
قوله واصله الامتلاء وتمريضه لانه يناسب بما سلف في ص وعم قوله
وتخصيصه اي تخصيص الليل بالذكر بعد ما اندرج في عموم ما خلق قوله
لان المضار فيه يكثر فيكون بذلك كانه جنس آخر قوله ولذلك قيل الليل اخفى

كان ذات الاستعاذة في سورة الفلق من المضار البدنية على ما سيأتي منه

والآيات دالة على هذا الحق لان النظر الى ما فلق يعم الاشياء وتشملها الجسم الضارة للنفوس البشرية ايضا وكذا هو منه

للقوى الاشارة الى قصور الوصف فيه فالمبدأ اي انظر ما يوجد فيها من النفرة
قوله فانه يكسف اولانه مظلم في نفسه اولانه يهجم على ما قبله ولانه في غاية السرعة
في سيره على ان الغسق يعني السيلان قوله فيسق بفتح السين وكسرها
قوله ووقوبه دخوله في الكسوف وقيل في المحاق قوله ومن شر النفوس او
النساء والاول اولى لشمول الرجال فالسحر في سبب النزول منهم وقوله
السواحر نعت لكل من النساء والنفوس على البدل قوله وينفث بضم
الفاء وكسرها قوله ولا يوجب ذلك جواب سؤال قوله مستعار يعني استعارة
تمثيلية قوله وارادها بالتعريف يعني التعريف الاستغراقي في خصوص السبب
لا مانع عموم الحكم على ما عرف قوله يحذف كل على سبق ولذلك قيل وكم لظلام
الليل عندك من يد قوله تحدث المانوية تكذب قوله وحاسد على ما
يدل عليه التقييد بالظرف قوله اذا ظهر حسده اولا الفعل بظهوره
فيظهر فائدة التقييد والا فالحاسد يتصف بنفس الحسد قوله
فانه لا يعود ضرره منه بيان لفائدة التقييد قوله الضمير المجرور بين
للمحسود لا بهما للحاسد قوله ويجوز ان يراد بالغاسق ما يخفى على القوى
السخيفة الفلسفية ينبغي ان يصان من امثالها كتب التفاسير
ومراده بما يخلو عن النور وما يضاهيه هو المعادن لكن لم يظهر
ما ذكره وجه تقييد الغاسق بالظرف ثم قوله كالقوى يعني النفاسية
لما يضاهي النور قوله فانها قواها النباتية اه ظاهره ان النفاثات
استعيرت للقوى النباتية ثم اطلق على النباتات بعلاقة الحلول
قوله والحاسد الحيوان يعني على الكناية قوله ولعل افرادها اي افراد تلك
المواليد الثلث قوله عن النبي صلى الله عليه وسلم لقد انزلت علي سورتان الحديث
قال ابن العراقي اوله في صحيح مسلم حديث عقبة بن عامر بلفظ ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال الم تر آيات انزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط قل اعوذ برب
الفلق وقل اعوذ برب الناس واخرج في صحيح ابن حبان من حديث عقبة
ايضا بلفظ لن تقرأ سورة احب الى الله ولا ابلغ من قل اعوذ برب
الفلق وقل اعوذ برب الناس فان استطعت ان لا تدعهما في صلوة فافعل
سورة الناس وتسمى المعوذتان بالمقشقشتين ايضا قوله مختلف فيها

اي اذا حسده منه

لكن

لكن المعتاد انه لم يعتد بها كما تقدم في اول التفسير قوله ولم يثبت قال الصفاقسي اتفق
اربابها على ترك تبييت بسم الله الرحمن الرحيم قوله فرق بين السورتين بحذف لفظ
اله تبين كي فرق بحذف ربكم قوله لما كانت الاستعاذة في السورة المتقدمة من
قد سبق في نفس تلك السورة الا من يتعلق به فتدبر قوله عمم الاضافة عم منه
على تعميم الفلق لجميع الممكنات واما اذا خص بالصبح فقد تقدم وجه تخصيصه بالذكر
هناك هذا ثم مقتضى ظ تقريرها هل تخصيص الاضافة بذوات الابداع من
المخلوقات لان يجاوز في التعميم الى ما يشمل بدءا على الخلق والامر قوله عطف بيان لم
اي لرب الناس ويجوز ان يكون وصفا او بدلا قوله فان الرب قد لا يكون ملكا
يعني ان رب الناس يطلق على من لا يكون ملكا لهم كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم
اربابا من دون الله قد يقال الاية كقوله اتخذوا من دون الله آلهة في كونها لا منها
لانكار الاتخاذ فكما لا دلالة فيه على صدق اطلاق الالهة على معبوداتهم الباطلة
كذلك لا دلالة فيها على صحة اطلاق الارباب على الاحبار والرهبان قوله والملك قد لا
يكون الها كملوك الدنيا وكلمة قد للتكثير قوله حقيق بالاعاذة اي لربوبيته قوله قادر
عليها يعني الملكية قوله غير ممنوع عنها لمقتضى الالوهية فان الممنوع العاجز لا يكون
الها قوله واشعار بمراتب الناظر عدى الاشعار بعلى لتضمين معنى الاطلاع
قوله في المعارف يجوز بكل من المضاف والمضاف اليه والاول هو الاظهر قوله يتقلص
اي يتأخر قوله ومصارف امره اي تصرفه قوله وتدرج في وجوه الاستعاذة
المعتادة يعني ان العادة جارية على ان احدا اذا راى ظلما من احد يلوذ اولا
بمن قام بامره ورباه كالطفل فانه في مثله يبث شكواه امه واباه الذين
تولوا امره وربياه فاذا علم انه لا يحصل منه غناء يذهب الى الملك الحاكم
ويستدفع به المظالم كما اذا شب الغلام ويتيقن ان ابويه لا
يكفيان في هذا المهم واذا لم يحصل منه كفاية يلتجئ الى الله
وبث له منتهى العناية فقوله المعتادة نعت للوجوه وفي
النظم اشارة الى انه تعالى واف لاستجماع تلك
الاوصاف واشعار على ما نبه عليه بعظم
افة المستعاذ منها حيث لم يكتف بذكر واحد
من تلك الصفات المنزلة منزلة الذوات بل جمع بينها

اي الى امه بتبنيه الحافظ لهم

[illegible] العطف [illegible] المصنف [illegible]

ذكر [illegible] الاهتمام [illegible]

[illegible] العطف [illegible] معنى [illegible] هذا [illegible]

[illegible] الاستقلال قوله لما في الاظهار [illegible] البيان في الكشاف [illegible]

عطف البيان للبيان فكان مظنة للاظهار دون الاضمار قوله والاشعار بشرف

الانسان فان ما لا شرف فيه لا يعبا به ولا يعاد ذكره بل ترك وبهمل ولذلك

قال ... فلما عد ذكر بعد ان البيت قوله اي الوسوسة يعني ان الوسواس

بمعنى الوسوسة لا مصدر نقل العلامة الطيبي عن بعض المغاربة ان الفرق بين

المصدر واسم المصدر هو ان المعنى الذي يعبر عنه بالفعل الحقيقي الذي هو مدلول

الفعل الصناعي ان اعتبر فيه تلبس الفاعل به وصدوره منه وتجرده فالموضوع له مطلق عن هذا القيد المذكور هو اسم المصدر وفي شرح الهادية للفظ

المحقق الرضي يعني اسم الفاعل على المصدر وهو شيئان احدهما ما دل على معنى

المصدر من غير ... كالمقتول والمستخرج والثاني اسم العين مستعمل بمعنى

المصدر كالعطاء مستعمل بمعنى الاعطاء وهو في الاصل اسم لما يعطى انتهى ولا يخفى

ما بين الكلامين من التنافي وليس في كلام الزمخشري والمص التنصيص في

ان الوسواس اسم المصدر فلا تخالف بين ما قالاه وما قاله الرضي قوله

وذلك كالقوة الوهمية التشبيه في الخنوس والوسوسة وقد قيل فان الوهم

شيطان رجيم قوله او النصب او الرفع قال صاحب الكشاف هنا ويحسن ان يقف

القارئ على الخناس ويبتدأ الذي يوسوس على احد هذين الوجهين

وما ذهب الواحد المعين من الوجهين وهو الشتم الشامل للرفع والنصب

بتوجيه ما ذكره صاحب الكشاف قوله بيان للوسواس اي الذي

وجوز ان يكون حالا من ضمير يوسوس و بدلا من شر باعادة

العامل اي من شر الجنة فان حذف المضاف كما هو المنقاس

ان يكون بدلا من الوسواس قلت ينبغي على ان يكون

من تبعيضية قوله اي يوسوس في صدورهم

من جهة الجن انهم يعلمون الغيب ويضرون و

ينفعون ومن جهة الناس كالكهان والمنجمين

[illegible] صاحب [illegible] الكشاف [illegible]

كذلك

[illegible] الجنة [illegible]

[illegible]

اي ميل وعدول عن الطريق فان الجن سموا جنا لاجتنانهم والانس انسا

لظهورهم من الايناس يعني ابصار ولو ثبت انهم سموا انا ... فانهم

... بامثالهم اولنوسهم اي حركتهم واضطرابهم فيهم القبيلتين في الاسم

الا انه خلاف المعروف مما فيه من شبه جعل الشيء قسما من نفسه قوله بل ثبت

الفتح القرآنية قوله الا ان يراد به الناسي يعني فيحذف الياء بالكسرة عن الياء و

ههنا سر شريف ننبه عليه وهو ان كلمات هذه السورة انتظمت من اثنين

وعشرين حرفا كلمات الفاتحة اشتركتا في ثمانية عشر حرفا واختصت كل واحدة

باربعة الفاتحة بالحاء والطاء المهملتين والضاد والغين المعجمتين والناس

بالجيم والخاء والشين المعجمتين والفاء فلا يبعد والله اعلم ان يكون فيه

اشارة الى تكامل نزول القرآن من اوله الى آخره

في عدد الحروف اشتمل عليها كل من

سورتي اوله وآخره من السنين

وذلك اثنان وعشرون

والثالثة والعشرون

سنة القدوم

على منزله

الحي القيوم

تم تم تم

بناء على ان يكون البسملة خارجة من السورة منه

ياكبيكج ياكبيكج